UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190877

UNIVERSAL
LIBRARY

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ٨٩٢٤٧.٩ ع ج Accession No. ١٧١٢٠

Author ١٩٢٩ھ ج

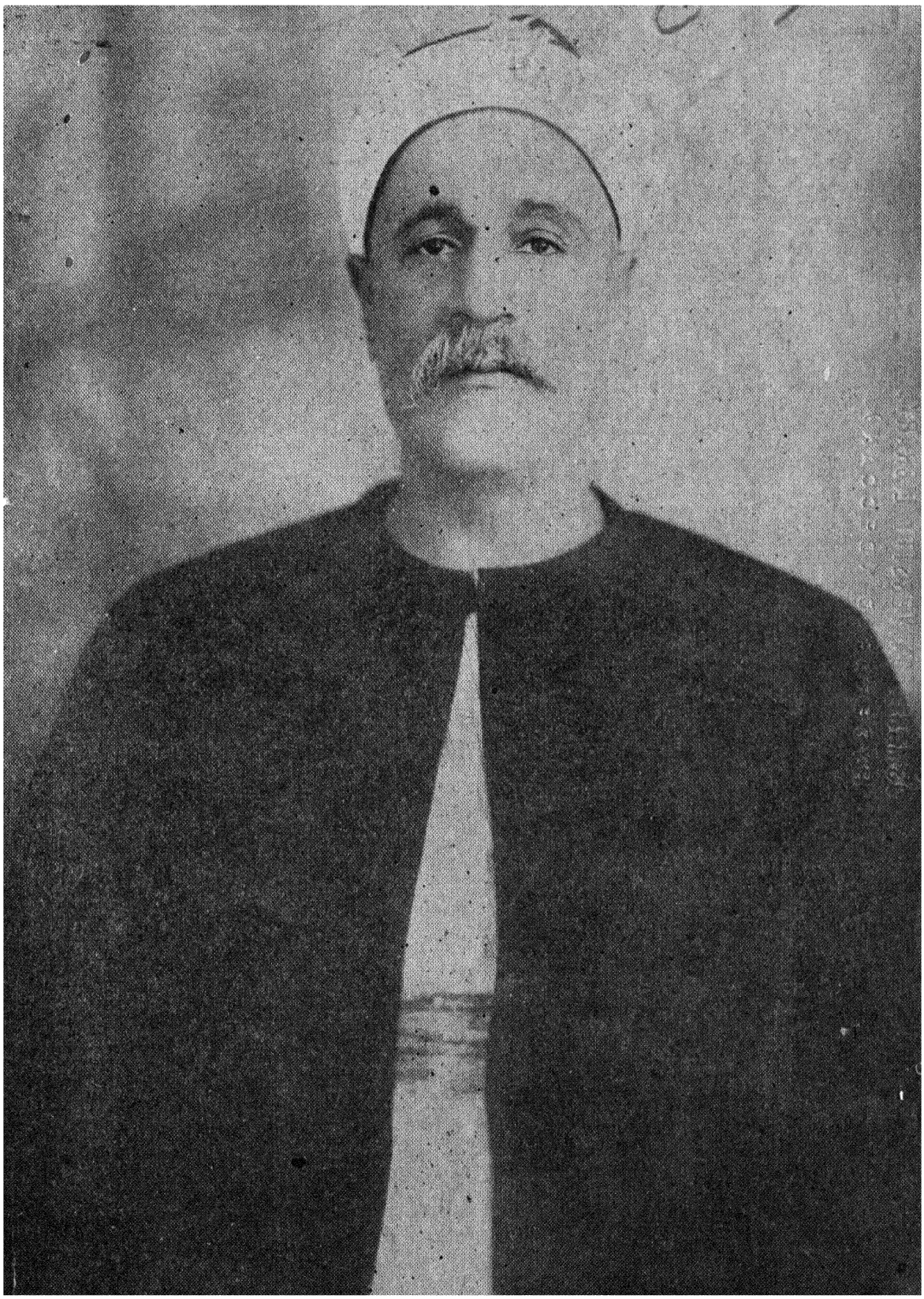
Title جواہر الادب حصہ اول ١٧١٢٠

This book should be returned on or before the date last marked below.

جواهر الادب

الجزء الاول

١٧١٢٠



ترجمة مؤلف جواهر الأدب (بقلم ولده)

هو صاحب الفضيلة والعزة السيد احمد الهاشمى بك ابن المغفور له الشيخ احمد الهاشمى شيخ شيوخ الازهر الشريف ابن ابراهيم بن مصطفى بن محمد نافع بن احمد البشارى بن احمد الدمنهورى ابن حجازي بن شهاب الدين الحسينى بن عبد الوهاب الجوهرى بن تاج الدين بن عبد الوهاب بن عبد الحميد بن عبد الرزاق بن احمد النووى بن ابراهيم بن يحيي بن محمد الدقاق بن يوسف محيي الدين ابن خليل بن على بن محمود الوهاج بن صفى الدين شيخ الاسلام ابن يعقوب بن ابراهيم بن محمود الحباك بن اسماعيل بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الهوارى بن يونس بن السيد يحيي شيخ مشايخ الطرق الصوفية ابن زكريا بن محمد البشارى بن ابراهيم بن تقى الدين بن يونس بن خليل الحباك بن يوسف بن محمد بن محمود بن على بن احمد بن عبد الحميد بن عبد المجيد بن حمد بن حسن بن يوسف بن علىّ الدين بن محمود الجوهرى بن يحيي الجوهرى بن خليل بن سيدى محمد الجوهرى بن حسن بن ابراهيم بن محمد بن تقى الدين بن احمد بن على بن موسى بن خليل بن محمد بن محمود بن على بن يحيي بن ابراهيم بن زكريا بن طه بن محمود بن جعفر بن حسن بن عبد الرؤوف بن محيي الدين الاسيوطى بن على بن ابراهيم بن محمود بن خليل بن محيي الدين الالفى بن عبد المعطى بن عبد الرحيم بن ابراهيم الحلبينى بن محمد بن صفى الدين بن موسى بن ابراهيم بن يوسف بن يحيي بن ابراهيم بن محمد بن يوسف بن على بن نور الدين بن مصطفى الخلوتى بن على بن موسى بن ابراهيم بن عثمان بن خضر بن محمد بن موسى بن يحيي بن على بن حسن بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن على زين العابدين بن سيدنا الحسين بن الامام على بن أبى طالب الهاشمى القرشى العدنانى

ولد والدى بمحلة زياد من أعمال المحلة الكبرى سنة ١٢٩٥ هـ — وجاء به المرحوم جدى الى الازهر الشريف فحفظ فى مكاتبه القرآن الكريم ومجموعة المتون الازهرية ثم أخذ فى تلقى العلوم النقلية والعقلية على كبار شيوخ الازهر كشيخ الاسلام الانبابى والاشمونى وجمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده وغيرهم — ومكث مدة يدرس فى الازهر الشريف الى أن تولى مراقباً لمدارس فكتوريا الانجليزية ثم مديراً لمدارس الجمعية الاسلامية سابقاً — ثم مديراً لمدارس فؤاد الاول حالا ، وقد انتفع به بمؤلفاته كثير من طلبة العلم فى الشرق الاقصى والأدنى حتى نعّ من بينهم الآن العظماء والوزراء أمد الله فى أجله خدمة للعلم والتعليم والتأليف ؟

نجل المؤلف

سيد احمد الهاشمى

الطالب بالمدارس

١

كتب الي صاحب الفضيلة أستاذي الاكبر شيخ الجامع الازهر المرحوم الشيخ « حسونه النواوي » فقال

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على افصح العرب ، وعلى آله وصحبه الذين انتهجوا منهج الادب « أما بعد » فقد اطلعت على الكتاب المسمى « بجواهر الادب في أدبيات وانشاء لغة العرب » لمؤلفه الالمعي ولدنا الاستاذ الفاضل «السيد احمد الهاشمي» فألفيته مشتملاً على فن الانشاء والامثال ، وافياً بالمقصود واسع المجال ، صحيح العبارة ، واضح الاشارة ، نافعاً في بابه . مفيداً لمطالعيه وطلابه . نفع الله به ومؤلفه ومحبيه بجاه نبيه وآله وصحبه وتابعيه .

كتبه حسونه النواوي

٢

وكتب الى استاذي الامام الحكيم فيلسوف الشرق المرحوم الشيخ «محمد عبده » مفتي الديار المصرية ، فقال

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله ، وآله صحبه ومن اتبعه فوالاه (وبعد) فقد اطلعت على مجموع كتاب (جواهر الادب) المنتخب من حدائق العرب ، فاذا هو مجموعة لا بأس بها ، وافياً بما تريده الطلبة من الكتابة ووسائلها

كما أزهرت روضات حسن وأثمرت فأضحت وعجم الطير فيها تغرد

فقد جمع لهم من عيون الكلام ورائع اللفظ مايحتذون حذوه ، وينسجون على منواله ، حتى لا تستعصى عليهم الكتابة بل يسلس لهم قيادها . وبعيد أن يصل من يحاول (صناعة الانشاء) الى ما يرضى منه بدون أن يردد الطرف في كثير من كلام الفصحاء ، ويرد من مناهله كل عذب صاف ، ويحيط بشيء

عظيم من أساليب الكتاب حتى يتشبع من كلامهم ، وتنطبع فيه صورة من مجموع صورهم ، ولم يكن فيما بين أيديهم من الكتب المختارة ما يفي لهم بهذا الغرض حتى وفق الله حضرة ولدنا الاستاذ (الهاشمي) لسد هذه الثلمة بما كابده من التعليم زمناً كبيراً — ولا بدع فخير الاطباء من عرف حقيقة الداء فيصف له أنجع الدواء

ولقد عرف هذا الاستاذ العصامي حاجة العصر وناشئته الى كتاب موضوع على اسلوب عصري يلائم أذواق بني العصر من معلمين ومتعلمين

فاذا حاول أهل العلم والتعليم أن يشكروا له صنيعه فقد حاولوا عظيما، وطلبوا خطيراً ، وحسب العامل أن يقوم بشكره عمله . فالعمل أعرف شيء بجميل عامله وفقنا الله واياه ، لما يحبه ويرضاه ، وأسأله جل شأنه ان ينفع به الطلاب، ويجزل فيه الأجر والثواب .

كتبه محمد عبده

٣

وكتب الي امام العلماء الاعلام وشيخ الاسلام صاحب الفضيلة استاذي الاكبر المرحوم الشيخ « سليم البشري » شيخ الجامع الازهر ، فقال

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أنشأ العالم على أبدع مثال، ونظم أحواله بمعارف أرباب العلوم حتى بلغ حد الكمال ، ونثر عجائب المعارف في أرجائه ، وغرائب العوارف في أنحائه ، والصلاة والسلام على ينبوع العلم « وجواهر الادب » سيدنا ونبينا محمد أشرف مخلوق في العجم والعرب . وعلى آله وصحبه ذوي المناصب والرتب « أما بعد » فقد تناولت كتاب « جواهر الادب في أدبيات لغة العرب » كما يتناول الكتاب المرقوم ، وفضضته كما يفض الرحيق المختوم ، واطلعت عليه فوجدته حوى من المباني أدقها ، ومن المعاني أرقها ، ومن النثر أعلاه ، ومن النظم أحلاه ، ارتحت لعيانه ، واهتززت لعنوانه ، اذ قد جمع فيه من الاجناس ومما لا يستحيل الانعكاس، ما أدهش قاطبة الناس ، فلو شامه (البهائي) قبل تأليف (مخلاته وكشكوله) لاعترف لهذا المؤلف وارعوى من فضوله . وهو

حضرة العالم الهمام ، اللوزعي الامام ولدنا « السيد احمد الهاشمي » اكثر الله من أمثاله ، بجاه النبي وآله . كتبه سليم البشري

٤

وكتب الي فضيلة استاذي المرحوم الشيخ « حمزه فتح الله » المفتش الاول بوزارة المعارف العمومية ، فقال

أي بني ـ الجهبذ النحرير والفذ العبقري (السيد احمد الهاشمي) قد تصفحت مجموعتك المختارة التي أسميتها (جواهر الادب في أدبيات وانشاء لغه العرب) فاذا هي دائرة آداب كبرى ، لا يستغنى عنها أديب ، كلها صحاح وعلم صراح

وما عسى يقال في وصف صحاح الجوهري

إي وربي ـ إنه لكتاب صرح عن المخض زبده وأسفر عن الادب ، فلم تتلفع بفضل مئزرها دعد . وانفردت سطوره عن فضل اختيار ، تغري ليل عن بياض نهار ، حلاه الفرناس ، على صفحات القرطاس

اختار المؤلف في كتابه هذا من منتخبات الكتاب والشعراء ما يشفي الغلة ويروي الصدى ولقد أتى فيما انتقاه لكتابه الثمين بيوت الكلام من أبوابها وميز ابكارها من أترابها ، وأهدى الى هؤلاء الشادين كلاماً يلطف كالهواء رقة ويسيل كالماء عذوبة ، يمتزج بالنفوس لنفاسته ، ويشرب بالقلوب لسلامته

أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها عن الوشي أو شمت لأغنت عن المسك

(وبعد) فان سنن مؤلفك العظيم لقويم ، ما مني بشين ، فخشيت عليه العين وما أطيب الخزامى ، في قول بعض القدامى

ما كان أحوج ذا الكمال الى عيب يوقيه من العين

كيف لا ـ وقد عرفنا هذا المؤلف النابغة كاتباً مجيداً يفل الحز ويطبق المفصل له حلى من البلاغة يتقلدها ، فيكاد السحر يحسدها ، يدل عليه بيانه ، كما يدل على الجواد عنانه ، فمن عرفه فقد اكتفى — ومن قصر ـ فلينشد

قد عرفناك باختيارك اذ كا ن دليلاً على اللبيب اختياره

فما أجدر كتابه أن يختص بسرعة المجال في المجالس ، وخفة المدار في المدارس

بل أن (هذا الكتاب يهدي للتي هي أقوم) حزى الله مؤلفه حير الجزاء . وأثابه أحسن المثوبة ، واكثر في الامة من أمثاله ، لتبلغ من حسن القول والفعل غاية الكمال .

كتبه الفقير اليه حل شأنه

في ليلة ١٢ ربيع أول سنة ١٣١٨ ـ هـ

حمزه فتح الله

٥

وكتب الي صديقي المرحوم الشيخ «حسن افندي توفيق» المدرس بكلية (كمبردج)

عزيزي حضرة الاستاذ الفاضل السيد احمد الهاشمي

تشرفت بكتابك المسمى (جواهر الادب في أدبيات وأنشاء لغة العرب) ووجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبعك السليم ، واتصالاً قريباً كاتصال الصديق الحميم ، فما أنفس فرائده ، وأثمن فوائده ، وأفصح مقاله ، وأفسح مجاله صدر هذا الكتاب عن علم سابق ، وفكر ثاقب . وذهن رائق ، ونفس صادق وروية ملأت تصانيفها المغارب والمشارق ، فأكرم به من كتاب (جواهر) تكونت من ألفاظ عذاب . ومواهب لا تدرك بيد اكتساب . فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب . اذا تدبره الاديب أغنته تلك الافانين . عن نغمات القوانين . واذا تأمله الأريب نزه طرفه في رياض البساتين . قد سور على كل فن من البديع باب . لا يدخله إلا من خص من البلاغة باللباب . والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب .

كتبه حسن توفيق العدل

المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية بنظارة المعارف العمومية

(وقال صاحب الدولة المغفور له «سعد باشا زغلول» مخاطباً مؤلف هذا الكتاب)

كتابك هذا يا أستاذ « فضل ونعمة »

« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

وانه لدائرة معارف أدبية كبرى . وأنفس كتاب ألف فى أدوار اللغة العربية وتاريخ آدابها ، صدر عن تجربة وحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » ؟

سعد زغلول

حضرة العالم الهمام ، اللوزعي الامام ولدنا « السيد احمد الهاشمي » اكثر الله من أمثاله ، بجاه النبي وآله . كتبه سليم البشري

٤

وكتب الي فضيلة استاذي المرحوم الشيخ « حمزه فتح الله » المفتش الاول بوزارة المعارف العمومية ، فقال

أي بني ـ الجهبذ النحرير والفذ العبقري (السيد احمد الهاشمي) قد تصفحت مجموعتك المختارة التي أسميتها (جواهر الادب في أدبيات وانشاء لغه العرب) فاذا هي دائرة آداب كبرى ، لا يستغنى عنها أديب ، كلها صحاح وعلم صراح

وما عسى يقال في وصف صحاح الجوهري

إى وربي ـ إنه لكتاب صرح عن المخض زبده وأسفر عن الادب ، فلم تتلفع بفضل مئزرها دعد . وانفردت سطوره عن فضل اختيار ، تغري ليل عن بياض نهار ، حلاه الفرناس ، على صفحات القرطاس

اختار المؤلف في كتابه هذا من منتخبات الكتاب والشعراء ما يشفي الغلة ويروي الصدى ولقد أتى فيما انتقاه لكتابه الثمين بيوت الكلام من أبوابها وميز ابكارها من أترابها ، وأهدى الى هؤلاء الشادين كلاماً يلطف كالهواء رقة ويسيل كالماء عذوبة ، يمتزج بالنفوس لنفاسته ، ويشرب بالقلوب لسلامته

أحاديث لو صيغت لألهت بحسنها عن الوشي أو شمت لأغنت عن المسك

(وبعد) فان سنن مؤلفك العظيم لقويم ، ما مني بشين ، فخشيت عليه العين وما أطيب الخزامى ، في قول بعض القدامى

ما كان أحوج ذا الكمال الى عيب يوقيه من العين

كيف لا ـ وقد عرفنا هذا المؤلف النابغة كاتباً مجيداً يفل الحز ويطبق المفصل له حلى من البلاغة يتقلدها ، فيكاد السحر يحسدها ، يدل عليه بيانه ، كما يدل على الجواد عنانه ، فمن عرفه فقد اكتفى — ومن قصر ـ فلينشد

قد عرفناك باختيارك اذ كا ن دليلاً على اللبيب اختياره

فما أجدر كتابه أن يختص بسرعة المجال في المجالس ، وخفة المدار في المدارس

بل أن (هذا الكتاب يهدي للتي هي أقوم) حزى الله مؤلفه حير الجزاء . وأثابه أحسن المثوبة ، واكثر في الامة من أمثاله ، لتبلغ من حسن القول والفعل غاية الكمال .

كتبه الفقير اليه حل شأنه

في ليلة ١٢ ربيع أول سنة ١٣١٨ ـ هـ

حمزه فتح الله

٥

وكتب الي صديقي المرحوم الشيخ «حسن افندي توفيق» المدرس بكلية (كمبردج)

عزيزي حضرة الاستاذ الفاضل السيد احمد الهاشمي

تشرفت بكتابك المسمى (جواهر الادب في أدبيات وأنشاء لغة العرب) فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبعك السليم ، واتصالاً قريباً كاتصال الصديق الحميم ، فما أنفس فرائده ، وأثمن فوائده ، وأفصح مقاله ، وأفسح مجاله صدر هذا الكتاب عن علم سابق ، وفكر ثاقب . وذهن رائق ، ونفس صادق وروية ملأت تصانيفها المغارب والمشارق ، فأكرم به من كتاب (جواهر) تكونت من ألفاظ عذاب . ومواهب لا تدرك بيد اكتساب . فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب . اذا تدبره الاديب أغنته تلك الافانين . عن نغمات القوانين . واذا تأمله الأريب نزه طرفه في رياض البساتين . قد سور على كل فن من البديع باب . لا يدخله إلا من خص من البلاغة باللباب . والله تعالى يؤتيه الحكمة وفصل الخطاب .

كتبه حسن توفيق العدل

المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية بنظارة المعارف العمومية

(وقال صاحب الدولة المغفور له «سعد باشا زغلول» مخاطباً مؤلف هذا الكتاب)

كتابك هذا يا أستاذ « فضل ونعمة »

« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

وانه لدائرة معارف أدبية كبرى . وأنفس كتاب ألف فى أدوار اللغة العربية وتاريخ آدابها ، صدر عن تجربة وحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » ؟

سعد زغلول

صحيفة	
٢	فاتحة الكتاب
٣	اليكم معشر الكتاب
٨	تمهيد فى مبادىء علم الادب
١٠	مقدمة فى علم الانشاء
١٠	الباب الاول في أصول الانشاء
١٦	كيفية الشروع فى عمل مواضيع الانشاء
١٨	أركان الكتابة
١٩	كيفية نظم الكلام
٢١	الطريق الى تعلم الكتابة
٢٢	كيفية تهذيب الكلام
٢٣	محاسن الانشاء ومعايبه
٢٤	فصاحة الالفاظ ومطابقتها للمعاني
٢٥	حقيقة الفصاحة
٢٧	الانسجام
٢٨	حل الشعر
٣٢	التخلص والاقتضاب
٣٣	كيفية افتتاح مواضيع الانشاء وختامها
٣٦	تقسيم الانشاء الى فى النظم والنثر
٣٧	كيفية عمل الشعر
٣٩	الباب الثانى فى فنون الانشاء
٣٩	الفن الاول فى المكاتبات والمراسلات
٤٠	أبواب الرسائل — الرسائل العلمية
٤١	الفصل الاول في رسائل الشوق
٤١	رسائل الثعالبي
٤٣	رسالة البسطامى
٤٤	« عبد الرحمن بن طاهر
٤٥	« أبو الفضل بن العميد
٤٥	« بديع الزمان الهمداني
٤٥	« البطليوسى
٤٦	« الشيخ ابراهيم اليازجي
٤٧	« أبو العباس النساني

صحيفة	
٤٨	رسالة الصاحب بن عباد
٤٨	« أبو بكر الخوارزمي
٤٩	« الشيخ حمزة فتح الله
٥٠	« محمد بك دياب
٥٠	« وفا افندى محمد
٥١	« مؤلف هذا الكتاب
٥٣	الفصل الثاني فى رسائل التعارف قبل اللقاء
٥٣	رسالة الثعالبى
٥٣	« الشيخ حمزه فتح الله
٥٥	« حفنى بك ناصف
٥٦	« احمد افندي سمير
٥٧	« الشيخ احمد مفتاح
٥٨	« الشيخ طه محمود
٦٠	« محمود بك أبو النصر
٦٠	« السيد محمد البلاوى
٦١	« عبد الكريم سلمان
٦٢	« مؤلف هذا الكتاب
٦٣	الفصل الثالث في رسائل الهدايا
٦٣	رسالة سعيد بن حميد
٦٤	« حفنى بك ناصف
٦٦	« محمود بك أبو النصر
٦٧	« عبد الله بك الانصارى
٦٧	« الشيخ احمد مفتاح
٦٨	« مؤلف هذا الكتاب
٧٢	الفصل الرابع في رسائل الاستعطاف
٧٢	رسالة الثعالبى
٧٢	« عبد الله بن معاوية
٧٣	« ابن حبيب الحلبي
٧٥	« الجاحظ
٧٦	« ابن مكرم
٧٦	« الخوارزمى

صحيفة	
٧٧	رسالة بعضهم الى رئيسه
٧٧	« ابراهيم اليازجى
٧٩	« زبيدة زوجة الرشيد
٨٠	« المأمون
٨٠	« بعضهم
٨٥	« الجاحظ
٨٢	الكلام على الرسائل المتداوله
٨٣	الفصل الثاني في رسائل الطلب
٨٣	رسالة أبي العيناء
٨٣	« عبد الخالق ثروت باشا
٨٤	« احمد بك رأفت
٨٥	« عبد العزيز محمد بك
٨٦	« حسن افندى توفيق
٨٨	الفصل الثالث فى رسائل الشكر
٨٨	رساله الثعالبى
٨٨	« الحسن بن وهب
٨٨	« الامير أبو الفضل الميكالى
٨٩	« الشيخ محمد عبده
٩٢	الفصل الرابع في النصح والمشورة
٩٢	رساله الهمذانى
٩٣	« الاسكندر المقدوني
٩٤	« ارسطو الى الاسكندر
٩٥	« الامام على
٩٦	« السيد عبد الله النديم
٩٩	« الشيخ محمد عبده
١٠١	الفصل الخامس في رسائل العتاب
١٠١	كتاب الهمدانى
١٠٤	« الجاحظ
١٠٤	« الخوارزمي

صحيفة	
١٠٥	كتاب عبد الله بن معاوية
١٠٥	« الشيخ عبد العزيز جاويش
١٠٩	« حفنى بك ناصف
١١٢	« القاضى الفاضل
١١٢	الفصل السادس فى رسائل الشكوى
١١٣	كتاب الامير الميكالي
١١٣	« عبد الحميد بن يحيى
١١٤	« الشيخ محمد عبده
١١٥	« حافظ بك ابراهيم
١٢١	الفصل السابع فى رسائل العبادة
١٢١	كتاب ابن الرومى
١٢١	كتاب الخوارزمى
١٢٢	الفصل الثامن فى رسائل التهاني
١٢٢	كتاب الثعالبى
١٢٢	« بديع الزمان الهمداني
١٢٣	« الثعالبى تهنئة بقدوم
١٢٣	« « « برمضان
١٢٤	« أبى الفرج البغاء
١٢٤	« الشيخ حمزة
١٢٧	« محمود بك أبو النصر
١٢٧	« عبد الله باشا فكرى
١٢٨	الفصل التاسع في رسائل التعازي
١٢٨	كتاب الثعالبى
١٢٨	« الهمدانى
١٢٩	« اليازجي
١٣٠	الفصل العاشر في الاجوبة
١٣٠	رسالة عبد الله باشا فكري
١٣٢	« حفنى بك ناصف
١٣٤	« الشيخ على الليثي

صحيفة

١٣٥ الفصل الحادي عشر في رسائل الوصايا
١٣٥ من كلامه عليه الصلاة والسلام
١٣٦ من وصاياه عليه الصلاة والسلام
١٤٠ عهد الامام على للاشتر رضى الله عنهما
١٥٢ كتاب أبي بكر الصديق رضى الله عنه
١٥٣ « عمر بن الخطاب رضى الله عنه
١٥٤ « بديع الزمان الهمذاني
١٥٤ وصية ابن سعيد المغربي
١٥٩ « هرون الرشيد
١٥٩ « ابن شداد لابنه
١٦٠ وصية بعض نساء العرب لابنها
١٦١ الفصل الثاني عشر في رسائل التعزل
١٦١ كتاب ابن الرومي
١٦٢ « ابن زيدون
١٧٩ مكاتبات متفرقة
١٧٩ كتاب رئيس الجمهورية التركية
١٧٩ « ابن العميد
١٨٠ « السيد توفيق البكرى
١٨٣ « السيدة وردة اليازجية
١٨٣ « السيدة عائشة تيمور
١٨٤ « السيد عبد الله النديم
١٨٦ « المويلحى بك
١٨٧ الكلام على الرسالات العلمية
١٨٨ الفن الثاني في المناظرات
١٨٨ مناظرة النعمان بن المنذر وكسرى
١٩٤ « اكثم بن صيفي
١٩٤ « حاجب بن زرارة التميمى
١٩٥ « الحارث البكري
١٩٦ « عمرو بن الشريد

صحيفة

١٩٦ مناظرة خالد بن جعفر الكلابي
١٩٧ « علقمة بن علاثة
١٩٧ « قيس بن مسعود الشيباني
١٩٨ « عامر بن الطفيل العامرى
١٩٨ « عمرو بن معدى كرب
١٩٩ « الحارث بن ظالم المرى
١٩٩ « رواية الكلبي عن كسرى
٢٠٠ « حذيفة بن بدر
٢٠٠ « الاشعث بن قيس
٢٠١ « بسطام بن قيس
٢٠١ « حاجب بن زرارة
٢٠٢ « قيس بن عاصم السعدي
٢٠٢ مناظرات ومشاورات المهدى لاهل بيته في حرب خراسان
٢٠٣ مناظرة سلام وجواب المهدى
٢٠٤ « الربيع
٢٠٥ « الفضل بن العباس
٢٠٦ « على بن المهدى
٢٠٨ « موسى بن المهدي
٢١٠ « هارون للمهدى
٢١٢ « صالح للمهدي
٢١٣ « محمد بن الليث
٢١٤ « معاوية بن عبد الله
٢٢٠ وفود بكارة الهلالية على معاوية
٢٢١ مناظرة السيف والقلم لابن الوردي
٢٢٥ « صاحب أبي تمام والبحترى
٢٣٠ « الليل والنهار
٢٤٢ « الارض والسماء
٢٤٩ « بين فصول العام
٢٤٩ « الربيع
٢٥٠ « الصيف

صحيفة	
٢٥٠	مناظرة الخريف
٢٥١	« الشتاء
٢٥٢	« البر والبحر
٢٥٣	« الهواء والماء
٢٥٥	« الحمل والحصان
٢٥٧	الفن الثالث فى الامثال
٢٥٧	أمثال القرآن الكريم
٢٦٢	أمثال العرب والمولدين
٢٧٠	الفن الرابع في الاوصاف نثرا
٢٧٠	وصف البلدان
٢٧٠	« القلاع
٢٧١	« الدور
٢٧١	« الديار الخالية
٢٧٢	« أيام الربيع
٢٧٢	« الرياض
٢٧٣	« طول الليل والسهر
٢٧٣	« انتصاف الليل وتناهيه
٢٧٤	« طلوع الشمس وغروبها
٢٧٤	« الرعد والبرق
٢٧٤	« مقدمات المطر
٢٧٥	« الثلج والبرد وأيام الشتاء
٢٧٥	« المطر والماء والسحاب
٢٧٦	« القيظ وشدة الحر
٢٧٦	« الشيب
٢٧٧	« آلات الكتابة
٢٧٧	« الخطباء
٢٧٨	« العلماء
٢٧٩	« البلغاء
٢٧٩	« الشعر والمنشئين
٢٨٠	« الامراء والاشراف
٢٨٢	« القلم

صحيفة	
٢٨٨	وصف الكتاب
٢٨٩	« عاصفة
٢٩٠	« العلم
٢٩١	« الامام العادل
٢٩٢	« مصر
٢٩٣	« حرب
٢٩٣	« المطر شعراً
٢٩٧	« وصف حديقة لابن حبيب الحلبي
٢٩٨	« البيان للمعتز
٢٩٨	« المكارم «
٢٩٨	« القرآن الكريم «
٢٩٩	« البلاغة « ولغيره
٣٠٠	« عمر بن الخطاب
٣٠٠	« على بن أبى طالب
٣٠١	« كلام العرب
٣٠١	« الكتاب
٣٠٢	« التاريخ
٣٠٣	« الرجل الكامل
٣٠٤	« القطار
٣٠٥	« قناة السويس
٣١٠	« فرس
٣١٠	« العصا
٣١١	« كرة القدم
٣١١	« حيوش
٣١١	« الحسد
٣١٢	« أفصل الكلام
٣١٢	« الشعراء المحدثين
٣١٣	« أبي تمام والبحترى والمتنبي
٣١٥	« بعض أحياء العرب
٣١٧	« نهج البلاغة
٣١٨	« حفلة — ومتحف للمويلحى

صحيفة
٣١٩ وصف الفونوغراف « الحاكي »
٣٢١ « نظارة
٣٢٢ « سان استيفانو
٣٢٤ « الشمس
٣٢٧ « القمر
٣٣١ الفن الخامس في المقامات
٣٣١ المقامة الاسكندرانيه
٣٣٩ المقامة البشرية
٣٤٣ الفن السادس في الروايات
٣٤٤ رواية ليلى الاخيلية
٣٤٦ رواية بنات الشاعر المقتول
٣٤٧ المتكلمة بالقرآن
٣٤٩ مروان بن الحكم
٣٥٠ عبيد بن الابرص
٣٥١ أبو تراب والشريف

٣٥٤ الجزء الثاني من جواهر الادب
٣٥٤ الفن السابع في التاريخ
٣٥٥ عصور اللغة العربية وآدابها
٣٥٦ العصر الاول عصر الجاهلية
٣٥٧ أسواق العرب كلام العرب
٣٥٨ أغراض اللغة في الجاهلية
٣٥٨ معاني اللغة في الجاهلية
٣٥٨ عبارة اللغة في الجاهلية
٣٥٩ تقسيم كلام العرب الى نثر ونظم
٣٦٠ المحادثة أو لغة التخاطب الخطابة
٣٦٣ قس بن ساعدة
٣٦٣ اكثم بن صيفي
٣٦٣ الكتابة
٣٦٤ علوم العرب وفنونها

صحيفة
٣٦٥ علم النجوم
٣٦٥ الطب الانساني والحيواني
٣٦٥ الانساب
٣٦٥ الاخبار والتاريخ والقصص
٣٦٦ وصف الارض — الجغرافيا
٣٦٦ الفراسة والقيافة
٣٦٦ الكهانة والعرافة والزجر
٣٦٧ النظم أو الشعر والشعراء
٣٦٩ أغراضه وفنونه
٣٦٩ الفخر والمدح والهجاء والرثاء
٣٧٠ الاعتذار والوصف
٣٧٠ الحكمة والمثل
٣٧٠ معانيه وأخيلته
٣٧١ ألفاظه وأساليبه
٣٧١ أوزانه وقوافيه
٣٧٣ طبقات الشعراء
٣٧٣ الشعراء الجاهليون
٣٧٣ امرؤ القيس ومعلقته
٣٨٥ النابغة الذبياني ومعلقته
٣٩٤ زهير بن أبي سلمى ومعلقته
٤٠٢ عنترة العبسي ومعلقته
٤١٣ عمرو بن كلثوم ومعلقته
٤٢٤ طرفة بن العبد ومعلقته
٤٣٧ أعشى قيس ومعلقته
٤٣٩ الحارث بن حلزة ومعلقته
٤٤٠ لبيد بن ربيعة ومعلقته
٤٥٣ أمية بن أبي الصلت وشعره
٤٥٤ الرواية والرواة
٤٥٥ خلفاء بني أمية
٤٥٥ العصر الثاني عصر صدر الاسلام
٤٥٥ حالة اللغة في ذلك العصر

صحيفة	
٤٥٧	القرآن الكريم
٤٥٧	اعجاز القرآن الشريف
٤٥٩	جمع القرآن وكتابته
٤٥٩	الحديث النبوى
٤٥٩	النثر لغة التخاطب
٤٦٠	الخطابة في هذا العصر
٤٦٢	أبو بكر الصديق وخطبه
٤٦٥	عمر بن الخطاب وخطبه
٤٦٧	عثمان بن عفان وخطبه
٤٦٨	على بن أبي طالب وخطبه
٤٧٠	سحبان وائل وخطبه
٤٧١	زياد بن أبيه وخطبه
٤٧٤	الحجاج الثقفي وخطبه
٤٧٦	طارق بن زياد وخطبه
٤٧٧	الكتابة الخطية
٤٧٨	الكتابة الانشائية
٤٧٩	مميزات الكتابة الانشائية
٤٨٠	الكتاب في هذا العصر
٤٨٠	عبد الحميد الكاتب
٤٨١	التدوين والتصنيف
٤٨٢	الشعر والشعراء
٤٨٤	أغراضه وفنونه
٤٨٤	معانيه وأخيلته
٤٨٥	الشعراء
٤٨٥	كعب بن زهير
٤٨٧	عمرو بن معديكرب
٤٨٩	الخنساء
٤٩١	الحطيئة
٤٩٢	حسان بن ثابت
٤٩٤	النابغة الجعدى
٤٩٥	عمر بن أبي ربيعة

صحيفة	
٤٩٦	الاخطل
٤٩٨	الفرزدق
٥٠٠	جرير
٥٠٢	الكميت
٥٠٣	الرواية والرواة
٥٠٤	العصر الثالث عصر الدولة العباسية
٥٠٤	أحوال اللغة فى هذا العصر
٥٠٤	خلفاء بنى العباس
٥٠٥	أغراض اللغة
٥٠٦	المعاني والافكار
٥٠٧	الالفاظ والاساليب
٥٠٧	النثر — المحادثة
٥٠٨	الخطابة والخطباء
٥٠٩	داود بن على
٦١٠	شبيب بن شيبة
٥١١	الكتابة الخطية
٥١٢	ابن مقلة
٥١٣	الكتابة الانشائية
٥١٤	الكتاب في هذا العصر
٥١٤	ابن المقفع
٥١٦	ابراهيم الصولى
٥١٧	ابن العميد
٥١٧	بقية خلفاء العباسيين
٥١٨	الصاحب بن عباد
٥١٩	أبو بكر الخوارزمى
٥٢٠	بديع الزمان الهمذانى
٥٢٠	ابن زيدون
٥٢١	القاضى الفاضل
٥٢٢	التدوين والتصنيف
٥٢٢	كتابة التصنيف والتدوين
٥٢٣	العلوم اللسانية

صحيفة	
٥٢٤	الجاحظ
٥٢٥	احمد بن عبد ربه
٥٢٥	الحريرى
٥٢٦	فن التاريخ
٥٢٧	العروض والقافية
٥٢٧	النحو
٥٢٧	علم اللغة
٥٢٨	علوم البلاغة
٥٢٨	الخليل بن أحمد
٥٢٩	سيبويه
٥٣٠	الكسائى
٥٣١	العلوم الشرعية
٥٣١	الحديث
٥٣١	الامام البخارى
٥٣٢	علم الفقه
٥٣٢	الامام أبو حنيفة النعمان
٥٣٣	الامام مالك
٥٣٣	الامام الشافعى
٥٣٤	الامام احمد بن حنبل
٥٣٤	علم الكلام
٥٣٥	أبو الحسن الاشعري
٥٣٦	الامام أبو حامد الغزالى
٥٣٦	نشأة العلوم الكونية
٥٣٨	الشعر والشعراء في هذا العصر
٥٣٩	بشار بن برد
٥٤٠	أبو نواس
٥٤١	مسلم بن الوليد
٥٤٢	أبو العتاهية
٥٤٣	أبو تمام
٥٤٤	البحتري
٥٤٦	ابن الرومى

صحيفة	
٥٤٧	ابن المعتز
٥٤٧	أبو الطيب المتنبي
٥٥٠	ابن هانىء الاندلسى
٥٥١	أبو العلاء المعرى
٥٥٣	ابن خفاجة الاندلسى
٥٥٣	الطغرائي
٥٥٤	البهاء زهير
٥٥٥	الرواية والرواة
٥٥٥	الاصمعى
٥٥٦	العصر الرابع عصر المماليك التركية
٥٥٦	حالة اللغة وآدابها فى ذلك العصر
٥٥٦	النثر لغة التخاطب
٥٥٦	الخطابة
٥٥٧	الكتابة الخطية
٥٥٧	الكتابة الانشائيه
٥٥٧	الكتاب في هذا العصر
٥٥٧	القاضى محى الدين
٥٥٨	شهاب الدين العمري
٥٥٩	لسان الدين بن الخطيب
٥٦٠	التدوين والتصنيف
٥٦٠	الادب
٥٦١	بقية العلوم الاسلامية
٥٦١	كتابه التدوين
٥٦٢	ابن خلكان
٥٦٢	ابن خلدون
٥٦٣	جلال الدين السيوطى
٥٦٣	الشعر في هذا العصر
٥٦٤	الشعراء في هذا العصر
٥٦٤	البوصيري
٥٦٥	صفى الدين الحلى
٥٦٦	ابن نباتة المصري

صحيفة	
٥٦٦	ابن معتوق الموسوى
٥٦٧	العصر الخامس عصر النهضة الحديثة
٥٦٧	حالة اللغة وآدابها في هذا العصر
٥٦٧	النثر المحادثة الخطابة الكتابة
٥٦٩	الكتابة الانشائية
٥٦٩	كتابة التدوين
٥٧٠	رفاعة بك الطهطاوى
٥٧١	عبد الله فكري باشا
٥٧١	على مبارك باشا
٥٧٢	الشيخ محمد عبده
٥٧٣	الشيخ حمزه فتح الله
٥٧٥	باحثة البادية
٥٧٩	الشعر والشعراء في هذا العصر
٥٨١	حفنى ناصف بك
٥٨٤	مصطفى باشا كامل
٥٨٥	محمد بك فريد
٥٨٧	سعد باشا زغلول
٥٩٠	العازى مصطفى باشا كمال
٥٩٦	محمود البارودى باشا
٥٩٨	احمد شوقي بك
٦٠٣	محمد حافظ ابراهيم بك
٦٠٥	اسماعيل صبرى باشا
٦٠٧	خليل بك مطران
٦٠٩	أنواب الشعر العربي
٦٠٩	الباب الاول في المديح
٦١٦	الباب الثاني في الفخر والحماسة
٦٤٣	الباب الثالث في شكوى الزمان
٦٦٥	الباب الرابع في الوصف شعراً
٦٦٥	وصف الشعر والشعراء
٦٦٩	» طيارة
٦٧٠	» زلزال — سيف

صحيفة	
٦٧١	وصف أبي الهول
٦٨١	» النحل
٦٨٥	» توت عنخ آمون
٦٩٢	» مكتوب
٦٩٢	» الخط والكتابة والبلاغة
٦٩٣	» المور
٦٩٤	» الكمثرى — التفاح
٦٩٤	» الجوح
٦٩٤	» المشمش
٦٩٥	» الرمان
٦٩٥	» المحيل والبلح
٦٩٦	» البطيخ
٦٩٧	» العنب
٦٩٨	» قصب السكر
٦٩٨	» السوق
٦٩٨	» الخزر
٦٩٨	» الأوز
٦٩٨	» البط
٦٩٩	» المستق
٦٩٩	» البازى
٦٩٩	» الليمون
٧٠٠	» القلم
٧٠٢	» السيف
٧٠٣	» الشمس والبدر
٧٠٥	» الهلال والنجوم حوله
٧٠٩	» الغيث والربيع
٧١٠	» واد
٧١٠	» جمر يعلوه رماد
٧١٠	» حيش
٧١١	» روضة وربيع
٧١٢	» الهلال

صحيفة	
٧١٣	وصف شمعة
٧١٣	« الصبح والبرق
٧١٤	« نارنجه
٧١٤	« نار
٧١٤	« الصبح والليل والندى على البحر
٧١٤	« الفجر وسحابة
٧١٥	« الجو وادبار الليل
٧١٥	« المطر والصبح
٧١٦	« طول الليل والفجر
٧١٦	« وحشة الليل والنجوم
٧١٦	« الرياض
٧١٧	« النارنج
٧١٧	« نهر حوله أشجار ـ الرياض والبرق
٧١٨	« روضة صنعاء
٧١٩	« زهرية ـ الغيث والثلج
٧٢١	« حواد
٧٢١	« سفرجل ورمان والشقائق
٧٢١	« اقتران الزهرة والهلال والفجر
٧٢٢	« الجليد والثلج
٧٢٣	« الرمح والسيف
٧٢٤	« الحرب وأبطالها
٣٢٦	« الكتابة والانشاء
٧٢٧	« دار بناها المنصور
٧٢٧	« زوج اثنتين
٧٢٨	« قصر المعتز
٧٢٩	« جواد
٧٣٠	« حديقة والطبيعة
٧٣٠	« النيل
٧٣١	« حال اللغة العربية
٧٣٢	« قطار البخار
٧٣٣	« بركة عليها أشجار

صحيفة	
٧٣٥	وصف قطار السكة الحديد
٧٣٦	« البسفور في الاستانة
٧٣٧	« حريق عابدين
٧٣٨	« خزان اسوان
٧٣٩	الباب الخامس في الاسعطاف والمعاتبات والاعتذارات
٧٤٦	الباب السادس فى التهاني والهادى
٧٥٥	الباب السابع في المراثي
٧٧٩	الباب الثامن في الحكم
٨٤٤	الباب التاسع في العلم
٨٤٩	الباب العاشر فى العقل
٨٥٠	الباب الحادى عشر في الادب
٨٧٥	الباب الثاني عشر في الصبر والتأني
٨٧٧	الباب الثالث عشر فى الصدق
٨٧٨	الباب الرابع عشر في الكذب
٨٧٨	الباب الخامس عشر فى التواضع
٨٧٩	الباب السادس عشر في الكرم
٨٨٠	الباب السابع عشر في البخل
٨٨٢	الباب الثامن عشر في الدنيا
٨٨٣	الباب التاسع عشر في السر
٨٨٤	الباب العشرون في اللسان
٨٨٥	الباب الحادي والعشرون في المعاشرة
٨٨٦	الباب الثاني والعشرون فى القناعة
٨٨٧	الباب الثالث والعشرون في الحسد
٨٨٨	الباب الرابع والعشرون في الحلم
٨٨٩	الباب الخامس والعشرون في الحماقة
٨٨٩	الباب السادس والعشرون في الوطن
٨٨٩	الباب السابع والعشرون في المال
٨٩١	الباب الثامن والعشرون فى الغربة
٨٩٤	الباب التاسع والعشرون فى الغدر
٨٩٥	الباب الثلاثون في الختام بالدعاء



في

ادبيات وانشاء لغة العرب

تأليف

السيد احمد الهاشمي بك

« مدير مدارس فؤاد الأوّل حالا — ومراقب مدارس فكتوريا الانجليزية سابقاً »

(الطبعة الرابعة عشرة ـ والأعادة وحقوق الطبع محفوظة لحضرة مؤلفه)

قرظت على طبعه مشيخة الأزهر الشريف

« وقرظه أيضاً كثير من فضلاء وزارة المعارف العمومية »

« مسجل بالمحاكم المختلطة وبرخصة وزارة الداخلية الجليلة »

سنة ١٣٤٧ هـ — سنة ١٩٢٨ م

(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

١٧١٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أحلى ما سَحعتْ بهِ بلابلُ الأَقلام ، وأغلى ما انتظمتْ فيهِ عُقودُ البلاغةِ والانسِجام ، وأشهى ما ينعت بهِ جَواهر الأَدب ، حمدُ مولانا الذى سرّف لغة العرب ، وأرسل لنا نبيًّا عربيًّا منزّهًا عن جميع الرِّيَب ، سيدَنا محمداً صلّى الله عليهِ وعلى آله ومَن صَحب

(أمّا بعدُ) فهذا كتابٌ سمّيتهُ « جَواهرَ الأدب ، فى أدبيّات لُغة العَرب » أودَعتهُ ما وقع عليهِ اختيارى ، لا مِن نَثرى وأشعارى ، فليس لى فى تأليفهِ مِنَ الافتخار ، أكثرُ من الاختيار ، واختيارُ المرء قِطعةٌ من عقله ، تدلّ على تخلّقهِ وفَضله ، وفضيلةُ هذا التأليف هى فى جمع ما افترق ، مما تَناسَبَ واتّسق ، واختيار عيون ، وترتيب فُنون ، من أحاديثَ نبويه ، ومكاتباتٍ أدبيّة . وحِكَم باهِرَة وأبياتٍ نادرة ، وأمثال شاردة ، وأخبار وَاردة ، ووَصايا نافعة ، ومَواعِظَ جامعة ، ومُناظرَات مُستظرفة ، ومَقامات مُسطرفة ، وأوصافٍ عَليّة . وخطب اجتماعيّة ، لينتفعَ به مُقتنيه ، ويَستغنىَ عن غيره الرّاغبُ فيه ، إذ كان أحسنَ من الزّهر والرياض ، والحدائق والغياض ، والزبرجد والمرجان ، والدُّر والعقيان والاكاليل والتِّيجان ، والنّزه والبُستان ، ان دُعى أسرع ، وان تحدّث أمتع وان سُئل أجاب ، وان حكم أصاب ، جليس لصاحبه فى الحضر ، وأنيس له فى السّفر نديم ظريف ، وسمير حصيف ، بالغتُ فى تهذيبه ، وبذلت مجهوداً فى حسن ترتيبه وأجزلت التُّحفة ، وانتقيت الطُّرفة ، والله نسعين ، وهُوَ حسبنا ونعم الوَكيل

المؤلف

السيد احمد الهاشمى

اليكم معشر الكتاب

أمّا بعد — حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفّقكم وأرشدكم فانّ الله عزّ وجلّ جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرّمين أصنافا وإن كانوا فى الحقيقة سواء وصرفهم فى صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم . فجعل معشر الكتّاب فى أشرف الجهات أهل الأدب والمروءات والعلم والرّزانة . بكم تنتظم للخلافة محاسنها . وتستقيم أمورها . ونصائحكم يصلح الله للحق ألسنتهم . وتعمر بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم . ولا يوجد كاف إلا منكم فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون وأبصارهم التى بها يبصرون وألسنتهم التى بها ينطقون وأيديهم التى بها يبطشون (١) فأمعنكم (٢) الله بما خصّكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أصفاه (٣) من النّعمة عليكم . وليس أحد من أهل الصّناعات كلّها أحوج إلى احتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم

أيّها الكتّاب إذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمّات أموره أن يكون حليما فى موضع الحلم ، فهيما فى موضع الحكم ، مقداما فى موضع

(١) يدافعون (٢) أبقاكم (٣) أفاضه

الاقدام محجماً فى موضع الاحجام (١) مؤثراً (٢) للعفاف والعدل والانصاف كتوماً للاسرار. وفيما عند الشدائد، عالماً بما بأتى من النوازل، بضع الامور مواضعها، والطوارق فى أماكنها. قد نظر فى كل فنّ من فنون العلم فأحكمه وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفى به. يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل ورودِه، وعاقبة مايصدر عنه قبل صدوره. فيعدّ لكلّ أمر عدّته (٣) وعتاده (٤) ويهيّئ لكلّ وجه هيئته وعادته فتنافسوا يا معشر الكتاب، فى صنوف الآداب، وتفقهوا فى الدّين وابدءوا بعلم كتاب الله عزّ وجلّ والفرائض ثم العربية فانها ثقاف (٥) ألسنكم، ثمّ أجيدوا الخطّ فانه حلية كتبكم وأروُوا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فانّ ذلك معين لكم على ما تسمو اليه همكم ولا تضيّعوا النظر فى الحساب فانه قوام (٦) كتاب الخراج، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سببها (٧) ودنيها وسفساف (٨) الأمور ومحاقرها فانها مدلّة للرقاب مفسدة للكتّاب ونزّهوا صناعتكم عن الدناءة وارتأوا (٩) بأنفسكم عن السّعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات. وإياكم والكبر والسّخف والعظمة فانها عداوة مجلبة من غير إحنة (١٠) وتحابّوا فى الله عزّ وجلّ فى صناعتكم وتواصوا عليها بالذى هو أليق لأهل الفضل والعدل والنّبل (١١) من سلفكم وإن نبا (١٢) الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب (١٣) اليه أمره. وإن أقعد أحداً منكم الكبر عن مكسبه ولقاء إخوانه

(١) التأخر (٢) مختاراً له (٣) ما أعددته لحوادث الدهر (٤) العدة (٥) تعديلها (٦) نظام (٧) رفيعها (٨) الرديء من كل شيء (٩) أعرضوا وفروا (١٠) اضمار حقد وسبق عداوة (١١) الذكاء والنجابة (١٢) قصر ونفر (١٣) يرجع

فزوروه وعظموه وساوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته ، وليكن الرحل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه أحوط منه على ولده وأخيه فان عرضت في التغفل محمدة فلا يصرفها إلا إلى صاحبه . وإن عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى الفراء (١) وهو لكم أفسد منه لها فقد علمتم ان الرحل منكم إذا صحبه من يبذل له من نفسه مايجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ماهو جزاء لحقه ويصدق ذلك فعله له عند اتحاده اليه والاضطرار إلى ماليديه ، فاستعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والإحسان والسراء والضراء فنعمت الشيمة هذه ممن وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولي الرحل منكم أو صير اليه من أمر خلق الله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقاً وللمظلوم منصفاً فان الخلق عيال الله ، وأحبهم اليه أرفقهم بعياله . ثم ليكن بالعدل حاكماً وللإسراف مكرماً وللفيء (٢) موفراً وللبلاد عامراً وللرعية مؤالفاً وعن أذاهم متحلماً وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً وفي سجلات خراجه واستقصاء حقوقه رفيقاً ، واذا صحب احدكم رجلا فليختبر خلائقه فاذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على مالوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بألطف حيلة وأجمل وسيلة . وقد علمتم أن سائس البهيمة اذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة أخلاقها فان كانت رموحاً لم

(١) الجلد لانه سريع العطب (٢) العيمة والخراج

بهجها اذا ركبها وان كانت سبوباً اتقاها من بين يديها وان خاف منها شروداً توقاها من ناحية رأسها وان كانت حروناً فمع هواها برفق فى طرقها (١) فان اسمرّت عطفها يسيراً فيسلس (٢) له قيادها وفى هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم والكاتب افضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتفويم أوده من سائس البهيمة التى لا تفقه حواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً إلا بقدر مايصيرها اليه صاحبها الراكب عليها. ألا فارفقوا رحمكم الله فى النظر، وأعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا بادن الله ممن صحبتموه النبوة (٣) والاستقال والجفوة وبصر منكم الى الموافقة وتصبروا منه الى المؤاخاة والشفقة ان ساء الله ولا يجاورن الرجل منكم فى هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فانكم مع ماقسم لكم الله من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون فى خدمتكم على التقصير، وحفظه لا تحمل منكم أفعال التضييع والتبذير واسعينوا على أفعالكم بالقصد فى كل ماذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف (٤) فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما ولا سيما الكتاب وأرباب الآداب، وللأمور أشباه بعضها دليل على بعض فاسدلوا على مؤتنف (٥) أعمالكم بماسبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه

(١) فى مرة من المرات (٢) وفى نسخة يسلس أى يقاد ويسهل (٣) القدح (٤) التنعم (٥) مبدأ

وروّيته ، فليقصدْ الرَّجلُ منكم فى مجلسه قصدَ الكافى من منطقه ، وليوجزْ فى ابتدائهِ وجوابهِ وليأخذْ بمجامع حُجَجِه فانّ ذلك مصلحةٌ لفعله ومدْفعةٌ للشّاغل من إكثاره

وليسرعْ إلى الله فى صِلة توفيقهِ وامداده بتسديده مخافة وقُوعهِ فى الغلط المُضرّ ببدنهِ وعقله وأدبه فأنه إنْ ظَنّ منكم ظَانٌّ أوقال قائلٌ إنّ الذى برَز من جميل صنعتهِ وفُوّة حركته انّما هو بفضل حِيلتهِ وحُسن تدبيره فقد تعرَّض بحُسن ظنّه أومقالتهِ إلى أن يكِلَه الله عزّ وجلّ الى نفسهِ فيصيرُ منها الى غير كاف وذلك على مَنْ تأمّلهُ غيرُ خافٍ .

ولا يُقلْ أحدٌ منكم إنّه أبصرُ بالامور وأحملُ لعِبْءِ التدْبير من مُرافقهِ فى صناعتهِ ومُصاحبه فى خدْمته فانّ أعقلَ الرَّجلين عند ذوى الألباب مَنْ رَمَى بالعُجب وَراءَ ظهرهِ وَرأى أنّ أصحَابهُ أعقلُ منهُ وأجملُ فى طريقهِ وعلى كلّ واحد من الفريقين أن يَعرف فضلَ نعم الله عَليْه جلّ ثناؤه من غير اغترارٍ برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يُكاثرُ على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره ،

وحمدُ الله واجبٌ على الجميع وذلك بالتَّواضُعِ لِعظَمته والتّذلُّل لِعزّته والتحدُّث بنعمته وأنا أقُول فى كِتابى هذا ماسبق به المثلُ (مَنْ تلزَمُه النَّصيحة يلزمُه العَمل) وهو (جَواهر) هذا الكتاب وغُرَّة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عزّ وجلّ . فلذلك جعلتهُ آخره وتممتهُ به . تَولاّنا الله وإياكم يامعشَر الكَتبة بما يَتولى به مَنْ سبق علمه بأسعاده وارشاده فان ذلك اليهِ وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتهُ :

عبد الحميد الكاتب المتوفى سنة ١٣٢ هـ

﴿ تمهيد فى مبادىء علم الادب ﴾

الأدب عبارةٌ عن معرفة ما يُحترز به عن جميع أنواع الخطأ وهو قسمان طبعىٌّ وكسبيٌّ ـ فالطبعىُّ ما فُطِرَ عليه الإنسانُ من الأخلاق الحسنة والصفات المحمودة كالكرَم والحلم — والكسبيُّ ما اكتسبهُ بالدَّرْس والحفظ والنَّظر وهو المقصود لنا فى هذا الكتاب فحينئذٍ يعرّف بأنهُ علمٌ صناعىٌّ يُعرَفُ به أساليبُ الكلام البليغ فى كلّ حال من أحواله : وهوَ المدعو (بعلم الأدب)

وموضوعه الكلام المنظوم والمنثور من حيثُ فصاحته وبلاغته

وغايته الإجادة فى فنّى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ، وتهذيبُ العقل وتذكية الجنان ، وفائدتُه أنهُ يعصم صاحبَهُ من زلّةِ الجهل ، وأنهُ يُروّض الأخلاق ويُليّن الطبائع ، وأنهُ يُعين على المُروءة ، وينهض بالهمم إلى طلب المعالى والامور الشَّريفة

(وأركانه أربعة) الأوّل — قُوَى العقل الغريزيّةُ وهى خمسةٌ الذَّكاء (١) والخيال (٢) والحافظة (٣) والحِسُّ (٤) والذّوق (٥)

---

(١) الاستعداد التام لادراك العلوم والمعارف بالفكر وفى كتب اللغة الذكاء عبارة عن حدة الفؤاد وسرعة الفطنة (٢) قوة باطنة تحفظ صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة وهو من أكبر أسباب النجاح فى فن الكتابة (٣) قوة من شأنها حفظ مايدركه العقل من المعانى فتذكره عند الحاجة ولذلك سميت ذاكرة (٤) قوة يتأثر بها الانسان من صور المدركات كاللذة والالم وهو من شروط الكتابة اذ يعين الكاتب بما يحدث فيه من التأثير على رسم صور المحسوسات رسما محكما فيقتدر اذ ذاك على تحريك العواطف واستمالة القلوب ألا ترى أن الكلام العذب اذا حل فى القلب حدث فيه حركة وهزة (٥) قوة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وتحصل بالمثابرة على الدرس وبالممارسة لكلام البلغاء وتكراره على السمع والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه وبتنزيه العقل والقلب عما يفسد الاخلاق والاداب

الثانى معرفه الأصول وهى مجموع قوانين الكتابة وفيها تبيان طرق حسن التآليف وضروب الأنشاء وفنون الخطابة

وتنقسم هذه الاصول الى قسمين عامة وخاصة (فالعامة) كالتآليف الأدبية من منظوم ومنثور فى أغراض شتى (والخاصة) كالتآليف المفردة بالرسائل أو بالأمثال

الثالث مطالعة تصانيف البلغاء بالتأنى والتبصر فيها ليدخر الكاتب كل لفظ مؤنق شريف وكل معنى بديع يحبث يتصرف بهما عند الضرورة

وشروطها ثلاثة (الأول) أن يستقل المطالع بعض علماء اللغه وأئمة الأدب فيقتصر على درسهم حتى يتسع على منوالهم (الثانى) أن يطيل النظر فى هذه المطالعة ويردد مراراً ما استحسنه من تصانيفهم كى يروض الذهن فى حلبة (١) سباقهم فيقف على غريب أسلوبهم وعجيب تركيبهم (الثالث) أن ينتقى منها شيئاً مما استحاده (٢) من اللفظ الحر والتراكيب الصحيحه والمعانى البليغه لتكون ذخراً لذاكرته ومهماز (٣) لقريحته

الرابع الارتياض وهو التدرب بوجوه الانشاء بأن تتوسع فى شرح بعض المعانى فتبينه بأوضح شتى وتنمقه بأشكال البديع وبأن تجتهد فى وضع بعض مواضيع وجيزة فتصوغ تارة وصف مدينة أو مدحاً أو تهنئة وأخرى تسرد مثلاً أو تسبك رواية إلى غير ذلك — وأن تحذو حذو المتقدمين فى أوضاعهم باستعمال ألفاظهم ومعانيهم وبأن تحلل النظم فتأتى به نثراً أنيقاً (٤) وتعقد النثر فتصوغه صوغاً رشيقاً (٥)

(١) الميدان (٢) وجده جيداً (٣) حديدة تكون فى مؤخر حف الرائض للمهر (٤) معجبا (٥) حسنا

﴿ مقدمة فى علم الانشاء ﴾

الانشاء لغة الشروع والايجاد والوضع ـ تقول أنشأ الغلام يمشى إذا شرع فى المشى ـ وانشأ الله العالم أوجدهم وأنشأ فلان الحديث وضعه واصطلاحاً علم يعرف به كيفية استنباط المعانى وتأليفها مع التعبير عنها بلفظ لائق بالمقام وهو مستمد من جميع العلوم . وذلك لأن الكاتب لا يستثنى صنفاً من الكتابة فيخوض فى كل المباحث ويعتمد الانشاء فى كل المعارف البشرية وينحصر المقصود منه فى ثلاثة أبواب وخاتمة وملحق

﴿ الباب الاول فى أصول الانشاء ﴾

وهى أربعة مواده وخواصه وطرقاته ومحاسنه

أما مواده فثلاث الأولى الألفاظ الفصيحة(١) الصريحة(٢) الثانية المعانى(٣)

---

(١) الالفاظ البينة الظاهرة المتبادرة الى الفهم والمأنوسة الاستعمال لمكان حسنها

(٢) الألفاظ التى تدل على نفس المطلوب بحيث تكون كقالب لمعناها ويتوصل الى ذلك بمعرفة المترادفات والصفات والابدال

(٣) بحيث يكون المعنى واضحاً أى سهل المأخذ حالياً من اللبس والاشكال كقول الاخطل

وادا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الأعمال

وان يكون المعنى سديدا أى أن يكون القول مطابقا للواقع كقول لبيد

ألا كل شىء ماخلا الله باطل وكل نعيم لامحالة زائل

وأن يكون مطابقاً لمقتضى الحال كقول أبى العتاهية

ادا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط فى زمن البذر

وقال أبو الفتح البستى

تكلم وسدد ما استطعت فانما كلامك حى والسكوت جماد

فان لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك عن غير السداد سداد

والمراد بمقتضى الحال الامر الداعى الى التكلم على وجه مخصوص أى مراعاة أحوال المتكلم

الثالثة إيرادُ المعنى الواحد بطُرُقٍ مختلفةٍ ومَرجعها الى الفصاحة وعلمى المعانى والبيان

والمحاطب ومقام الكلام — والمعنى اما أن يكون مبتكرا أى مخترعا كقول ابن النبيه

الناس للموت كحيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد

وكقول آخر فى وصف الشتاء

والنار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتياً فليصطل

أو دقيقاً وهو ماالطف مأخذه وبعد مرامه ودل على توقد فهم قائله كقول ابن عنين فى فخر الدين الرازى وكان قد دخل الى مجلسه حمامة حلفها صقر يريد صيدها فاستجارت بحجرته

جاءت سليمان الزمان حمامة والموت يلمع من جناحى حاطف

من أنبأ الورقاء أن محلكم حرم وأنك ملجأ للخائف

أو فطريا وهو ماأورده الطبع السليم بلا تصنع ولااعمال روية ودل على بعض السذاجة فى قائله كقول أحدهم وقد سئل هلا تسافر بحرا فأنشد

لاأركب البحر أخشى علي مسه المعاطب

طين أنا وهو ماء والطين فى الماء ذائب

وكقول الصياد

سبحان ربى يعطى دا ويحرم دا هذا يصيد وهذا يأكل السمكة

أو لينا وهو ما كان لطيف التعبير سلس الالفاظ دالا على أشياء تطرب المسامع وتبهج القلب كقوله

ان السماء اذا لم تبك مقلتها لم تضحك الارض عن شيء من الزهر

أو نافذا وهو ما وصل الي الفهم بسرعة البرق وأخذ لحدقته ومصائه بمجامع القلب كقول عنترة

وما دانت شحص الموت الا كما يدنو الشجاع من الجبان

أو جامعاً وهو ما أفاد باللفظ القليل المعنى الكثير كقول سيدنا حسان رضى الله عنه

تراه اذا ماجئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وكقول المتنبى

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها وشرف الناس اذ سواك انسانا

أو متينا وهو ما اتسم بالضبط والحزم وتمكن من ذهن سامعه كقول أبى العتاهية

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب

والمعنى الموغل أو الايغال هو ماقتن بسموه القلب وسبى العقل وبلغ الغاية القصوى من البلاغة كما قال قائل على لسان ربه

سألت عبدى وانت فى كنفى وكل ماقلت قد سمعناه

وَأما خواصّه فهى محاسنُه السبعة وَهى أوّلاً الوُضوح [١] بأنْ يُختارَ المفرَدات البيّنة الدّلالة على المقصود وَأن يُعدلَ عن كثرَة العوامل [٢] فى الجملة الوَاحدة وَأن يتحاشَى عن الإلباس فى استعمال الضّمائر وَان تسبك الجملُ سبكاً حليًّا بدون تعقيد وَالتباس وَأن يُتحاشى عن كثرَة الجُمل الاعتراضية

وَثانياً الرّاحةُ بأنْ يكونَ الإنشاء سالماً من ضعف التأليف وَغرابة التعبير بحيث يكون الكلامُ حُرًّا مهذّباً تناسبُ ألفاظُهُ للمعانى المقصودة كما قيلَ

تَزِينُ مَعانيه ألفاظَهُ وَألفاظُه رَائِناتُ المعانى

وَيكونُ الكلامُ صريحاً بانتفاء الألفاظ الفصيحة والمُفرَدات الحُرة الكريمة وكدا بأصابة المعانى وَتنقيح العبَارَات مع جودة مقاطع الكلام وحُسن صوغه وَتأليفه . وكدا بمُراعاة الفصل وَالوَصل وَهوَ العلم بمواضع العطف وَالاستئناف وَالاهتداء إلى كيفيه إيقاع حروف العطف فى مواقعها

وَثالثاً الضبطُ وَهو حذف فُصول الكلام واسقاطُ مشتركات الالفاظ كقول قيس بن الخطيم المتوفّى سنه ٦١٢ م

أرَى الموْتَ لا يَرْعى على ذى قَرَابةٍ وَان كانَ فى الدُّنيا عزيزاً بمقْعد

لعَمرُك ما الأيام إلاّ مُعارَة فما اسطعْتَ مِن معرُوفها فتزَوَّد

سلنى بلا خشية ولا رهب ولا تخف انى انا الله

وأعلم أنه ليس لهذه المعانى مصدر خاص وانما يحصل عليها الأديب من مطالعة كتب البلغاء واعمال الفكرة الطويلة والتبصر فى الموضوع الذي يقصد وصفه ليستخرج منه المعانى اللائقة به وانما يلتجئ الأديب الى هذه المعانى عند مسيس الحاجة وذلك يختلف باختلاف أحوال المتكلم ومقام المخاطب ومواقع الكلام (١) كقوله

ليس الجمال بأثواب تزينا أن الجمال جمال العلم والأدب

ليس اليتيم الذى قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والحسب

(٢) كقول بعضهم أقسم لاأعود أقوم أخطب فيكم

ورابعاً الطبعيةُ بأن يَخْلُو الكلامُ من التكلّف والتصنُّع كما قال فى رِثاء ابنه أبو العَتَاهِيَة المُوفَّى سنة ٢١١ ﻫ

بَكيتُك يا بُنيّ بدمع عَيني فلم بُغْن البكاءُ عليك شيئا
وكانت فى حياتك لى عِظاتٌ وأنت اليوم أوعظُ منك حيّا

وذلك لأنّ مَن تَطبّع بغير طبعه نَزَعَتْه العادة حتى نردّه الى طبعه كما أنّ الماء اذا أسخنتهُ رتركتهُ عاد الى طبعه من البرودة وحينئذٍ الطبع أملك

وخامساً السُّهولة بأن يَخْلُص الكلام من التعسُّف فى السبْك وأن يَختارَ ما لان منها كما قال فى الأسواق بَهاءُ الدّين زهير المتوفّى سنه ٦٥٦ ﻫ

سَوْقى اليكَ سَديدٌ كما علمْتَ وأزيدْ
فكيفَ تنكرُ حُبًّا به ضَميرُك يشهدْ

وأن تُهذّبَ الحمل وأن يأتلفَ اللفظ مَعَ اللفظ مع مُراعاةِ النّظير كما قال الشاعر فى الوداع

فى كنفِ الله ظاعِنُ ظَعنَا أودَع قلبى وداعه حزَنَا
لا أبصرتْ مُقلَتى محاسنَه إنْ كنتُ أبصرْتُ بعده حَسَنا

قال بعض البُلَغاء أُحذّركم من التقعير والتعمّق فى القول وعليكم بمحاسن الألفاظ والمعانى المُستخفّة المُستملحة فانّ المعنى المليح اذا كُسِيَ لفظاً حَسَناً وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً كان فى قلب السّامع أحلى ولصدره أملأ — قال البُستى

اذا انقادَ الكلامُ فقُدهُ عفواً الى ما تشتهيه من المعانى
ولا تُكرِهْ بَيانَك أنْ تأبّى فلا إكْراهَ فى دين البَيان

وسادساً الأتساق بأنْ تتناسب المعانى كقول المُتنبى المتوفى سنة ٣٤٦ ﻫ

وَما زلتُ حتى قادَنى الشَّوْقُ نحوَه بُسايرنى فى كلِّ ركبٍ له ذكْرُ (١)
وأستكبرُ الأخبارَ قبلَ لِقائهِ فلمَّا التقينا صغَّرَ الخبرَ الخُبْرُ

وسابعاً الجزالةُ وَهى إبرازُ المعانى التشريفة فى معارضَ من الألفاظ الأنيقة (٢) اللَّطيفة كقوْل الصابىء المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

لك فى المحافل منطقٌ يَشْفِي الجوَى (٣) وَيسوغُ فى أُذُن الأديب سُلافهُ (٤)
فكأنّ لفظكَ لُؤْلُؤٌ مُتحلِّلٌ (٥) رَكأنَّما آذاننا أصدافهُ

وَأما عُيوبه فسبعة الهُجنةُ بأنْ يكون اللفظ سخيفاً وَالمعنى مُستقبحاً كقوله

وَإذا أدنيتَ منهُ بصلاً عَلبَ المسْكُ على ريح البَصل

والوحشيّة كونُ الكلام غليظاً تمجُّه الأسْماعُ وتنفرُ منهُ الطِّباع كقوله

وَما أرْضى لُمفلتهِ بحُلم إذا انتَبَهتَ توَهَّمهُ ابْنشاكا (٦)

وَالرّكاكة ضعفُ التأليف وَسخافة العبارة كقول المتنبّي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ

انْ كان مِثلك كان أوْ هو كائنٌ فبرئْتُ حينئذ من الإسلام

وَالسَّهوُ عبارة عن ضعف البصر بمواقع الكلام كقول المتنبّي يُشبِّه ممدوحه بالله تعالى (وهو كفرٌ)

تتقاصر الأفهام عن إدْراكه مِثلَ الَّذى الأفلاكُ منهُ وَالدُّنى (٧)

وَالاسهاب الاطالة الزّائدة المُملَّة فى شرح المادَّة والعُدول الى الحشو كقوله

أعنى فتًى لم تدرُ الشّمسُ طالعةً يَوْماً مِن الدَّهر الاَّ ضرَّ أوْ نفَعا

(١) خبر زلت يسايرنى والركب جماعة الراكبين أي مازلت اسمع ذكره فى كل ركب صحبته حتى قادنى الشوق الى زيارته والمتنبى يمدح عليا الانطاكى ومعنى البيت الثانى انى ما زلت استعظم مايذكر لي من أخباره حتى لقيته فصغرت عندى تلك الاخبار بالنسبة اليه لأنى وجدته أعظم مماوصفوا (٢) المعجبة (٣) الحرقة (٤) الخمرة (٥) مصطفى ومختار (٦) يقول — وان حدثه حلم فى نومه عن شكرى له فلا ارضى به لعله يتوهمه كذباً . (٧) الدنيا

والجفاف الايجار والاختصار المخلّ كقول الحارث بن حِلِّزة الموفّى سنة ٢٣٢ هـ

وَالعيش خيرٌ فى ظلا ل النوك (١) ممّن عاش كدّا (٢)

ووَحدَةُ السِّياق التزام أسلوب واحد من التّعبير وطريقة واحدة من التركيب بحيث تكون للأذهان كلالا (٣) وللقلوب ملالا (٤)

وللكلام عيوبٌ كثيرة منها اللحنُ ومُخالفة القياس الصّرْفى وضعف التأليف والتّعقيدُ اللّفظى والمَعنوى والتّكرار وتَتابُعُ الإضافات إلى غير ذلك من الأسباء التى تكون ثقيلةً على اللسان مُخالفة للذّوق والعُرْف غريبة على السّمع (٥)

وأما طبقاته فثلاث (الأولى الطبقة السُّفْلى) ومَرْجعُها إلى الإنشاء السّاذج وهو ما عرَا عَنْ رقّة المعانى وجَزالة الألفاظ والأنْق فى التّعبير فهو بالكلام العادىّ أشْبهُ لسُهولة مأخذه وقُرْب مَوْرده، ويُستعمل فى المحافل العموميّة ليَقْربَ مَنالُ المعانى على جُمهور السامعين وفى المقالات والخطب العلميّة لينْصَرفَ الذّهن إلى أخذ المعنى وليس دونه حائلٌ من جهة العبارة وفى المكاتبات الأهليّة والرّحلات والأسفار والأخبار وما شابه ذلك (الثانيه الطبقةُ العليا) ومَرجعها الى الانشاء العالى وهو ما شُحن بغُرر الألفاظ وتَعلّقَ بأهداب المجاز ولطائف التّخيلات وبدائع التّشابيه فيفتِنُ ببَراعته العقُولَ ويَسْحَرُ الألْبابَ ويَصلُحُ فى

(١) بفتح النون وضمها الحمق (٢) تعبا (٣) سيئة (٤) سآمة (٥) حكى عن الصفى الحلي ان بعض الفضلاء بلغه أنه اطلع على ديوانه وقال لاعيب فيه سوى انه خال من الالفاظ العربية فأجابه الصفى

امما الحزبون والدردبيس والطخا والنقاخ والعلطبيس
لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئز النفوس
وقبيح أن يسلك النافر الوحشى منها ويترك المأنوس
ان خير الالفاظ ما طرب السامع منه وطاب فيه الجليس
ولذيذ الالفاظ مغناطيس :

التَّرَسُّل بين بُلغاء الكُتَّاب وَفى المجالس الأدبيَّة وَديباجة بعض التّصانيف الى غير ذلك من المواضع التى مِن شأنها الزّجر وَتحريك العوَاطف وَالحماسة

(الثالثةُ الطبقة الوُسْطى) وَمَرْجعها إلى الانشاء الأَنيق [١] وَهوَ ما توَسَّط بين الإِنشاء العالى وَالساذج فيأخذ من الأَوَّل رَوْنَقَه وَرَشاقَتَهُ وَمن الثانى جلاءَه وَسَلاَمته ـ وَيصلُحُ فى مُرَاسلاَت ذَوِى المَرَانب وَفى الرِّوَايات المُنمَّقة والأَوْصاف المُسهَّبة وَفى خُطب المحافل وَما أشبه ذلك [٢]

وَأما محاسنُه فهى أساليب وَطرَائق معلومةٌ وُضِعت لتَزْيين الكلام وَتَنْميقه لغرَض أن يمكّن البليغُ مِن ذِهن السّامع بما يورده من أساليب الكلام المُستْحسنة فيحرّك أهواء النّفس وُينبر كامنَ حركاتها ، وَلغرض أن يكونَ قوله أشدّ اتصالا بالعقل وَأقرَبَ للإِدْرَاك بتصرّفه فى فنُون البلاغة

كيفيّة الشُّرُوع فى عَمل مَواضيع الانشاء

اذا عَنّ [٣] لك أو اقتُرِحَ عليك إنشاءُ موضوع فأنت مَنُوط [٤] إذاً بأمرين التّفكر أوّلاً وَالكتابة ثانياً فإِذَا أنْعَمْتَ الفِكْرَ مَليًّا [٥] فى أجزَاء الموضوع بعد استيلاءِ الأحساس بها على قلبك وقلَّبتَها على جميع الأَوُجه المُمكنة فيها تَولَّد فى

(١) المعجب (٢) الذى اشتهر بالانشاء الساذج السيوطى والماوردى والغزالى وأبو الفرج الاصبهانى وابن الاثير وابو الفداء والذى اشتهر بالانشاء الانيق الثعالبى وابن خلكان وابن خلدون والطبرى والفخري وابن المعتز والبهاء زهير وابن المقفع والمسعودي والذى اشتهر بالانشاء العالي الحريرى والهمدانى والمعرى والاخطل وجرير وابو تمام والبحترى والمتنبى وابن حاقان والعتبي والفارضى واعلم ان طبقات الانشاء كثيرا ماتختلط ببعضها فيصعب تعيين طبقتها فربما جاء فى القطعة الواحدة أشياء من الطبقات الثلاث لايميزها الا المنتقد البصير
(٣) عرض (٤) ملزم (٥) ساعة طويلة

خيالك لكلّ جزء عدّة صُوَر (١) تتفاوت فى تأديته كتفاوت صُوَر المنظوم فى الحسن والقبح ، فبعضها يسميل النفوس بأثيره فى الحواسّ ، وبعضها يوجب نفورها ، وبعضها بين بين ، وإذا تشخصت الصُّوَر فى الخيال يتحيّر العقل منها ماله المكانة الرفيعة فى حسن تأدية الغرض المناسب للمقام ، فان كان المقام للتحريض على القتال مثلاً انتخب الصورة المهيّجة للأحساس المشجّعة للنفس على اقتحام الأخطار وإن كان المقام مقام فرح وسرور انتخب ما يسرح الصدور ، وتقرّ به العيون . وتروق به الأرواح ، ويذهب عنها الحزن والأتراح (٢)

وبعد تشخص الصور وتخير المناسب منها لعتن أيها المنشئ بحسن تأليف وترتيب ما تخيّرته — بان تجمع الصُّور المناسبة التى يرتبط بعضها ببعض بدون تكلف ، بحيث يكون المجموع مسجماً يمشى وحده مع النفس دون علاج وتعب فى فهم الغرض منه وحينئذ يمكنك اظهار هذه الصورة المعقولة فى صورة محسوسة بواسطة القلم

---

(١) اما اذا تساوت فى حسن تأدية الغرض احد احداها فقط ولا يحسن جمعها (٢) الاحزان « تنبيه » يراعى حال المخاطب ومنزلته فان ما يحسن عند الذكى لا يحسن عند الغبى وما يناسب ذا الجد لا يناسب الهزلى وما يصلح للرئيس لا يصلح للمرءوس فخاطب كلا على قدر أبهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته ونباهته فزن اللفظة قبل ان تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت وعاير الكلمة بمعيارها اذا سنحت فكلما احلى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان أسهل ولو جاء فى الاسماع واشتد اتصالا بالقلوب وخف على الافواه ولا سيما اذا كان المعنى البديع مترجماً بلفظ مؤنق شريف ومعايراً بكلام عذب بدون تكليف ولا تعقيد فالمعنى الخفى بالروح الخفى واللفظ الظاهر أشبه بالجثمان الظاهر والا تضاءل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح كتضاؤل الحسناء فى الاطمار الرثة

﴿ أركان الكتابة ﴾

إعلمْ أنّ للكتابةِ أرْكاناً لا بُدَّ من إيداعِها فى كلِّ كتابٍ بلاغىٍّ ذى
ن ، أولها أنْ يكون مَطلعُ الكِتابِ عليه جِدَّةٌ (١) ورَشاقَةٌ فإنّ الكاتب
أجاد المطلعَ والمقطع . أو يكون مبنيًّا على مقصدِ الكتابِ . الثانى أن يكون
وجُ الكاتبِ من معنًى إلى معنًى برابطَة لتكونَ رِقابُ المعانى آخذةً بعضُها
ضٍ ولا تكون مُقتضبةً . الثالثُ أن تكون ألفاظُ الكِتابِ غيرَ مُخلَوْلقةِ
رَةِ الاستعمال . ولا أُريدُ بذلك أن تكونَ ألفاظاً غريبةً فإنّ ذلك عيبٌ
نٌ بلْ أُريدُ أن تكونَ الألفاظُ المستعملةُ مسبوكةً سبكا غريباً يظُنّ
معُ أنها غيرُ ما فى أيدى الناس وهى مما فى أيدى النّاس . وهناك مُعترَكُ
احةِ التى تُظْهِرُ فيه الخواطرُ براعتَها والأفْلامُ شجاعتَها . وهذا الموْضعُ بعيدُ
ل كثيرُ الإشكالِ يحتاج إلى لُطف ذَوْقٍ وشهامةِ خاطرٍ وليْس كلُّ خاطرٍ
ٍ إلى هذه الدَّرجةِ (ذلكَ فضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يشاءُ واللهُ ذو الفضْلِ العظيم)
هذا فلا تظنّ أيُّها الناظرُ فى كتابى أنّى أردتُ بهذا القوْل إهمالَ جانب
ى بحيثُ يُؤْتى باللفظِ الموصوفِ بصفات الحُسنِ والملاحة ولا يكونُ تحتهُ
المعنى ما يماثلُه ويُساويه ، فإنهُ إذا كان كذلك كان كصُورةٍ حسنةٍ بديعةٍ
سنها إلا أنّ صاحبَها بليدٌ أبْلَهُ . والمرادُ أن تكونَ هذه الألفاظُ المشارُ
جسمًا لمعنى شريفٍ . على أنّ تحصيلَ المعانى الشريفة على الوَجهِ الذى
تُ اليهِ أيسرُ من تحصيلِ الألفاظِ المشارِ اليها . ولقد رأيتُ كثيراً من

---

١) صار جديداً مبتكرا وهو نقيض الخلق الذائب

الجهال الذين هم من السوقة وأرباب الحرف والصنائع وما منهم إلا من يقع له المعنى الشريف ويظهر من خاطره المعنى الدقيق ولكنه لا يحسن أن يزوج بين لفظتين . فالعبارة عن المعانى هى التى تخلب بها العقول . وعلى هذا فالناس كلهم مشتركون فى استخراج المعانى فانه لا يمنع الجاهل الذى لا يعرف علماً من العلوم أن يكون ذكياً بالفطرة .

واستخراج المعانى انما هو بالذكاء لا بعلم العلم

فإذا استكملت معرفة هذه الأركان وأتيت بها فى كل كتاب بلاغى ذى شأن فقد استحققت حينئذ فضيلة التقدم ووجب لك أن تسمى نفسك كاتباً

(عن المثل السائر باختصار)

﴿ كيفية نظم الكلام ﴾

اذا أردت أن تصنع كلاماً فأخطر معانيه ببالك . وتنق له كرائم اللفظ واجعلها على ذكر منك ليقرب عليك تناولها ولا يتعبك تطلبها . واعمل ما دمت فى شباب نشاطك فإذا غشيك الفتور وتخونك الملال فأمسك : فان الكثير مع الملال قليل . والنفيس مع الصحر خسيس . والخواطر كالينابيع يسقى منها شيء بعد شيء فتجد حاجتك من الرى وتنال أربك من المنفعة فاذا أكثرت عليها نضب ماؤها وقل عنك عناؤها . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطالبة والمجاهدة والتكلف والمعاودة . وإياك والتوعر فإن التوعر يسلمك الى التعقيد ، والتعقيد هو الذى

يَسْتَهْلِكُ معانيكَ ويشينُ ألفاظكَ .

ومنْ أرادَ معنى كريماً فليلتمسْ لهُ لفظاً كريماً فانَّ منْ حقّ المعنى الشريفِ اللفظَ الشريفَ .

فاذا لم تجدِ اللفظةَ واقعةً موْقعها صائرةً إلى مستقرِّها حالَّة فى مركزِها متّصلةً بسلكها بل وجدتها قلقةً فى موْضعها نافرةً عنْ مكانها فلا تُكرهْها على اغتصابِ الأماكنِ والنزولِ فى غيْر أوْطانها فانّكَ انْ لم تعاطَ فريضَ الشعرِ المنظومِ ولَمْ تتكلّفِ اخْتيارَ الكلام المنثورِ لم يَعبْكَ بذلكَ أحدٌ .

وانْ تكلّفتهُ ولم تكنْ حاذقاً مطبوعاً ولا مُحْكماً لشأنك بصيراً عابكَ من أنتَ أقلُّ عيبا منهُ وزرى عليكَ منْ هو دونكَ

فإنْ لم تسمحْ لكَ الطّبيعةُ بنظمِ الكلامِ فى أوّلِ وهلةٍ وتعصّى عليكَ بعدَ إحالةِ الفكرةِ فلا تعجلْ ودعْهُ سحابةَ يوْمكَ ولا تضجرْ وأمهلْهُ سوادَ ليلتكَ وعاودْهُ عندَ نشاطكَ فانّكَ لا تعدمُ الإجابةَ والمؤاناةَ . فانْ تمنّعَ عليكَ بعد ذلكَ معَ ترْويحِ الخاطرِ وطولِ الامهالِ فحوّلْ منْ هذه الصّناعةِ الى أشهى الصّناعاتِ اليكَ وأخفّها عليكَ فانكَ لم تشتهِها الاّ وبينكُما نسبٌ .

والشيءُ لا يحنُّ الاّ الى ما شاكلَهُ

وينبغى أنْ تعرفَ أقدارَ المعانى فتُوازنَ بينها وبينَ أوْزانِ المستمعينَ وبين أقدارِ الحالاتِ فتجعلَ لكلّ طبقةٍ كلاماً ولكلّ حالٍ مقاماً حتّى تقسمَ أقدارَ المعانى على أقدارِ المقاماتِ وأقدارَ المُستمعينَ على أقْدارِ الحالاتِ

(من كتاب الصناعتين باختصار)

﴿ الطريقُ الى تعلُّم الكتابة ﴾

إنَّ الطريق الى تعلُّم الكتابةِ على ثلاثِ شُعَبٍ .

الأُولى أنْ يتصفّح الكاتبُ كتابةَ المتقدّمينَ ويطّلعَ على أوْضاعهم فى استعمالِ الألفاظ والمعانى ثمّ يحاذوهم وهذه أدنى الطبقاتِ عندى .

والثانيةُ أنْ يمزجَ كتابة المتقدمينَ بما يستجيدهُ لنفسه منْ زيادة حسنةٍ إمّا فى تحسينِ ألفاظ أو فى تحسين معان وهذهِ هىَ الطبقة الوُسطى وهى أعلى من التى قبلها .

والثالثةُ أنْ لا يتصفّحَ كتابةَ المتقدّمينَ ولا يطّلعَ على شىءٍ منها بل يصرفَ همّهُ الى حفظ القرآنِ الكريمِ وعِدّةٍ منْ دواوينِ فحُولِ الشُّعراءِ ممّنْ غلبَ على شعرهِ الإجادة فى المعانى والألفاظِ . ثم يأخذَ فى الاقتباس فيفوم ويقعُ ويخطئُ ويصيبُ ويضل ويهتدى حتى يستقيمَ على طريقه يفتحها لنفسهِ .

وأخْلِقْ بسلك الطريقِ أنْ تكونَ مبتدعةً غريبة لا سركة لأحدٍ منَ المتقدمين فيها وهذه الطريقُ هى طريقُ الاجتهادِ وصاحبها يُعدُّ إماماً فى فنِّ الكتابةِ الاّ انها مسوْعِرَةٌ جدًّا ولا يستطيعها إلاّ مَنْ رَزَقَهُ اللهُ لساناً هجّاماً وخاطراً رقّاماً . ولا أُريدُ بهذه الطَّريقِ أنْ يكونَ الكاتبُ مُرتبطًا فى كتابتهِ بما يسمحُ به منَ القرآنِ الكريمِ والشِّعرِ بحيثُ إنّهُ لا يُنتىءُ كتاباً إلاّ منْ ذلك بلْ أُريدُ أنّهُ إذا حفظَ القرآنَ وأكثرَ من حفظِ الأشعارِ ثمّ نقّبَ عنْ ذلكَ تنقيبَ مطّلع على معانيهِ مفتّشٍ عنْ دفائنهِ وقلبهُ ظهراً لبطنٍ عرفَ حينئذٍ منْ أين تؤكل الكتفُ فيما ينشئهُ منْ ذاتِ نفسهِ واستعانَ بالمحفوظِ على الغريزة الطّبيعيّة

(المثل السائر باختصار)

﴿ كيفيّة تهذيب الكلام وأوقات تأليفه ﴾

تهذيبُ الكلامِ عبارةٌ عنْ تردادِ النظرِ فيهِ بعدَ عملهِ نظماً كانَ أوْ نثراً وتغييرِ ما يجبْ تغييرهُ وحذفِ ما ينبغي حذفهُ وَاصلاحِ ما يتعيّنُ اصلاحهُ وتحريرِ ما يَدقُّ مِنْ معانيهِ واطراحِ ما يتحافَى عن مضاجعِ الرِّقّةِ من غليظِ ألفاظه لتُشْرِفَ سُموسُ التهذيبِ في سماءِ بلاغتهِ وترسفَ الأسماعُ على الطَّرَبِ رَقيقَ سُلافتهِ. فإنّ الكلامَ إذا كانَ مَوْصُوفاً بالمهذَّبِ منعوتاً بالمنقَّحِ علتْ رُتبتهُ وانْ كانتْ معانيهِ غيرَ مبتكرةٍ. وكلُّ كلامٍ قيل فيهِ: لو كانَ موْضعَ هذه الكلمة غيرُها ـ ولوْ تقدّمَ هذا المتأخّرُ وتأخّرَ هذا المتقدّمُ. أو لو تمّ هذا النقصُ بكذا ـ أو لو تكمّلَ هذا الوصفُ بكذا. أو لو حُذِفتْ هذه اللّفظة ـ أو لو أُصلحَ هذا المقْصدُ وسهُلَ هذا المطلبُ لكانَ الكلامُ أحسنَ والمعنى أبينَ كان ذلك الكلامُ غيرَ مُنتظمٍ في نوعِ التهذيبِ

وكان زُهيرُ بن أبي سُلمى معروفاً بالتّنقيحِ والتّهذيبِ ولهُ فضائلُ تُعرَفُ بالحوْليّاتِ ـ قيلَ: إنه كان ينظِمُ القصيدةَ في أربعةِ أشهرٍ ويُهذّبُها ويُنقّحُها في أربعة أشهرٍ ويعرضها على عُلماءِ قبيلته أربعةَ أشهرٍ. ولهذا كان الإمامُ عمرُ بن الخطّاب مع جلالته في العلمِ وتقدُّمه في النّقد يقدّمُهُ على سائرِ الفُحُولِ من طبقتهِ

وما أحسنَ ما أشارَ أبو تمام إلى التهذيبِ بقوْلهِ

خُذْها ابنةَ الفكرِ المُهذَّبِ في الدُّجَى ... واللّيْلُ أسْوَدُ رفعةِ الجلبابِ

فإنهُ خصَّ تهذيبَ الفكرِ بالدُّجَى لكوْنِ اللّيْلِ تهدأُ فيهِ الأصواتُ وتسكُنُ الحركاتُ فيكونُ الفكْرُ فيهِ مُجتمِعاً ومِرآةُ التّهذيبِ فيهِ صقيلةً فتخلُوَ الخاطرِ وصفاء القريحةِ لا سيّما وسطَ اللّيْلِ

قالَ أبو عُبادَةَ البُحْتُرِيُّ : كنتُ في حداثتي أروى الشِّعْرَ وَكُنتُ أرجعُ فيهِ إلى طبعٍ سليمٍ وَلم أكُنْ وَقفت لهُ على تَسهيلِ مأخذٍ وَوُجُوهِ اقتضابٍ حتّى قصدتُ أبا تمّامٍ وَانقطعْتُ اليهِ وَاتكلْتُ في تعريفهِ عليهِ . فكان أوّلَ ما قالَ لي : يا أبا عُبادَةَ تخيّرِ الأَوْفاتَ وَأنتَ قليلُ الهمومِ صِفْرٌ منَ الغمومِ واعلم ان العادةَ في الأَوْقاتِ اذا قصدَ الانسانُ تأليفَ شيءٍ أو حفظَهُ أنْ يختارَ وَقتَ السَّحرِ وَذلك أنَّ النَّفسَ تكونُ قدْ أخذَتْ حظَّها منَ الرَّاحةِ وفسطَها منَ النَّوْمِ وَخفَّ عليها ثِقَلُ الْغِذاءِ . واحذرِ المجهولَ منَ المعاني وَاياكَ أن تشينَ شعرَكَ بالألفاظِ الوَحشيةِ وناسِبْ بينَ الألفاظِ وَالمعاني في تأليفِ الكلامِ وكُنْ كأنَّكَ خيّاطٌ تُقدِّرُ الثِّيابَ على مقاديرِ الأَجسامِ واذا عارَضَكَ الضّجرُ فأرحْ نفسكَ ولا تعملْ إلاَّ وأنتَ فارغُ القلبِ ولا تَنظمْ إلاَّ بشهوةٍ فإنِ الشهوَةَ نعمَ المعينُ على حُسنِ النّظمِ . وجُملةُ الحالِ أنْ تعتبرَ شعرَكَ بما سلف من أشعارِ الماضينَ فما استحسَنَ العلماءُ فاقصدهُ وما استقبحوهُ فاجتنبهُ

(عن خزانة الادب وزهر الاداب باختصار)

﴿ محاسن الانشاء ومعايبه ﴾

انَّ للنثرِ محاسنَ ومعايبَ يجبُ على المنشيء أنْ يفرقَ بينهما محترزاً من استعمالِ الألفاظِ الغريبة وما يخلُّ بِفَهمِ المرادِ ويوجبُ صعوبتهُ ـ ولا بُدَّ من أنْ يجعلَ الألفاظَ تابعةً للمعاني دونَ العكسِ . لان المعاني اذا تركبتْ على سَجيّتها طلبتْ لأنفسها ألفاظاً تليقُ بها فيحسنُ اللفظُ والمعنى جميعاً . وأمّا جعلُ الألفاظِ متكلّفةً والمعاني تابعةً لها فهو شأنُ من لهم شغفٌ بإيراد شيءٍ منَ المحسّناتِ اللفظية

فيصرفون العنايةَ اليها ويجعلون الكلامَ كأنهُ غيرُ مسوقٍ لافادة المعنى فلا يبالون بخفاءِ الدلالات وركاكة المعنى

ومن أعظم ما يليق بمن يتعاطى الانشاءَ ان يكسب ما يُراد لا ما يُريد كما قيل فى الصّاحب والصّابىء : ان الصّابىءَ يكتب ما يراد ـ والصاحبَ يكسبُ ما يريدُ

(عن آداب المنشىء بعض تصرف)

فصاحة الألفاظ ومطابقتها للمعانى

فصاحةُ الألفاظِ تكون بثلاثة أوجه :

الأوّل مُجانبةُ الغريب الوحشىِّ حتى لا يمجّه سمعٌ ولا ينفر منهُ طبعٌ

والثانى تنكبُ اللّفظ المبتذلِ والعدول عن الكلام المسترذل حتى لايستسقطهُ خاصىٌّ ولا ينبُو عنهُ فهمُ عامىٍّ كما ول الجاحظُ فى كتابِ البيانِ : أمّا أنا فلم أرَ قوماً أمثلَ طريقةً فى البلاغةِ منَ الكتّابِ وذلك أنهم قد التمسُوا منَ الألفاظِ ما لَمْ يكنْ مُوعراً وحشيًّا ولا ساقطاً عاميًّا

والثالثُ أنْ يكونَ بينَ الألفاظِ ومعانيها مُناسبةٌ ومُطابقةٌ .

أما المطابقةُ فهى أن تكونَ الألفاظُ كالقوالبِ لمعانيها فلا تَزيدُ عليها ولا تنقصُ عنها .

وأمّا المناسبةُ فهى أنْ يكونَ المعنى يليقُ ببعض الألفاظِ إمّا لعُرفٍ مستعملٍ أو لاتّفاقٍ مُستحسنٍ حتى إذا ذكرْتَ تلك المعانى بغير تلك الألفاظِ كانتْ نافرةً عنها وإن كانتْ أفصحَ وأوضحَ لاعتيادِ ما سواها

(أدب الدين والدنيا باختصار)

حقيقة الفصاحة

إعلم أنّ هذا موضوع متعذّرٌ على الوالج ومسلكٌ متوعّرٌ على الناهج . ولم تزل العلماء منْ قديم الوقت وحديثه يكثرون القولَ فيه والبحث عنهُ : ولم أجدْ من ذلك ما يعوّل عليه إلاّ القليلَ وغايةُ ما يقالُ فى هذا البابِ أنّ الفصاحةَ هى الظهورُ والبيانُ فى أصلِ الوَضعِ اللغوىّ ـ يقالُ : أفصحَ الصبحُ إذا ظهرَ ثم انهم يقفونَ عند ذلك ولا يكشفونَ عن السرّ فيه وبهذا القولِ لا تتبيّنُ حقيقةُ الفصاحةِ لأنهُ يعترضُ عليهِ بوجوهٍ منَ الاعتراضاتِ

أحدها اذا لم يكن اللفظُ ظاهراً بيّناً لم يكن فصيحاً ثم اذا ظهرَ وبيّنَ صارَ فصيحاً

الوجهُ الثانى أنه اذا كانَ اللفظُ الفصيحُ هو الظاهر البيّن فقد صار ذلك بالنسبِ والاضافات الى الأشخاص فانّ اللفظَ قد يكونُ ظاهراً لزيدٍ ولا يكونُ ظاهراً لعمرٍو فهوَ إذاً فصيحٌ عند هذا ـ وغيرُ فصيحٍ عند هذا وليس كذلك بلِ الفصيحُ هوَ فصيحٌ عندَ الجميعِ لاخلاف فيه بحال من الأحوالِ لأنهُ اذا تحققَ حدُّ الفصاحة وعُرف ما هى لم يبقَ فى اللفظِ الذى يختصُّ به خلافٌ

الوجهُ الثالثُ أنهُ إذا جيءَ بلفظٍ فصيحٍ يندو عنهُ السمعُ وهو مع ذلك ظاهرٌ بيّنٌ ينبغى أنْ يكونَ فصيحاً • وليس كذلك لأنّ الفصاحةَ وصف حُسنٍ للّفظِ لا وصفُ قبحٍ

ولمّا وقفتُ على أقوالِ النّاسِ فى هذا البابِ ملكتنى الحيرةُ فيها ولم يثبتْ عندى منها ما أعوّلُ عليه • ولكثرةِ مُلابستى هذا الفنّ ومعاركتى اياهُ انكشفَ لىَ السرُّ فيه وسأوضحهُ فى كتابى هذا وأحقّقُ القولَ فيه فأقولُ :

إنَّ الكلامَ الفصيحَ هو الظاهرُ البيّنُ . وأعنى بالظاهر البيّن أنَ تكون ألفاظه مفهومةً لا يحتاجُ فى فهمها الى استخراجٍ من كتابِ لُغةٍ

وانما كانتْ بهذه الصفةِ لأنها تكونُ مألوفةَ الاستعمالِ بينَ أربابِ النظْم والنثر دائرةً فى كلامِهمْ . وانما كانتْ مألوفةَ الاستعمالِ دائرةً فى الكلامِ دُونَ غيرها من الألفاظِ لمكان حُسنِها . وذلك أنَّ أربابَ النظمِ والنثرَ غربلوا اللّغةَ باعتبارِ ألفاظها وسبرُوا وقسّموا فاختارُوا الحسنَ من الألفاظِ حتّى استعملُوهُ وعلموا القبيحَ منها فلم يستعملوهُ ، فحسنُ الإستعمال سببُ استعمالِها دُونَ غيرها واستعمالُها دُونَ غيرها سَببُ ظهُورها وبيانِها . فالفصيحُ إذاً من الألفاظ هو الحَسنُ

فإنْ قيلَ منْ أىِّ وجه علَم أربابُ النّظم والنّثرِ الحسنَ منَ الألفاظِ حتى استعملُوهُ وعلمُوا القبيحَ منها حتى نفَوْهُ ولم يستعملوهُ قلتُ فى الجوابِ : انّ هذا منَ الأمور المحسُوسة التى شاهدُها من نفسِها . لأنّ الألفاظَ داخلةٌ فى حيزِ الأصوات . فالذى يستلذّهُ السّمعُ منها ويميلُ اليه هو الحسَنُ . والذى يكرَهُهُ وَينفِرُ عنهُ هُو القبيحُ ألاَ ترَى أنّ السّمعَ يستلذّ صوْتَ البُلبلِ منَ الطيْرِ وَصوْتَ الشُّحْرُورِ ويميلُ اليهما ويكرَهُ صوْتَ الغرَابِ وينفرُ عنهُ . وكذلك يكرَهُ نهيقَ الحمارِ ولا يجدُ ذلك فى صهيلِ الفرَس .. والألفاظُ جاريةٌ هذا المجرَى فإنهُ لا خلاَف فِى انَّ لفظَةَ المُزْنة والدّيمَةِ حسَنَةٌ يستلذُّها السّمع وانَّ لفظةَ البُعاق قبيحةٌ يكرَهُها السّمعُ . وهذهِ اللّفظاتُ الثّلاثُ منْ صفة المطرِ وهى تدُلُّ على معنى واحد . ومع هذا فانكَ ترى لفظَتى المُزْنةِ والدّيمة

وما جرَى مجْراهُما مألوفتى الاستعمال وترى لفظَ البُغاقِ وما جرَى مجراه متروكاً لا يُستعملُ ، وإنِ استُعمل فانما يَستعمله جاهلٌ بحقيقة الفصاحة أو مَن ذوْقُه غيرُ ذوْقٍ سليمٍ .

ولا جرَم أنه ذمَّ وقدح فيه ولم يُلتفَت اليه وان كان عربيًّا محصاً من الجاهلية الأقدمين فانَّ حقيقة الشيء اذا عُلمَتْ وجب الوقوفُ عندها ولم يُعرّجُ على ما خرَج عنها

(عن ابن الاثير باختصار)

(الانسجامُ)

الانسجامُ لغةً جرَيانُ الماءِ ، وعند أهل البلاغةِ هو أن يأتى الناظمُ أو الناثر بكلامٍ خالٍ من التعقيدِ اللفظىِّ والمعنوىِّ بسيطاً مفهوماً دقيقَ الألفاظِ جليلَ المعنى لا تكلُّفَ فيه ولا تعسف يتحدَّرُ كتحدُّرِ الماء المنسجم فيكادُ لسهولة تركيبه وعذوبةِ الفاظهِ أن يسيلَ رِقَّةً

ولا يكونُ ذلك الاّ فى منْ هو مطبوعٌ على سلامةِ الذوْقِ وتوقُّدِ الفكرةِ وبراعةِ الانشاءِ وحسْنِ الأسالبِ .

وإنّ فحول هذا الميدانِ ما أنفكوا كاهلَ سهُولتهِ بنوْعٍ من أنواعِ البديعِ اللهمَّ الا أن يأتىَ عفواً من غير قصد .

وعلى هذا أجمعَ علماءُ البديعِ فى حدّ هذا النَّوع فانهم قرَّرُوا أن يكونَ بعيداً من التصنُّع خالياً منَ الأنواعِ البديعيَّة الاَّ أن يأتىَ فى ضمْنِ السهُولة منْ غير قصدٍ . فانْ كانَ الانسجامُ فى النثر تكون أغلبُ فقراته موزونةً منْ غير قصدٍ وإن كانَ فى النّظْمِ فتكادُ الأبياتُ أن تسيلَ رِقةً وعذوبة وربما دخلتْ فى المُطْرب المرْقص

(بديعة العميان وبديعة الحموى)

﴿ حلُّ الشِّعْر ﴾

حل الأبيات الشعرية ينقسم الى ثلاثة أقسام :

الأوَّلُ منها وهو أدناها مَرْتبةً أنْ يأخذَ الناثرُ بيتاً منَ الشعرِ فينثُرَه بلفظه من غير زيادةٍ وهذا عيبٌ فاحشٌ ومثالهُ كمنْ أخذَ عِقداً قد أُتقنَ نظمه وأُحسنَ تأليفهُ فأوهاه وبدَّدَهُ وكانَ يفومُ عذرُهُ فى ذلك أنْ لوْ نقلَهُ عنْ كوْنهِ عقداً الى صورةٍ أُخرى مثله أو أحسنَ منهُ . وأيضاً فانهُ اذا نُثرَ الشعرُ بلفظه كان صاحبهُ مشهوراً بسرقه فيقال هذا سعرُ فلان بعينهِ لكون ألفاظه باقيةً لم يتغيرْ منها شيءٌ . وقد سلكَ هذا المسلكَ بعض العراقيين فجاء مُستهجناً كقوله فى بعض أبيات الحماسة

وألدَّ ذى حنَفٍ علىَّ كأنما تَغلى عداوةُ صدرهِ فى مِرْجَل
أزْحيهِ عنِّى فأبصر فصدَهُ وكويتهُ فوْق النواظر منْ عَل

فقال فى نثر هذيْن البيتين فكمْ لقِىَ ألدّ ذا حنَف كأنه ينظرُ الى الكواكب من عَل وتغلى عداوةُ صدره فى مرْجل فكواهُ فوق ناظريهْ وأكبَّه لفمه ويديهْ . فلم يزدْ هذا الناثرُ على أنْ أزَال رونق الوزنِ وطُلاوَة النظْمِ لا غيرُ

ومن هذا القسْمِ ضرْبٌ محمودٌ لا عيبَ فيه وهو أن يكونَ البيتُ من الشعر قد تضمَّن شيئاً لا يمكنُ تغييرُ لفظه فحينئذٍ يُعذَرُ ناثرُهُ اذا أتى بذلك اللفظ وكذلك الأمثالُ السائرةُ فانَّه لا بدَّ من ذكْرِها على ما جاءت فى الشعر

وأما القسْمُ الثانى وهو وسَطٌ بيْنَ الأوّلِ والثالث فى المرْتبة فهو أنْ ينثر المعنى المنظوم ببعْض ألفاظه ويعبّر عنِ البعض بألفاظٍ اخر . وهناك تظْهر

الصنعةُ فى المُماثلةِ والمشابهةِ ومُواخاة الألفاظ الباقيةِ بالألفاظ المُرْتحلةِ فإنهُ إذا أخذَ لفظاً لشاعرٍ مُجيدٍ قَدْ نقّحهُ وصحّحهُ ففرَنهُ بما لا بلائمهُ كانَ كمن جمعَ بينَ لؤلؤةٍ وحصاة • ولا خفاءَ بما فى ذلك منَ الانتصاب للقدْحِ والاستهدافِ للطّعن • والطريقُ المسلوكُ إلى هذا القسم أنْ تأخذَ بعضَ بيتٍ منَ الأبياتِ الشّعريّةِ هوَ أحسنُ ما فيهِ ثمّ تُماثلهُ

وسأوْردُ ههنا مثالاً واحداً ليكون قدوَة للمتعلّم فأقولُ : قدْ وردَ هذا البيْتُ من شعر أبى تمامٍ فى وصف قصيدة لهُ

حدّاءُ تملأُ كلَّ أذْنٍ حكْمةً وبلاغةً وتُدرُّ كلَّ وريدِ

ففوله (تملا كلَّ أذْنٍ حكمةً) منَ الكلامِ الحسنِ وهو أحسنُ ما فى البيْت • فاذا أردْتَ انْ تنثر هذا المعنى فلا بُدَّ من استعمال لفظهِ بعينه لأنهُ فى الغاية القُصوَى منَ الفصاحة والبلاغةِ • فعليكَ حينئذٍ انْ تُؤاخيهُ بمثْلهِ وهذا عسرٌ جدّا وهوَ عندى أصعبُ متالا من نثر الشعر بغيرِ لفظه لأنهَ مسلكٌ ضيّقٌ لما فيه من التّعرّض لمماثلةِ ما هوَ فى غايهِ الحُسنِ والجودَةِ • وأمّا نثر الشعرِ بغيرِ لفظهِ فذلك يتصرفُ فيهِ ناثرُهُ على حسبِ ما يراهُ ولا يكون مقيّداً فيه بمثالٍ يضطرُّ الى مُؤاخاتهِ وقدْ نثرْتُ هذهِ الكلماتِ المشارَ اليها وأتيتُ بها فى جُملة كتابٍ فقُلتُ : وكلامى قدْ عُرفَ بينَ الناس واشتهرَ وفاقَ مسيرَ الشّمسِ والقمرِ • وإذا عُرف الكلامُ صارَتِ المعرفةُ لهُ علامةً وأُمنَ من سرقهِ إذْ لوْ سُرقَ لدلّتْ عليه الوسامةُ ـ ومنْ خصائصِ صفاته أنْ يملأَ كلَّ أُذْن حكمةً ويجعلَ فصاحة كلّ لسانٍ عُجمةً • واذا جرَتْ نفثاتهُ فى الافهامِ قالتْ أهذهِ بنت فكرَةٍ أمْ بنت كرْمةٍ •

فانظرْ كيفَ فعلتُ فى هـذا الموْضعِ فإنِّى لما أخذتُ تلكَ الكلماتِ من البَيتِ الشِّعرىِّ التزَمتُ بأَن أَوْاخيها بما هوَ مِثلُها أو أحسَنُ منها فجئتُ بهـذا الفصلِ كما تراهُ • وكذلك ينبغى انْ يفعلَ فى ما هذا سبيلُه

وامّا القسم الثالثُ وهو أعلى من القسْمين الأَوَّلينِ فهو أن يأخـذَ المعنى فيصاغَ بألفاظٍ غيرَ ألفاظه • وثَمَّ يتَبينَ حذقُ الصَّائغِ فى صِياغَته ويعلمُ مقدارُ تصرُّفه فى صناعته فإنِ استطاعَ الزِّيادةَ على المعنى فتلك الدَّرَجةُ العاليةُ والاْ أحسنَ التصرُّفَ وأتقنَ التأْليفَ ليكونَ أوْلى بذلك المعنى منْ صاحبهِ الأَوَّل واعـلم انَّ من أبياتِ الشعْرِ ما يتَّسعُ المجالُ لناثرِه فيُورِدهُ بضروبٍ منَ العبَاراتِ وذلك عنـدى شبيهٌ بالمسائلِ السيَّالةِ فى الحسابِ الَّتى يُجاوب عنهـا بعدَّةٍ منَ الأَجوبةِ • ومنَ الأبيات ما يضيقُ فيـه المجالُ حتَّى يكادَ الماهرُ فى هـذه الصناعة ان لاَ يخرُجَ من ذلكَ اللفظ وانمـا يكونُ هذا لعـدم النظير فأمَّا ما يتَّسعُ المجالُ فى نثرِه فكقولِ أبى الطَّيب المتنبى

لا تَعدل المشتاق فى أشواقه حتَّى يكونَ حشاكَ فى أحشائه

وقدْ نثرتُ هذا المعنى فمنْ ذلكَ قَوْلى : لاَ تعذُل المحبَّ فى ما يهواهُ حتَّى تَطوِىَ القلبَ عـلى ما طَواهُ • ومنْ ذلك وجـهٌ آخرُ وهو إذا اختلفَت العينان فى النظرِ فلعذْلُ ضرْبٌ منَ الهذَر • واما ما يضيقُ فيه المجـالُ فيعسُرُ على الناثرِ تبديلُ الفاظه فكقول أبى تمَّام

تردَّى ثيابَ المَوْتِ حُمراً فما أتى لها الليـلُ إلاّ وهى من سندسٍ خُضر

قصد أبو تمَّـام المؤاخاةَ فى ذكر لوْنى الثِّيابِ من الأَحمـرِ والأَخضر وجاءَ ذلك واقعاً على المعـنى الذى أرادهُ من لوْنِ ثياب القَتلى وثياب الجنَّة

وهـذا البيتُ لا يمكنُ تبـديل ألفاظه وهو وأمثالهُ مما يجبُ على النَّاثِر أنْ يحسن الصَّنعة فى فكِّ نظامه لأنهُ يتصدّى لنثرهِ بألفاظه . فان كان عنده قوَّةُ تصرفٍ وبَسْطة عبارةٍ فانهُ يأتى به حسناً رائقاً .

وقد قلْت فى نثرهِ : لم تكْسهُ المنايا نسْج سِفَارِها حتى كَسَتْهُ الجنةُ نسج سعارِها فبُدِّل أحمرُ ثوْبه بأخضره وكأْس حمامهِ بكأْسِ كوثرِه

واذا انتهى بنا الكلامُ الى ههنـا فى التنبيه على نثر الشعر وكيفيَّة نثره وذكْر ما يسهلُ منهُ وما يعسُرُ فلنتْبع ذلك بقولٍ كلىٍّ فى هذا الباب فنقول :

من أحبَّ أن يكون كاتباً أو كان عنـدهُ طبع مجيبٌ فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ولا يقنعُ بالقليل من ذلك . ثم يأخذ فى نثر الشعر من محفوظاته . .

وطريقهُ أن يبدئَ فيأخذ قصيداً من القصائد فينثرهُ بيتاً بيتاً على التوالى . ولا يستنكف فى الابتداء أن ينثُر الشّعر بألفاظه أو بأكثرها فانهُ لا يستطيع الا ذلك ،

واذا مرِنتْ نفسه وتدرّب خاطره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفعُ عن ذلك فيكسوه ضروباً من العبارات المختلفة . وحينئذ يحصلُ لخاطره بمباشرة المعانى لِقاحٌ فيستنتجُ منها معانى غير تلك المعانى

وسبيله أن يكثر الادمان ليلاً ونهاراً ولا يزال على ذلك مدَّة طويلة حتى يصير لهُ ملكةٌ . فاذا كتب كتاباً أو خطب خطبةً تدفّقت المعانى فى أثناء كلامه وجاءت ألفاظه معسولةً وكان عليها حدَّة حتى تكاد ترقصُ رقصاً — وهـذا شىء خبرتهُ بالتَّجربة ولا يُنبئُك مثل خبير

(عن المثل السائر باختصار)

﴿ التخلص والاقتضاب فى مواضيع الانشاء ﴾

التخلص هو أن يأخذ مؤلف الكلام فى معنًى من المعانى فبينما هو فيه إذ أخذ فى معنى آخر غيره وجعل الأوّل سبباً اليه فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير أنْ يقطعَ كلامهُ ويستأنف كلاماً آخرَ بل يكون جميع كلامه كأنما أُفرِغَ إفراغاً وذلك مما يدلُّ على حذق الشاعر وقوّة تصرُّفه من أجل أنّ نطاق الكلام يضيق عليه ويكون متّسعاً للوزْن والقافية فلا تُواتيه الألفاظ على حسب ارادته .

وأما الناثر فإنه مطلق العِنان يمضى حيث شاءَ فلذلك يشقّ التخلّص على الشاعر أكثر مما يشقّ على الناثر . ومما جاءَ من التخلّصات الحسنة قوْل المتنبّى المتوفّى سنة ٣٥٤ هـ

خَليلىَّ إنّى لا أرى غير ساعر ... فَلِمْ منهمُ الدَّعْوى ومنّى القصائدُ

فلا تعجبا إنّ السُّيوف كثيرةٌ ... ولكنّ سيْف الدَّوْلة اليوْم واحدُ

وهذا هو الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض ألا ترى الى الخروج الى مدح الممدوح فى هذه الأبيات كأنه أُفرغ فى قالب واحدٍ

والاقتضاب أن يقطع الشاعر كلامهُ الذى هو فيه ويستأنف كلاماً آخر غيرهُ من مديح أو هجاءٍ أو غير ذلك ولا يكون للثانى علاقةٌ بالأول كقول أبى نوَاس المتوفى سنة ١٩٨ هـ فى قصيدته النُّونية التى لم يكمل حسنَها بالتخلّص من الغزَل الى المديح بل اقتضبهَ اقتضاباً فبينما هو يصف الخمرَ ويقول

فاسقنى كأْساً على عدلٍ ... كرِهَتْ مسموعَه أُذنى

من كُمَيْت اللّون صافيةٍ ... خير ما سَلسلتَ فى بدنى

ما استقرّت فى فؤاد فتًى ... فدَرَى ما لوعة الحزَن

(حي ول)

تَصحك الدّنيا الى مَلكٍ قمَ بالآثار والسنن
سَنَّ للنّاس المدَى فندَوْا فكأنَّ البُخلَ لم يكُنِ

وَإذا لم يحسُنِ التّخلصُ بأن كان قبيحاً ممسُوخاً فالاقتضابُ أولى منهُ فينبغى لسالك هذه الطريقة أن ينظُرَ إلى مَا يَصوُغهُ فإن أتاهُ التّخلص حسَناً كما ينبغى ، والا فلْيدعهُ ولا يَستكرههُ حتى يكونَ مِثلَ هذا

واعلم أنّ التّخلص غيرُ ممكن فى كل الأحوال وهو من مُستصعبات علم البيان فليتدبر الشّاعر (عن المثل السائر بتصرف)

﴿ كيفيةُ افتتاحِ مواضيع الانشاء وختامها ﴾

الافصاحُ أن تجعلَ مَطلع الكلام من الشّعر أو الرّسائل دالا على المعنى المقصود من ذلكَ الكلام ان كانَ فتحاً ففتحاً وان كان هناءً فهناء أو كان عزَاءً فعزَاءً وَهكذا . وفائدتُه أن يُعرَفَ من مبدإ الكلام ما المرَادُ منهُ فإذا نَظَمَ الشاعرُ قصيدةً فان كانتْ مديحاً صِرْفاً لا يَختصُّ بحادثةٍ من الحوادث فهو مخيَّرٌ بين أن يفتتِحها بغزَلٍ وبينَ أن يرتجِلَ المديحَ ارتجالاً من أوّلها كقول القائل :

إنْ حَارَتِ الألْبابُ كَيْفَ تَقُولُ فِى ذَا ٱلمَقَامِ فَعُذْرُهَا مَقْبُولُ
سَامِحْ بِفَضْلِكَ مَادِحِيكَ فَمَا لَهُمْ أبَدًا إلَى مَا تَسْتَحق سَبِيلُ
إن كَانَ لاَ يُرْضِيكَ إلاَّ مُحْسِنٌ فَٱلمُحْسِنُونَ إذَنْ لَدَيْكَ قَلِيلُ

وأمّا إذا كان القَصيدُ فى حادثةٍ منَ الحوَادثِ كفتْحِ مُقفلٍ أوْ هزيمةِ جيْشٍ

أو غير ذلك فانهُ لاينبغى أن يُبدَأ فيه بغزَل ، ومن أدب هذا النوع أن لا يذكُرَ الشّاعرُ فى افتتاح قصيدة المـديح ما يُتَطَيَّرُ منهُ أو يُستقبحُ : لاَ سِيّما إذا كانَ فى التّهانى فانهُ يكون أشـدَّ قُبحاً : وانما يُستعْملُ فى الخطوب النّازلة والنّوائب الحادثة : ومتى كانَ الـكلامُ فى المديح مُفتتحاً بشىءٍ مِنْ ذلك تَطيَّر منـهُ سامعهُ وانما خُصّت الإبتداءاتُ بالاختيار لأنها أوّلُ ما يَطرُقُ السّمعَ من الـكلام فاذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوَارد بعدَه توفّرَت الدّواعى على استعماله : والختامُ أن يكون الـكلامُ مُؤْذناً بتمامه بحيث يكونُ وَاقعاً عـلى آخر المعنى فلا ينتظرُ السامعُ شيئاً بعدَه : فعلى الشّاعر وَالنّاثر أن يتأنّقا فيه غاية التأنّق وَيجوِّدَا فيه ما استطاعا لانه آخر ما ينتهى الى السّمع وَيترَدَّدُ صداهُ فى الأُذُنِ وَيعلَقُ بحوَاشى الذّكر فهوَ كَمَقْطع الشّرَاب يكونُ آخرَ ما يَمرُّ بالفَمِ وَيُعْرَضُ على الذّوْقِ فَيَشْعُرُ منهُ بمـا لا يَشْعُرُ من سِوَاهُ : وَلذلك ينبغى أن يكونَ اِلختامُ مُميّزاً عن سائر الـكلام قبلهُ بنُـكْتةٍ لطيفَةٍ أو أسلُوبٍ رَشيقٍ أو معنًى بليغ . وَيختار له من اللفظ الرّفيق الحاشيةِ الخفيفُ المحمل على السّمع السّهلُ الوُرُودِ على الطّبع وَيتحافى به عن الإسهاب وَالتّعقيد وَالثّقل وَغير ذلك ، وحُكمُ اِلختام كما سبق أن يكون مؤْذناً بتمام الـكلام بحيث يكون وَاقعاً على آخر المعنى فلا ينتظر السّامع شيئاً بعـدهُ ، واذا لم يكن المعنَى دالاً بنفسهِ على اِلختام حَسُنَ أن يُدلَّ عليـه بكلام آخرَ يُذكر على عَقِب الفرَاغ من سِياقةِ الأغراض السّابقة ، وحكمهُ أن يكون مُنتزعاً مماسبقه فيقفّى به تقريراً لشىءٍ من الاغرَاض أو اجمالا لِمُفصّلها مُوَرداً على وجه من وجُوه البلاغة أو الـكلام الجامع أو مُخرَجاً مُخرَجَ المَثَل أو اِلحكمةِ أو ما شاكل ذلك مما تُعلّقهُ الخوَاطر وتُقيدهُ الأذهان : كقول المتنبّي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ

وَمَا أَخْصُكَ فِي بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وكقول الزَّمخشرى المتوفى سنة ٥٢٨ هـ فى ختام إحدى مقالاته (انَّ الطَّيش فى الكلام يُتَرْجِمُ عن خِفَّةِ الاحلام وَما دَخلَ الرِّفْقُ شَيئاً إلاَّ زَانه وَما زَانَ المتكلِّمُ الاّ الرَّزانةُ)

وأمّا فى غير ذلك فالأكثرُ فيه أن يُضَمَّنَ غرضاً آخرَ من الدّعاءِ أو عَرْض النّفس على خِدمة المكتوبِ إليهِ أوْ توقّع الجوابِ منهُ أوْ غير ذلكَ مِمّا تحتَمِلهُ مقاماتُ الكلام وَتقتضيه دوَاعى الحال

وَأكثرُ ما يختمونها فى النثر بعد الأغرَاض المذكورة بقولهم — إن شاء الله أوْ بمنِّ اللهِ وَفضله : وما أشبه ذلك

وكثيراً ما يَختمُ النّاثرُ بقوله والسّلام : أو بلاَ حوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاّ بالله . أوْ بقوله وَاللهُ المُسْتَعانُ : أوْ بقوله وَالحَمْدُ لِلهِ أوّلاً وَآخراً بَاطِناً وَظَاهِرًا . أو بقوله وَاللهُ أعلم . أو غير ذلك

وَرُبَّما خُتِمَ بِمِثْلِ كَخَتَام الخوَارَزْمِيِّ المتوفّى سنة ٣٨٣ هـ رسالته بقوله . ولقد سلكَ الأَميرُ مِنَ الكَرَمِ طرِيقاً يَستوْحشُ فيها لقلّة سالكها ، ويتيهُ فى قفارها لدرُوس آثارها وانهدامِ منازلها ، أعانه الله على صعوبة الطريق وفلّة الرّفيق وَألهمَهُ صبرًا يُهوِّنُ عليه احتمالَ المغَارمِ ويقرّبُ عليه مسافة المكارمِ

فبالصّبر تنالُ العُلاَ : وعند الصّباح يحْمَدُ القومُ السُّرَى

ومن أمثلته فى الشّعر قولُ ابن الوَرْدِى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ

سلامٌ عَليكُمْ مَا أحبّ وِصَالكُم وَغَايَةُ مجْهُودِ المُقِلِّ سَلامُ

تقسيم الانشاء الى فنّى النّظم والنّثر

اعلم أنّ لسانَ العرب وكلامهم يدُور على فنّين . فنّ الشعر المنظوم وهو الكلام المقفّى الموزون بأوزان مخصُوصةٍ . وفنّ النّثر وهو الكلام الغير الموزون فأمّا الشعرُ فمنهُ المدحُ والهجاءُ والرّثاءُ . وأمّا النّثرُ فمنهُ ما يُؤتى به قِطعاً ويُلتزم فى كل كلمتين منه قافيةٌ واحدةٌ ويسمى سجعاً وهو ثلاثة أقسام القسمُ الأوّلُ أن يكونَ الفصلان مُتساويين لا يزيد أحدُهما على الآخر كقوله تعالى (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) وهو أشرف السّجع منزلةً للاعتدال الذى فيه القسمُ الثانى أن يكون الفصلُ الثانى أطولَ منَ الأوّلِ لا طولاً يخرُج به عن الاعتدال خروجاً كثيراً فانه يقبُح عند ذلك ويُستكرَه ويُعدّ عيباً فمما جاء من ذلك قولهُ تعالى (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً [1]) فالفصلُ الأوّلُ ثمان لفظات والثانى والثالث تسعُ تسع : ويُستثنى من هذا القسم ما كان من السّجع على ثلاث فقرات فان الفقرتين الأولَيين تُحسبان فى عِدّةٍ واحدة ثم تأتى الثالثةُ فينبغى أن تكون طويلةً طُولاً يزيدُ عليهما وقد تكونُ الثلاثُ متساوياتٍ كقوله (فِى سِدْرٍ [2] مَخْضُودٍ [3] وَطَلْحٍ [4] مَنْضُودٍ [5] وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) القسمُ الثالثُ أن يكونَ الفصلُ الآخرُ أقصرَ منَ الأوّلِ وهو عيبٌ فاحشٌ [6] وأمّا النّثر المرسلُ فهو

---

(١) ويلا (٢) شجر معروف (٣) مقطوع شوكه (٤) الموز (٥) متراكم بعضه فوق بعض (٦) للسجع أربعة شروط اختيار المفردات الفصيحة واختيار التأليف الفصيح وكون اللفظ تابعا للمعنى لا عكسه وكون كل واحدة من الفقرتين أو الفقر دالة على معنى لئلا يصبح الكلام تطويلا معيبا

ما يؤتى به قطعاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها وهو الذى يطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يقطع أجزاء بل يرسل ارسالا من غير تقييد بقافيه ولا غيرها

(انتهى من المثل السائر باختصار)

﴿ كيفيه عمل الشعر ﴾

يعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً

أولها الحفظ (١) من جنسه (أى من جنس شعر العرب) حتى تمشأ فى النفس ملكة يتسج على منوالها : ويتخير المحفوظ من الحر النقى الكثير الأسالب وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفى فيه سعر شاعر من فحول الاسلام مثل ابن أبى ربيعة وكثير وذى الرمه وجرير وأبى نواس وأبى تمام والبحترى والشريف الرضى وأبى فراس وأكثره شعر « كتاب الأغانى » لأنه جمع شعر أهل الطبقه الاسلاميه كله والمختار من شعر الجاهلية

ثم لا بد له من الخلوة واستحادة المكان المنظوم فيه باستمانه على مثل المياه والأزهار وكذا استحادة المسموع لاستدرة الفريحة باستماعها وتنشطها بملاذ السرور . ثم مع هذا كله فشرطه أن يكون على جماع (٢) ونشاط فذلك أجمع له وأبسط للفريحة أن تأتى بمثل ذلك المنوال الذى فى حفظه . قالوا وخير الأوقات

---

(١) ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر رديء ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه او عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم وبالاكثار منه تستحكم الملكة وترسخ ورعا يقال ان من شروطه نسيان ذلك المحفوظ لمحى رسومه الخرقية الظاهرة اذ هى صادرة عن استعمالها بعينها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب فيها كانه منوال يأخذ فى النسج عليه بمثالها من كلمات أخرى ضرورة (٢) الراحة

لذلك أوقاتُ البُكَرِ [١] عند الهبُوب من النوْم وفراغ المَعدَة ونشاطِ الفكر وربما يكونُ من بَواعثه العشقُ والانتشاء : فلو فان استصعب عليه بعد هذا كلّه فليتركهُ الى وقتٍ آخرَ ولاَ يُكرهْ نَفسهُ عليهِ : وليكن بناءُ البيت على القافيةِ من أوّل صوغه ونسجه يَصَعُها ويبنى الكلام عليها إلى آخره لانه انْ غفلَ عن بناء البيت على القافيه صَعُبَ عليه وضعُها فى محلّها فربما تجىء نافرة قلقلة واذا سَمَحَ الخاطرُ بالبيتِ ولم يناسب الذى عنده فليتركهُ الى موضعه الالْيق به فان كلّ بيتٍ مُستقلٌ بنفسه ولم تبقَ الاّ المُناسبةُ فليتخيَّر فيها كما يشاء وليُراجعْ شعره بعدَ الخلاَص منهُ بالتّنقيح [٢] والنّقدِ ولا يَضنّ [٣] به على التّرْكِ إذَا لَم يبلغ الاجادة فانّ الانسان مفتونٌ بشعرِه اذ هو بناتُ فكره واختراعُ قَريحتهْ ولا يستعملُ فيه من الكلام الاّ الأفصحَ منَ التّراكيبِ والخالصَ من الضّرُورات اللّسانيّةِ فليَهْجرْها فانها تنزلُ بالكلام عن طبقةِ البلاغة ، وقد حظَّرَ أئمةُ اللسان على المولّد [٤] ارتكابَ الضّرُورَة اذ هو فى سَعة منها بالعدُول عنها الى الطريقة المُثلى من الملكة ويجتنبُ أيضاً المُعقّد منَ التّراكيب جهدَهُ بحيثُ تكون ألفاظهُ على طبقِ معانيه ومعانيه تسابقُ ألفاظَهُ إلى الفهم ويجتنب أيضاً الحوشيّ من الألفاظ والمقعّرَ وكذلك السّوقيّ المبتذلَ فانهُ ينزلُ بالكلام عن طبقة البلاغة أيضاً فيصيرُ مُبتذلاً ويقربُ من عدم الأفادة وفى هذا القدْرِ كفايةٌ لمُتعاطى صناعةَ الأنشاءِ (عن ابن خلدون باختصار)

---

(١) جمع بكرة الصباح وزن غرفة وغرف (٢) بالتهذيب (٣) بفتح الضاد وكسرها لا يبخل (٤) هو من وجد بعد اختلاط العجم بالعرب كالعباس بن الاحنف ومن بعده

﴿ فنون الانشاء ﴾

فُنون الانشاء سبعةٌ وهى المكاتباتُ • والمناظرَاتُ • وَالامْثالُ وَالأَوْصافُ • وَالمقاماتُ • والرّوَاياتُ • وَالتاريخُ

﴿ الفن الاول فى المكاتبات والمراسلات ﴾

المكاتبةُ وتُعرفُ أيضاً بالمرَاسلةِ هى مخاطبةُ الغائبِ بلسان القلم وفائدتها أوْسع من أن تُحْصر من حيث انها تُرْجُمانُ الجنان ونائبُ الغائب فى قضاء أوْطاره [١] ورِباطُ الوداد مع تباعد البلاد ، وطريقة المكاتبة هى طريقةُ المخاطبة البليغة مع مُراعاة أحوال الكاتب والمكتوب اليه والنّسبة بينهما [٢] وخواصُّها خمسٌ ، السذاجة ، والجلاءُ ، والايجازُ ، وَالملاءَمةُ ، والطّلاوَةُ [٣] فالسّذَاجة تجعلُ الكلامَ فِطرِيًّا سليماً مِن شوَائبِ التكلُّفِ مُنزَّهاً عن زُخرف [٤] القول بعيداً عن بهرَجة [٥] الكلام والجلاء هو العدُولُ عن الكلام المغلَق والتّشابيه المُستبعدة والتّراكيبِ الملتبسةِ إلى الكلام المُهذّب الصَّريح . والايجاز تنقيحُ الرسالةِ من حشو الكلام وتطويل الحَمل فيبرزُها وَافيةَ الدلالة على المقصود مقتصرةً على

---

(١) الحاجات (٢) قال ابراهيم بن محمد الشيبانى : اذا احتجت الى مخاطبة أعيان الناس أو أوساطهم أو سوقتهم فخاطب كلا على قدر أبهته وجلالته وعلو مكانته وانتباهه وفطنته: ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك ان ترعاها فى مراسلتك : فلا يكتب لمن أصيب فى ماله أو فى عياله كما يكتب لمن فرغ باله ووفر ماله : قال آخر : ان بلاغة الرسالة تستفاد من ملاحظة مقامات الكلام وأوقاته ومراعاة أحوال المخاطبين بالنسبة الى المتكلم واعلم ان لكل مقام مقالا (٣) بتثليث الطاء (٤) مزورة (٥) العدول عن الجادة المقصودة

المُحسِّناتِ القَريبة المَنال [١] : والمُلاءَمة تنزِّلُ الألفاظَ والمعانى على قدرِ الكاتب والمكتوب اليه فلا تعطى خسيسَ الناسِ رفيعَ الكلام ولا رفيعَ النَّاس خسيس الكلام على أنها تجعلُ الرِّسالةَ وتعابيرَها مستعديةَ الأَوْضاعِ حَسْنةَ الارْتباط يأخذُ بعضُها بأزمّة بعض . والطلاوةُ تكسو الكلامَ رَوْنقاً وإشْراقاً بجودَة العبارة وسلامةِ المعانى وسلاسةِ الألفاظ [٢] وتجعلهُ بذلك أحسنَ موقعاً عند سامعه

﴿ أبوبُ الرّسائل ﴾

نقسمُ الرّسائلَ باعتبار موضوعها إلى ثلاثة أقسام . الأوّلُ الرّسائلُ الأهلية والثانى الرّسائلُ المتداولةُ والثالثُ الرّسائلُ العلميّة

﴿ الكلامُ على الرّسائل الاهليّة ﴾

الرّسائلُ الأهليةُ وتعرفُ برسائل الأسواق هى ما دارَت بين الأقارب والأصدقاءِ وأسفرَت [٣] عن مكنون [٤] الوداد وسرائر الفؤاد ولا حرجَ على الكاتب إذا بسطَ فيها الكلامَ على أحوالهِ وأحنى السُّؤالَ فى أحوال أصحابه وتتقيَّدُ هذه الرّسائلُ بأن يُطلقَ الكاتبُ فيها العِنان للأقلام ويتحافى عن الكلفة ويعدلَ عن الانقباض : وقد قيل . الأُنسُ يُذْهبُ المهابةَ والانقباضُ يضيّع المودَّة . هذا : ولا بُدّ من مراعاة مُقتضَى الحال والاعتصامِ بركْنِ الفطنة أخذاً بقول أبى الأسود الدُّؤلى

(١) ولا يعد مناقضاً للايجاز ما يستدعيه المقام من البسط فى الموضوع اما تعزيزا للمعنى واما حذراً من الابهام أو دلالة على عواطف القلب أو رغبة فى تفكيه الخواطر قال الاقدمون خير الكلام ما قل ودل ولم يمل (٢) سهولتها (٣) كشفت (٤) مستور

لا تُرْسِلَنَّ رِسالةً مَسْهورَةً لاَ تَسْطِيعُ إذا مَصَتْ إدراكها

وَإلى هذا الباب ترجع مكاتبات الاشواق وَالتعارُف فصل اللقاء والهدايا وَالاستعطاف وَالاعتذار وغير ذلك ولنذكر سدرانٍ من أقوال الكتّاب (١)

﴿ الفصل الاوّل فى الشّوق ﴾

« كتب أبو منصور الثعالبي — المتوفّى سنه ٤٢٩ هـ »

سوق ايلكَ رهينُ قلبي وقرين صَدْري وَالزّعم (٢) بتعليف فكري وَتعريف صبري . سَميرُ ذكري وَنديمُ فكري رادي فى سفري . وعتادي (٣) فى حضري لاَ يستقلّ به صدري وَلا يقوى عليه صبري يكادُ يكون زاماً ويعدُّ غراماً لا يُرْحى مقيمهُ ولا يُصرف غريمه أستحفّ نفسي وأستفزّها وحرّك جوانحي وهزّها سوق أخذ بسمع خاطري وبصره وحال بين مَوْرد (٤) قلبه ومَصدره (٥) سوق قد استنفد حَلدي (٦) وَملكَ حَلَدي (٧) سوق برّاني برّى الخلال (٨) ومحفني محق الهلال سوق تركني حرضا (٩) وأوسعني مضضا (١٠) أراني الصّبرَ حسْرة والوَجد غمه ويسرة سوق يريدُ على الإباء (١١) توفداً أوْ تأججاً وبصرمًا وتوهّجاً نار الشّوق حسو صلوعي وماء الصبابة ملء جفوني أنا من لواعج الشّوق بين غمائم لا تمطر لا صواعق وسمائم (١٢) قد قدحتْ فى كبدي من الحُرقة بهده الفرقة ما يفوت

---

(١) قد أفردنا للرسائل الاهلية كتاباً خاصاً أسميناه (انشاء المكاتبات العصرية والمراسلات العربية) وطبعناه سنة ١٣٣٨ هـ فارجع اليه اذا شئت ولهذا نختصر فى هذا الكتاب أبواب الرسائل وندكر ما تمس اليه الحاجة فقط (٢) الرئيس (٣) ما أعددته لحوادث الدهر (٤) موضع الورود (٥) الرجوع (٦) القوة (٧) القلب (٨) الضعف (٩) مريضا (١٠) وجعا (١١) بضم الهمزة وكسرها الدخان (١٢) الرياح الحارة

أيسرُه حدَّ الشكايةِ ويجوز أضعفُه كُنْه الكِناية . شوقُ الرّوض الماحل [١] الى الغيث الهاطل

﴿ وكتب فى تنبيه الشوق ﴾

مَا الأعرابية حنَّتْ الى نجد وأنّتْ من وَجد بأشدَّ منّى كَلفاً [٢] وَأتمَّ منى شغفاً . أنا فى شِدّة الشَّوق اليك كالعَطشان كُشِفَ له عنْ ماءٍ عَذب ومُنع منه بمانع صَعْب شوق لو أُلقىَ على الكواكب بعضُه لما سَارت أو كلِّفت الأفلاكُ ثقلهُ لما دارتْ شوق لو فُرّق على القلوب الخالية لاشتغلتْ ولو قُسِّم على الاكباد الباردة لاشعلتْ أنا أتستافُك مع كلّ صباحٍ طالع وضياءٍ شَارق ونَحم طَارق [٣]

﴿ وكتب فى أثر الفراق ﴾

وَجدٌ يتكرّر على كرِّ الجديدين [٤] ويستغرقُ ساعاتِ الملوَين [٥] قدتحمَّلت مع يسير الفُرْقةِ عَظيم الحرْقة ومع قليل البُعد كثير الوَجد قداً تنيتْ بجسم نَاحل وصِرْتُ من صبْرى على مرَاحلْ فارقْتنى فأرَّقْتنى [٦] وفرَّقتَ جميعَ صبْرى وأستصحبتَ فريقاً من قلبي فرفَّت به بين عينى وَالرُّقاد [٧] وجنبى والمهاد [٨] مَا أُعوِّلُ الا على العَويل [٩] لو كان يُغنى ولا أستنصِرُ غير الوَجد لو كان يُجدى [١٠] يَدى لا تُساعدُنى وخَطّى لا يُشبهُ فى الدّقّة الا بدَنى لولاَ حصَانةُ [١١] الأجلِ لخرجتْ رُوحى على عجل فارقْتنى فتفرَّقَ عنّى شَملُ أنس مُنتظم وتمكّن منّى بَرَحُ شوق مُضطرِم فارَقْتنى ففَرّقتَ بين الرُّوح والبدَن وتركتنى والنّزَاعَ فى

(١) المجدب (٢) كلفاً مصدر كلف من باب فرح التغيير (٣) الآتى ليلا (٤) الليل والنهار (٥) الليل والنهار أيضاً (٦) أسهرتنى (٧) النوم (٨) مكان النوم (٩) رفع الصوت بالبكاء (١٠) ينفع (١١) حفظ

قَرِنٍ (١) قد صِرتُ حليف وَحشة وان كنتُ ثاوِياً (٢) فى وَطنْ وقرينَ كُرْبة وان كنتُ بين جيرةٍ وسكَن

عسى الدَّهرُ يُدنينا ويدنى دِيارَكمو وَيجمعُ ما بينى وبينكمو النَّملا
فأشكو تباريحَ الغرام اليكمو وَحرَّ جوًى تُبلى عِظامى وما يُبلى

« وكتب البسطامى المتوفى سنة ٣٣٢ هـ »

قَلبى بنار الهوَى مُعذّبْ شوْقاً الى حضرةِ المُهذّبْ
شوقاً الى ماجدٍ كريمٍ يَخْطرُ لى ذكرُهُ فأطرَبْ

وبعدُ فالعبدُ ينهى من لواقح (٣) شوْقه ولوَافح (٤) توْقه (٥) الى شهود ذاتكم الجميلة ومُشاهدة صِفاتكم الجليلة لينشقَ عرْفكم (٦) الفائح وبَخورَ عُرفكم (٧) الفاتح مدّ الله سبحانهُ وتعالى ظلّكم وأدرَّ وَبلكم (٨) وطلّكم (٩)

أُحبُّ الوَعدَ منكَ وإن تمادى وأقنعُ بالخيال إذا ألمَّا
عسَى الأيامُ تسمَحُ لى بوَصلٍ ونأخذُ لى منَ الهجرَان سِلْمَا

والجنابُ منذْ طوى عنَّا أبوابَ مُلاقاته . وزَوى منّا أطايبَ أوقاته قبض العبدُ عنان مَقاله وخفضَ لسانَ حاله

شَكوتُ وما الشّكوى بمثلى عادةٌ ولكن تفيضُ العينُ عندامتلائها

فجلسَ الفِراقُ بعظيم حجابه . وأليم عذابه على ذُرْوَة (١٠) عرشه . واقترس بقوَّة بطشه . وصارَ للسرّ جارَا . وأوْقد للحرْب ناراً جهاراً

طوْعاً لقاضٍ أتى فى حُكمه عجَبا أفْتى بِسفْكِ دَمى فى الحِلّ والحرَم

(١) قرن مصدر قرن من باب فرح التقى (٢) مُقيما (٣) الرياح (٤) الرياح الحارة (٥) الشوق (٦) الريح الطيبة (٧) نبت يقال له الثمام طيب الرائحة (٨) المطر الكثير (٩) الندي (١٠) بضم الذال وكسرها أعلاه

وهذه حالته المفصح عنها مقالته

إنَّ الامورَ إذا التوتْ وتعقدتْ جاء القضاء من الكريم فحلَّها
فلعلَّ يسراً بعدَ عسرٍ علّها ولعلّ مَنْ عقدَ العقودَ يحلُّها
فلعلَّ غروسَ التمنّي قد أثمرنْ . وليالي الحظِّ قد أقمرتْ
سألتُ أحبّتي ما كان ذنبي أحابوني وأحسنائي تذوبُ
إذا كان المُحبُ فليلَ حظٍّ فما حسناتُهُ إلاَّ ذنوبْ

ورعى اللهُ أنّاماً لاحتْ (١) فيها أقمارٌ (٢) غرورها . وفاحتْ فيها أطرازُ طرورها من بهاءِ سمائها على منار ضيائها من ذات حلالها وصفات دلالها في حنّات عواطفها ، وجنات تعاطفها

فإن كنتُ لا أطرقْ (٣) رحبَ (٤) فنائكم (٥) فقد أطرقُ بابَ ثنائكم
لئن عيّبتني عن ذراك حوادثْ فليس ثنائي عن فنائك بغائبِ

« وكتب عبدُ الرحمن محمد بن طاهر المتوفى سنة ٤٣١ هـ »

كتبت أعزّك الله عن ضمير اندمجَ (٦) على سرّ اعتقادك درّه وتلجَ (٧) في أفق ودادك بدرُه . وسالَ على صفحات نسائك مسكهُ . وصار في راحتي سنائك (٨) ملكهُ . ولما ظهرتْ بعلاك حمّلته من تحيّتي زهراً جنياً . يوافيك عرفهُ ذكيّاً ويواليك أنسهُ نجيّاً (٩) ويفضي من حفلك فرصاً مأنيّاً (١٠) . على أنّ شخصَ جلالك لي ماثلٌ (١١) وبين ضلوعي نازلٌ . لا يملّه خاطر . ولا يمسّه عرضٌ دائر (١٢) إن شاءَ الله عزّ وجلّ

---

(١) ظهرت (٢) مراده ما تخرجه الاعصار من النور (٣) آتي ليلا (٤) المتسع (٥) بكسر الفاء متسع البيت (٦) حوى واستتر (٧) أضاء (٨) رفعتك (٩) مناجيا (١٠) آتيا (١١) متمثل (١٢) هالك

(وكتب أبو الفضل بن العميد المتوفّى سنة ٣٦٠ هـ)

قد قَرُبَ أيدك الله محلكَ على تراخيه وتصاقبَ مستقرّكَ على تنائيه لأنّ الشوقَ يمثّلك . والذكرَ يخيّلك . فنحنُ في الظاهر على افتراق . وفي الباطن على تلاق . وفي النسبة متباينون وفي المعنى متواصلون : ولئن تفارقتِ الأشباحُ لقد تعانقتِ الأرواحُ

(وكتب بديع الزمان الهمذاني المتوفّى سنة ٣٩٨ هـ)

يعزُّ عليَّ أطال الله بقاءَ مولاي . أن تنوبَ في خدمته قلمي عن قدمي ، ويسعدَ برؤيته رسولي دون وصولي ويردَ مشرعةَ الأنس به كتابي فصل ركابي ولكنْ ما الحيلة والعوائق جمّة

(وعليَّ أنْ أسعى وليس عليَّ ادراك النجاح)

وقد حضرتُ داره وقبّلتُ جداره ، وما بي حبُّ الحيطان ، ولكن شغفاً بالقُطّان ولا عشقُ الجدران ، ولكن شوقاً إلى السكان

أمرُّ على الديار ديار سلمى ... اقبّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا

وما حبُّ الديار شغفنَ قلبي ... ولكن حبُّ من سكنَ الديارا

وحينَ عدتْ العوادي عنهُ أمليتُ صمير الشوق على لسانِ القلم معتذراً الى مولاي على الحقيقة عن تقصيرٍ وقع ، وفتورٍ في الخدمة عرَضَ ، ولكني أقولُ

إن يكن تركي لقصدكَ ذنباً ... فكفى أن لا أراكَ عقاباً

(وكتب أبو محمد عبد الله البطليوسيّ المتوفى سنة ٥٢١ هـ)

ياسيدي الأعلى وعمادي الأسنى وحسنةَ الدهر الحسنى الذي جلّ قدرهُ وسار مسيرَ الشمس ذكرُه ومَنْ أطالَ اللهُ بقاءَه لفضلٍ يُعلي منارَه وعلمٍ يحيي

آثاره : نحنُ أعزّك الله نَنْدَانَى إخلاصاً وان تناءَينا أشخاصاً ويَجمعنا الأَدبُ وان فرّقنا النّسب فالأَشكالُ أقاربُ والآدابُ مناسِب وليس يَضرّ تنائى الاشباح إذا تقارَبتِ الأَرْواح

نسيبيَ فى رَأيى وعلمى ومذْهبى وان باعدَتْنا فى الاصُول المناسبُ

(وكتب بديع الزّمان الهمذَانى المتوفّى سنة ٣٩٨ هـ)

أرانى أذكرُ « مولاى » اذا طلَعت الشّمس أو هبّت الرّيح أو نجمَ النّجم أو لمع البرقُ أو عرَضَ الغيثُ أو ذُكرَ اللّيثُ أو ضحكَ الرَّوضُ وأنّى [١] للشّمسِ مُحياه [٢] وللرّيح رياه [٣] وللنجم حُلاه وعُلاه وللبرق سَناؤُه [٤] وسَناه [٥] وللغيث نِدَاه [٦] ونَدَاه [٧] وفى كلّ صالحةٍ ذكرَاه وفى كلّ حادثة أرَاه فمتى أنساه واشدّة شوقاه : عسَى الله أن يجمعنى وإيّاه

(وكتب الشيخ ابراهيم اليازجى المتوفّى سنة ١٩٠٦ م)

مازلتُ أُدافعُ النفسَ عمّا تقاضانى من تشكّى أشواقها وفى الشّكوَى شِفاء واستنزال أثرٍ من لدُنك تتعلّلُ به مَسافةُ البينِ [٨] إلى أن يمُنّ الله باللّقاء ومن دون اجابتها مشادِهُ [٩] قد سَغلت الذّرع [١٠] وشَواغلُ قد أفرِغَ من دونها الوُسعُ الى أن غلبَ جَيش الوَجد على معاقل الصّبر وَزاحمَ مناكب العدْوَاء حتى ضرَب أطنابَه [١١] بين الحجَاب [١٢] والصّدر فاتخذتُ هذه الرُّقعة أُزجيها [١٣] اليك وفيها من وِقر [١٤] الشّوق ما ينوءُ [١٥] برسولها ومن رِقّة الصّبابة ما يكاد

---

(١) أي من أين (٢) وجهه (٣) ريحة طيبة (٤) الرفعة (٤) بالقصر الضوء (٦) بضم النون وكسرها اشهر الصوت (٧) العطاء (٨) البعد (٩) مشاغل (١٠) بسط اليد (١١) الحبل يشد به سرادق البيت (١٢) لحمة رقيقة بين الجنبين (١٣) ارفعها (١٤) بكسر الواو الحمل الثقيل (١٥) يثقل به

يطيرُ بها : أو يخلفُها فيُصافحُ الأعتابَ قبل وصولها : راجياً لها أن تُتلقَّى بما عُهدَ فى سيدى من الطَّلاقة والبِشْر وأن لا يَصنّ [١] عليها بما عوّدنى من تمهيد العذْر ويَصِلُنى من بعدها بأنبائه [٢] الطَّيمة عائدة عنه بما يكون للنَّاظر فرّة وللخاطِر مَسرّة ان شاء الله تعالى بمنّه وكرمه

(وكتب أيضاً)

وافانى كتابُك العزيزُ فأهلاً بأكرم رسول جاءَ ببينات الإخلاص والوفاء مُصدّقاً لما بين يديه من ذِمّة الوداد والإخاء . يتلو علىَّ من حديث الشوق ما شهدَ بصحّته سُقمى وهتفَ مؤذِّنه فى كل مَفْصِل من جسمى وبذكرنى من عهدك ما طالما أذكَرنيه البرْقُ إذا لمعَ والبدرُ اذا طلعَ والقُمرِىُّ [٣] اذا سجعَ . وانما عدانى عنك ما أنا فيه من مُجاذبة الشَّواغل ومُساورَة [٤] البلابل [٥]

وفى القلب مافى القلب من سَحَر الهوى نبدّلت الحالاتُ وهو مُقيمُ

وأنا على مابى من غلّ البنان [٦] وشُغل الجنان [٧] ما زالت أنباؤُك [٨] عندى لا يُخطِئُنى بريدُها ولا ينقطع عنّى وُرُودها أهنئُ النَّفسَ منها بما تتمنَّى لك من سلامة لا يَرثّ [٩] لها شِعارٌ واقبال لا يعترضهُ باذن الله إدبارٌ

وقصارى المأمول فى كرمك أن تُعاملَنى بما سبق لك من جَميل الصِّلة الى أن يمُنّ الله بالاجتماع ويُغنى بالعيان عن السّماع ـ وَمَا ذَلكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيز

(وكتب أبو العباس الغسّانى المتوفَّى سنة ٤٩٨ هـ)

سِرْ إلى مجلسٍ يكادُ يسيرُ شوقاً اليك • ويَطيرُ بأجنحةٍ منْ جَوَاهُ حتى

---

(١) أى لا يبخل (٢) اخباره (٣) طير من جنس الحمام يقال للانثى قمرية وللذكر ساق احمر (٤) الموثبة (٥) الاحزان (٦) الاصابع (٧) القلب (٨) أخبارك (٩) لا يبلى

يحلّ بينَ بدبكَ فلله درُّ (١) كماله انْ طلعتَ بدراً تعاله . وجماله إنْ طهرت غرّة بمحياه • فهو أفقٌ قد حوى نجوماً تتشوّق الى طلوع بدرها وبطرٌ قد اسمل على أنهارٍ تتشوّقُ الى بحرها لتسمد منها إنْ مننتَ بالحضور والاّ فياخيبةَ السّرور

(وكتب الصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ ﻫ)

مجلسنا يا سيدى مفتقرٌ البكَ معوّلٌ فى سوقه عليك ولقدْ توردتْ خدود بنفسجه وفتقت فارة (٢) نارنجه (٣) وانطلقت ألسنُ الأوتار وقامت خطباء الأطيار وهبّتْ رياحُ الأفداح ونفقتْ (٤) سوق الأنس والافراح وقد أبنْ راحتُهُ أن تصفوَ إلاّ أن تتناولها بمناك وأسمع غناؤه لا يطيبَ حتى تعيه أذناك ووجنات أترجّه قد احمرّت خجلاً لا بطائك وعيون نرجسه قد حدّمتْ (٥) تأميلاً للقائك ونحنْ لغيبتك كعقدٍ ذهمتْ واسطته (٦) ونسابٍ قد أخذتْ حدّته (٧) وادا غابت شمسُ السّماء عنّا فلا أن تدنوَ شمسُ الأرض منّا. فان رأيتَ أن تحضرَ لتتّصل الواسطة بالعقدِ ونحصلَ لك فى حنّة الخلد . فكن الينا أسرعَ من السّهم فى ممرّه والماء إلى مفرّه لئلاّ يحنّ منْ يومى ما طابَ ويعودَ من نومى ما طار

(وكتب أبو بكر الخوارزمى المتوفّى سنة ٣٨٣ ﻫ)

كتابى وأنا بما يبلغنى من صالح أخبار (السيد) مغتبطٌ مسرور وبما يعرفه الزمانُ وأهله من اعتضادى (٨) به مصون موفور والله على الأولى محمودٌ وعلى الأخرى مشكور ، التطفلُ وان كانَ محظوراً فى غير مواطنه فانه مباحٌ فى أماكنه

---

(١) كلمة تعجب (٢) فأرة المسك (٣) ثمر معرب باربك (٤) راجت (٥) تاقت (٦) الجوهرة التى فى وسطه وهى أجوده (٧) الطريقة (٨) استعانتى

وهو وان كان فى بعض الأحوال يَجمعُ عاراً ووزْراً فانه فى بعضها يجمعُ فخراً وذُخراً ورُبَّ فعلٍ يُصابُ بهِ وَقتهُ فيكونُ سُنَّةً وهو فى غير وقته بدعةٌ وقد تطفّلت على « السيد » بهذه الأحرُف أخطبُ بها مودّته اليه واعرضُ فيها مودّتى عليه وأسأله أنْ يرسم لى فى لسانى وَقلْبي رَسْماً ويختمَ عليهما ختْماً فقد جعلتُهما باسمه وَقصرْتهما على حُكمه، وسأضعهُما تحت خَتْمه وبرئت اليه منهما وصِرْتُ وكيله فيهما فَهُما على غيرهِ حمًى [١] لا يُقرَب، وبُحيرةٌ [٢] لا تُحلَبُ ولا تُركب ولمَّا نظرتُ الى آثار السيد على الأحرار ونُشرَتْ طِرَازُ محاسنه من أيدى القاصدين وَالزُّوّار، ورأيتُ نفسى غُفْلاً [٣] من سِمَة [٤] مودّته وَعُطْلاً [٥] من جمالِ عشرَته حمَيْتُها من أنْ يحْمى عليها وِرْدٌ موْرُود ويُحسَرَ [٦] عنها ظلٌّ على الجميع ممدود وعجبتُ من

سَحابٌ خطَانى جُوْدُهُ [٧] وهو صَيِّبٌ [٨] وبحرٌ عَدانى سَيلهُ وهوَ مُفْعَمُ [٩]
وبدْرٌ أضاءَ الأَرْض شرْقاً ومغرباً وموْضعُ رجْلى منهُ أسوَدُ مُظلم

«وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٥ هـ»

مولاىَ : أمَّا الشَّوْق إلى رؤيتك فشديدٌ . وسَلْ فؤادك عن صديق حَميم [١٠] وَودّ صميم [١١] وخلّةٍ لا يريدُها تعاقُبُ المَلَوَين [١٢] وتألق [١٣] النيّرين [١٤] إلاَّ وُثُوقاً فى العُرَى وإحكاماً فى البناءِ ونماءً فى الغِرَاس وتشييداً فى الدعائم [١٥] ولا يظُنن سيدى أن عدمَ أزدياري [١٦] ساحتهُ الشريفةَ واجتلائى طلعتهُ

(١) محظور (٢) الشاة التى اذا نتجت عشرة ابطن شقوا اذنها فكانت حراماً عليهم لحمها ولبنها وركوبها (٣) من لا علامة عليه (٤) العلامة (٥) من لا حلى عليها (٦) يكشف (٧) المطر الشديد (٨) ذو المطر (٩) الممتلئ (١٠) القريب الذى يهتم لامره (١١) الخالص (١٢) الليل والنهار (١٣) اللمعان (١٤) الشمس والقمر (١٥) الاركان (١٦) زيارتى

المُنيفةَ لتقاعس [١] أو تقصير فانّ لى فى ذلك معذرةَ اقتضت التأخيرَ والسيد أطال الله بقاءه أجدرُ [٢] مَن قَبِلَ معذِرةَ صديقه وأغضى عن رَيبٍ [٣] استدعته الضرُورةُ ... وبعدُ فرجائى من مقامكم السّامى أن لا تكونَ معذرَتى هذه عائقاً لكم عن زيارتى فلَكَمْ مِنّاً طوّقْتمُونها ولكم فيها فصلُ ابتداءة وعلىّ دوامُ الشّكران والسّلام

« وكتب المرحوم محمد بك دياب المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ »

كتابى اليك : وقد طَال بىَ الأنتظَار ، وشوْقِى يجلّ عن الكيف والانحصار فشخصُكَ دائمُ المُثول [٤] أمام إنسانى [٥] وعن سِوَاك من الأخلاّء ألهانى وأنسانى فلله أيّامٌ قضيناها وليالٍ من الدّهر اختلسناها [٦] كان السرُورُ فيها ضارباً خيامَه والأُنسُ ناشراً أعلامَه ، طُوىَ بساطها وكأنّ الأمرَ ما كانَ غيرَ أنها رَرَعَتْ بفؤادى شجرةَ الأشجان [٧] لكنّ عودَها حليفُ أوْبتك [٨] وتجدُّدها رَهينُ إشارتك فمتى يقرُبُ المَزارُ وتنحلى سُحبُ الأكْدار فاضربْ لعَوْدكَ أحلاً فالعَوْدُ لاشكّ أحمدُ ، واكتبْ بقُرْبك وصلاً فالوَصلُ أضمنُ للعهد وعهدى من خُلقك الوَفاءُ وحُسنُ الوَلاءِ فلا تجعل صَفْقةَ [٩] شوقى إليك خسراً بل هَنِى بعد العسر يسراً)

« وكتب وفا افندى محمد المتوفى سنة ١٣١٩ هـ »

أمّا بعدَ سلامى عليك فهذا كتابى اليكَ ينبئك [١٠] عنّى وعن شوْقى وعن وُدّى [١١] ولا أزيدك علماً أنّى ما كتبتُه من دَواة ، ولا أجريتُ عليه

(١) التأخير (٢) احق (٣) البطء (٤) القيام منتصبا (٥) انسان عينى وهو ما يرى فى السواد (٦) انتهزنا فرصتها (٧) الأحزان (٨) رجوعك (٩) أصلها العقد البيع (١٠) يخبرك (١١) بتثليث فائه

قلماً ، ولكنها دموعٌ وشوقٌ سالتْ على القرطاس ، وجرتْ على حركات الخواطر والانفاس ، وهبّتْ عليه حرارةُ كبدى بالأشواقِ ووحدى بالفراق : فبينما هى عقيقةٌ حمراءُ إذْ صارتْ فحمةً سوداءَ : ألا وإنّ كتابى هوَ قلبى ولسانى ، أما ترَاهُ على رِقّتِه ولُطفِ عبارته وصدْق طويّته بين يديك مُقبلاً عليكَ ، يَنْشرُهُ الشوقُ ويطويه لا يُخفى أمراً ولا يَكْتُمُ عنك سرّاً ، وتلك صفاتُ لسانى وقلبى معك : فما الذى أبتغيه بعدُ ، وقد بعثتُ إليك بالاصغرين [1] وما أنا إلاّ بهذين نعم أرجو بقاك ممتّعاً بنعماك لأكونَ على الدّوام محلَّ نظرك والسلام

« وكتب مؤلف هذا الكتاب »

كتابى لديك يَصفُ سوْقى اليك ولا يَخفى عليك ، فمُدْ ورَفْنى فرّقت بينَ أنسى ونفسى ، بلْ بينَ رُوحى وجسمى . ولا تعجَب إذا كنتُ أغدو وأروح فالطيرُ يَمشى منَ الالَم وهوَ مذبوح . وانّى أشكو اليكَ منْ ألم الوحشةِ غراماً لا يشعُر به إلاّ من ذاقَ حلْوَ أنسك وعرفَ مِقدارَ نفسكَ وشاهَدَ جمالَ لُطفِك ورأى كمالَ أدبك وظَرْفكَ ، ولقدْ أوْدع الله فى شخصك نوراً لعينى ، وفى حديثك سُروراً لفؤادى ، وفى صفاتك ترْويحاً لرُوحى ، وفى كرَمِ خُلقِكَ تفريحاً لنفسى

إذا وَصفَ النّاسُ أشْوَاقَهُمْ فَشَوْقِى لوجهكَ لاَ يُوصَفُ

فعندى لك منَ المحبّةِ والشّوْق والتّلهُّفِ والتّوْق مالاَ يَصفُه الواصفون ولا يُعبّر عن حقيقتِه العارفُون

الشّوْق فَوْقَ الّذى أشْكُو إليْكَ وَهلْ تَخفى عَلَيكَ صَبابَتِى وَأشْوَاقِى

(١) القلب واللسان

فيا شوْقِى إلى لُقْياك ، وَوالهفى على جَمال مُحيَّاك ، قيَّدْتَ أملى عَن سِوَاك وبهرْت ناظرى بنظرَة سَناك ، وكسرْتَ جيش قرَارى ، وتركْتنى لاَ أُفَرِّقُ بَينَ ليـلِى ونهـارِى

فؤادى والهوَى سِلْمٌ وحرْبُ وسُلْوَانى أقامَ على الحِيادَه
وَشوْقى كامِلٌ ما فِيه نَقصٌ فَلسْتُ عليهِ أطْمعُ فى الزِّيادَه

فليتَ شِعرى ماذَا أصنعُ فى شوْقٍ أنا مدفوعٌ إليهِ من صادق حُبّي بعواملَ صادفَتْ منِّى قلباً خالياً فتمكّنت بالتَّعارُف ولم تدَع للسُّلوَانِ سَبيلا

عرفتُ هواهُ قَبلَ أنْ أعْرِفَ الهوى فصادَفَ قلباً خالياً فتمكَّنا

إِى وربِّى إنَّ شوْقى إليك شوْقُ الظَّمآن إلى برْد الشَّراب ، وحنينى لك حنينُ الشَّيخ الى زَمن الشَّباب ، فمـا الأبلُ وقد حنَّتْ إلى أعطانهـا . والغرَباءُ وقد أنَّتْ الى أوْطانها ؟ بأعظمَ منّى حنيناً ولاَ أكثرَ أنينَا

ولـكنَّ التفرُّقَ طال حَتَّى توقَّدَ فى الضُّلُوع لهُ حريقُ

فـكُلَّما تخطرُ ببالى فى أىّ وَقتٍ من الأَوْقات ، يمثّلُ لى التّذكُّرُ منك محاسنَ ولطائفَ تجد بنى مَيلا إليك ، وتُطربنى شَغفاً بك واغتباطاً باخائك ، فلا عجبَ أن كان شوْقى لرُؤيتك عظيما لا نه كما قيل (من كرَم الرّجل حنينهُ إلى أوطانه وشوقه الى إخوانه)

ياخلاَصَ الأسير يا صِحةَّ المُد نِف يا زَوْرَةً على غيرِ وعدِ
يا نَجاةَ الغَريق يا فرْحةَ الأَو بة يا قَفْلةً أتتْ بَعـد بُعـد
إرْضَ عنِّى فَدَتْكَ نفسىَ إنِّى لك عبدٌ أذلُّ مِن كلِّ عبدِ

ناشدْتُكَ اللهَ أن ترفُقَ بحالى وَتُعيدَ وصالى ، وأرْع الودّ القديمَ وأبدلْ شقاءَ محبّك بالنعيم . واغمد سيف ظُلمك المسلولا . وَأوْفِ بالعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كانَ مَسْئُولاَ

(الفصل الثانى فى التعارف قبل اللقاء)

« كتب أبو منصور الثَّعالبيّ النَّيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

نحنُ فى الظَّاهر على افتراق وفى الباطن على تلاق ، نحنُ نتناجَى بالضَّمائر ونتخاطبُ بالسرائر ، إذا حَصَلَ القُرْبُ بالإخلاص لم يضُرَّ البُعدُ بالأشخاص أنا أُناجيكَ بخواطِر قلبى وان كان قد غاب شخصُك عنّى ، انْ أخطأتْكَ يدى بالمكاتبة ناجاكَ سرّى بالمواصلة ، رُبَّ غائبٍ بشخصه حاضرٌ بخلوصِ نفسهِ إن تراخى اللِّقاء فاننّا نتلاقى على البعاد . ونتلاقى [1] نظر العين بالفؤاد

(وكتب أيضاً)

أنا أشتَاقك كما تُشتاق الجنان وإن لم تتقدَّم لها العينان ، أنا وإن كنت مِمَّنْ لا يُسعدُ بلقائك فقد اشتَمل علىّ الأنسُ ببقائك ، والشّوق الى محاسنك الّتى سارت أخبارها ولاحت آثارُها لا زَالت الأيّامُ تكشف لى من فصلك ، والأخبار تعرض علىَّ من عقلك ، ما يُشوّقنى إليك ، وإن لم أرَك ، ويزيدنى رغبةً فى ودّك وقد سمعتُ خبرَك

(وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٥ هـ)

كما أنَّ شَغَفَ [2] الجَنانِ [3] بالحُسن والاحسان تكونُ داعيتُهُ المُشاهدةَ وتسريحَ الأنظار فى محيّا الكمال ومُجتلى الجمال فترى العينُ من تلك الغرَّة ما يملؤها قرَّةً فكذلك السماع يَستدعى هذا الشّغفَ فيتأثرُ الفؤادُ بما يُشنِّفُ [4] الاذُنَ مما تهديه إليه طرَائفُ [5] الأخبار حتَّى كأنّ حاستَى السّمع والبصر

(١) تتدارك (٢) دخول الحب فى غلاف القلب (٣) القلب (٤) يزين (٥) المستملحة

فى ذلك صِنْوَان (١) بل أخوَانِ فى هَيكل هذا الجُثْمانِ (٢) وقد يعلمُ السيدُ أطالَ اللهُ بقاءَه وأدام ارتقاءَه أنَّ ذلكَ الأَمرَ (أى التَّعَفَ بالسّماع) ليس بالحديث العهدِ ولا القريبِ الجدّة (٣) بل هو أمرٌ عُرِفَ قديماً أن يَهدىَ السّماعُ الى سُويداءِ القلب لاعجَ (٤) الحبّ سَعَرَه (٥) من الانباءِ (٦) عَرْفٌ (٧) شميم (٨) قهيمُ (٩) بمجرّد استنشاق ذلك الشّميم (١٠) حتى يقولَ الشّاعرُ العربى (وَالأُذُنُ تَعْشَقُ قَبلَ العَيْنِ أحياناً) أحلْ (١١) والقُدْوَة فى هذَا المعنى والأُسُّ (١٢) لذلك المبنى قولُه صلّى اللهُ عليهِ وَسلَّم (إِنِّى لأَشمُّ نفسَ (١٣) الرّحمن مِن قِبَلِ اليَمَن) لَمَا أملتهُ العناية الرّبّانيّة والمَلكُ الرّوحانى على قلبهِ الشّريف من نبأ (١٤) القرنى (١٥) أُوَيس (١٦) ولم يكن رآهُ بعدُ

ألا وان محاسن السّيد الأَجلّ لمّا سارت بها الرّكبان وأثنى عليها كلّ لسان ما بين أخلاق أبهَى من الرَّوْض النّضير (١٧) وأعرَاق أنْهى من عُذَيب النّمير (١٨) قد احتلّتْ من فؤادى لاَ أقول منزلاً رَحيباً وَلاَ وَادِياً خصيباً بل منزلةَ شمّاء (١٩) وَدارَةَ (٢٠) علْياء وأوْجاً (٢١) بطوالعها السّعيدة يُسعد ويلوح بها من ذِكْرَاه كلّ حين فَرْقد (٢٢) فلم أشبَ (٢٣) أنْ قدّمت كتابى هذَا لمولاى بين يدى اللقاءِ عله أن يسمحَ بهِ الزّمانُ وتُسفر (٢٤) عنهُ اللّيالى وَالأَيّام ليُتاح (٢٥) لى رِىّ

---

(١) ما فرعا النخلة (٢) بالثاء وبالسين الجسم (٣) الحطوة (٤) المتردد (٥) أوقده (٦) الاخبار (٧) الريح الطيبة (٨) مشموم (٩) تذهب (١٠) المرتفع (١١) حرف جواب مثل نعم (١٢) الاصل (١٣) كناية عن الوحى (١٤) الخبر (١٥) نسبة الى قرن قبيلة (١٦) هو سيد التابعين أو يس بن عامر قتل فى وقعة صفين مع على كرم الله وجهه وخبره قوله صلى الله عليه وسلم يأتيكم أويس بن عامر مع اعداد اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء منه الا موضع درهم وله والدة هو بها بار ولو أقسم على الله لابره (١٧) الحسن (١٨) الماء الزاكى (١٩) مرتفعة (٢٠) دارا (٢١) علوا (٢٢) النجم (٢٣) لم ازل (٢٤) تكشف

الفؤاد بما أرْويه من حديث زَيد الخيل الذى سمّاه رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم زيْد الخير وقال لهُ ما وُصفَ لى أحدٌ فرأيتهُ الاّ وجدتهُ دونَ ما وُصف لِى سوَالك وان فيك خَصْلتين يُحبُّهما الله (الحلم والاناءَة) مقتـدياً بالأمام محمود جارِ الله فى تقديم هذا الحديث الشريف على ما أنشدهُ اياّه الشريفُ بن الشّجرىّ أوّل ما لقيَه وكانا قد تحابّا بالسّماع

كانت مُساءَلةُ الرُّكبان تُخبرُنا عن جابر بن رِباحٍ أطيبَ الخبرِ
حتى اجتَمعنَا فلاَوَاللهِ مَاسمِعت آذْنى بأحسنَ مماقد رَأى بَصرِى

(وكتب حفنى بك ناصف المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ)

يعلم الله ما عنْدى من الشّوق إلى لقاء السيّد وإن لم يرَهُ البَصَر، والشوقُ الى شهوده وإن لم يكتحِل بإثْمِدِ [1] محاسنه النّظر، والشّغفُ بسِماع الحديث منه كما سمعتهُ عنه، فقـد سَقَتْ ذِكرى محاسنه إلى السّمع، ووَصل خبرُ لطائفه إلى النّفس * وَما المرءُ إلاّ ذكرهُ وَمآثِرُهُ * وحسدَت العينُ عليـه الأُذُنَ وَودّت لو أنها السابقةُ إلى اجتلاءِ رقائقه وشهود حقائقه

* فللعيْن عشقٌ مثلُ ما يَعشَقُ السّمعُ * لاَ جَرَمَ أن ما تعارَفَ من الأرواح ائتلَف وَما تناكرَ منها كما قيل اختلَف. ونحنُ وإن بَعُدَتْ بيننا الشُّقّةُ [2] وَلم يسْبق لنا باللّقاءِ عهدٌ فُلحْمةُ [3] الأدب تجمعُنا وَوَحـدَةُ الوجهة تضمُّنا وَلُحْمة الأدب أقْوَى منْ لُحْمة النَّسب؛ وجامعهُ الوجهة فوق اجتماع الوُجُوه، وقد رأيتُ أن أزْدَلف [4] إليك بالمكاتبة وَأتوسّل إلى شرَف التّعرُّف بالمُراسلة، حتى إذا لم يبقَ فى الصّبرِ على الافتراق مسكةٌ [5] ولبّي الجسْم دَعوةَ الرُّوح فاندفعَ إلى

(١) كحل بالحجاز (٢) بالضم والكسر الناحيه (٣) قرابته (٤) أتقرب (٥) قوة ولا عقل

طلب الاجتماع ، أكونُ قدْ مهّدْتُ لهُ سبيلا ، وَوطأت [١] لهُ طريقاً ، فلا تبهُرنى [٢] فرحةُ اللُّقيا وَلا يغرّنى [٣] طرَب الظَّفَر « فمَن فرَحِ النّفس ما يقتُل وَمن نشوَةِ [٤] الرّاح [٥] ما يُزْهِقُ الأَرْوَاح » فإن رَأى السيّدُ أنْ يكاتبَ عبدَه ويُعتِقهُ من رقّ الفرقة ، عجّل بجوَاب هذا الكتاب ليعلم العبدُ أن نميقَتَهُ صادَفتْ [٦] قبُولا ، وأن وسيلَتهُ اتّخذتْ إلى سيّده سبيلا ، قرّبَ اللهُ زمنَ اللِّقا وقصّرَ أمد النّوى [٧] حتى أنشدَ فى الختام

تطابَقَ الخبْرُ فى عَلياكَ والخبَرُ وَصدّقَ السّمعَ فى أوْصافِكَ البَصَرُ

(وكتب احمد افندى سمير المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ)

يعلم سيّدى أنّ المودّةَ لا تُباع ولاَ تُشرَى ، وانما هى نتيجةُ الاجتماع والتّعارُف ، وقدْ خُلقَ الانسان مضطرًّا اليهما ، لان انتظام العُمران عليهما موقوفٌ ، ولهذا ، شهد العيان بأنّ المنفردَ بأعماله المستبدَّ بآرائه عرضةٌ للخطأ مَظنّةٌ لعدَم الثّقة : بخلاف ما إذا كان الاشتراكُ فى الفكر قاعدةً للعمل فلا بدَّ أنّ الصوَاب يتمحّضُ منهُ ، لضعْف التّفرّد وقوّة الاجتماع ، إذ لاَ جرَمَ أن المرءَ كما قيل (قليلٌ بنفسهِ كثيرٌ بأخوَانه) وقد سمعتُ عن السيّد وقرأت من آثاره المأثورةِ ما حبّبهُ إلىّ وشاقنى للتّعرُّف به ، لنَشترِكَ فى منفعَةِ تبادلِ الأفكار ، فانى لاَ أكتفى بمجرّد السّماع ولاَ أقول (إنّ الأذُنَ تعشقُ قبلَ العين) فانما هى جارحةٌ صغيرةٌ ولكن كلّى ميّالٌ إليه محبٌّ لاستجلاء مَرآهُ عالمٌ انى إذا دخلتُ إلى مَودّته من باب التّلاقى لا أجد دهرى

يُقرّب منّى كلّ شخصٍ كرهتهُ ويُبعِدُ عنّى مَنْ إليه أميلُ

(١) بالتخفيف والتشديد هيآت (٢) لا تغلبنى (٣) لا يعلونى (٤) بفتح النون وكسرها السكر (٥) الخمر (٦) وجدت (٧) البعد

فإن لم يتيسَّر أن يرانى أو أراه فليُسعدْنى ببضعة أسطرٍ تضمن لى رضاه، عن هذه المعرفة الترسّليَّة، لنتراءى بأعين الطُّروس [١] قبل أعين الرُّءوس، و نتجاذبَ أحاديثَ المراسلة إن عزّت المقابلة، وقد وقفت عليه خالص وُدِّى، واخترتُه من بين رجال العصر سعياً لكسب المعالى بمعرفته، فكلُّ امْرئٍ بما كسبَ رهين [٢] وأنْ ليسَ للإنسانِ إلاّ ما سعى

عن المرءِ لا تسألْ وسلْ عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمُقارِن يقتدى

(وكتب الشيخ أحمد مفتاح الموفى سنة ١٣٢٩ هـ)

لم أكن فيما أكتبهُ لك إلاّ ساريًا فى ليل العارف على صياء خلالك [٣] التى أملاها علىّ لسانُ المدح الذى شرّف وغرّب وطبّقَ الأرضَ صيتُه، وإنى وإن لم أكنْ أسعدْتُ من قبل باجتلاء طلعتك الزّاهرةِ واجتناءِ مُفاكهتك الغضّةِ [٤] فقد دلّنى على الليّث رئيرهُ [٥] وعلى البحر خريرُه [٦] وعلى العقل أثرُهُ وعلى السّيف إثرُهُ [٧] ولئن لم تجمعْنا لُحمةُ [٨] النّسب فقد جمعتنا حرفةُ الادب، أوْ لم يضمّنا قبلُ مصيفٌ ومُرْتبعٌ فالطُّيورُ على أشكالها تقعُ، وشبهُ الشيءِ مُنجذِبٌ اليه، وأخو الفضائلِ هو المُعوَّلُ عليه: وهذه الرقعةُ وإن وصفتْ لك بعضَ ما أنا مَطويٌّ عليه من التّهافُت على رُؤيتك والمَيل إلى صداقتك، فقلّما تنوب عن المُشافهة أوْ تقضى حاجاتٍ فى النفْس طالما تردّدَ صداها: وفى ظنى أن سيّدى يودُّما أودُّهُ، وعما قليل يُسفر صبحُ اللّقاءِ ونتجاذبُ أهدابَ المعرفةِ: وأرى من سيدى فوقَ ما توسّمتُهُ وسمعتهُ ويرى منى ما يُرضيه والسلام

(١) الصحائف (٢) مرهون (٣) مصادقتك واخائك (٤) اللينة (٥) صوته (٦) صوته (٧) جوهره (٨) القرابة

(وكتب الشيخ طه محمود المتوفَّى سنة ١٣٢٥ هـ)

أيُّها السيد العزيز الجناب الغزير الآداب

فد علمتَ ولا أزيدك علماً ، زَادك الله ولا نقصك ، أن الانسان كما اشتقّ اسمهُ من الأُنس ، كذلك جبلَ عليه مسمّاهُ ، وَأن المجتمعَ الإنسانى عِقدٌ يتحلّى به صدر الزّمان ، نظامُهُ التآلف وَوساطته [١] التّعارُف : فهذان الأَمران هما قُطبُ المدَار فى هذه الدّار ، لهذا العالَم من لدُن آدم ، وليسَ إلاّ بهما يحسنُ الحال وينْعَم البال ، وتدُرُّ ضرُوع المنافع . وَتتفجَّرُ عيُون الفوائد ، وَمن ثمّ كان أوْفرُ الناس حظّا ، من مُغْنمِ الإنسانيـة من يألف ويُؤلف ، ولا خـير فيمن لا وَلا وناهيكَ بخلُق أمتَنَّ اللهُ به على عِبادِه ، إذ قال عزّ من قائل (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)

ذلك (أيها السيد) هوَ الذى بعثنى أن أكسبَ اليكَ أستفتحُ باب مودّتك بمفتاح الترسل ، وَأستصبحُ فى سبيل صُحبتِكَ بمصباح التّوسُّل ، لا أُبالى بما يُنْسبُ الىَّ ويُنتقَمُ علىَّ ، ممَّنْ عسى أن يقول مالك ولهذا الفضول ، وكيف تتطفل على مأدُبة أدبية لم تُدْعَ اليها ، وهل هذا منكَ الا أشبه بالتبرُّج [٢] لغير خاطب : أيُّها المنتقدُ هوّن عليك ما تجد ، فلوْ علمتَ أن ظلَّ الآداب شاملٌ وَدعوَةَ المودّة الجفلى [٣] لا يذادُ [٤] عنها وَاغلٌ [٥] لأسرعت معى الى الوُغول [٦] ولم تر فى التودُّد الى أهل الفضل من فُضول ، وأىُّ عيبٍ على النكرة فى التّحلّى بحلية المعرفة ، ومُصاحبة الأعلام ، أمَا سمعتَ قوْل القائل

---

(١) الجوهرة التى فى وسط العقد وهي أجوده (٢) اظهار المرأة زينتها للرجال (٣) العامة للجماعة (٤) لا يطرد (٥) المتطفل (٦) التطفل

بصُحبتِكَ الكرامَ تُعدُّ منهم وتأمنُ من مُلمّاتِ الزّمانِ

وكيف أضعُ نفسى بحيث يقول الأوّل

دَعِ المكارمَ لاترْحلْ لِبُغْيتِها(١) واقعد فإنّكَ أنتَ الطّاعمُ الكاسى

وشتّان ما بينَ الرّجلَيْنِ ، رَجلٍ يهوى المكارمَ وبنيها ، ويبتغى المناقبَ وذَويها ، ويقِفُ نفسهُ على مسألة يعلمها ، وَفضيلةٍ يتحلى بها ،

وآخرَ يبذلُ وَجههُ المصون فى ملء الحقائبِ (٢) والبُطونِ

هذا : وقد رجوتُ أن أكُونَ الرّحلَ الأوّلَ بصُحبتك « أيها السيد » فكم رَوى لنا من أحاديثِ فضائلك الصِّحاح ، ونلى علينا من آيات فضائلك الحسان ما (٣) أشخَصَ اليك القلوبَ قبل قوالبها ، وَأوْفدَ عليك الأرواحَ قبلَ أشباحها وأعجلنى أن أكتُبَ اليك بهذا الرَّقيم ، ألتمسُ بالعرْفِ الى جنابكَ الكريم ما التْمس الكليمُ منْ صحبة ذى الوجه النّضْر (٤) أبى العبّاس الخضْر ، وإنّى وإن كنتُ والحمدُ لله ممّنْ آمنُوا بالغيب ، وليس عندى فى صدق هذه الآيات مرْية (٥) ولا ريب : بَيد (٦) أن للصّحبة فضلاً لا يُنكر ، وللمؤاخاة مزيةً لا يمارى (٧) فيها اثنان

فاذا ورد على السيد كتابى هذا وانشرَح صدرُه « شرَح اللهُ صدرَه » الى إجابة سؤلى وارْتاحتْ نفسهُ الى اصطناعى ، كتب إلى عبده بما يكون آيةً جليّةً على ارْتياحه ، لتحقيق هذه الأمنيّة

حتّى أقُولَ لوجْه آمالى ابتهِجْ لأُولّينّك قبلةً ترْضاها

---

(١) بكسر الباء الطلب وبضمها الحاجة (٢) الركايب (٣) ما فاعل روى (٤) الحسن (٥) شك (٦) غير (٧) لا يختلف

(وكتب الأستاذ محمود بك أبو النصر)

إنسانُ العين وعينُ الأنسان

المودّةُ » وصلَ اللهُ بأجفان الأشواق أهدابَها ، وفتحَ لنا أبوابها » أمرٌ عزيزُ المُرْتَقى ،على منْ يَصطفى صديقَه ويَرعى حقوقَهُ ، وإنّى اصطفيتُك على الناس برسالتى هذه ، وعهدى بكرَم سَجاياكَ أن تُصافحها براحة القبول ، وتتّخذَها فاتحةَ وُدٍّ طارَت به اليك رياحُ فضلك ، بعد ما مَلّتْ آياتهُ لك فى القلوب معنًى ظهرَتْ فى مرآة الأعيُن صورتُه

فانْ أبَيْتَ وِدادى غيرَ مكترِثٍ فعنْك مادُمتُ حيًّا لا أرَى بدَلا

وحاشاكَ عن مثل ذلك الإباء ، ونحنُ وان لم تَحظَ أسباحنا باللّقاء،فأرْواحنا من قبلُ جنُود وأعيننا شُهود ، فإن أنْتَ منَحتنى ولاءً خالصاً وإخاءً صادقاً (والا فَهبنى امرأ هالكا) ولا إخالُك ترْضاه ، وإن كنتُ المتطفّلَ على مائدة مودّتك فلى نفسُ أديبٍ لا ترى العزَّ إلاّ فى التّرامى على ذُرا الكمال ، لا زلتَ على مَرْقى الجلال والسلام

(وكتب الفاضل السيد محمد البيلاوى)

سيّدى انّ مكارمَ الاخلاقِ ومعالىَ الهِمَمِ ممّا تسترقُّ القلوبَ وتسترقُ العقول ، وتمتلكُ الأرْوَاحَ وانْ لَمْ تَتلاقَ الأشباحُ ، فإنّى منذ سرَى إلىّ النّسيمُ بأخلاقكم الغرّاء ، وابتَسم لى ثغرُ هذا العَصرِ عن آثاركُم الزّهرَاء ، وتواترَتِ الأخبارُ بحبكم للفضل وأهلهِ ، وارتياحكُم للعلم وذويه ، وأنا مشغوفُ الفؤاد بالتعرُّف بسيادتكم ، مشغولُ البال بالتّوسُّل الى رياض مودّتكم ، ولعِلمى أن للصّدَاقة حقوقاً وللمُصاحبة شُرُوطاً رُبما صَعُبت على من حاوَلها ، وعزّت على منْ

أرَاد الوفاءَ بها ، كنتُ أرى الوَحدة أوْلى والانفرادَ بى أسلَمَ ، ولكن ما زالت تَنمى (١) إلىّ أحاسنُ شمائلكم المسرّفةِ ، وتتوَاردُ على مسامعى محاسنُ سيركم المطهّرَة ، فينْمُو الوَجدُ ويزْدَاد الشَّوْق ، « والأُذن تَعشقُ قبل العينَ أحياناً » وما كنتُ أجدُ سبيلاً للتّعرُّف ولا سبباً للتَّوَدُّد ، ولا تجسرُ نفسى على المرَاسلة آبتداءً ، الى أنْ رأيتُ سيِّدى قد اهتم للأدب فأعلى مَنارَه ، ونظرَ للإنشاء فرفعَ مقدارَه ، ونَصرَ دوْلَه وأحيا صَوْلته ، وأعادَ شبابهُ وفتحَ لأدباء هذا العصر بابه فعلمتُ أنَّ الدّهرَ قد سَاعدنى ، والفُرْصةَ قد أمْكنَتنى مِنْ مُصافحةِ ما أمّلتُ ومُصافاةِ ما أرَدتُ من آجتِناء ثمار موَدّة سيّدى ، والتَّعرُّف بهِ والتَّمسك بأهداب فضائله ، والتزوّد من آدابه ، فإنَّ الأدبَ أحسنُ ما يُستَصْبحُ بأنوَاره (٢) وأشرَف ما يُتسابَقُ لآقتطَاف أثمارِه (٣) ويُحمَدُ التَّطفُّلُ على موَائده ويُمدَحُ التَّنافُس فى آلتقاطِ فرَائد فوَائده ، فجعلتُ طلبَ الآنتظام فى سلك أرْباب الأقلام وَسيلةً لوُرُودِ عذْب وِدَاده ، وَنمير (٤) العرُّف به ، فإن رَأى سيّدى أن يَعُدَّ نفسَ حُرّ فى عِداد مَعارفه ، ويُقابلَ رسالَه بما اشتهرَ من لَطائفه ، حتّى يتمتّع بالرُّؤية الأبصارُ كما تمتَّعت المسامعُ بِطيبِ الأخبار ، كنتُ مُديمَ الشكر لأفضالِه ، مُستمِرّ الثّناء على كماله

(وكتب الشيخ عبد الكريم سلمان المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ)

أما بعدُ ، فهذه أوّلُ رسالةٍ أكتبُها إلى مَنْ لم تكُنْ لى به جامعةٌ جسميّة ولم تضمّنى وإيّاهُ حفلةُ تعارُف شخصيّة . وهىَ وَإن كانت فى عُرْف غيرِى تعدُّ هُجُوماً أوْ تُحَسُّ فُضولا . الا أنّى أعتقِدُ أنّها أُوفِدَتْ على كريمٍ يُكرمُ

(١) تزيد (٢) اضوائه (٣) ازهاره (٤) الزاكى

وفادتها ويتقبّلُ به ما يهْديه اليه من زعيمِ تحيّة وجليل اجلال . ويجلى من خلالها إرادة ودّ ورجاء ولاء وبُغية فضل ورغبة فى إخاءٍ . فيُحلّها منه محلّ القبول ويدرأ[1] عنها وصمةَ[2] الفضول : إنّ لسيدى آثاراً شاهدْناها فاستفدْناها. وما آثر سمعناها فرويناها أو تناقلناها ، ولا مِرْيَة[3] فى أنّ ما غابَ عنّا منها أكثرُ مما وعيناوأوفى مما سمعنا . ونحنُ واللهُ يعلم طلاّبُ كمالٍ ومنتجعو[4] افضالٍ ورُوّادُ[5] ماخصب من فيحاء العلوم . وقد توسّمنا[6] فى السيّد أطالَ اللهُ بقاه طِلْبَتَنا . ووجدنا لديه ضالّتنا فحثثنا إلى رحابه مَطيّةَ المكاتبة . ولنا أملٌ كبيرٌ فى نوال المأمول . لعلّهُ يجنحُ[7] الى مُقابلة المثل بالمثل . فبكتب لأخيه بعضَ كُليْماتٍ يعرفُ منها أنهُ قبلَ الإخاءَ . ومال إلى مقصى طبعه منَ الوفاء ولا أظنُّ ذلك إلا وقد كان فى أقرب ما يكون من الزّمان فإنّ الأرواح ما تعارف منها ائتلف . كما برهنهُ الأصحاب فى معاشراتهم خلَفاً عن سلف

(وكتب مؤلف هذا الكتاب)

لقدْ سمعْنا بأوصافٍ لكم كَمُلَتْ فسَرّنا ما سمِعْناهُ وأحيانا
من قبل رؤْيتكم نِلنا محبّتكم والأُذْنُ تعشقُ قبلَ العين أحيانا

سيدى ومولاى

لقدْ بلغنى عنك فى وفائك وفضلك . ما يدعُونى لخطب ودّك ويُرغّبنى فى إخائك . ويُحبّبنى فى التوسّل إلى معرفة جنابك . وإنْ لمْ تجْمعنا جامعةٌ شخصيّة ولم تضمّنا حفلة تعارف ذاتيّة . الاّ أنّ أحاديث فضائلك الصّحاح أوفدت عليك الأرْواح قبل الأشباح . والولاء والأخلاص قبل الاجْسام والأشخاص . ولا

(١) يدفع (٢) العار (٣) بضم الميم وكسرها الشك (٤) طالبو معروف (٥) طالبون له (٦) تفرسنا (٧) بتثليث النون يميل

غرابةَ فى ذلك . فانَّ من سُنَّة اللهِ فى خلقهِ . ان يُؤلّف بينَ الأَرْواحِ وأمثالها وانَّ لله ملائكة يسوقونَ الأَشكالَ إلى أشكالها وشبهُ الشيء منجذبٌ اليهِ . وأخو الفضائل هو المعوّل عليه

انَّ القُلوبَ لأَجنادٌ مجنَّدَةٌ للهِ فى الأَرْض بالأَهواءِ تعترفُ
فما تعارَفَ منها فهوَ مؤتلفٌ وما تناكر منها فهوَ مختلفُ

فلذا اصطفيتك لنفسى . واخترتُك لمودّتى وأُنسى . نتناجَى بالضَّمائر ونتخاطب بالسَّرائر ، وإنْ بَعُدْنا فى الظَّاهر . فربَّ غائبٍ بنفسه . حاضرٌ بخلوص نفسه

فانْ أَبيْتَ ودادى غيرَ مكترثٍ فعنكَ ما دُمت حيّا لا أرَى بدَلا

وحاشاك عن مثل هذا الإباء والهجرِ والجفاء

لسكلّ امرىءٍ شكلٌ من النَّاسِ مثلهُ وكلُّ امرىءٍ يهوَى الى من يُشاكله

ناشدتك الله أن تقبلَ منِّى الاخاءَ وتضمن لى الوفاءَ . وأنا أرْضى بك من الدنيا نصيباً وأختارك من العالمين حبيباً

﴿ الفصل الثالث فى رسائل الهدايا ﴾

« كتب سعيد بن حميد المتوفى سنة ١٠٥ هـ يوم النيروز الى بعض أهل السُّلطان »

أيُّها السيد الشريف

عِشت أطولَ الأَعمار بزيادة منَ العمر موْصُولةٍ بفرائضها من الشكر . لا ينقضى حقُّ نعمةٍ حتَّى يجدّدَ لك أُخرى . ولا يمُر بك يوم الاَّ كانَ مُقصِّراً عمّا بعده مُوفياً عمَّا قبله : انّى تصفَّحتُ أحوال الأتباع الذين يجبُ عليهم الهدايا الى السادة والتمست التَّأَسّى بهم فى الاهداء . وان قَصَّرَتْ بى الحالُ عن الواجب . فوجدتُ أنى

انْ أهـديتُ نفسى فهى مِلْكٌ لك لا حَظّ فيها لغيرك . وَرميتُ بطَرْفى إلى كرائم مالى فوجدتُها منك ، فان كُنتُ أهديتُ منها شيئاً فانّى لَمُهْدٍ مالَكَ اليك . ونزَعتُ الى مَوَدّتى فوَجدتُها خالصةً لك قديمةً غيرَ مُستحدَثةٍ . فرأيتُ إن جعلتُها هديّتى أنّى لم أجدّد لهذا اليوم الجـديد برًّا ولاَ لُطفاً ، ولم أميّز منزلةً من شكرى بمنزلة من نعمتك ، الاّ كان الشّكر مُقصِّراً عن الحقّ ، والنّعمة زائدة على ما تبلُغه الطّاقة ، فجعلتُ الاعترافَ بالتقصير عن حقّك هديةً اليك ، والاقرار بالتقصير عمّا يجبُ لك برًّا أتوسّل به اليك . وقُلْتُ فى ذلك

ان أُهد مالاً فهو واهبُه وهوَ الحقيقُ عليه بالشكرِ
أوْ أُهد شكرى فهو مرْتهنٌ بجميل فعلكَ آخرَ الدّهر
والشّمسُ تُسنغنى اذا طلعت أنْ تستضىءَ بسُنّة[1] الدّهر

(وكتب حفنى بك ناصف المتوفّى سنة ١٣٣٧ هـ)

الهدية فى نظر الأَصفياء جليلةٌ وان كانت فى نفسها قليلةٌ ، ومكانَتها خطيرةٌ وان كانت يسيرَةً . وسنّةٌ حسنةٌ اجتَمعت على فَضلها الألسنَة

مضَت الدّهُورُ وأمرُها مُستحسَنٌ وتعاقبتْ بمديحها الأَيام

اللّهـمَّ الا إنْ لَبستْ جِلْبابَ [2] الرّياء . وَوَلجَتْ [3] أبوَاب الأَرْتشاء ولا مِرَاءَ [4] انّ الأَوِدّاءَ من ذلك بُرَاءٌ

لاَ يبتغُونَ سِوَى الوَفاءِ وَما لهم غيرُ البقاء على الصّفاء مَرَام

وَما زَالت الهديّةُ شِعارَ الأَصدقاءِ ، وعُنوَان تذكار الوَلاءِ ، وكم جـدّدتْ بين الأَصحاب عهود التَحَابّ

(١) الوجه (٢) القميص (٣) دخلت (٤) جدال

وتعهّدت وِدًّا فعادَ شتيتُهُ ولشَمْلِهِ بعد البَدَاد (١) نِظَامُ

قد وصلنى يدُ العصا فحبَّذا الاهداء ، وأهلاً بتلك اليدِ البيضاءِ ، وليست هذه أوّلُ أياديك علىّ ، ولا أكبرُ عارِفةٍ جاءَت من نَاديك إلىّ ، أمِنْت بها الثُّوب (٢) واعتضدْت (٣) بها على تفريق شمل الكُرَب

فاذَا طغَا (٤) بحرُ الهموم ضربتُهُ بعصاىَ فاجتازت (٥) به الأقدامُ

تنفلقُ بها من الأيام صُخُورٌ فتنبجس (٦) منها عيونُ السُّرُورِ ، وتَلْقفُ مايصنعُ الأعداءُ ، فتذهبُ بسحر البَغْضاءِ ، وإذا اُستدَّ هَجيرُ (٧) الوحشةِ نشرَتْ ظلال أُنسها ، أوْ عصى فرْعَوْنُ الدَّهْرَ رَاعتْهُ (٨) بِبأْسها (٩)

فكأنّما أوْصى الكليمُ (١٠) لنا بها حتّى يرَى آياتِه الأقوَامُ

وقد فكّرْتُ ماذا أقابلُ به طُرْفتكَ (١١) وأتلقّى به تُحْنَتكَ ، إلى أن هدانى الله ، أنّ يدَ المُنعم انما تُقابَلُ بالافواه ، ليُعزَّزَ القَبولُ بالقُبَل ، ويؤدّى الرَّسم باللّثم ، فارسلت اليك فم سِحارة ، وجعلته لهذا المعنى اشارَة ، وقلت

مَوْلاىَ كَمْ فاضتْ يمينكَ بالنَّدَى (١٢) حتى غَدَوْتُ غريقَ بَحر الأنعُم

والشكرُ أوْجبَ أن أقبِّلَ راحهَا فكَنيتُ عن هذَا بإهداء الفَمِ

وقد علمت أن المنظرَ البهيج يتمُّ بالتَّدْبيج (١٣) فاخترْتُ أن يكون مَبدؤُهُ كالليل إذا عَسْعَسَ (١٤) ومُنتهاه كالصُّبْح إذا تَنفَّسَ (١٥) إيذاناً (١٦) بزوال الشُّرُور بالسُّرُور ، ورمزاً إلى الخروج من الظُّلماتِ إلى النُّور

(١) التفريق (٢) جمع نوبة المصيبة (٣) استعنتُ (٤) علا (٥) سلكت (٦) تنفجر (٧) حرها (٨) أزعجته (٩) بشدتها (١٠) سيدنا موسى عليه السلام (١١) احسانك (١٢) العطاء (١٣) التزين (١٤) أقبل بظلامه (١٥) اضاء (١٦) اعلاما

(وكتب الاستاذ محمود بك أبو النصر)

يأيّها المولى الذى عمّت أياديه الجميلهْ
إقبلْ هديّةَ مَن يَرَى فى حقِّك الدُّنيا قليله

غُرّةَ وجه السُّعود وقُرّة عين الوُجود الأَمير الجليل

ياجليلَ الفضائل إليك تُوجّه الآمال ، ويا جميلَ الشّمائل بساحتِكَ تحط الرّحال ، تلك هى السّاحة الفَيحاء (١) والشّيمة (٢) الحسناء ، والهمّة العلياء واليد البيضاء ، والأَعمال التي تُضرَبُ بها الأَمثال ، كم من نِعَم أسدَيتها (٣) ومكارمَ أوْليتها وعلوم أحييتها ، فانتَ المصدَرُ والموْرِدُ والمقصِدُ والموْعدُ : اليك أقدِّم تلك الهديّةَ المرضيّة ، وأرْفعُ ذلك الكتابَ المُستطابَ ، مشفّعاً فى قَوله كرَم سحاباك وعِظمَ مزَاياك ، وانّى وإن كُنتُ أعلمُ أنّ مقامكَ العلىَّ يَجِلُّ عَنْ أن يرفعَ اليه مثله ، فقد عرَفناك مُتواضعاً فى عُلاكَ قَريباً مع اعتِلاك

دَنوْتَ تواضعاً وعلوْت مَجداً فَشأناك انْخفاضٌ وارْتفاعُ
كذاك الشّمس يَبْعُدُ أن تسامى (٤) ويدنو الضّوْءُ منها والشّعاعُ

وحاشَاك أن أُهدىَ للقمَر نُوراً أو للشمس ضِياءً ، أو أبعثَ بِبُنيّة القَطْر ، (٥) الى ذلك البَحر ، ولكنّنى أحببتُ أن يحظَى بلثْم بنَانك (٦) وينالَ من كرمِكَ وإحسانك ، وقد عَهدْناك تهتزُّ للمكارم اهتزاز الصّارم (٧) وترتاح لاسداء الجميل كما يرتاح للكرمِ النّزيلُ ، وللشّفاء العليلُ ، وما هو إلا من نُور فكرك مقتبَس (٨) فعساه يحظى بالقَبول ، فأبلُغ غاية المأمول والسلام

(١) الواسعة (٢) الخلق (٣) اعطيتها (٤) تفاخر (٥) المطر (٦) الاصابع (٧) السيف القاطع (٨) مأخوذ

(وكتب الاستاذ عبد الله بك الأنصارى)

المولى أدامَ اللهُ وُجُودَهُ مُتمتّعاً بهدَايا الأَيّام وتُحَف الأَعْوام ، طَالَمَا أَوْفَدَ (١) من الرِّفد (٢) الىّ ووجّه من الخيرَات ما أفعَم (٣) يدىّ ، حتّى أصبحتُ ولهُ الفضل وٱلمنّة أجرُّ ذُيولَ النّعماء (٤) على غَبْرَاء (٥) البأساءِ (٦) وأجتلى (٧) معارفَ السَّراء بعَوارفه البيضَاء الّتى لا يُوَازيها ثناءٌ وحمدٌ ، ولا يُوازنها عطاءٌ ورفد ، ولا يُطاولها سَماءٌ وبحر ، ولا يغالبها بُؤسٌ وفقر ، وإن لى من آلاء (٨) السيّد حفظهُ الله وأدامَ عُلاَه ، ما أينَعَ وأزْهرَ وَأَوْرَقَ وأثْمرَ حَدائقَ فامَتْ لشكره حيدانُها ، وسجدَت لفضله أغصانُها ، وترَنَّمَتْ طرَباً وتمايلتْ عجباً ، بنفَحاتٍ هى عَرْفُهُ (٩) وبركات هى عُرْفُهُ ، ولى أملٌ فى جنابه وأنا سليل (١٠) نِعميه ، وعهدِى بأخلاقه وأنا ٱبنُ مودّته ، أن يَمنّ بقبول ما أهديتُه وهو من مال نفسه وثمرة غرْسه ، (ياكورة تُفاحٍ) يرفعُها إجلالٌ واعظام وتصحبُها تحيّةٌ وسلاَم

« وكتب الشيخ احمد مفلح المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ »

الهدية غمرك الله بالمعروف تَبسطُ يد المودّة ، وتدُرُّ بها أخلاف (١١) القُرب ، وتغرسُ بين المُتحابّين من الائتلاف بقدر ما تَقطع بينهُما من شجر الخلاف ، وما أنا فيما أهديه اليك إلا كمستَبْضع (١٢) تمراً إلى أرْض خَيبرَ (١٣) أو كالواهب الماء للبحر والضَّوْء للبَدْر وٱلمُلْكِ لِسُلَيْمان (١٤) وٱلمال لقارُون (١٥)

(١) ارسل (٢) العطاء والصلة (٣) ملأها (٤) بالفتح النعمة (٥) الارض (٦) الداهية (٧) انظر اليها مجلوة (٨) نعمة (٩) بالفتح الريح الطيبة (١٠) الولد (١١) جمع خلف بالكسر الضرع (١٢) جاءه بضاعة (١٣) موضع بالحجاز (١٤) ابن داود النبي عليهما الصلاة والسلام (١٥) من قوم موسى عليه السلام اعطاه الله من الكنوز مالم يعطه لغيره

والحلم لأحنف (١) والذكاء لإياس (٢) والتفسير لابن عبّاس (٣) وما ذاك الاّ كتابٌ كما تَرَاهُ ضرَبَ فى الاِحكام بسهمٍ ، وَوعى منَ الأحكام ما خلتْ منهُ مفعمات (٤) الأسفار (٥) وموجزات الرّسائل (فهو كما قيل) كل الصّيد فى جوْفِ الفرا (٦)

تزينُ معانيهِ ألفاظُهُ وَألفاظُهُ زَائنات المعانى

على أنّى وان تطفّلتُ عليك ، وسقتُ لك هذا الكتاب مزْدَلفاً (٧) الى جنابك الرّحب ومقامِك الأسنى ، فقد أصبتُ كبدَ الصوَاب ووضعته حيثُ يعرفهُ أهلوهُ ويقبّلهُ منْ باذِله عالموه ، علماً بأنك عِمادُ العلوم وأساس الفضائل لا تُغادِرُ (٨) شاردَةً إلا وعيتَها ولا نادِرَةً الا رَويتَها - والاّ

لو كان يُهدَى عَلى قَدْرِى وَقَدْرِكُمُو لكُنْتُ اهْدِى لكَ الدُّنيَا وَما فِيهَا

(وكتب مؤلف هذا الكتاب الى أستاذه الحكيم الشيخ محمد عبده)

سيّدى ومولاى ، أطالَ اللهُ بقاك ورَفعَ فى الدّارين علاك ، الهَدِيّةُ مفتاح بابِ المودّة ، وعُنوَان تذكار المحبّة ، يتسابقُ اليها كرَامُ السّجايا (٩) ويتسارَع إلى إحياء شعائرها عشّاقُ المزايا ، حِرْصاً على حِفظِ عهودِ الودَادِ والتآلُف وإذهاباً لوحْشةِ التّقاطُع وَالتّحالف

هدَايا النّاس بعضهمُ لبعضٍ تولّدُ فى قلوبهمُ الوِصالاَ

(١) هو ابو بحر صخر بن قيس تابعى كبير يضرب به المثل فى الحلم توفى سنة ٦٧ ﻫ (٢) هو ابووائلة بن معاوية بن مرة المزنى يضرب به المثل فى الذكاء توفى سنة ١٢٢ ﻫ (٣) هو ابو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابى يلقب ترجمان القرآن توفى سنة ٦٨ ﻫ (٤) مملوآت (٥) الكتب (٦) حمار الوحش ومعناه كل ماعداه دونه قاله النبى عليه الصلاة والسلام تطميناً لرجل خرج يصطادهم اصحابه فلم يصب غير الحمار الوحشى (٧) متقربا (٨) لاتترك (٩) الاخلاق

وتزرع فى القلوب هوًى ووداً وتكسوكَ المهابةَ والجلالا

ولقدْ وجدتُك إماماً حكيماً وفيلسوفاً عليما ، تقدرُ الأعمالَ حقَّ قدْرها وتضع الأشياء فى مواضعها ، سبّاقاً إلى نشر العلوم والمعارف فى المشارق والمغارب

يبقى الثناءُ وتنفدُ الأموالُ ولكلِّ دهرٍ دولةٌ ورجالُ

ما نالَ محمدةَ الرّجال وسكرَهمْ إلاَّ الصّبورُ عليهم المفضالُ

فلذا أهديك كتابى ﴿ جواهر الادب — فى بلاغة لغة العرب ﴾ جمع فأوْعى من الآداب والحكم ما خلتْ منهُ مفْعمات الأسفار [1] فهو بلا شك ولا مرا كلُّ الصَّيدِ فى جوْف الفرا

تزينُ معانيهِ ألْفاظُه وألفاظُه رائناتُ المعانى

على أنّى وإنْ تطفّلتُ عليك . ووضعتُ كتابى هذا بين يديك . فقدولجت الأمورَ من الأبواب . وأصبْتُ كبدَ الصّواب . حيثُ يعْرف الفضلَ منَ الناس ذوُوه . وينقبّلهُ بقبولٍ حسنٍ عالموه

شكراً وحمداً إنْ قبلتَ هديتّى وحملْتَ لى فضلاً على أقرانى

فتنازلك بقبوله يكونُ الأقبالُ عليه جليلاً ، ويعجز لسانى عن أن أشكرك شكراً جزيلاً والسلام

(١) الكتب الكبيرة

﴿ الباب الثالث فى رسائل الهدايا ﴾

(وكتب مؤلف هذا الكتاب)

الى حضرة صاحب الدَّوْلة الرّئيس الجليل سعد باشا زغلول يُهديه كتابه

« جواهر الأدب »

مولاى : أطالَ اللهُ بقاءَك فى أهنأ عِيشةٍ وَأرْغدِها ، وَأتمّ نِعمةٍ وأسعدِها وأعمّ عافيةٍ وأزيدِها ، وأولاك من الآلاءِ بأمدّها مزيداً ، ومنَ السَّلامةِ بأسبلِها سِتْراً ، ومنَ السّرُور بأوفره حظّا وَمنَ العزّ بأشدّهِ رُكناً ، وَمنَ العُمْرِ بأبْعدِهِ مدّا ، تَوَلاّكَ المولى بحفظِه وحياطته وَحرَسكَ تحتَ جناحِ السَّلامةِ بكلأته ورِعايتِه

إنّ اللهَ تعالى قدْ خصَّكَ بالعِزِّ المنيع ، وَالشّرَفِ الرَّفيع ، والخُلقِ السَّنِيّ وَالفخرِ البَهِيّ ، وَالرَّأيِ وَالحزْم ، وَالبلاَغةِ وَالفهْم ، وَالبَرَاعةِ والكمال ، والبذْلِ والنَّوَال ، والجُودِ والافضَال ، والحمد والثناء ، والكرم والوفاء ، والمذهبِ الجميل ، والقَدْرِ الجليل ، فأنت أدامَ اللهُ كرَامتك ، وأكرَمَ حياطَتك ، مَعْدِنُ الفضَائل . وَزَينُ المحافل . غِيَاثُ اللاّجئ إليك . وَسندُ المُعوّل عليك . لاَ يُجْحدُ فَضلكَ ولاَ يُنْسى ذِكْرُك . عَرْفُك شائع وَجُودُكَ وَاسع . وَمعرُوفكَ ذائع . وفضلك شامل . ولُبُّك كامل . سِلْمٌ لأَوْليائك وَحرْبٌ لأَعدَائك . سَحَائبُ كفَّيك تُمطِر دِيمَ الانعام . وشأبيبُ يَديك تفوق أفعال الكرَام ، زَادَكَ اللهُ أيُّها الرّئيسُ عقلاً إلى عقلك . ونخراً إلى نخرِك وفضلاً إلى فَضلك . وَطولاً إلى طَولك . وسُؤْدَداً إلى سُؤددك . إنّه لطيف كريم

لمّا رأيتُك أدام الله علُوّكَ وتأييدَك . وأجزلَ من كلّ خيرٍ حظَّك وقسمك تغنى عن التّوسّل اليك بكريمِ أخلاقك . وشريف أعراقك . جعلتُ كرمك ذريعتى اليك . لِما دلّنى من فضلك عليك . وكفى بهِ عن اللّبيبِ شاهداً . وإلى الكريم قائداً . فأطمعنى فيك ما رأيتُ من جودِك وسماحتكَ . وحُسنِ بِشرِك وطلاقتك . ولئن أمّلتك عندَ الشّدائد . ودفعتُ بك صولةَ النّوائب . ورجوتكَ لكشف الملمّات والحوادث الطّارِفات . واستغثتُ بسببكَ وجدوكَ على غير شافع أطمعُ فى شفاعته اليك . أوْ متوسّل فى ما لديك . فأنى أقول كما قال الشاعر

من غير ما سبب يُدنى كفى سبباً ... للحرّ أنْ يجتدِى حرّاً بلا سببِ

ولمّا كانت الوسيلة إلى السّادات . وأهل الأخطار والمروءات . إنما هى وكيد حُرمة ، أوْ قديم خدمة . وكنتُ صفراً من ذلك كلّه ، غيرَ داخل فى جملة أهله توسّلتُ بكتابى « جواهر الأدب فى أدبيّات لُغة العرب » إذ كان المتوسّل بها على ثقةٍ ممّنْ عرفَ قدرَها . لأنّ الآدابَ عند ذوى الكرم . أعطفُ من صلة الرّحم ، وهو سببٌ بينَ الكرام موصُول ، ينزعون اليه ، وحقٌّ يتعاطفونَ عليه وفيه قال الشاعر

أدَبٌ بَينا تولّد منهُ ... نسبٌ والأديبُ صِنْوُ الأديب

وقال الآخر

حقّ الأديب وإنْ لَمْ يُدْنِهِ نَسبْ ... فَرْضٌ على كلّ مَنْ أمْسى لهُ أدبُ

وقد ضمّنتُ كتابى هذا من الآداب أظرفها ومن الأشعار أفضلها واجملها وجعلتُه سبباً أمُتُّ به اليك ، وهديّة أضعُها بين يديك ، فتنازُل دولتكم بشرف القبول يكون غايةَ مطلوبى ونهايةَ المأمول

(الفصل الرابع فى رسائل الاستعطاف والاعتذار)

(كتب أبو منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

الكريم اذا قدرَ غفرَ ، وَإذا أوْثقَ أطلق ، وَاذا أسرَ أعنقَ ، قدهربتُ منك إليك ، وَاستعنْتُ بعفْوكَ عليك ، فأذِقْنى حلاَوَةَ رضاك عنِّى ، كما أذقتنى مرَارَة انتقامِك منِّى : الحرُّ كريمُ الظّفر ، اذا نالَ أقال [١] واللئيمُ اذا نال استطال [٢] قد هابكَ مَن اُستتر وَلم يُذنب منِ اُعتذَر ، تكافُ الإعتذارِ بلا زَلَّة [٣] كتكلُّف الدّوَاءِ بلا علّة ، مولاى يوجبُ الصفحَ عندَ الزلّة [٤] كما يلتزم البَذْلَ عند الخلّة [٥] مولاى يُوليني صفيحة صفحه ، ويُؤتيني العفوَ منْ عفوه ، زَلَلْتُ وَقد يزلُّ العالمُ الذى لاَ أساويه ، وعثرْتُ وقد يعثر الجوَادُ الذى لا أُجاريه ، لا تُضيّقن عنِّى سعة خُلُقك ، وَلا تكدّرن علىَّ صفْوَ ودّك ، مالى ذنْبٌ يضيقُ عنهُ عفوُك ، وَلا جُرمٌ يتجافى تجاوُزك وَصفحك : والسلام

« وكتب عبد الله بن معاوية المتوفى سنة ١٥٨ هـ الى أبى مسلم »

من الاسير فى يديه بلا ذنب إليهِ ولا خلاَف عليه (أمّا بعد) فقد أتاك الله حفْظ الوصيَّة ، وَمنحكَ نصيحة الرّعية ، وألهمكَ عدْل القضية ، فانَّكَ مُستودَع الوَدائع وَمولى الصَّنائع ، فاحفظْ وَدائعكَ بحسن صنائعك ، فالوَدائع عارية وَالصّنائع مرعيّة ، وَما النِّعم عليك وَعلينا فيكَ بمنْرُورٍ ندَاها ، ولا بمبلوغ مداها ، فنبهٌ للتّفكير قلبك وَاتّق اللهَ ربّك ، وأَعط من نفسك من هُو تحتك ، ما تحبُّ أن يعطيك من هو فوقك من العدل والرّأفة وَالأمنَ من المخاوف ، فقد أنعمَ اللهُ عليك بأن فوّض

---

(١) ترك (٢) تملك وتمسك (٣) بالفتح السقطة (٤) بالفتح الغلطة (٥) بفتح الخاء الحاجة والفقر

أمرنا اليك، فاعرِفْ لنا لينَ شكرِ المودَّةِ . واغتفار مس الشدَّة ،والرِّضا بما رضيتَ والقناعة بما هويت ، فإنَّ علينا من سمْكِ الحديد وثقْله أذًى شديداً ، مع معالجةِ الاغلال وقلَّة رحمة العمّال، الذين تسهيلُهم الغلظة ، وتيسيرُهم الفظاظة ،وإيرادهم علينا الغموم ، وتوجيههم الينا الهموم ، زيارتهم الحراسة وبشارتهم الإياسة ، فإليك بعد الله نرفعْ كربةَ الشكوى ونشكو شدَّة البلوى . فمتى تُملْ الينا طرفاً ،ونُولنا منك عطفاً تجد عندنا نصحاً صريحاً ووداً صحيحاً لا يصيِّع مثلك مثله ، ولا ينفى مثلك أهله فارع حرمةَ من أدركتَ بحرمته ، واعرف حُحةَ منْ فلحت بحجَّته ، فانَّ النَّاس من حوضك رواء ونحنُ منهُ ظماء ، يمنون فى الأرادِ ونحنْ نحلُ فى الأقياد بعد الخير والسَّعة والخفْض والدعة والله المستعان وعليهِ الكلاَن

« وكتب بدر الدين محمد بن حبيب الحلبى المتوفى سنة ٧٩٩ هـ »

رفقاً بمنْ ملكَ الوحدُ قيادَه ، وعطفاً على منْ أذابَ الشوقُ فؤادَه مُتَيِّمٌ (١) أقلقَهُ فرط صدُودك . ومُغرَمٌ أغراه بحبّك قولُ حسودكَ ، وسقيم لا شفاءَ لهُ دونَ مَزارك ، ومُقيمٌ على عهدكَ ولوْ طالتْ مدَّةُ نفارِكَ ، إلى مَ هذا التَّنائى (٢) والنفور ، وعلامَ ياذا القدِّ العادل تجور . لقدْ تضاعفَ الاسفُ والأسى وتطاولَ التَّعلُّل بعلَّ وعسى

هبْنى تخطّيتُ إلى زلَّة ... ولم أكُنْ أذْنبتُ فيما مضى
أليسَ لى من بعدها حرمةٌ ... توجبُ لى منكَ جميلَ الرِّضا

ولست ألوذ إلاَّ بباب نعَمك ، ولا أعتمد فى محوِ الإساءة الاَّ على حلمك وكرمك ، وما جلَّ (٣) ذنبٌ يُضافُ إلى صَفْحِك ، ولا عظُم جرمٌ (٤) يسندالى عفوك ، ومثلك من يقيل العثَراتِ وينجاوزُ عن الهفوات

(١) مستعبد ذليل (٢) التباعد (٣) ماعظم (٤) ذنب

وكُنت أظُنُّ أنَّ جبال رضوَى[1] تزولُ وَأنَّ وُدَّكَ لا يزُول
ولكنَّ القلوبَ لها انقلابٌ وَحالاتُ ابن آدم تستَحيل

طالما آنَستَنى بقرْبك ، وَدَنَوْتَ مِنِّى مفارِقاً ظباءَ سِرْبك ، وأنجزْتَ وُعودى وأطلعتَ نجوم سُعودى

وكُنتُ إذا ما جئتُ أدنيت مجلسى وَوجهُكَ من ماءِ البْشاشةِ يقطُرُ
فمنْ لىَ بالعين التي كُنْتَ مَرَّةً الىَّ بها فى سالف الدَّهر تنظُر

قيّدت أملى عن سِواك ، وبَهرتَ ناظرى بنظرة سناك[2] وكسرت جيش قرارى ، وتركتنى لا أُفرّقُ بين ليلى ونهارى ، أحُومُ حوْلَ الدّيار ، وأعُومُ فى بحر الافكار ، وأتَمسك بعَطفَ عِطْفك ، وأتعلَّق بأذيال مكارِمك وَلُطفك ، أما علمتَ انَّ الكريمَ إذا قدرَ غفرَ ، وَاذا صدَرَتْ منْ عبده زَلةٌ أسبلَ عليها رِداءَ العفو وسترَ ، وانَّ شفيعَ المُذْنب اقرَارُه ، ورَفض خطيئته عندَ مولاه استغفارُه

وَمن كانَ ذَا عُذْرٍ لدَيكَ وَحُجَّةٍ فعذْرى إقرَارى بأنْ ليسَ لى عذرُ

لهفى على عيش بسُلاَف[3] حديثك سَلَف ، وَأوقاتٍ حلَتْ ثمَّ خلَتْ وَأوْرثتْ التَّلف ، وآهاً لأيامٍ بطيب أُنسك مضَت ، وبرُوقٍ ليالٍ لوْلاقُربك ما أوْمضَتْ[4]

قد كنتُ أعرِفُ فى الهوَى مِقدارَها رَحلَتْ وبالأسف المبرّح عوّضَتْ
كيف السبيلُ إلى إعادَة مِثلها وَهىَ التي بالبُعدِ قَلْبي أمْرَضَتْ

فَجُدْ بالتّدانى واسمَحْ بنيل الأمانى ، وَألِنْ قلبكَ القَاسى ، وعُدْ عن التّنائى وَالتّناسى ، وارْعَ الوُدَّ القديم ، وَأبدلْ شقاءَ مُحبّك بالنّعيم ، وَلا تَعْدِلْ عن منهاج

(١) جبل بالمدينة (٢) ضوئك (٣) الخمر (٤) ما لمعت

المَعدَلة ، وسلّم فقد أخذتْ حقَّها المسئلة ، واغمدْ سيفَ حيفٍ [١] صيّرتَه مسلولا
وَأَوْفِ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاَ

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)

ليسَ عندى أعزَّك الله سببٌ ، ولا أقدرُ على شفيعٍ ، إلاَّ ماطبعك اللهعليه من الكرم والرّحمة والتأميل ، الذى لا يكونُ الأمن نَتاجِ حُسنِ الظّن ، وإثبات الفَضل بحَال المأمُول ، وأرْجُو أن أكونَ منَ الشّاكرين ، فتكون خيرَ مُعتب [٢] وأكونَ أفضل شاكر ، وَلعلّ الله يجعلُ هـذا الأَمرَ سبباً لهذا الانعام ، وهذا الانعام سبباً للأنقطاع اليكم ، والكون تحتَ أجنحتكم [٣] فيكونَ لا أعظم بركةً وَلا أنمى بقيّةً من ذنبٍ أصبحتُ فيه ، وبملكَ جُعلتُ فِداك ،عادَالذّنبُ وسيلةً والسَّيئةُ حسنةً ، ومثلك من انقلبَ به النرُّ خيراً والغُرم [٤] غُنما [٥] من عاقب فقد أخذ حظّه ، وانما الأَجرُ فى الآخرة ، وطيبُ الذّكرفى الدّنيا،على قدر الاحتمال وتجرّع المرَائر : وأرجو أن لا أضيعَ وَأهلكَ فِيما بَيْنَ كرَمك وعقلك، وَما أكثرَ من يعفو عمَّنْ صغرَ ذَنبهُ وعظم حقّهُ ، وَإنّما الفضلُ والثناءُ العفوُ عنْ عظيم الجرم ضعيف الحُرْمة ، وَان كانَ العَفوُ العظيم مُستطرِقاً [٦] من غيركم فهو تِلادٌ [٧] فيكم ، حتّى ربّما دَعا ذلك كثيراً منَ النَّاس إلى مُخالفة أمركم ، فلا أنتم عن ذلك تَنكلُون [٨] وَلا على سالف إحسانكم تَندَمُون ، ولا مثلكم الاّ كمثل عيسى ابن مريم حين كان لا يمرُّ بملأ من بنى أسرائيل إلاّ أسمعُوه شرًّا وأسمعهُم خيراً ، فقال لهُ شمعُون الصفَّا — ما رَأيتُ كاليوم ، كلّما أسمعوك شرًّا أسمعتهم

(١) الجور (٢) مسر بعد اساءة (٣) حمايتكم (٤) ما يلزم اداؤه (٥) الغنيمة (٦) مستحدثا (٧) المال القديم ٣ تجنبون

خيراً فقال كلُّ امرىءٍ يُنفقُ مما عنده ، وليس عندكم إلاَّ الخيرُ ولا فى أوْعيتكم الاّ الرَّحمةُ * وكلُّ إناءٍ بالّذى فيه ينضحُ .

(وكتب ابن مكرّم الى بعض الرُّؤساءِ)

نَبَتْ (١) بى غرَّةُ الحدَاثة فرَدَّنى إليك التَّجربة ، وقادَنى الصَّرُورَةُ ثِقةً بإسراعكَ إلىّ ، وَانْ أبطأتُ عنك ، وَقبولك لعُذْرِى وَإنْ قَصَّرْتُ عن واجبك وَان كانت ذُنوبى سدَّت علىَّ مسالك الصّفحِ عنِّى ، فرَاجعْ فىَّ مجدَكَ وسُؤْدَدَكَ (٢) وَإنّى لا أعرفُ موقفاً أذَلّ من موقفى ، لوْلاَ انَّ المخاطبةَ فيه لك : ولا خطّةَ أدنأ مِنْ خطَّتى لوْلا أنها فى طلب رضاك والسلام

(وكتب أبو بكر الخوارزمى المتوفى سنة ٧٤٠ هـ)

لو بغير الماءِ حَلقِى شرقٌ كنتُ كالغصّانِ بالماءِ اعتصارى

كيف يقدِرُ أبقى الله السّيدَ على الدّوَام . من لاَ يهدى الى أوْجهُ الدّاءِ وكيفَ يُدارى أعداءَه . من لاَ يعرِف الأَصدِقاءِ منَ الأَعداء . وكيف يعالج علّة القرْحةِ العمياء . أم كيف يَسرى بلا دليل فى الظَّلماء ، أم كيف يخرُجُ الهارب من بين الأَرْضِ وَالسَّماء : الكريمُ اذا قَدَرَ غفر . واذا أوْثقَ أطلق . واذا أسرَ أعتقَ ولقدْ هَربتُ من السيد اليه . وتسلّحت (٣) بعفوه عليه . وألقَيْتُ رِبقَةَ (٤) حياتى ومماتى بيديه . فلْيذقْنى حلاَوَةَ رِضاهُ عنِّى . كما أذَاقَنى مَرَارَةَ انتقامه منِّى ولْتلُحْ (٥) على حالى غُرّةَ عَفوه . كما لاحتْ عليها موَاسمُ (٦) غضبهِ وسطْوه ، ولْيعلم أنّ الُحر كريمُ الظَّفَرَ . اذا نالَ أقال . وَأنَّ اللّئيمَ لَئيمُ الظّفر . اذا نال اُستطال وَلْيغْنم التَّجاوُزَ عنْ عثَرَاتِ الاحْرَارِ . وَلْيَنتهزْ (٧) فُرَص الاقتدار . وَلْيحْمد اللهَ

(١) ابعدتنى (٢) السيادة (٣) استعنت (٤) العروة التى يربط بها والمراد بها الزمام (٥) تظهر (٦) العلامات (٧) يغتنم

الذى أقامهُ مقامَ منْ يُرتحَى ويختشى، وركَّبَ نِصابَه فى رُتبةٍ شابَ الزَّمانُ ومجدُها فتىً ، وَأخلقَ العالَمُ وذِكرُها طرِىّ ، ولْيعتقدْ انهُ قدْ هابه منِ استتر وَلمْ يُذْنب اليهِ من أعتذَرْ ، وَأنمنْ رُدَّ عليهِ عُذْرُه ، فقد أُخرجَ الى الشَّجاعة بعد الجُبن وَاخرجَ ذَنبهُ إلى صَحن اليقين منْ سُترة الظَّنّ ، وَفّقَ اللهُ السّيدَ لما يحفظ عليه قلوبَ أوْليائه ، وعصَمه ممَّا يزيدُ بهِ فى عدَد جَماجم أعدَائه

(وكتب بعضهم الى رئيسه)

وَجدْتُ استصغارَك لعظيم ذنبى أعظمَ بقاء رتجاوُزك عنِّى ، ولعمرى ، ماجل ذنْبٌ يُقاسُ إلى فضلك . وَلا عظُمَ حُرْمٌ يضافُ إلى صفحك ، ويُعوَّلُ فيه على كرَم عفوك . وان كان قد وسعه حلمك ، فأصبحَ جليلهُ عندك محتقراً ، وعظيمه لدَيك مستصغراً ، أنه عِندى لفى أقبحَ صُور الذنوب ، وأعلى رُتب العُيوب ، غير أنهُ لوْلا بوَادر (١) السَّهاء لم تُعرَفْ فضائل الحلماء ، ولوْلا ظُهور نقص بعض الأتباع لم يَبن جمال الرُّؤساء ، وَلوْلا المام الملمّين بالذّنب لبطل تطوّل المتطوّلين بالصَّفح ، وانّى لأرجو أن تمنحكَ الله السلامَةَ بطلبك لها . ويُقيلك العثرَات باقالتك أهلَها ، وَما علمت انى وَقفتُ منكَ على نِعمه أتدبَّرُها . الاّ وجدتهاتشتمل على فائدة فضل تتبعها عائدةُ عَقل

« وكتب فقيد اللغة الشيخ ابراهيم اليازجى المتوفى سنة ١٩٠٦م »

بمَ يعتذِرُ اليكَ منْ لا يَرَى لنفسهِ عذْراً ، وكيفَ يَستَترِ منْ عَتْبك مَن لا يستطيعُ لذَنبه سَتراً ، بل كفانى من العَتب تعنيف نَفسى على ما ألقيت عليها من تبِعة تقصيرى . وما حُلتُ بهِ منَ التّفريط بينَها وبين معاذيرى وَاللهُ يعلم ما كان

(١) جمع بادرة الحدة عند الغضب

تقصيرى سيئاً أردْته . ولا كانَ تفريطى أمْراً قصدُته . ولكنَّها الأيامُ انصاحبتها لَم تَصحَب، وَان عاتبتها لم تُعتِب، فلقد عبرَتْ بى هذه البُرْهةُ كلُّها ، وَأنا بين شواغلَ لا يَشْغلها عنِّى شاغل ، وَبلابلَ [١] قد اختلطَ حابلها بالنّابل ، فتنازَعتُها هذه النُّهزةَ [٢] اليسيرَةَ ، أجدِّدُ فيها التَّذكرَةَ ، إلى أنْ يَمنّ اللهُ بصلة الحبل واجتماع الشَّمل ، وأستنزلُ أحرُفاً منْ خطّك يكتحِلُ بها النّاظر ، ويأنَسُ إليها الخاطِر ، متوقّعاً بعدَ ذلك أن أبقى بين يدى مودّتك مذكوراً ، وَالاّ يكون عجزى لديك شيئاً منظوراً ، وان تجرى بى على عادة حلْمِك ، الى أن يَجمعَ اللهُ الشتيتين ، ويُغنى العين [٣] عن الأثر بالعين [٤] ان شاء اللهُ تعالى و السلام

(وكتب أيضاً)

وَافانى كتابك العزيز و النفسُ نازِعة [٥] إلى ما يزيلُ نِفارَها ، والقريحةُ [٦] تائقةٌ [٧] الى ما ينْحذُ [٨] غرَارها [٩] فكان رَوضةً باسمةَ [١٠] الكمائم [١١] فاتحةَ النّسائم ، قدْ ردّت على النفس انبساطها ، وَأحبت البادرَةَ فاستأنفتْ نَشاطها فأنا منهُ ما بَينَ وَنىٍ [١٢] يخجلُ طِرَاز العَبْقريّة [١٣] وَزُخرُفٍ [١٤] دُونَه نضرةُ [١٥] السّابريّة [١٦] تُناجينى منه رشاقةُ [١٧] ألفاظٍ تفضحُ قُدُودَ [١٨] الحسان ، وغضاضةُ [١٩] أنفاسٍ يغارُ منها وَرْدُ الجِنان ، ورقّةُ خطابٍ يشِفُّ [٢٠]

---

(١) هموم والحابل قيل ناصب الحبالة للصيد وقيل سدى الثوب ــ والنابل قيل صاحب النبال وقيل لحمة الثوب ولعط المثل اختلط الحابل بالنابل وهو مثل يضرب فى ارتباك الامر (٢) بضم النون للفرصة (٣) الباصرة (٤) الذات (٥) مشتاقة (٦) الملكة التى يقتدر بها على استنباط العلم بحدة الطبع (٧) مشتاقة (٨) بحده وأصله لحد السكين (٩) بكسر الغين والمراد ان الملكة مشتاقة الي مايجعلها قوية مصيبة (١٠) ضاحكة (١١) الزهر (١٢) نقش الثوب (١٣) ثياب تبلغ الغاية فى الحسن (١٤) كمال الحسن (١٥) الحسن (١٦) ثياب رقيقة جيدة وأصلها للدروع السابرية نسبة الى سابور كورة بفارس بينها وبين شيراز ستة عشر فرسخا (١٧) لطافة (١٨) جمع قد القامة (١٩) الحسن (٢٠) يحكى

عن ودٍّ صفيٍّ ولطف خفيٍّ [١] وكرمٍ وفىٍّ ، وعتبٍ أعذبَ من الماءِ القراحِ [٢] وأرقَّ من نسماتِ الصبا فى الصباح ، حتى لقد حببَ إلىَّ تقصيرى وشفعَ عند نفسى فى قبول معاذيرى ، على أنَّ ما عندى من الولاء لا يعتريه معاذَ الله وهن [٣] ولا يُخلقهُ [٤] تمادِى زمن أو توالِى وطن ، ولكنَّ صُرُوفَ الأحداث [٥] قد قصَّرت الجهد [٦] وصرفت جواد العزيمة عن القصد ، والله يعلم أنِّى لوْ نزلت على حكم نوازل الدَّهر . ولم أدافع طلائعها بما بقى من ساقة [٧] الصبر ، لما كان فى همَّتى إلا كسرُ اليراع [٨] وهجرُ المحابرِ والرِّفاع [٩] وحسبى من العذر ما أعرفه من حلمك المألوف ، وما ألفتهُ من كرمك المعروف ،

والله أسأل أن يُبقيك لى من الدَّهر نصيباً ، ويمتّعنى بلقائك قريباً بمنّه وكرمه

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)

أما بعدُ فنعمَ البديلُ من الزلة الاعتذار ، وبئس العوضُ من التوبة الإصرارُ فانهُ لا عوضَ من إخائك ، ولا خلفَ من حُسن رأيك ، وقد انقمتَ منى فى زلّتى بجفائك ، فأطلق أسيرَ تشوُّقى إلى لقائك ، فأنّى بمعرفتى بمبلغ حلمك وغاية عفوك ، ضمنتُ لنفسى العفوَ من زلّتها عندك ، وقد مسّنى من الألم ما لَمْ يشفِهِ غير مواصلتك

« وكتبت زبيدة زوجة الرَّشيد المتوفَّاة سنة ٢١٦ هـ الى المأمون »

كلُّ ذنبٍ يا أميرَ المؤمنين وان عظمَ صغيرٌ فى جنب عفوك ، وكلُّ إساءة وإن

---

(١) ظاهر فهو من الاصداد (٢) بفتح القاف الخالص (٣) ضعف (٤) لا يبليه (٥) كلاما مصائب الدهر (٦) بفتح الجيم وضمها الطاقة (٧) آخره (٨) الاقلام (٩) الرقاع بكسر الراء مفرده رقعة وبضمها القطعة من الورق التى تكتب

جلّتْ يسيرَة لدَى حلمك ، وذلك الذى عوّدكَه الله أطال مدّتك ، وتمّم نِعمك وأدام بك الخير ، وَدفعَ عنك الشّر والضَّير ،

وَبعد فهذه رُقعة الوَلْهى ، التى ترْجُوكَ فى الحياةِ لنوَائبِ الدّهر ، وَفى الممات لجميل الذّكر ، فانْ رَأيْتَ أن تَرْحمَ ضُعفى وَاسنكانتى ، وَقلّة حِيلتي ، وَأن تصلَ رَحمى ، وتحتسبَ فيما جعلك اللهُ له طالباً ، وَفيهِ رَاغباً : فافعل — وتذكّرمَنْ لوكان حيًّا لكان شفيعى اليك

« وكتب اليها المأمون جوَاب المواساة الآتى »

وَصلَتْ رُقعتُك يا أمَّاهُ ، أحاطك الله وتولاَّكِ بالرّعاية [١] ووقفتْ عليها وَساءنى (شهد اللهُ [٢]) جميع ما أوْضحتِ فيها ، لكنَّ الأَقدارَ نافذةٌ [٣] وَالأَحكامَ جاريةٌ ، وَالأمورَ متصرِّفةٌ ، وَالمحلوقونَ فى قبْضتها لا يقدرون على دفاعها [٤] وَالدّنيا كلُّها الى شتات [٥] وكل حىّ الى ممات ، وَالغدر والبغى حتف الانسان [٦] . وَالمكر رَاجعٌ الى صاحبه

وَقد أمرْتُ برَدّ جميع ما أُخذ لك . ولم تفقدى ممَّن مضى الى رحمة الله الاّ وجهه ... وأنا بعد ذلك لك على أكثرَ ممَّا تختارين [٧] والسلام

« وكتب بعضهم »

انِّى وَان جَنيْتُ على نفسى . وخرَجتُ عنْ حدّ الأدب ، فيما يجب على العبد لسيِّده . فانى عبدُ نعمتك وَصنيع إحسَانك . وَذَنْبي وإن عظُم . وَضاقَ باب التَّوبة عن قبول المعذرة . فالعفوُ عنهُ بعضُ حسناتِك . التى فُطِرتَ عليها . وَالاغضاءعنّى

(١) يعنى حفظك الله وصانك برعايته (٢) جملة معترضة يقصد بها تأكيد مايقول (٣) يعنى ما قدره الله لابد أن يكون (٤) يعنى أن المخلوقات مستسلمة لاحكام الله وأقداره (٥) ما لها التفرق (٦) يعنى أن البغى فيه هلاك الباغى (٧) يعنى أقوم لك بجميع ما تحبين وزيادة

سرٌّ من أسرارك التي تميلُ اليها ، فاجعل العفوَ عنّى قُربةً الى مولى الموالى ، واترك العبدَ عتيقَ مكارم الأخلاق ، وَالاّ فَضعْ سيفَ نِقمتكَ فى نحر عبد نعمتِك وَأنْتَ حِلٌّ من دمٍ أراقه أهلُه ، أوْ آلَ أمرُه ، الى وَارثٍ لا يسعهُ الاَّ النُّزولُ عن المُطالبةِ به : ألا وَهو مقامُ جلالَتكم السَّامى

وَحاشاك أنْ تُعدمَ الصَّادقَ فى خدْمتِكَ بهفوَة لم يقصِدها ، وَذنبٍ أقلعَ عنهُ وَعلى كلٍّ فالعبدُ بينَ يديك ، وَأمرُه منكَ واليك ، فقد ألقى اليك مقاليد الأجل ، فافعل ما تشاء ، وَاتّقِ الله عزَّ وَجلّ

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)

أعاذَكَ اللهُ من سُوءِ الغضَب (١) وَعصَمَكَ من سَرَف (٢) الهوَى، وَصرَف (٣) ما أعارَكَ منَ القُوَّة الى حُبّ الأنصاف (٤) وَرجَّحَ فى قلبك إيثارَ (٥) الأناة فقَدْ خِفْتُ أيَّدَكَ اللهُ أنْ أكونَ عندك من المنسوبين إلى نَزَقِ (٦) السفهاء ومجانبة سُبلِ الحكماء

وبعد فقد قال عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت المتوفى سنة ٥٤ هـ

وَإنّ امرأً أمْسى وَأصبحَ سالماً مِنَ النَّاس إلاّ ما جَنَى لَسعيدُ

وقال الآخر

وَمن دعا النّاس إلى ذمِّه ذمّوه بالحقّ وبالباطل

فان كنتُ اجترأتُ (٧) عليكَ أصْلَحَكَ اللهُ ، فلم أجترئْ إلاّ لأنَّ دَوَامَ تغافُلك عنّى ، شبيهٌ بالأهمال الذى يورثُ الاغفالَ ، وَالعفوُ المتتابعُ يُؤمنُ من

(١) حفظك (٢) مجاوزة الحد (٣) وجه (٤) جعله راجحا (٥) اختيار (٦) طيش (٧) أقدمت وهجمت

المكافأة . ولذلك قال عُيَينةُ بن حِصن بن حُذيفةَ لعثمان رحمهُ الله « عُمرُ كان خيراً لى منك ، أرْهبنى فأتّقانى وأعطانى فأغنانى » فان كُنتَ لا تَهبُ عِقابى أيّدَكَ اللهُ » لحدْمةٍ ، فهبهُ لأياديك عندى ، فانَّ النعمةَ تشفَعُ فى النِّقمة ، والاَّ تفعلْ ذلِك لذلك . فعُدْ إلى حُسنِ العادةِ ، والاَّ فافعلْ ذلك لحُسن الأحدوثة . والاَّ فأتِ ما أنتَ أهلُه منَ العفو . دُون ما أنا أهلهُ من استحقاق العقُوبة . فسُبحانَ منْ جعلك تعفو عن المُتعمِّد . وتتحافى عن عِقاب المُصرِّ . حتى إذا صِرْتَ إلى مَن هفوَته ذكرٌ . وذنبهُ نِسيانٌ . ومَن لاَ يعرِف الشكرَ إلاّ لك . والإنعامَ إلاّ منك هحمَتَ عليه بالعقوبة — واعلم أيّدَك الله أنّ شينَ غضبَك علىّ . كزَين صفَحك عنّى ، وأنَّ موْتَ ذِكرِى مع انقطاع سببِي منكَ ، كحياة ذكرك معَ اتّصال سَببِي بك ، واعلم أنّ لك فِطْنةَ عليمٍ وغفْلةَ كريمٍ — والسلام

﴿ الكلام على الرسائل المتداولة ﴾

هذه الرّسائل تتفرّع الى ثلاثة أقسام باعتبار الغرَض المقصود : فإمّا أنْ تقصد بها أمور الكاتب : وامّا أمور المكتوب إليه ، وامّا غرَضاً ثالثا

فالأوّل : يشتمل على الرّسائل التُّجاريّة . والطلب • والشكر • والاعتذار

والثانى : على رسائل النّصح • والملامة • والاخبار • والتهنئة • والتعزية والاجوبة

والثالث : على رسائل الوصاة • والشفاعات

﴿ الفصل الثانى [١] فى رسائل الطلب ﴾

(كتب الى عبيد الله بن سليمان أبو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢ هـ)

أنا أعزّك الله وعيالى زَرْعٌ من زَرْعك إن أسقيتهُ رَاعَ [٢] وزكا وإن جفوْتَهُ ذبُلَ وذوى [٣] وقد مسّنى منك جفاءٌ بعد بِرٍّ، واغفالٌ بعد تعاهد. حتى تكلّم عدُوٌّ، وسمِتَ حاسدٌ. ولعبت بى طنونُ رجالٍ كنتُ بهم لاعباً. ولهم مُخْرِساً

لاَ تُهنى بعْدَ أنْ أكرَمْتنِي وَشَدِيدٌ عادَةٌ مُنتزَعهْ

(وكتب صاحب الدولة الوزير الخطير عبد الخالق باشا ثروت)

إليكَ يامن قد استأسرَ النفوس بكرَمِه. واسترقّ الأحرارَ بجميلِ صُنعه. وأولى النِّعمَ والخيرات. وأسْدَى المعروفَ والمبرّات. أرفعُ كتاباً نبعثهُ إلى ناديك العالى عوَاملُ الحاجة، وتُزْجيه [٤] إلى ساحتك دواعى الشدّة، آملُ أن يكونَ تذكرةً بأمرى، والذِّكرَى تنفعُ المؤمنين، وتذكرةً بحالى واللهُ لاَ يُضيعُ أجرَ المُحْسِنين. فقد كان سيدى رفعَ الله قدره وأعلى مرتبَه، وعدَنى ومثلُه مَن يتمسّك من الوفاءِ بالعُرْوَة [٥] الوُثْقى، ويقطعُ حبلَ الإخلاف بسيف الوَفاء، ويُطرّز خِلعة الوَعْدِ بوَشْى العطَاء، أن يُرْسِلَ لى من خيرَاته، ويُوليَنى من آلائه وحسناته ويضاعفَ لى من مِنَنِه ويزيدَنى من عطائه ما أشُدُّ به أزْرِى [٦] على الزّمان وأطاولُ به نوائب الحدَثان [٧] فقد بارزَنى الدّهر بسيوفه، ورَمانى بسهامه وأناخَ [٨] علىّ بكلاكِلِه [٩] وقد طالَ الأمدُ [١٠] على حاجتى عند سيّدى أطال

---

(١) والفصل الاول فى الرسائل التجارية التى أغفلناها فى كتابنا هذا لان لها مؤلفات خاصة بها فارجع اليها اذا شئت (٢) نما وزاد (٣) ذبل (٤) تدفعه (٥) من الحبل الوثيق المحكم (٦) ظهرى (٧) بفتح الحاء والدال أو بكسر الحاء وسكون الدال حوادث الدهر (٨) مال (٩) مصائبه (١٠) الغاية

الله بقاءه ، حتى طار غُراب شبابها وصاح بجانب ليلها فخفت أن تكون هبّت عليها ريح النسيان ، وعصفت (١) بها عاصفة (٢) الحدثان (٣) فكتبت إلى سيدى ومولاى تلك الرقعة ، أستعجل بها برّه وأستدرّ بها ضرع عطائه ، علماً بأنّ التعجيل يكبّر العطيّة ، وإن كانت صغيرة ، ويكثرها وإن كانت يسيرة فعسى أن يكون قد لاح نجم النجاح ، وهبّ نسيم الفلاح ، فيرسل سيدى إلىّ سحاب كرمه ويمطرنى من غياث فضله ، فتترف (٤) غصون آمالى بعد ذبولها ، وتضحك وجوه مطالبى بعد عبوسها ، وأملى فى ذلك فسيح ، فانّ سيدى من أكرم الناس نسباً وأشرفهم حسباً ، ومثله جدير (٥) بحفظ العهد وإنجاز الوعد : فان رأى سيدى أن يخفّف ثقل الحاجة عنى ويردّ ما سلبه الدهر منى بقطرة من بحر عطائه ومنّة (٦) من بعض آلائه (٧) ويجبر ما كسره الفقر من جناحى . ويردّ عنّى النوائب التى لا تنفأ (٨) تتولانى ، عقدت لسانى على مدحه ووقفت نفسى على شكره ، فيحرز من الله أجراً جزيلا ومنى شكراً جميلا — ان شاء الله بمنه وكرمه

(وكتب المرحوم أحمد بك رأفت)

السيّد الكامل أدام الله علاءه وأطال بقاءه ، وجعله موئل (٩) الكرم ومُسدِى النعم ، قد غمرنى بنعمائه وطوّقنى بآلائه ، حتى قصرت حمدى عليه وأمسكت لسانى عن الشكر إلاّ إليه ، وكان من منّه علىّ وأياديه البيضاء لدىّ أن وعدنى أنه يقلّدنى فى أوّل العام وظيفة عالية ومرتبة سامية ، فاخضلّ (١٠) روض الأمل بعد ذبوله وبزغ (١١) كوكبه بعد أفوله (١٢) واتّسع نطاقه (١٣)

(١) اشتدت (٢) الريح (٣) حوادث الدهر (٤) تتلألأ (٥) حقيق (٦) نعمة (٧) نعمه (٨) تستتر (٩) ملجأ (١٠) صار نديا (١١) طلع (١٢) غيبته (١٣) ثوبه

واستبشرَ القلبُ بنيل أمنيّته والحصول على طلبته ، واشتدّ أزرِى [١] على مُقارعة كتائب [٢] الزّمان ، وقوِىَ جنانى على صدّ جيوش الحدثان ، وما زالتْ بى الأيام حتى حانَ أوّلُ العام وما تحقّقَ الوعدُ أوْ أوفى العهدُ ، ومِثْلُ السيّد مَنْ إذا وعدَ وَفى ، أو تعهّدَ أوْفى

أفى دِينِ ذِى المعروف يجملُ أنّنى ... تنوءُ بىَ البُؤسى ويُثقِلُنى العُسرُ
وأنتَ الذى أعطى المكارمَ حقّها ... ولم يحكِ جَدْواكَ السّحابُ ولا البحرُ
فعجِّلْ بخيرِ البرِّ يُحمَدْ عاجلاً ... وأوْفِ فوَعدُ الحرّ دِينَ به الحرُّ

هذا ولكنّنى رجعتُ وحكّمتُ العقلَ فعذرْتُ السيد ، وحملتُ ذلك على أنه إنما لم يعجِّلْ بإنجاز وَعدِه ، وإيفاء عَهده الاّ لتفليد عبده وظيفةً أسمى ومرتبةً أعلى — علّه يستدرِك ما فات ، ويُحسنُ إلى عبده فيما هوَ آت

(وكتب الفاضل عبد العزيز بك محمد)

عهدى بالسيد الجليل أدامهُ الله مَصدراً للمكارم تشتقُّ منه صفاتها ، ومَظهراً للفضائل تتحلّى فيه آياتُها ، سبّاقاً إلى غايات المجد درّاكاً لمطالب الحمد ، أريحيّاً [٣] لا يَصبو إلاّ الى إسْداءِ [٤] المِنن [٥] جوّاداً لا يطمعُ طرفه فى بَتّ عوارفه إلى ثمن ، ما أمّه [٦] أسيرُ فاقة [٧] الاّ وألفى [٨] لديه كهفاً منيعاً وجاهاً رفيعاً ، وما قصدَه ذُو حاجةٍ الاّ وصدَر [٩] عن موْرِد [١٠] فضله شادياً [١١] بثنائه ، مُعلناً بولائه وإنّ لى الى السيّد حاجةً ان لم يُسعِفْ بقضائها فيا حسرَة نفسى وطولَ شقائها وليست هذه بأوّلِ مرّةٍ أسمحتُ [١٢] فيها عالى مُروءته ، واسنمْطَرْتُ

(١) ظهري (٢) الجيوش (٣) يرتاح للعطاء (٤) لايميل (٥) احسان (٦) قصده (٧) فقر (٨) وجد (٩) رجع (١٠) مكان الورود (١١) مترنما (١٢) سألته العطاء

صَيِّبَ (١) هِمَّته، فانَّهُ طَالما طوَّقنى نَلائد نِعَمِهِ ، وأرسل علىَّ مِدْرَار (٢) كَرَمه فليحرْ فى هذه أيضاً على عادته ، ويُقابلنى بما عَوَّدَنى من كَرَامه : ومعاذَ الله أن أسأله ماليسَ فى وُسعه ، أو أن أستقضيَه سيئا يَحرصُ على مَنعه . ولكِنَّنى

أُريدُ بسطةَ كفّ أستعينُ بها على قَضاءِ حقُوقٍ لِلعُلَى فِقَلِى

والذى يكفُلُ لى تلك البَسطَة أن يُقلدنى سيدى وظيفةً مُناسبةً لحالتى ، حتى تكون لى دِرْعاً أتَّقى بها مهانة الفَقر ، وسيفاً أكفُّ به عَوادى الدَّهر ، وما لى والأقسام عليه فى إنالتى هذه البُغية بنفيس وقتٍ قَضيتُه فى خدمة العلم واقتناء أبكاره ، وطويل عناءٍ تَحَمَّلته فى مُزاولة (٣) الأدب واكتشاف أسراره ، ونفسٍ ارتاضت (٤) بالفضْل وآثرتْ (٥) غُصّة الفقر على مِنَّة البذْل ، وله من سنيات (٦) الفضائل (٧) وعليّات الفواضل (٨) وجليّات المآثر وجليلات المفاخر ، ما لو أقسم به عليه فى إنالة أعز المطالب لألزمه كرمُ سحاباه بِرّ ذلك القَسم ، واجابه دَواعى الهِمم ، وانكَ لفاعِل ان شاءَ الله تعالى

(وكتب فقيد الأدب حسن افندى توفيق العدل المتوفى بلندن سنة ١٣٢٢ هـ)

كتابى إلى رَبِّ النّعماء واليدِ البيضاء ، وقد أصبحتُ كما قال الحريرى خاوِىَ (٩) الوِفاض (١٠) نَادِىَ (١١) الأنفاض (١٢) لا أملكُ بُلْغة (١٣) ولا أجد فى جرابى مضغة (١٤) قد التَوى علىّ أمْرِى وثَقُلَ من حاجتى ظهرى مدَّ الاحتياجُ إلىّ أطنابَه (١٥) وعمرْبلَنى (١٦) الافتقارُ إهابَه (١٧) والدُّنيا مكدِّرَة بأحداثها (١٨)

(١) السحاب (٢) مايدر بالمطر (٣) معاناته (٤) تمرنت (٥) اختارت (٦) عاليات (٧) جمع فضيلة الدرجة العالية (٨) فاضلة النعمة الجميلة (٩) خالي (١٠) بكسر الواو جراب الزاد (١١) ظاهر (١٢) فناء الزاد والمال (١٣) بضم الباء المؤنة القليلة (١٤) انتهى كلام الحريرى (١٥) حبال الخيمة (١٦) البسه قميصا (١٧) جلده (١٨) مصائبها

وقُصورُها مُنغَّصةٌ بأجدانها (١) نعيمها يَضفُو (٢) ولكن لا يَصفو، وأنتَ كما أعلم مُفرِّجُ كُرْبَتى ومُنقذى مِن شدَّتى، بطُرفة (٣) من طُرف رِفْدِك (٤) ولَمْحةٍ من لَمَحات بِرِّك (٥) فان استدرَرْتُ (٦) حَلُوبة (٧) مَالكَ فقد لاذ غيرى بجاهك ما يَمَّمْتُ (٨) غيرَك وكيف يَقصِدُ النّهر من جاوَزَ البحرَ ويحتاجُ إلى النَّحم منْ يسْرى فى ضوءِ البدر، فأستَهِزُّ عِطف (٩) جُودكَ وأستمطرُ سَحاب كرَمك كيف وأنتَ فِلْقَةُ المعرُوف · ومَلاذَ الملهوف، اليك تُشدُّ الرِّحال، وبك تُناط الآمال أوْلياؤُك مِنك فى ظِلّ مَمدُود، وهناءٍ وسعُود، أفأنت الشّمس عمَّت بالإشراق أو العيث والى الاندِفاق — لكن

مَنْ فاسَ جدْوَاكَ يوْماً بالسَّحْبِ أخْطأ مدْحَكْ
فالسَّحْبُ تُعطى وتَبكى وَأنت تُعطى وتضْحَكْ

نَسَبُ الكرَم بلك، عَريقٌ وروضُ المجد أنيقٌ، أصلٌ رَاسخٌ، وفَرْعٌ شامخ تهتَزُّ للمكارم اهتزازَ الحسام. وتَثبُتُ أمامَ الشّدائد بثَغْرٍ بَسّام

تراهُ إذَا ما جئتَهُ مُستهلاً كأنَّك تُعطيه الذى أنتَ سائلهُ

حكَّمتَ الآمالَ فى أموالك، واستعبدتَ الأَحرارَ بِفعالك، يُنابيع الجُود من أناملك تتفجَّر، وربيع السَّماح بك ضاحكٌ لا يَضجَر، فلا زِلتَ مولاىَ ممتّعاً بشرف سحَايَاك وشيمك، مُستمدّا الشكر من غِرَاس نعمك، ولا زالَت الأنام تنتفع بتلك الشِّيم، وتجنى ثمار ذلك الكرم، ودُمتَ للمكارم بدر تمٍّ لا يناله خُسوف، وشمسَ فضل لاَ يَلْحقُها كُسوف: أطال اللهُ لك البقاء كتطوّل يديك بالعَطاء آمين

(١) قبورها (٢) يكثر (٣) بنعمة (٤) عطائك (٥) احسانك (٦) استجلبت (٧) مانحلب (٨) ماقصدت (٩) جانب

﴿ الفصل الثالث فى رسائل الشكر ﴾

« كتب أبو منصور الثعالبىّ المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

الشكر تُرجمان النِّية ولسانُ الطَّوِيَّه ، وشاهد الاخلاص وعُنوان الاختصاص عندى من انعامه . وخاصّ برّه وعامّه ، ما يستغرق منهُ الشكر ويستنفدُ قُوَّةَ النّشر شكر الأسير لمن أطْلقتهُ والمملوك لمن أعتقهُ شكر كأنفاس الأحباب فى الأسحار أو أنفاس الرّياض غِبَّ الأمطار

« وكتب الحسن بن وهب المتوفى سنة ٤٧٢ هـ »

من شَكرك على درجةٍ رفعتهُ اليها أوْ ثروَة أفدَتهُ عليها ، فانّ شكرى لك على مُهجةٍ أحييتَها وحشاشةٍ أبقيتَها وَرَمَق أمسكتَ به ، ونِعمَ بين التّلف وبينه فلِكُل نِعْمَة من نِعَم الدّنيا حدٌّ تنتهى اليه ، ومدًى تقفُ عنده ، وغاية من الشكر لا يَسمو إليها الطَّرْف ، خلاَ هذه النّعمةَ التى فاقت الوَصف ، وأطالَ الشكر ، وتَجاوَزَت قدرْه (وأنتَ مِن وراء كلّ غاية رَددتَ عنّا كيد العدُوّ وأرغَمْتَ أنف الحسود) فنحن نَلْجأُ منك إلى ظلٍّ ظليل وكَنَف[1] كريم فكيف يَشكرُ الشّاكرُ وأين يبلُغُ جُهْد المجتهد

« وكتب الأمير أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ »

فأما الشكرُ الذى أعارَنى رِداءَهُ وقلّدَنى طَوْقَه وسناءَه [2] فهيهات أن ينتَسب الاّ إلى عَاداتِ فضله وَإفضاله ، أوْ يَسيرَ إلاّ تحتَ رَايات عُرْفه [3] ونوَاله [4] وهوَ ثوْبٌ لا يَحلّى إلاّ بذِكرِه طِرَازُه واسمٌ له حقيقته ولسواه

(١) جانب (٢) رفعته (٣) معروفه (٤) عطائه

مجازه ، ولو أنه حين ملك رقّى بأياديه ، وأعجز وسعى عن حقوق مكارمه ومساعيه خلّى لى مذهب (١) الشكر وميدانه ، ولم يجاذبنى زمامه وعنانه ، لتعلّقت فى بلوغ بعض الواجب بعروة طمع ، ونهضت فيه ولو على وهن وطلع (٢) ولكنه يأبى إلاّ أن يستولى على أمد الفضائل ويتسنّم (٣) ذرا (٤) الغوارب (٥) منها والكواهل (٦) فلا يدع فى المجد غاية إلاّ سبق إليها فارطاً (٧) ويخلّف سواه عنها حسيراً (٨) ساقطاً ، لتكون المعالى بأسرها مجموعةً فى ملكه منظومةً فى سلكه خالصةً له من دعوى القسم وشركه (٩)

(وكتب أستاذى الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده (١٠) الى حافظ بك ابراهيم)

لو كان بى أن أشكرك لظنٍّ بالغت فى تحسينه ، أو أحمدك لرأى لك فينا أبدعت فى تزيينه ، لكان لقلمى مطمعٌ أن يدنو من الوفاء بما يوجبه حقك ويجرى فى الشكر الى الغاية كما يطلبه فضلك ، لكنّك لم تقف بعرفك (١١) عندنا بل عممت به من حولنا وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا ، زففت الى أهل اللغة العربية عذراء من بنات الحكمة الغربيّة ، سحرت قومها ، وملكت فيهم يومها ، ولا تزال تنبّه منهم خامداً وتهزّ فيهم جامداً ، بل لا تنفك تحيى من قلوبهم ما أماتته القسوة ، وتقوّم من نفوسهم ما أعورت فيه الأسوة (١٢) حكمة أفاضها الله

---

(١) الطريق (٢) كلاهما الضعف (٣) يعلو (٤) اعالى (٥) جمع غارب مابين الطهر والعنق (٦) جمع كاهل مابين الكتفين (٧) سابقا (٨) كليلا (٩) مشاركته (١٠) هو الاستاذ الامام المرحوم مفتى الديار المصرية سابقا ولد سنة ١٢٥٨هـ وتوفى سنة ١٣٢٣هـ وكتب هذا المكتوب شكرا لمترجم كتاب البؤساء وقد نظم قصيدة اثناء مرضه منها

ولست أبالي أن يقال محمد ابل أواكتطت عليه المآتم
ولكن دينا قد أردت صلاحه أحادر أن تقضى عليه العمائم

(١١) المعروف (١٢) بالكسر والضم القدوة

على رجلٍ منهم فَهدَى الى التقاطها رجلاً منّا ، فجرّدها من ثوبها الغريب، وكساها حُلّةً من نسج الاديب ، وجلاهَا للنّاظر وحلاّها للطّالب، بعد ما أصلَحَ من خَلْقها وَزان من معارفها ، حتّى ظهرَت مُحبّبة الى القُلوب شيّقة [١] الى مؤانسة البصائر تَهَشّ [٢] للفهم وَتبَش [٣] للطف الذّوق وتُسابق الفكرَ الى مَوطن العلم ، فلا يكاد يلْحظُها الوَهم الا وهى من النَّفس فى مكان الألمام

حاوَلَ قومٌ مِن قبلك أن يَبلُغوا من ترجمة الأَعجم مَبلغك فوَقَفَ العجز بأغلبهم عند مبدأ الطّريق،ووصل منهم فريق الى ما يحبُّ من مقصدِه ولكنّه لم يُعنَ بأن يعيد الى اللّغة العربية مافقدت من أساليبها، ويردَّ اليها ما سلبهُ المعتدون عليها من متانة التأليف وحُسن الصِّياغة وارتفاع البيان فيها الى أعلى مراتبه ـ أمّا أنْتَ فقد وفّيت من ذلك ما لا غاية لمريدٍ بعدَه ولا مَطمَع لطالب أن يَبلُغ حدّه ولو كنتُ ممن يقول بالتّناسخ . لذَهبتُ إلى أنّ روح « ابن المُقفّع » كانت من طَيّبات الأرواح . فظهرتْ لك اليوم فى صورَة أبدَع ومعنى أنفع ، ولعلك قد سنَنت بطريقتك فى التّعريب سُنّةً يعمل عليها من يحاوله بعد ظهور كتابك ويحملها الزّمان الى أبناء ما يُستقبَلُ منهُ ، فتكون قد أحسنت الى الأبناء كما أجملتَ فى الصُّنع الى الآباء ، وحكَمت للّغة العربية أن لا يدخلها بعدُ من العُجْمة سِوَى ما هو فى الأسماء أسماءِ الأماكن والأشخاص لا أسماء المعانى والأجناس ومثلى من يعرف قدْرَ الأحسان إذا عمّ ويُعلى مكان المعروف اذا شمِل ، ويتمثّل فى رأيه بقول الحكيم العربى أبى العلاء المعرى

ولو أنى حُبيتُ الخلدَ فرْداً لَمَا أحببتُ بالخلد انفرادا

(١) لطيفة (٢) بفتح التاء تصل اليه بسهولة (٣) بفتح الباء من البشاشة

فلا هَطَلَت علىَّ ولا بأرضى سَحائبُ ليسَ تنتظِمِ البِلادا

فما أعجزَ قلمى عن الشكر لك، وما أحقّك بأن ترضى من الوَفاءِ باللقاء

« وكتب أيضاً فى الشكر مع توثيق المودَّة الى بعض أصحابه »

لكَ فى قلوبنا من المودّة ما يزكيه سَناؤك، وَفى منَا طقنَا من الحمد ما يُوجبه كمالُكَ، وَفى صُدورنَا من الإجلال ما يرفعهُ بَهاؤك، وَما بيننَا من المودَّة لا تحُدُّه مُدَّة، ولا تخلق له جِدَّة، نُعيذهُ من حَاجة للتّحْديد، واستدعاءِ للمزيد، فلا المواصلة تُربيه، ولا المجاهلة تُوهيه: نَعمْ إنَّ ما يحفظُ لك فى الأنفُس هو تجلّى فضلك، ومسالُ علائكَ ونَبلك، وذلك الخالد بخلُود الأرْواح الباقى فى تفَانى الأنساح

وَبعدُ فقد تلقَّيتُ منك كتاباً يَسُوح بسرّ المحبَّة، ويَنشرُ طىَّ الصَّدَاقة، فيه تبيان وُجدانكَ ممّا وَجدْنا، وتأثّرك على مَافقدنا، فكان نبأ عمَّا نعلمُ وقضاء بما نحكم ولكن شكَرْنا لك فضلَ المرَاسلة وأريحيَّة المجاملة والله يتولّى إيفاءك مثوبةً تكافئُ وفاءك

« وكتب أيضاً فى الشكر لآخر »

لوْ كان فى الثناء . وملازمةِ الدُّعاء، وحفظِ الجميل، والقيام بالخدمة جُهدَ المستطيع ما يَفى بشُكرِ مَنْ يَفتتح بابَ المحبّة، ويبدأ بصنَائع المعرُوف لكنتُ والحمد لله منْ أقدَر النّاس عليه، ولكنْ أنَّى يكون فى ذلك وَفاء، والمحبَّة سرُّ نظام الأكوَان، والأحسانُ قِوَام عَالَم الأمكان، والقائمُ على كنْهِ جميعه قَيُّومُ السَّمَوَات وَالأرْض، والمفتتِحُونَ لأبوَاب العُرْف على هذه النِّسبة الجليلة منهُ فليس لى إلا أنْ ألجأ الى الله فى مكافأة فضيلتكم، على ما كان منكم أيام الأقامة بينكم ثمَّ أُسَلّى نفسى عن عَجزى بما أتخيَّلُ أن كرمكم سيروى:

سيكفى الكريمَ إخاءُ الكريم وَيقنع بالوِد منهُ ذَوَالا

وبعدَ هذا أرجو عفوكم عن التّقصير فى المبادرة الى المكاتبة ، لأنى شُغلت بما شغَلنى عن نفسى ، ولكن زالت العوارض والحمد لله : وفاتنى لهذا العذر تهنئتكم بالعيد : وإنما للمؤمن فى كلّ يوم بربّه عيد ، فتهنئكم برضاءِ الله عنكم وتقبّله صالح الاعمال منكم : وسلامى على نجلكم ومن ينتمى اليكم

﴿ الفصل الرابع فى رسائل النصح والمشورة ﴾

(كتب بديع الزمان الهمدانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

اسمَعْ نصيحةَ ناصحٍ جَمَع النَّصيحةَ والْمِقه (١)
إيّاك وَاحذرْ أنْ تكو نَ من الثقَاتِ عَلَى ثِقه

صدَقَ الشاعرِ وأجاد ، والمثقات خيانة فى بعض الاوقات : هذه العَينُ تُريك السَّرابَ (٢) شَراباً ، وَهذه الأُذُنُ تُسمِعُكَ الخطأ صَوَاباً ، فلست بمعذور إن وثِقْت بمحذُور ، وهذه حالةُ الوَاثق بعَينه السامعِ بأذنه ، وأرَى فُلاَناً يُكثر غِشْيانك (٣) وهو الدنيءُ دَخِلَتُه (٤) الرّدىءُ جُملَتُه ، السّيء وَصلَتُه ، الخبيثُ كِلمَتُه ، وَقدْ فسمتَه فى زِرّك (٥) وجعلتهُ موْضعَ سرّك ، فأرنى موضع غلطك فيه ، حتّى أُريكَ موْضعَ تَلاَفيه (٦) أفظاهرُهُ غرّك ، أم باطنُهُ سَرّك

يا مولاى : يُوردُك (٧) ثم لا يُصدِرُك (٨) ويُوقِعُك ثمّ لا يَعْدُرُك ، فاجتنِبه وَلا تقرَبه ، وإن حَضر بابَك فاكنُس جنابَك (٩) وإن مَسّ ثوْبك فاغسلْ ثيابك

---

(١) المحبة (٢) ما تراه نصف النهار عند اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض وهو مثل فى الخادع والكاذب (٣) اتيانك (٤) بتثليث الدال نيته (٥) قوام القلب (٦) تداركه (٧) يوصلك الى مكان ورود الماء (٨) لا يرجعك (٩) القناء والناحية

و ان لَصِقَ بجلدِك فاسلخْ إهابك ، ثمّ افتتح الصّلاة بِلَعْنِه ، و إذَا استعذْتَ بالله منَ الشّيطان فأَعِنه[1]

(وكتب الاسكندر المقدونى الى أستاذه الحكيم أرسطو)

(يستشيره فيما يفعله بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءهم و تغلّب على بلادهم)

عليكَ أيُّها الحكيم منّا السّلَام : أمّا بعدُ فإن الأفلاك الدّائرةَ والعلل السّماويّة ، و إن كانت أسعدَتنا بالأُمور الّتى أصبحَ النّاسُ لَنا بها دائنين ، فانّا مُضْطَرّون الى حِكمَتك غيرُ جاحدينَ لفضلك ، وَالاجتباء[2] لرَأيك ، لما بَلوْنا من إجدَاءِ[3] ذلكَ علَينَا ، وَذُفْنا مِنْ جَنَى[4] منفعَته ، حتي صارَ ذلك وبنُحُوعه[5] فينا وَترسّخه فى أذْهانِنا كالغِذَاءِ[6] لنا ، فما نَنفكّ نُعوِّلُ عليه وَنستَمدُّ منه استمْدَادَ الجدَول من البحَار ، وَفدكان مما سَقَ الينَا من النّصر وَبلَغنا منَ النّكاية فى العَدُوّ ما يَعْجزُ القولُ عنْ وَصفه . وَالشكرُ على الإنعام به وكانَ من ذلكَ أنّا جاوَرْنا أرْضَ سوريةَ وَالجزيرَة إلى أرْض بابل وفارس ، فلمّا نزلنا بأهلها لم يكن الاّ رَيْثمَا[7] تلقّانا نفرٌ منهم يرْأس مَلكهُمْ هديّة وَطلبا للْحظوَة عندنا ، فأمرْنا بصلْب منْ جاءَ به ، وَشُهْرَته لسوء بلائه ، وقلّة أرْعوَائه ووفائه ثمّ أمَرْنا بجمعِ من كان هنا لِك مِنْ أوْلاد ملوكهمْ وَأحرَارهم وَذوى الشّرَف منهم ، فرَأينا رجالاً عظِيمةً أجسَامُهم وَأحلامُهم[8] حاضرة ألبابهُم وأذهانُهم رَائعة[9] مناظرُهم وَمناطِقُهم دليلاً على أنّ وَرَاء ذلك ما لم يكُن معهُ سبيلٌ إلى غلبتهم ، ولوْلا أنّ القضاءَ أدَالنا[10] منهم وأظهرَنا[11] عليهم ولم نرَ بعيداً من الرّأى

(١) اقصده (٢) الاختيار (٣) اعطاء (٤) مايجنى ويؤخذ من الثمر (٥) بتأثيره (٦) بكسر الغين ما يتغذيه (٧) مقدار ما (٨) جمع حلم بكسر الحاء العقل ويضمها المام (٩) زائدة (١٠) جعل لنا الكرة عليهم

فى أمرهم أنْ نَستأصِل (١) شأفتَهم (٢) ونَحتَثَّ (٣) أصلَهم ، و نُلحِقهُمْ بمن مضَى من أسلافِهمْ ، لِتَسْكنَ القلوبُ بذلك إلى الأمن من جرائرهمْ (٤) وبوائقهم (٥) فرَأينا أنْ لا نَعْجل بِبادرَة (٦) الرّأى فى قتلهم دُون الاستظهَار بمَشورتك فيهم ؟؟

فارْفع إلينا رَأيَكَ فى ما اُستَشرْناك فيه بَعْدِ صحتّه عندَكَ و نقْليبك إيّاه بجلىّ نَظرِك

والسّلام على أهل السّلام فليَكُنْ علينا وَعليك

(وكتب أرسطو الموفى قبل الميلاد إلى الاسكندر المقدونى)

إنّ لكُلِّ نِرْبة وَلا محالةَ قِسماً من كل فضيلةٍ ، وإنّ لفارس قِسْمها من النّجدَة والقوّة ، وإنكَ إن تقتــل أشْرَافهم تُخلّف الوُضعاءَ منهم على أعقابهم وتُورثُ سفلَهم (٧) منازل علْيتَهم وتغلب أدْنياءهم على مرَاتب ذَوى أخطارهم ولم تبْتلَ الملوكُ قط ببلاءٍ هو أعظَمُ عليهم من عَلبة السّفلة وذُلِّ الوُجوه ، واحذَر الحذر كلّه أنْ تُمكّن تلك الطّبقة منَ الغلبةِ فانهم إن نجم منهم ناجمٌ على جُندك وَأهل بلادك دهمهم ما لا رَوِيّة فيه ، ولا منفعة معه ـ فانصرفْ عن هذا الرّأى إلى غيره ، واعمِد الى من قبلك منَ العُظَماء والأحرَار ، فورّع بينهُم مملكتهم وألزمْ اسم الملك كلّ مَنْ و ليتَه منهم ناحية ، واعقد التّاج على رَأسه ، وإن صغُرَ مُلكه فإنّ المتَسمّى بالملك لازمٌ لاسمه ، والمعقودَ لهُ التّاجُ لا يخضع لغيره ولا يلبث ذلك أن يُوقعَ بين كلّ ملك منهم وصاحبهُ ندابُراً وتغالباً على الملك وتفاخُراً بالمال والجُند حتّى ينسوْا بذلك أضغانهم عليك ، وتعودُ بذلك حربهم

---

(١) نقطع (٢) عداوتهم (٣) نقتلع (٤) كناية عن شرورهم (٥) الدواهى (٦) مايظهر عند الغضب (٧) بفتح السين وكسر الفاء السقاط من الناس وبعض العرب يخفف فينقل كسرة الفاء الى السين

لك حرباً بينهم ، ثمّ لا يرْدادُون بذلك بصيرةَ إلاّ أحدَثُوا هنالك أُستقامةَ لك فانْ دَنوْتَ منهم كانوا لك ، وان نأيتَ عنهم تعزّزُوا بك، حتى يتَب كلُّ منهم على جاره باسمك ، وفى ذلك شاغلٌ لهم عنكَ وأمانٌ لأحداثهم بعدَك (وَإن كانَ لا أمانَ للدّهر) وقد أدّيتُ الملك ما رَأيتُهُ حظّاً وعلىّ حقّاً : وَالملكُ أبعدُ رَوِيّةً وأعلى عَيناً فى ما استعان بى عليه

وَالسلّام الذى لا أنقصاء له وَلا انتهاء ، وَلا غايةَ وَلا فَناء ، فليكُنْ على الملك

(ومن رِسالة للإمام على المتوفّى سنة ٤٠ هـ)

دَعِ الإسرافَ مُقتصِداً ، واذكر فى اليوْمِ غدَا ، وَامسكْ مِنَ المال بقدْر ضرُورتك ، وقدِّم الفَضل[1] لِيوْمِ حاجتك ، أترْجُو أنْ يُعْطيَكَ الله أجرَ المتواضعين وَانتَ عندهُ مِنَ المتكبِّرين ، أوْ تَطمعُ وَأنتَ مُمَرِّغ فى نعيم تمنعه الضّعيف وَالأرْملة أن يُوجبَ[2] لك ثوَاب المتصدِّقين

وَإنّما المرْءُ مجْزىٌ بما أسلف[3] وَقادمٌ على ما قدّم : وَالسلاَم

« وكتب أيضاً كرّم الله وجهه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما »

أمّا بعدُ : فانّ المرْءَ قد يَسُرّه دَرَك ما لم يكُنْ ليفُوتَه ، وَيَسُوءه فوْتُ ما لم يكن ليُدْركه ، فليكُنْ سرُورُك بما نلتَ منْ آخرَتك ، وليكُنْ أسَفُك على ما فات منها ، وَما نلْتَ منْ دُنياك فلاَ تُكْثِرْ فيه فرَحاً ، وَما فاتَكَ منها فلاَ تأسَفْ عليه جزَعاً ، وليكُنْ همُّكَ فيما بعد الموت

(١) ما فضل عندك من مال وأعمال فقدمه (٢) أنْ ومدخولها مجرور بحرف جر محذوف متعلق يتطمع (٣) قدمه فى سالف أيامه

(وكتب بطل الوطنيّة السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ)

لاَ حوْلَ وَلا قُوَّة إلاَّ بالله ، أشتَبِهَ المرَاقِبُ باللاَّه [١] وأستَبْدِلَ الحلوُ بالمرّ ، وَقدِّمَ الرّغيفُ على الحرِّ ، وَبيعَ الدُّرُّ بالخزَف ، والخزُّ بالخشف [٢] وأظهركل لئيمٍ كِبرَه ، إنّ فى ذَلكَ لَعِبرَه : سَمَعاً سَمَعاً . فالوُشاة إنْ سَعَوْا لا يعقلوا، ويُحبّون أنْ يُحمَدُوا بما لم يَفعلوا ، فكيف تشترُون منهُم القار [٣] فى صفة العنبر، وَقد بدَت [٤] البغضاءُ من أفواهِهم ، وَما تُخفى صدُورُهم أكبر ، وكيف تَسمعُ الأَحبابُ لمن نَهى منهُمْ وَزَجَر . وَلقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ [٥] مَا فِيهِ مُزْدَجَر [٦] عَجِبْتُ لهم وقد دَخلُوا دارَنا وهُم عنها معرِضون ، فلمَّا أحسُّوا بأْسنَا إذاهُم مِنها يَركُضون فقابلوهُم ببِبَال الطَّرْد فى الأعناق ، حتى إذا أثْخَنْتُمُوهُم [٧] فَشُدُّوا الوَثاق [٨] أيدْخلون بما لا يَنفع فى بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرفع ،سيعلمون مقام الهُبوط والعُرُوج [٩] يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بالحَقّ ذلك يَوْمُ الخرُوج ، ويقولون إذا لم يجدُوا ملاذاً ياويلَنا قد كنَّا فى غَفْلةٍ من هذا ، فانهم عزَمُوا على الإقامة مُدّه ، ولو أرادُوا الخرُوج لأعدُّوا لهم عدَّه [١٠] وأنتَ يا عزيز العليا ووحيد الدُّنيا ، قد بيَّنتُ لك فعلهم فبما [١١] رحمة من الله لِنتَ لهم ،ولكنّهُم طَمِعُوا فى عميم طَوْلك [١٢] ولو كنتَ فظّا [١٣] غليظَ القلْب [١٤] لانفَضُّوا [١٥] من حوْلك، أترَاهُم يَعقلُون كلامك أم يفهَمُون: لَعمْرُك [١٦] إنّهمْ لفى سكرَتهم يعمَهُون [١٧] لهم قلوبٌ لاَ يدرُون بها للحسد قَراراً ، لو اطّلعتَ

(١) باللاهي الذى يكون ملهيا (٢) بفتح الخاء أو بضمها الردىء من الصوف
(٣) الزفت (٤) ظهرت (٥) الاخبار (٦) النهى بشدة (٧) أكثرتم القتل فيهم (٨) مايربط به
(٩) الطلوع (١٠) ما أعده الانسان لحوادث الدهر من المال والسلاح (١١) فبرحمة وما للتوكيد والدلالة على أن لينه ما كان الا برحمة من الله (١٢) احسانك (١٣) سىء الخلق
(١٤) قاسية (١٥) لتفرقوا (١٦) لحياتك واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف تقديره قسمى
(١٧) يتحيرون

عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً ، وإنى قد شيَّدتُ (١) لك بقلبى حِصناً (٢) صَعباً (٣) فما استطاعوا أن يَظهَرُوه (٤) وما استطاعوا له نَقْبا (٥) نسيت العاذل (٦) جميلَ الصَّوْت (٧) وأنكره ، ما أنسانيه إلاَّ الشَّيطانُ أن أذكُرَه (٨) رَميت أيها العاذلُ بسيف الغَدْر فى نحرك ، أجئتنا لِنُخرِجَنا مِنْ أرْضِنَا بِسِحْرِك ، فان لم ترْجِعْ عن السِّحر وفعله ، فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثلِهِ ، كيف يسعى العاذلُ بين النَّديم وإلفه ، وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِه ، فيا سادَتى دَعُونى من المُعْبِ والمُطرِب لَيْسَ البِرُّ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِب ، واجعلوا سيفَ ثباتكمْ للعُدَّال مسلولا ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا ، فإنهم إن قالوا كذب النَّديم أو بَطِر ، سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِر (٩) وها قد صارَ أمرُ الحزْبَيْنِ عندك جليًّا ، أىُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّا (١٠) أتظنُّ عهدَ العاذل عند غضبك لا يُبكِّت (١١) مَثَلُه كَمَثَلِ الْكَلْبِ إن تحمل عليه يَلْهث ، أنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ كَبِير ففرُّوا إلى الله إنِّى لَكُمْ مِنْهُ نذير ، فانه جمع لمسالكَ الأولاد والأحفاد (١٢) وآخرين مُقَرَّنِينَ (١٣) فى الأصْفَاد (١٤) تركُوا أمر الله واشتغلوا بما يَرضونه ، فأعقبهُم نِفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه : وظنِّى أنْ وصل إليك كتابى ، انهم يُطْرَدُون ويُرْدَعُون وحرامٌ على قَرْيَةٍ أهْلَكْنَاها أنَّهُم لا يرْجعُون ، أيُعجبُكَ إذا مشى هذا اللَّاه ثانىَ عطْفه (١٥) لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ (١٦) الله ، وإنَّكَ وإن فرِحتَ بِعلم ما يَجْهلُون ، قد نعلمُ

(١) زينت (٢) موضعا حصينا (٣) لا يقدر احد ان يدخله والمراد المبالغة فى تحصين المحبة (٤) لا يقدرون أن يعلوا ظهره لارتفاعه ونعومته (٥) خرقا لصلابته وسمكه (٦) اللائم (٧) الذكر الجميل ولا يستعمل الصوت هذا المعنى الا فى الجميل (٨) انسانى ذكره (٩) المتكبر (١٠) مجلس القوم (١١) لا ينقض (١٢) أولاد الأبناء (١٣) مشدودين (١٤) القيود (١٥) لاوى عنقه تكبرا (١٦) عن دين الله

إنهُ ليُحزنُك الذى يقولون : فان قلتَ انَّ اجتماعى بهم لأجل الصَّدقة أو شىء من هذا القبيل : إنّما الصَّدقاتُ للفُقَرَاءِ والمساكينَ والعَامِلينَ (١) عَليْها والمُؤلَّفةِ قُلوبُهُمْ (٢) وفى الرِّقاب (٣) والغارمين (٤) وفى سَبيلِ الله (٥) وابْنِ السَّبيل (٦) على أنهُ لا تَحلُّ الصَّدقة لذَميم (٧) هَمَّاز (٨) مَشاءٍ بنَميمٍ (٩) وطباعُهم كما تعلمُ مُنكَرَةٌ مُسْتَقْذَرَه ، كأنَّهم حُمرٌ (١٠) مُستَنفِرَه (١١) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَه (١٢) وقد قال (وفائى) خاطِبْ عزيزك هذه المرَّة ، وإنْ لم يَعمَلْ فيك فكرا ، وَمَا يدريك لَعلَّهُ يَزكَّى (١٣) أوْ يَذَّكَّرُ فتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ، فقال (لسانى) إنَّ الودَّ هُوَ الرَّسول المأمون فأرْسلهُ معى رَدْءًا (١٤) يصدّقنى إنِّى أخافُ أن يكذّبون فقلتُ سيرُوا مع المحبَّة ذات الفتوّة (١٥) ولا تكونوا كالَّتى نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بعد قُوَّة ، وقولوا لهُ عند الغايةِ قَدْ جئناكَ بآيةٍ ، ولا تهابوا الجيشَ وإن كَبُرَ سيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرْ (١٦) ولا تَظُنُّوا من ظاهر الأمر حُلول البلوى ، إذْ أنْتُمْ بالعُدْوَة (١٧) الدُّنيا (١٨) وهم بالعُدْوَةِ القُصْوَى (١٩) بل قاتلوهم قِتالَ المستَشْهِدين وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقين ، وإذَا اشتَدَّ القِتَالُ فليَذُبَّ كلٌّ منكم عن مولاه (٢٠) وإنْ جَنَحوا (٢١) للسَّلم (٢٢) فاجنَح لها وَتَوَكَّلْ عَلَى الله ... فسيرواوَدعُوا الأوْلادَ والجنة (٢٣) وَسَارِعُوا إلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّة

---

(١) السعاة الذين يقبضون الصدقات بامر الحاكم (٢) أشراف من العرب كان النبى صلى الله عليه وسلم يستألفهم الاسلام (٣) المكاتبون من العبيد (٤) من تحملوا الدين (٥) الفقراء فى الجهاد (٦) المسافر المنقطع عن ماله (٧) القبيح والمرادفبيح الفعال ذميم الخصال (٨) عياب يعيب الناس (٩) ساع بالنميمة والفساد (١٠) جمع حمار (١١) نافرة (١٢) الاسد (١٣) يتطهر من الذنوب (١٤) معينا (١٥) الكرم (١٦) الظهر (١٧) بضم العين وكسرها جانب الوادى (١٨) القربى (١٩) البعدى (٢٠) صاحبه (٢١) مالوا (٢٢) الصلح (٢٣) المراد بها هنا النساء وأصلها لما تغطى بها المرأة وجهها

وَلا تسألوا عن الميرة (١) من أصله ، وانْ خِفتم عَيلَةً (٢) فسَوْفَ يُغنيكم اللهُ مِنْ فَضْلِه ، فانَّ الله قَدْ أثارَكمْ (٣) لقتال العُدَّال العائبين، ليقطعَ طَرَفاً مِنَ الذين كفَرُوا أو يكبتَهُم (٤) فيَنْقلِبُوا خائبين ، واحملوا عليهم فانهم متى طُعنُوا فى جُنوبهم رَضُوا أنْ يكونُوا مَعَ الخَوالِفِ (٥) وطُبِعَ (٦) اللهُ على قُلوبهم ، ولا تُدْبِرُوا إذا رأيتُموهمْ قُدّامكم (٧) إن تَنْصُرُوا اللهَ يَنصُرْكم ويثبِّت أقْدامَكم ، وان أخذتم أسرَى فناتِلُوا أبصارَها فإمَّا منًّا (٨) بعدُ وإمّا فِداءً حتّى تَضعَ الحَرْبُ (٩) أوْزارَها (١٠) فان أطعتم رُفعتم وأصلحَ اللهُ بالكمْ ، وانْ تتولَّوا يَستَبدلْ قَوْماً غيرَكمْ ثمَّ لا يكونوا أمثالكم وسأتلُو فى خطبكم عند قُدُومِكم سالمين ، فقُطِعَ دابرُ (١١) القَوْمِ الذين ظَلَمُوا والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

(وكتب أستاذى الامام الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفّى سنة ١٣٢٣ هـ)

عرَض لى ما معنى من قراءة الجرائد نحوَ أسبوعٍ وكنتُ أسمعُ فيه محادثة (ميت غمر) من بعض الأفواه ، أظنها من الحوادث المعاد وقوعها حتى تمكنت من مراجعة الجرائد ليلة الخميس الماضى ، فاذا لهبُ ذلك الحريق يأكل قلبى أكلهُ لجسومِ أولئك المساكين : سكان (ميت غمر) ويَصهرُ (١٢) من فؤادى ما يَصهرُه من لُحومهم حتى أرِقْتُ (١٣) تلك الليلةَ ولم تُغمِّض عَيناىَ الاَّ قليلاً وكيفَ ينامُ مَنْ يبيتُ يتقلَّبُ فى نِعمِ الله ، وله هذا العددُ الجمُّ من إخوةٍ وأخواتٍ يتقلَّبُون فى شِدَّة البأساء (١٤) فأردت أن أبادرَ بما أستطيع من المعونة

---

(١) جلب الطعام (٢) فقرا (٣) نشركم (٤) يصرعهم ويذلهم (٥) النساء (٦) كناية عن أعماء بصائرهم (٧) سابقيكم (٨) تمنون عليهم باطلاقهم من غير شىء (٩) أهل الحرب (١٠) أثقالها من سلاح وغيره (١١) اهلكوا عن آخرهم (١٢) يذيب (١٣) سهرت (١٤) الضرر والفقر

أستطيعهُ قليـلٌ لا يغنى مِن الحاجة ولا يكشفُ البلاء ، ثمَّ رأيتُ أن أدعوَ من أعيان العاصمة ليشاركُونى فى أفضَل أعمالِ البرِّ فى أقْرَب وقت ، وكان يومَ السّبت فحضرَ مِنهم سابقُون وتأخَّرَ آخرُون وكتب بعضهم يعتذرُون رَ اللهُ سعىَ مَنْ حَضَرَ ، وجزَى خيراً من اعتذَر ، وَغفرَ لمنْ تأخّر . . على أنَّهُ َ الحادثُ بذِى الخطْبِ اليسير ، فالمُصابُون خمسة آلاف وَبضعُ [1] مِئين ُ الأَطفالُ الذين فقـدُوا عائليهم [2] وَالتّجار وَالصّناعُ الذينَ هَلَكَتْ تهم ورُؤوسُ أموَالهـم ، وَيعذَّر عليهم أن يبتدئوا الحياة مرّة أخـرى إلاَّ نَفٍ مِن إخوَانهم ، وإلاّ أصْبحُوا مُتلصّصين أوْ سائلين ،والذين فقدُوابيوتهم يجدُون ما يأوُون اليه ، وَلا مالٌ لهم يُقيمونَ ما يُؤويهم من مثل بُيوتهم حرٌّبه—لهذا رَأيتُ وَرَأى كلٌّ منْ تفكَّرَ فى الامرِ أنْ يُجْمعُ مبلغٌ وَافرٌ يتمكّنُ نْ تخفيف المصاب عن جميع أولئك المنكُوبين

« وكتب أيضاً فى الغرض المذكور »

قد بلغكم «وَلا رَيبَ من أخبار الجرَائد» ماعليه أهلُ (ميت غمر) بعدَ يق الذى أصابَ مدينتهم ، فهم بلا قُوتٍ وَلا ساترٍ وَلا مأْوى ، فليتصوَّر كُم أنّ الأَمرَ نزَلَ بساحتهِ أفما كان ينمنَّى أن يكُونَ جميعُ الناس فى نته، فليطالب الآن كلٌّ مِنَّا نفسَهُ بما كان يطالبُ به النَّاسَ لوْ نزَلَ به مانزَلَ وليُنفقْ مِما لهُ ما يدفعُ اللهُ به عنهُ مكرُوهَ الدّهر . . . فأرجُو من هِمَّتكم أن َعوا شيئاً مِنْ مالكم فى مُساعدَة إخوَانكم ، وَأنْ تَبذلُوا ما فى وُسْعكم لِحثّ عِندكم على مُشاركَتكم فى هذَا العَمل المبرُورِ وَالسلام

) بكسر الباء، أو بفتحها ما بين الثلاث الي التسع (٢) من يتفقون عليهم

﴿ الفصل الخامس فى رسائل الملامة والعتاب ﴾

« كتب بديع الزّمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ »

لَئِنْ ساءَنى أنْ نِلْتَنِي بمساءَةٍ لَقَدْ سَرَّنى أنِّى خطَرْتُ بِبالِكِ (١)

الأَميرُ أطالَ اللهُ بقاءهُ فى حالىْ برِّه وجفائه مُتفَضِّل ، وَفى يَوْمَىْ إدنائه وإبعادِه مُتطوِّل ، وَهيئاً لهُ مِنْ حِمانا ما يَحُلّه (٢) وَمن عُرَانا ما يَحِلّه (٣) ومنْ أعراضنا مَا يستَحِلّه :

بَلَغنى أنّه أدامَ اللهُ عِزّه ، اسْتزادَ (٤) صنيعه (٥) فكنت أظنّنى محناً (٦) عليه مسيئاً اليه ، فاذا أنا فى مرارة الذّنب ، وَمَثارة (٧) العَيْب ، وَليتَ شِعرِى (٨) أىُّ محْظورٍ (٩) فى العشْرَة حصرْته ، أوْ مفرُوض مِنَ الخِدمة فرَّطتُ (١٠) أوْ وَاجبٍ فى الزِّيارَة أهْمَلْتُه ، وَهل كنت إلاّ ضبغا أهدَاهُ منزعٌ (١١) سابِعٌ (١٢) وأدّاهُ أملٌ وَاسع ، وحداه (١٣) فصلٌ وإنْ فلّ ، وهداه رَأىٌ وإنْ ضلّ ، ثمّ لم يُلفَ إلاّ فى آل مكال رحله (١٤) وَلم يصل إلاّ بهم حبله ، وَلم ينظمْ إلاّ فيهم شِعره ، ولم يقفْ إلاّ عليهم شكره :

ثمّ ما بَعُدَت صحْبَةٌ إلاّ دنتْ مهانة ، ولا رادت حُرْمَةٌ إلاّ نقصَتْ صِيانة وَلا تضاعفَتْ مِنّة الا تراجعتْ منزله ، وَلم نزَلِ الصّنْعة بنَا حتّى صارَ وَابلَ (١٥) الأعظامِ فَطرَة ، وَعاد قميص الفيام صَدْرَه (١٦) ودخلتُ مجلسه وحوْلهُ من الأعدَاءِ كتيبةٌ (١٧) فصار ذلك التقريبُ أرْورَاراً (١٨) وذلك السّلامُ اختصاراً

---

(١) هذا البيت لعبد الله بن عبيد الله أحد بنى عامر المشهور باس الدمينة من قصيدة والحطاب لمؤنث (٢) ينزل فيه (٣) يفكه (٤) زاد (٥) معروفه واحسانه (٦) المؤاخذة بجنايته (٧) مكان الثوران (٨) ليتنى اشعر وأخبر بالحقيقة والواقع (٩) ممنوع (١٠) أبطلته (١١) مصدر ميمى بمعنى البعد (١٢) البعيد (١٣) ساقه ودفعه (١٤) ما يأخذه المسافر من الاثاث وحوائج السفر (١٥) المراد به الكثير من الانعام وأصله المطر (١٦) ثوب يلبس فيغطى الصدر (١٧) جماعة (١٨) انحرافا

وَالاهتزاز إيماءً ، وَالعبارَةُ إشارَة ، وَحين عاتبته آمل إعتابه [١] وكاتبتهُ أنتظرُ جوَابه ، وسألته أرجو ايجابه ، أجاب بالسكوت فما ازْدَدْتُ له الاَّ وَلاءً وَعليه ثناءً وَلا جرَمَ [٢] انّى اليوْم أبيضُ وَجه العهد ، وَاضحُ حُجّة الوِدّ ، طويلُ لسان القوْل رَفيعُ حكم العذْر ، وقد حمّلتُ فلاناً من الرّسالة ما تجافى القلمُ عنه وَالأمير الرّئيس ، أطالَ الله بقاءَه ، يُنعمُ بالاصغاء لما يوردُهُ مُوَفّقاً انْ شاء الله عزّ وَجل

« وكتب أيضاً الى القاسم الكرَجى المتوفى سنة ٤٠٠ هـ »

أنا أطالَ الله بقاءَ سيّدى ومَوْلاى : وان لم ألقَ تطاوُل الإخوَان الاَّ بالتّطوّل وتحامُلَ الأحرَار الاَّ بالتّحمل ، أحاسبُ مَوْلاى ، أبّدَه الله : على أخلاقه ضناً [٣] بما عقَدْتُ يدىَّ عليه منَ الظنّ به والتّقدير فى مذهبه : وَلوْلاَ ذلكَ لفُلْتُ فى الأرْض محالٌ ان ضاقَ ظلاَلكَ [٤] وَفى الناس وَاصلٌ ان رَثّتْ [٥] حبالُك وَأُآخذُه بأفعاله :

فانْ أعارَنى أذناً وَاعيه ، ونفساً مراعيه ، وقلماً متّعِظاً وَرجوعاً عن ذهابه ونُزُعاً [٦] عن هذا الباب الذى يقرَعُه [٧] ونُزولاً عن الصّعود الذى يفرعه [٨] فرَشتُ لمودّته خوَان [٩] صدرى ، وَعقدتُ عليهِ جوَامعُ خصرى ومجامع عُمْرِى [١٠] وان رَكِبَ منَ التّعالى غير مركبه [١١] وَذهبَ منَ التّغالى فى غير مذهبه [١٢] أقطعته خُطّةَ [١٣] أخلاَقه ، ووَلّيتهُ جانب إعراضه

---

(١) ازالة عتبه وملامته (٢) كلمة كانت فى الاصل بمنزلة لابد ولا محالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا (٣) بكسر الصاء وفتحها حرصا (٤) أماكن الظل (٥) بليت ودابت (٦) انتهاء وتركا (٨) يدقه بيده ليفتح له (٨) يصعده ويعلوه (٩) بضم الحاء أو بكسرها مايؤكل عليه الطعام ومراده تمكين مودته من صدره (١٠) مراده التمسك بمودته مدة حياته (١١) مراده وان تكبر (١٢) طريقه (١٣) الطريقة مراده انه يتركه وان أخذ فى غير طريق طباعة

ولا أذودُ (١) الطّير عن شجرٍ قد بلوت المرّ من ثمره

فانى وَان كنتُ فى مُقتبل السنّ وَالعمر ، قد حلبتُ شطْرى الدّهر (٢) وَركبتُ ظهرَى البرِّ وَالبحر (٣) وَلقيتُ وَفدَى (٤) الخير والشرّ ، وصافحتُ يدى النّفعِ وَالضرِّ ، وَضربْتُ إبطى العُسر وَاليُسر ، وبلوْتُ طَعْمى الحلْو والمرّ ، وَرضعْتُ ضَرْعى العُرْف وَالنّكر (٥) فما نكاد الأيّام ترينى من أفعالها غريباً ، وتُسْمِعُنى من أحوَالِها عجيباً ، ولفيتُ الأفرَاد ، وَطرَحْتُ الآحاد (٦) فما رَأيت أحداً الاّ ملأْت حافَتىْ (٧) سمعه وَبصره ، وَشغلتُ حيزَىْ (٨) فكره ونظره . وأثْقلتُ كِتفهُ فى الحزن ، وكمّته فى الوَزْن ، وَوَدّتْ لوْ بادَرَ الفِرْن (٩) صحيفتي (١٠) أوْ لقىَ صفيحي (١١) فما لىَ صغُرْتُ هدا الصّغر فى عينه ، وَما الذى أزْرَى (١٢) بى عنده حتي أحتجب ، وقد قصدُنه وَلزمَ أرضه وَقد حضرُته

أنا أحاشيه (١٣) أن يجهل قدْرَ الفضل ، أوْ يجحدَ فضل العلم ، أوْ يمتطىَ (١٤) ظهرَ البِّيهِ (١٥) على أهْلَيهِ ، وَأسأله أنْ يختصّنى من بَينهم بفضل إعظام إنْ زلّتْ بى مرّةً قدم فى قصده ـ وكأنّى به وَقد غضب لهذه المحاطبة المُجْحفة (١٦) وَالرّتبة المُتحيّفة (١٧) وهو فى حنب جفائه يسير . فان أقلع (١٨) عن عادَته ، ونزَع عن شيمته (١٩) فى الجفاءِ ، فأطال الله بقاءَ الاستاذ الفاضل . وَأدام عزّه وَتأييدَهُ

---

(١) لا أطرد (٢) مراده مر به من حبره وشره وجرب نفعه وضره (٣) مراده انه جرب الامور فى البر البحر (٤) الوفد الجماعة التى ترد على الامير أو غيره ومراده انه عرف الخير والشر (٥) المعروف والنكر ضده (٦) هدا والذى قبله كله بمعنى انه جرب الايام واختبرها من أول نشأته (٧) جانبي (٨) ناحيتي (٩) المقارن الكفء عند ملاقاة الابطال (١٠) كتابى (١١) وجهى معناه ثمنى لقائى (١٢) حط من قدرى وشأنى (١٣) انزهه (١٤) يركب (١٥) الكبر والعجب (١٦) من الاجحاف وهو الذهاب بالشئ (١٧) من التحيف وهو الظلم والجور (١٨) رجع (١٩) خلقه

(وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ)

وَالله يا قُلَيب لوْلاَ أنَّ كبدى فى هوَاكَ مقرُوحةٌ (١) وَرُوحى مجرُوحة لساجَلْتُكَ (٢) هـذه القطيعَة ، وَمادَدْتُكَ حبلَ المُصارَمةِ (٣) وَأرجو أنَّ اللهَ تعالى يديل (٤) صبرى من جَفائك ، فيرُدَّكَ إلى مَوَدَّتى وَأنفَ القِلى (٥) رَاغم

فقد طالَ العهد بالاجتماع حتّى كِدْنا نتناكرُ عِندَ اللِّقاءِ وَالسلام

« وكتب أبو بكر الخوارزمى المتوفى سنة ٧٤٠ هـ »

كتابى وَقدْ خرَجتُ من البلاءِ خرُوج السَّيْف من الجلاَءِ (٦) وَبُرُوز البَدْر منَ الظَّلماءِ . وَقدَ فارَقتْنِي المِحنةُ (٧) وَهى مُفارِقٌ لا يُشْتاقُ اليه، وَوَدّعتنى وهى مَوَدَّعٌ لا يُبكى عليه ، وَالحمدُ للهِ تعالى على مِحنةٍ يُجلِّيها ، وَنعمةٍ يُنيلها وَيولّيها كُنْتُ أتوقعُ أمس كتابَ مولاَى بالتَّسلية ، وَاليوْم بالتَّهنية ، فلم يُكاتبنى فى أيام البُرَحاءِ (٨) بأنها غمَّته ، وَلا فى أيّام الرَّخاءِ بأنها سرَّته ، وقد اعتذرت عنه إلى نفسى وجادلتُ عنهُ قلبى ، فقلتُ أمّا إخلالهُ بالاَولى ، فلأنّه شغَلَهُ الاِهتمام بهـا عن الـكلام فيها ، وَأمّا تغافلهُ عن الأُخرَى ، فلأنّه أحَبَّ أنْ يُوفِّرَ علىَّ مرتبةَ السّابق إلى الاِبتداءِ ، ويقتصِرَ بنفسهِ على محل الاقتداءِ ، لـكونَ نعَمُ اللهِ سبحانَهُ علىَّ مَوْفُورَةً من كلّ جهة ، ومَحفوفَةً بى مِنْ كلِّ رتبَة، فإنْ كنْت أحسَنْتُ الاعتذارَ عن سيّدى فليَعْرِفْ لى حقَّ الاِحسان،وَلْيـكْتُبْ إلىَّ بالاِستِحْسَان ، وَإن كنْتُ أسأتُ فليُخبرنى بعذْرِه ، فانَّهُ أعْرف منّى بسرّه ، وَلْيَرْضَ منّى بأنّى حاربتُ عنهُ

(١) مجروحة (٢) معناه لقابلتك (٣) المقاطعة (٤) الغلبة والنصر (٥) صاحب البغض (٦) صقله بازالة ما عليه حق يرى له لمعان (٧) البلية (٨) شدة الاذى

فَلْبي، وَاعتـذرْتُ عن ذَنبه ، حتى كأنهُ ذنبي ، وَقُلتُ يا نفسُ اعْذِرِي أخاك وخُذِي منهُ ما أعْطاك فمعَ اليوْم غداً ـ وَالعَوْدُ أحمَدُ

« وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر المتوفى سنة ٨٠ هـ »

أمَّا بعدُ : فقد عاقني الشكّ فى أمرك ، عن عزيمـة الرَّأى فيك ، وذلك أنك ابتدأتني بلُطْف عن غير خِبرَة ، ثمَّ أعقبتَه جفاءً من غير ذنْب ، فأطمعني أوَّلك فى إخائك ، وَأيأسني آخرك من وفائك ، فسُبحانَ مَنْ لوْ شاءَ لكشف بإيضاح الرَّأى فى أمرك عن عزيمة الشكّ فيه ، فاجتمعنا على ائتلاف ، وافترقنا على اختلاف والسلام :

(وكتب صديقى الأوفى رعيم الوطنيَّة الشيخ عبدالعزيز حاويش بك)

سيّدى — ما لى أراك كمن نسيَ الخليط [١] وتجرَّدَ فى الصَّحبةِ عنِ المحيط والمَخيط ، فاذا ما صادَفْتُك [٢] صدَفتَ [٣] أوْ أنصفتك مَا نصفت [٤] أتظُن أنى قَعيدَةُ بَيتك [٥] أوْ رَهين كَيْتك وَذَيْتك [٦] فوحقّك إذا آنَسْتُ [٧] من يدِى مَلاَ ، أوْ من مدَى كَلاَ [٨] لنجزْتها [٩] البتّات [١٠] وكلْتُ بنَقصها الذّات ، ولوْ أنى آنستُ منَ الزّاد قترَة [١١] أوْ مِنَ التَّرَاب عُسرَة ، لَطُعمت الطّوَى [١٢] وَاُستقيتُ الجوَى [١٣] وكيفَ أداعِبُ [١٤] وتصاعب ، وأحالف وتُحالفُ ، وَأواصلُ وَتُفاصلُ ، وَأجالبُ وَتُجانبُ ، لبئسَتْ مَطِيّتك التى اقتدْعتَ [١٥] وشِرْعتك [١٦] التي شرَعْت [١٧] فوَاللهِ لَوْلاَ أنَّ الحبّ حادثٌ لاَ يُتقَّى بالتروس ، وَمعنًى لاَ يدِبُّ إلاَّ فى النُّفوس ، وَسهامٌ لا تُرْمى إلاَّ من قَسِيّ

(١) الصاحب (٢) وجدتك (٣) أعرضت (٤) كلاهما بمعنى ساعدتك وأعنتك (٥) المرأة التى فى مبيت (٦) كلاهما بمعنى كذا وكذا والمراد أنى لست رهين قولك أفعل كذا وكذا (٧) عملت (٨) اعياء وضعفا (٩) قصيتها (١٠) القطع المستأصل (١١) ضعفا وقلة (١٢) الجوع (١٣) الحرقة (١٤) امازح (١٥) دفعت (١٦) مكان الماء (١٧) دخلت

الحواجب ، ونحوٌ أوّله المعيةُ وآخره الجوازم ، لما افترستِ الظّباء الصّيد الأسود[١] وَلا مَلكتِ الأحرار العبيد ، وَلوْلاَ انّى كرَعتُ[٢] من صابه[٣] والتحفت بُرْدَة أوصابه[٤] لتعوّذْتُ مِنكَ بسُورَة الفلَقْ ، ونَمدتك[٥] نبذَ الرِّدَاء الخلَق[٦] ولهانَ علىّ أنْ أدَعك أوْ أسمِعك

تَمرُّونَ الدِّيارَ ولنْ تَعُوجوا[٧] كَلامكُمُو علىّ إذاً حرَامُ

غيرَ أنّ لى نفْساً شبّت على الحبِّ فلم أفْطِمها ، وَتقادَعت[٨] على نارِه فلم أعْصمْها ، حتّى بلغَ السَّيْلُ الزُّبى[٩] وَتبَدَّدَتْ[١٠] النَّفْسُ أيدى سَبا[١١] إلاّ حُشاشَةً غفَل عنها الوَجدْ ، وَبقيّة رَمقٍ ألْفيتها[١٢] من بَعد ، وكلّما رأيت منك الشّطَط[١٣] وَاعْتسَاف[١٤] الخطَط[١٥] عمدْت إلى أن أثنى[١٦] من رَسنها[١٧] وأذُودَ[١٨] عن عطَنها[١٩] وشخصت الى المكافحة وَالمكافأة ، وَأن لاَ أكيلك إلاّ مَثلاً ، وَلا أسقيك الاّ وَشَلاً[٢٠] وَلا أزيدك الاّ فشَلاً

ولست أحزيك الجزاء الذى على وَفاءِ الصّنع لا يَخسه

وَليس يبكى صاحباً مَنْ اذا أهين لا يَبكى على نفسه

على أنّى بالرّغم أصبحُ فى نهارٍ أحلك[٢١] من ليل ، وأمسى فى ليلٍ أنسق على النّفس من وَيْل

---

(١) دفعت (٢) بكسر الراء وفتحها شربت بفمى (٣) مائه المر وأصله عصارة شجر مر (٤) أمراضه (٥) رميتك (٦) القديم البالى (٧) لن تقيموا (٨) تسابقت (٩) مثل بضرب لما جاوز الحد (١٠) ذهبت وهو مثل يقال تبددوا أيدى سبا وأيادى سبا معناه ذهبوا متفرقين (١١) هم الذين ذهبت جناتهم وغرق مكانهم وقد ذكرهم الله فى القرآن قال لقد كان لسأ الى آخر الآيات (١٢) وجدتها (١٣) تجاوز الحد (١٤) الميل عن الطريق المألوف (١٥) الامور (١٦) أرد (١٨) زمامها (١٨) أمنع (١٩) مكانها (٢٠) الماء القليل فى هذا الموضع والماء الكثير فى غيره (٢١) أشد سوادا

ولَيلٍ كموْجِ البَحر أرْخى سُدُوله [١] علىَّ بأنواعِ الهُموم ليَبتلى [٢]

فان تخلّصتُ من لقائك ، فالى الشقاء ، واذا لجأتُ من عَسفك، فإلى العناء ، واذا استجرتُ بفراقك ، فقد استجرْتُ بالنّار من الرمضاء [٣] وكأنّكَ لَمْ تَدْرِ أن دَوْلة الحسن سريعةُ التّقويض [٤] وأنهُ لاَ بُدَّ منْ هُبوط القمر إلى الحضيض ولسوْف تُسلى بعارض [٥] بيدَ [٦] أنهُ غير مُمْطر ، وبساعةٍ مُقبلك فيها مُدْبر وسَتُصبحُ عمّا قريب قد عَفَتْ [٧] رُسُومُك [٨] ولم تجدْ فى سوق الصُّحبة مَنْ يَسُومك ، والعاقلُ من لا يختال بنفسه ، ولا يبنى على غير أسّه [٩] فانكَ ما نصتْ [١٠] لؤلؤةَ مبْسَمِك ، ولا بصرتْ [١١] صُورةُ معصَمك [١٢] ولا شئتَ فخُلِقتَ كما تشاء ، ولا اتخذْتَ عِندَ اللهِ عَهداً وهذا الوَفاء ، ولكنّ مثالك مَنْ أفرَغهُ الله فى القَالب الّذى اختارَ ، وجعلهُ مرْتع النّفوس ومسرحَ الأبصار وانّى أيّها العزيزُ قدْ تقدّمتُ اليك

ولى أملٌ طمعتُ بهِ اللّيالى أرَانى قَدْ فَنيتُ بهِ وَداما

فلا تحرمنى من سَائغ العفو وسابغه ، ولا تجعلنى كباسط كفّيْهِ إلى الماءِ ليبلُغ فاهُ وما هوَ ببالغهِ

فأشدّ ما لُقّيتُ منْ ألَمِ الجَوَى [١٣] قُرْبُ الحبيبِ وما اليه وُصولُ

كالعيسِ [١٤] فى البيداء يقتلها الظّما [١٥] والماءُ فوْقَ ظهورِها محمُولُ

فاعمل فى يومِك لغدِك ، واستجزِ غيرَك ببسط يدك ، ولا تأخذنى بجرم الجانى

---

(١) استاره (٢) ليختبرنى (٣) الارض الحارة (٤) التفرق (٥) السحاب الذى يعترض فى الافق (٦) غير انه (٧) درست وذهبت (٨) أثارك (٩) أساسه (١٠) ما طهرت (١١) ولا حسنت (١٢) موضع السوار من اليد (١٣) الحزن (١٤) الابل البيض يخالط بياضها شقرة أو ظلمة حفية (١٥) العطش

المتلبّس ، ولاَ تبتَغ منّى صحيفة المتلمّس [١] بَيدَ أنى أنشدُك الذى بَلى العاشق بالمعشوق ، وكلّفه فى الحبّ بيض الأنوق [٢] وَسهّد [٣] طرفه بنواعس العيون وَخوّل [٤] للحُسن إذا أرَادَ شيئاً أنْ يقولَ لهُ كُنْ فيكُون. كما قرَنَ الهوَى بالنّوى [٥] والقلبَ بالجوَى [٦] وقصى على المحبّ ، وَنشرَ العشق فلم يحتحب ما الذى أغرَى بك الى الاعتساف وَعدم الأنصاف أ لِينُ الأعطاف أم فتُور [٧] الأجفان ، أم تكشّر الكلام ، أم هيفُ القوام ؟ ؟

لقد شددتَ أزْرَك [٨] والله بصعاف .واستسمنتَ تلك العجاف . وهل حدا [٩] الى قَطيعتى بك ، أنّى خشنِ الملمَس ، رَثّ الملْبَس . ولم أمنَحْ [١٠] كما مُنِحت نَصْرَةَ [١١] وَلم ألبس بُرْقُعَ البياض والْحمرَة ، فاعلم أنك إنْ نظرتنى بعين الرِّضا ورَحمتَ فؤاداً يتقلّب منك على جَمْرِ الغَصا [١٢] فستَجدْنى صَديقَك الذى لا يُبطرُه الوَفاء ، ولاَ يَدميه الجفاء ، أمَلك لك من لسان ، وأطوع لأمرك من بنان

أكتبُ فأين لعبد الحميد الكاتب قلمى ، وأسعرُ فأين الشعرَاء إلا تحت عَلمى ، وأبذُل فأين حاتِمْ [١٣] من كرمى ، وأحلُمُ فأينَ أحنفْ [١٤] من حِلمى

وحسبكَ فخراً أن يجودَ بنفسه على رَغَبٍ من لَيسَ يأملُ فى الشكر
ومن يحتَملْ فى الحبِّ فَوْقَ كاهلى [١٥] فحسبكَ حلماً أنْ يُقيم على الهجرِ

فان أصَخْتَ [١٦] الى الدّاعية [١٧] ووعيت كلماتٍ لاَ تَسمعُ فيها لاَغية [١٨]

---

(١) الطالب مرة بعد أخرى (٢) الانوق العقاب ولفظ المثل (هو أعز من بيض الانوق) مثل يضرب للمحال أو لما لا سبيل اليه (٣) أسهرة (٤) ملكه (٥) البعد (٦) الحرقة (٧) ذبولها (٨) طهرك (٩) ساق الي (١٠) أعطى (١١) حسنا (١٢) شجر خشبه فيه صلابة (١٣) أبو عدى حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى وبه يضرب المثل فى الكرم من شعراء الجاهلية (١٤) تقدم تاريخه (١٥) ما بين الكنفين (١٦) استمعت (١٧) مراده الواشى العاذل (١٨) اللغو من الكلام

فإليك الجزاء وعلىَّ الوفاء ، والاَّ فالفرار الى الموْت أمرٌ يسير ، والقبرُ للعشَّاق قليلٌ من كثير

(وكتب المرحوم حفنى بك ناصف الى سماحة السيّد توفيق البكرى)

كتابى إلى السيّد السنَّد ، ولا أُجشّمُهُ (١) الجوابَ عنه ، فذلك ما لا أنظرُه منه ، وانّما أسأله أن ينشطَ إلى قِراءته ، ويتنزّل إلى مطالعته ، وله الرَّأىُ بعد ذلك أن يُحاسبَ نفسهُ أو يُزكّيها ، ويحكمَ عليها أوْ لها

فقد ينفعُ الذكرى إذا كان هجرُهُمو ... دلالا فأمّا إنْ ملالاً فلاَ نفعا

زُرْتُ السَّيد ويعلم الله أنَّ شوقى إلى لقائه، كحرصى على بقائه ، وكافى بشُهوده كشغفى بوُجُوده ، فقد بُعدَ والله عهدُ هذا التلاَق ، وطال أمد الفِراق ، وتصرّم الزَّمان ، وأنا من رؤيته فى حِرمان ، فسألتْ عنه فقيل لى إنّه خرجَ لتشييع (٢) زائر، وهو عمّا قليل حاضر ، فانتظرتُ رُجُوعه ، وبرقّتْ طُلوعه. ولم أزل أعدُّ اللّحظات وأستطيلُ الأوْقات ، حتّى نزَغتْ الأنوار ، وأرنجَّ صحنُ الدّار ، وظهرَ الاستبشارُ على وُجوه الزوّار ، وجاءَ السَّيد فى مَركبه ، وجلالة مَحِيده (٣) ومَنْصَبه ، فقُمنا لاستقباله ، وهيْمنا (٤) بكماله ، فمرّ بتعرّف وُجوه القوم حتى حاذانى ، وكبُر على عينه أن يرانى . فغادرنى (٥) ومن على يسارى . وأخذ فى السلام على جارِى وجرّ السلام الكلام ، وتكرّر القُعود والقيام ، وأنا فى هذه الحال أوهم جارِى أنّى فى دارى وأُظهرُ للنَّاس أن شدّة الألفة تُسقِط الكلفة ، ومرَّ السَّيد بعد ذلك من أمامى ثلاث مرّات ، ومن الغريب أنهُ لم يَستدرِك ما فات

تمرّون الدِّيارَ ولَنْ تعُوجُوا ... كلاَ مكُمُو علىَّ إذَنْ حرَامْ

(١) لا أكلفه (٢) لتوديع (٣) أصله من جهة النسب (٤) تكلمنا بصوت خفى (٥) تركنى

وكنتُ أظنُّ أنَّ مكانَتِي عِندَ السيّد لا تُنكر ، وأنَّ عهدى لديه لا يَخفَر (١) فاذَا أنا لستُ فى العِير (٢) ولا فى النَّفير (٣) وغيرى عند السيّد كثيرٌ ، وذهاب صاحبٍ أو أكثرَ عليه يسيرٌ

وَمن مدَّت العلْيا اليه يمينها فأكبرُ إنسان لديه صغيرُ

وَلا أدّعى أنى أُوازى السيد صانه الله فى عُلوّ حسبه ، أوْ أُدانِيه فى علمه وأدبه أوْ أُقاربه فى مَناصبه وَرُتبه ، أو أُكاثره فى فضَّته وذهبه ، وإنما أقولُ ينبغى للسيد أن يُميّز بين من يزُوره لِسماع الاغانى وَالأذكار ، وَتشهُود الأَوَانى على مائدة الإفطار ، وَبين من يزُورُه للسلام ، وَتأييد جامعة الإسلام ، وَأنْ يُفرِّق بين من يتردّدَ عليه استخلاصاً للخلاص ، ومن يتردّد إجابةَ لدَعوَة الإخلاص ، وأن لا يشتبه عليه طُلَّاب الفوَائد بطلاَّب العوَائد ، وفُناص (٤) الشوّارد ، بنُقباء الموالد ، ورُواد الطُّرَفْ (٥) بأرباب الحِرَف

فما كلُّ من لُقّيتَ صاحِبُ حاجةٍ ولا كلُّ منْ قابلتَ سائلُكَ العُرْفا (٦)

فان حَسُنَ عِند السيّد أنْ يُغضِى عن بعض الأَجناس ، فلا يحسُنُ أن يُغضى عن جميع الناس ، وإلاّ فَلِماذا يطوفُ على بعض الضّيوف ، ويحييهم بصُنوف من المعرُوف ، وَيتخطّى (٧) الرِّقاب « لصرُّوف » (٩) وَيخترق لأجله الصّفوف ، فان زعم السيّد أنه أعلم بتصريف الأقلام ، فليس بأقدم هِجرةٍ فى الاسلام ، وإن رأى أنه أقدرُ منِّى على إطرَائه (١١) فليس بمُمكن أن يَتّخِذَهُ من أوليائه

---

(١) لا ينقض (٢) الجماعة (٣) الجماعة أيضا (٤) جمع قناص بفتح القاف الصائد (٥) المتفرقات والمراد طالبوا متفرقات العلوم (٦) جمع طرفه وهى ما ترى مليحة والمراد أهل المراتب العالية (٧) المعروف (٨) يتجاوز (٩) هو المرحوم الدكتور يعقوب صروف المتوفى فى آخر يوليه سنة ١٩٢٧ م وهو أحد أصحاب مجلة المقتطف وجريدة المقطم الآن (١٠) الثناء عليه

ولا أرومُ بحمد الله منزلةً غيرى أحقُّ بها منِّى اذا رَاما

وانما أصونُ نفسى عن المهانة وَالضّعة ، وَلا اُعرِّضها للصّيف وفى الدُّنيا سَعة

واُكرمُ نفسى أنّنى إن أهنتُها وَحقِّكَ لم تكرم على أحد بَعدى

فلا يُصعّر[1] السيد من خدّه ، فقد رَضيتُ بما ألزَمنى من بُعده . ولا يغُضُّ[2] من عينه ، فهذا فرَاقٌ بينى وَبينه ، وليتّخذنى صاحباً من بعيد ، وَلا يكلّمنى الى يوم الوَعيد

كِلانا غنىٌّ عن أخيهِ حيَاتهُ ونحنُ إذا مِتنَا أشدُّ تغانِيا

ومنى على السيّد السلاَم على الدَّوَام ، ومُباركٌ إذا لَبس جديداً ، وكلُّ عام وهو بخير إذا استقْبلَ عِيداً ، ومَرحى[3] إذا أصاب ، وشيّعه[4] السلاَمه إذا غاب وقدُوماً مباركاً إذا آب[5] وبالرِّفاء وَالبنين[6] إذَا أعْرَس[7] وَبالطّالع المسعود اذا أنجب[8] وَرحمهُ الله اذا عطس ، ونوم العافية اذا نعس ، وصحّ نَوْمه اذا استيقظ ، وَهنيئاً اذا شرب ، وما ساء الله كان اذا ركِبَ ، وَنَعِمَ صباحه اذا أنفجرَ الفجر ، وَسعدَ مَساؤه اذا أذَّنَ العصر ، وبَخٍ بَخٍ[9] اذا نثر ، ولا فضّ[10] فُوهُ اذا نعرَ[11] وأجادَ وأفاد اذا خَطبَ ، وأطرَب وأغرَب اذا كتب . واذا حجَّ البيتَ فحجّاً مَبرُوراً ، واذا شَيّع جنَازَتى فسعياً مشكوراً : والسلام

---

(١) لا يميل خده كبرا وخيلاء (٢) لا يغمض (٣) كلمة تقال عند الاصابة فى الرمي مدحا للمصيب (٤) ودعته (٥) رجع (٦) كلمة تقال لمن تزوج معناها بالالتئام وجمع الشمائل (٧) تزوج (٨) ولد له (٩) كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشيء أو عند الفخر والمدح وكررها للمبالغة (١٠) لا كسرت أسنانه (١١) قال الشعر

وكتب القاضى الفاضل الى أخيه عبد الكريم يؤنّبه على ايدائه علم الدين بن النحّاس

« سبب اصدار هذه المكاتبة الى الأخ أصلحهُ الله ، إعلامه ما صحّ عندى من الأحوال التى أخفاها ، والله مُبديها فى حقّ الأمير علم الدّين

وبالله أقسمُ لئن لم تُداوِما جرحت ، وتستدرِك ما فعلت ، وتمحُ ما أثبتَّ ، وَتستأنفْ ضدَّ القبيح الذى كتبتَ به وسافهت ، وَتعتدرْ بالجميل فيما فاطعتَ الله به وبارزت ، ليكونَنَّ الحديث منّى بغير الكتاب ، ولأُزيلنَّ السبب الذى قدرتَ به على مضرَّة الأصحاب ، وَما أشدّ معرفتى بأنَّ الطّباع لا تتغيَّر ، وبأنَّك ستُحوجنى بعد هذا الكتاب الى ما لا يتأخر . وبالجملة فاستدركْ بفعلك لا بأيمانك لى وتصلك الىَّ

فالدّمْ فى النَّصل شاهدٌ عجبُ

وَويلٌ لمن كانت غنيمته من الأيام عقدُ القلوب على البغضاء ، وإطلاقُ الألسنة بالمذام ، ولولا أنّى شريكك فى كل ما تستوجبهُ من النّاس ، لا لقيتُ حبلك على غاربك ، وتركتك وما اخترتَ لنفسك ، ولكن

كيف بمن يُرمَى وليس يرَام

ولكنَّ سكوتَ النّاس عن قبيحك مقابلهُ الجميل كثير منّى ، فاذاً أنت لا تنفق الا من كيسى . فأشفق على نفسك ، ان كنت تنظر فى غدٍ ، وعلى بيتك ان كنت تنظر فى أمس ، وعلى مكانك منّى ان كنت لا تنظر الا فى اليوم . ولا تجاوبنى إلاَّ بلسان الرَّجل ساكراً لك ، فانه وإن كان والله — ما ذممّك فقد ذممتك به عنه ، وما أظنُّ أنك تذكرُ أننى كتبتُ اليك كتابا ولا كنتُ أوثره ، ولولا حافزُ غليظٍ ما كتبته . ولولا علمى أن الكثير مما قيل عنك فى أمر الرّجل هو القليل مما فعلته لأضربتُ عن هذا كما أضربتُ عن غيره * وستعرّفك الأيام ما كنت تجهل ، والله يأخذ بناصيتك الى رضاه . ويُغمد سيف حليلنك عن مقتلك . والسلام »

﴿ الفصل السادس فى رسائل الشكوى ﴾

« كتب الأمير أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ »

إنما أشكو اليك زماناً سلب ضعف ماوهب ، وفجّع بأكبر مما متّع ، وأوْحش فوقَ ما آنس، وعنّف فى نزْع ما ألْبسَ ، فانه لم يُذقْنا حلاوَةَ الاجتماع ، حتى جرّعنا مرارَة الفِراق ، ولم يُمتّعنا بأُنسِ الإلتقاء ،حتى غادَرَنا [1] رَهْنَ اللهْف والاشتياق .

والحمد لله تعالى على كلّ حال . يسوء ويسرّ، ويحلو ويمرّ ولا أيأس من رُوح [2] الله فى إباحة صُنعٍ [3] يجعل رَبْعه [4] مناخى [5] ويقصر مدّة البعاد والتّراخى فالاحظ الزّمان بعين رَاض ويقبل إلىّ حظِّى بعد إعراض،وأستأنف [6] بعزّته عيشاً عذب الموارد [7] والمناهل [8] مأمون الآفات والغوائل [9]

(وكتب عبد الحميد بن يحيى المقتول سنة ١٣٢ هـ الى أهله وهو منهزم مع مروان [10])

أما بعدُ : فان الله تعالى جعلَ الدّنيا محفوفةَ بالكُرْه والسرُور . فمن ساعدَه الحظّ فيها سَكِنَ اليها،ومَنْ عَصَتْه [11] نابها ذَمّها ساخطاً عليها،وشكاها مُستزيداً لها

وقد كانتْ أذاقتنا أفاويهَ [12] استحْلَيْناها : ثمّ جمحَتْ [13] بنا نافرة ورمحتْنا [14] مُوَلِّيةَ ، فملح عذبها . وخشنَ لينها ، فأبعدَتْنا منَ الأوْطان

---

(١) تركنا (٢) من رحمة الله (٣) المعروف (٤) دار (٥) مكان النوم ومراده انه لا ييأس من معروف يحظى به مدة حياته (٦) أجدد (٧) أمكنه اتيان الماء (٨) المواضع التى فيها الماء والمراد انه يجدد عيشا هنيئا لا حزن معه (٩) الدواهى (١٠) ابن محمد مروان بن الحكم بن أبى العاص الاموى آخر ملوك بنى أمية المعروف بالجعدى قتل سنة ١٣٢ (١١) كناية عن تسلطها عليه بنوائبها ومصائبها (١٢) البانها والمراد نعيمها وخيراتها (١٣) أسرعت غالبة ايانا (١٤) طعنتنا برمحنا والمراد مصائبها

وفرّقتنا عن الإخوان ، فالدّار نازحة (١) والطّيرُ بارحة (٢) وقد كتبتُ والأيامُ تزيدُنا منكم بُعداً ، وإليكم وَجداً ، فانْ تتمّ البَليّةُ إلى أقصى مُدّتها يكن آخرُ العهْد بكم وَبنا ، وانْ يَلحقنَا ظفرٌ جارحٌ من أظفارِ مَنْ يَليكم نَرْجع اليكم بِذُلّ الإسار (٣) والذّلّ شرٌّ جار ، نسأل الله الذى يُعزّ مَنْ يشاءُ وَيُذلّ مَنْ يشاء أن يَهبَ لنا ولكم أُلفَةَ جامعة فى دَارِ آمنةٍ تجمعُ سلامةَ الأبدَان والأَديان ، فانّه ربّ العالمين وَأرحمُ الرّاحمين

(وكتب أستاذى الحكيم الشيخ محمد عبده وهو مسجون بسبب الحوادث العرابية)

تقلّدَتنى اللّيالى وهى مُدْبِرَةٌ كأنّنى صَارِمٌ فى كفّ مُنْهزِم

عزيزى ﴿ هذه حالتي ﴾ استدّ ظلام الفِتَن حتي تجسّم بل تحجّر ، فأخذت صخوره من مَركز (٤) الأرْض إلى المحيط (٥) الأعلى ، وَاعترضت ما بين المشرق والمغرب ، وَامتدّتْ إلى القُطبَيْن (٦) فاستحجرتْ فى طبقاتها طباعُ النّاس ، اذ تغلّبتْ طبيعتها على الموادّ الحيوانية أو الأنسانية ، فأصبحت قلوب الثّقلين (٧) كالحجارة أوْ أشدّ قسوة ، فتبارَكَ اللهُ أقدرُ الخالقين ، انتثرَتْ نُحومُ الهُدَى وتَدَهْوَرَتْ (٨) الشّمُوس وَالاقْمار ، وَتغيّبَتْ الثّوَابت النّيّرَة ، وَفرّ كلّ مُضىء مُنهزِماً مِنْ عالمِ الظّلام ، ودَارَتْ الأفلاكُ دَوْرَةَ العكسِ ، ذَاهِبةً بِنيّراتها إلى عَوَالِمَ غيرِ عالَمنا ، هذا ـ فوَلّى مَعهُ آلِهَةُ الخير أجمعين ، وتمحّصتْ السّلطة لآلِهَةِ

(١) بعيدة (٢) البارح من الطير مايمر من اليمين الى الشمال والعرب تتشاءم به وذلك أنه كان من عادتهم اذا ارادوا امراً عمدوا الى الطير فاطاروها فان طارت شمالا يتشاءمون ويرجعون وتسمى بارحات وان طارت يمينا تفاءلوا باليمين ومضوا فى امرهم وتسمى سانحات (٣) الاسر وهو القبض على الرجل واخذه اسيرا (٤) وسط دائرتها (٥) الدائرة المحيطة بالكرة الارضية (٦) الشمالى والجنوبى وهما طرفا محور الارض والمحور هو القطر الوهمى الذى تدور عليه الارض من المغرب الى المشرق اثناء حركتها (٧) الانس والجن (٨) ادبرت

النسر ، فقلبوا الطباع ، وبدلوا الخلق ، وغيروا خلق الله ، وكانوا على ذلك قادرين

رأيت نفسى اليوم فى مهمه (١) لا يأتى البصر على أطرافه فى ليلة داجية (٢) غطى فيها وجه السماء بغمام سوء فتكاثف (٣) ركاماً ركاماً (٤) لا أرى إنساناً ولا أسمع ناطقاً ، ولا أتوهم مجيباً ، أسمع ذئاباً تعوى ، وسباعاً تزأر (٥) وكلاباً تنبح (٦) كلها يطلب فريسه واحدة هى ذات الكاتب ، والتف على رجلى ثنينان (٧) عظيمان وقد خويت (٨) بطون الكل وتحكم فيها سلطان الجوع ومن كانت هذه حاله فهو لا ريب من الهالكين

تقطع الأمل ، وانفصمت (٩) عروة الرجاء ، وانحلت النقة بالأولياء ، وضل الاعتقاد بالأصفياء ، وبطل القول بإجابة الدعاء ، وانقطر (١٠) من صدمة الباطل كبد السماء . وحقت على أهل الأرض لعنة الله والملائكة والأنبياء ، وجميع العالمين

سقطت الهمم وخربت الذمم . وغاض (١١) ماء الوفاء . وطمست معالم الحق وحرفت الشرائع . وبدلت القوانين . ولم يبق إلا هوى يتحكم . وشهوات تقضى وغيظ يحتدم (١٢) وخشونة تنفد (تلك سنة القدر) والله لا يهدى كيد الخائنين

ذهب ذوو السلطة فى بحور الحوادث الماضية . يغوصون لطلب أصداف من الشبه : ومقدوفات من التهم ، وسواقط من اللمم (١٣) ليموهوها (١٤) بمياه السفسطة . ويغشوها بأغشية من معادن القوة . ليبرزوها فى معرض السطوة ويغشوا بها أعين الناظرين . لا يطلبون ذلك لغامض يبينونه . أو لمستور

---

(١) مفازة بعيدة (٢) مظلمة (٣) كثر وتراكم (٤) السحاب المتراكم (٥) بفتح عينه أو بكسرها تصوت (٦) بفتح عينه أو بكسرها تصوت (٧) تثنية تنين الحية العظيمة (٨) خلت (٩) انقطعت (١٠) انشق (١١) ذهب (١٢) يتحرك ويشتد (١٣) المتقارب من الذنوب واللمم ايضا طرف من الجنون (١٤) من التمويه وهو التلبيس

يكشفونه ، أو لحقٍ خفيٍ فيظهرونه ، أو خرقٍ بدافيرقعونه ، أو نظامٍ فاسد فيصلحونه ، كلاّ : بل ليثبتوا أنهم فى حبس من حبسوا غير مخطئين ، وقد وجدوا لذلك أعواناً من حلفاء الدناءة وأعداء المروءة وفاسدى الأخلاق وخبثاء الأعراق (١) رضوا لأنفسهم قول الزور ، وافتراء البهتان ، واختلاق الافك (٢) وقد تقدموا الى مجلس التحقيق بتقاريرَ محشوّة من الأباطيل ليكونوا بها علينا من الشاهدين ، كل ذلك لم تأخذنى فيه دهشة ، ولم تحلّ قلبى وحشةٌ . بلْ أنا على أتمّ أوصافى التي تعلمها غيرُ مبالٍ بما يصدرُ به الحكم أوْ يبرمهُ القضاء ، عالماً بأنّ كل ما يسوفهُ القدر ، وما ساقهُ من البلاء فهو نتيجةُ ظلمٍ لا سبهةَ للحقّ فيه ، لأنّ الله تعالى يعلم كما أنتَ تعلم أنّنى برىء من كل ما رَمونى به ، ولو اطّلعتَ عليهِ لوَلّيتَ منهُ رُعبا ، وكُنتَ من الضاحكين

نعمْ حنقنى الغم ، وأحمى فؤادى الهمّ ، وفارقنى النوْم ليلةً كاملةً عندما رأيتُ اسمك الكريم . واسْمَ نفيهِ الأبناء والاخوان المساكين نُسبُ اليهم أعمالٌ لم تكنْ ، وأفوالٌ لم تصدُر عنهم لقصد زجّهم فى المسجونين

لكن اطمأنّ قلبى وسكن جأشى (٣) عندما رأيتُ تواريخ التقارير متقادمة ومع ذلكَ لم يصلكم شررُ الشرّ ، فرجوتُ أنّ الحكومة لمْ تُرِدْ أنْ تفتحَ باباً لا يَذرُ (٤) الأحياء ولا الميّتين

قدّم فلانٌ وفلان تقريرينِ جعلا فيهما تبعاتِ الحوادث الماضية على عُنقى ولَمْ يتركا شيئاً من التحريف إلاّ فلاه ، وذكرا أسماءكم فى أمورٍ أنتم جميعاً أبعدُ الناس عنها ، لكن لا حرَج عليهما فإنى أراهما من المحانين ، ولَمْ أتعجّبْ من

(١) الاخلاق (٢) الكذب (٣) اضطراب القلب عند الفزع (٤) لا يدع ولا يترك

هذين الشّخصين اذ يَعْملاَن مِثلَ هذَا الذّنب القبيح ، وَيرتكبان هـذا الجُرم الشّنيع ، وَلـكن أخـذنى العجبُ «كلّ العجب غاية العجب بالِغٌ ما شئتَ فى عجبي » إذ أخبرنى المُدَافع عنّى بتقريرٍ قدّمه فلان الذى أرسلت اليه السلام ، وأبلغته سرُورِى عِندَ ما سمعت باستخدامه ، وَأنا فى هذا الحبس رَهين

الى هذا الوقت لَمْ يصِلْنى التقـرير ، ولـكن سيَصل إلىّ : إنمـا فيما بلغنى أنهُ شهادةٌ بأقبح شىء لا يَشهدَ بهِ إلاّ عدوّ مبين — هذا اللّئيم الذى كنت أظن أنهُ يألم لأَلمى ، وَيأخُذه الأسفُ لحالى ، وَيبذُلُ وُسعهُ إن أمكنهُ فى المُدَافعة عنّى ، فـكَم قدّمت له نفعاً ورفعتُ له ذِكرا وَجعلتُ له منزِلةً فى قُلوب الحاكِمين كَمْ سعِى أفاوِمُ هجاءَ الجرَائد ، وَأوسعُ مُحرِّريها لوْماً وَتقريعاً ، وَأهزأُ بتلك الحركات الجنُونيّه ، وكان هوَ علىّ فى بعض أفـكارى هذه منَ اللاّئمين — كانَ ينسُبُ فلاناً لِسوءِ القَصد اتباعاً لرَأى فلان ، وأعارِضه أشدّ المعارَضة ، ثمّ لَمْ أنْقض له عهداً ولَمْ أبخَسْ له وُدّا ، وَحقيقة كنتُ مَسرُوراً لوُجُودِهِ مُوَظَّفاً ، فما بالهُ أصبحَ من النّاكثين

آه ـ ما أطيبَ هذا القلبَ الذى يملى هذه الأحرُف ، ما أشدّ حفظهُ للوَلاء ما أغيرَهُ على حقُوق الأوْلياء ، ما أثبتَهُ على الوَفاء ، ما أرَقّهُ على الضّعفاء ما أشـدّ اهتمامهُ بشُؤُون الأصدقاء ، ما أعظَم أسفَهُ لمصائب مَنْ بينهم وَبينه أدْنى مَوَدّة وَإنْ كانوا فيها غيرَ صادِقين ، ما أبعـدَ هذا القلبَ من الإيذاء ولوْ للأعداء ، ما أشدّه رعايةً للوُدّ ، ما أشدّهُ مُحافظةً على العهد ، ما أعظمَ حِذرَه منْ كُلّ ما تُوبِّخ عليه الذّمم الطّاهرَة ، ما أقوَاه على العَمل الحقّ وَالقوْل الحقّ لا يَطلُبُ عليه جزاء ، وكم اهتمّ بمصالح قومٍ وكانوا عنها غافلين هذا القلبُ

الذى يُؤلمونه بأكاذيبهم هوَ الذى سرَّ قلوبهم بالتَّرْقية ، وَملأَها فرحاً بالتقدُّم ولَطَّف خواطرَهم بحُسْن المُعاملة ، وَشرَح صُدُورَهم بلطيف المجاملة ، وَدافع عنهم أزماناً « خصوصاً هذا اللئيم »

أفَنَشرَحُ الصُّدُورَ وَهُمْ يُحرجُون ، ونشفى القلوب وهم يُؤلمون ، ونفرُحها وَهم يحزنون ؟؟؟ تالله قد أضلُّوا وما كانوا مُهتدين هذا القلبُ ذَابَ مُعظمهُ من الأسف على ما يُلِمّ بالهيْئة العموميَّة من مصائب هذه التَّقلّبات ، وَما ينْشأ عنها من فَساد الطّباع الذى يجعل العموم فى قَلَق مستديم — وَما بَقَى من هذا القلب فهو فى خوفٍ على من يعرفهم على عهد مَوَدَّته . فانْ تسلَّلُوا جميعاً بمثل هذه الأعمال أصبحُوا من مودَّته خالين . وَاتخذوهُ وقايةً لهم من المَصرَّة ، وَجعلوهُ تُرْساً يُعرّضونه لِتلقى سِهام النَّوائب التى يتوَهَّمُونَ تَوْويقها اليهم ، كما اتّخذُوهُ قبلَ ذلك سَهماً يصيبُون به أغراضهُمْ ، فبنَالوا منها حظُوظَهُم فقد أرَاحُوا تلك البقيّة من الفكر فيهم « وَاللهُ يتوَلَّى حِسابَهم وهوَ أسرَعُ الحاسبين »

آه — ما أظُنُّ أنّ تلك البقية تستريحُ من شَاغل الفكر فى شؤُون الأحبَّة ، وإن جارُوا فى تَصرُّفهم

إنَّ طبيعة هذا القلب لَطبيعةُ ناعِم الخزّ اذا اتَّصلَ بذى الودّ وان كان خشناً فصعبٌ أنْ ينفصل ولوْ مزَّقه خُشُونه ، وانَّ هذا القلبَ فى عِلاقةٍ معَ الأوِدّاء كالصّياء مع الحرَارة أيّما حادث يحْدث وأيّما كيماوىّ يُدَقّق لا يجد للتّحليل بينهما سبيلا ، وأظنُّك فى العلم بثبوت تلك الطبيعة فيه كنت من المتحقّقين

« وكتب محمد حافظ بك ابراهيم [1] الى الاستاذ الامام الحكيم الشيخ محمد عبده »

كتابى الى سيّدى : وأنا من وعده بين الجنّة والسّلْسبيل [2] وَمن تِيهى [3]

(١) يشكو اليه حاله وهو ضابط بالسودان (٢) عين فى الجنة وهو الشراب السهل فى الحلق (٣) عجبي

بِهِ فوْقَ النَّثْرَة (١) وَالإِكليل (٢) وَقد تعجّلتُ السُّرُور ، وَتسلّقتُ الحُبور (٣) وقطعتُ ما بَينى وَبينَ النَّوَائب

وَبشَّرْتُ أهلى بالذى قَدْ سمعتُه فما مِحنتى (٤) إلاَّ ليالٍ قلاَئلُ

وَقلت لهم للشَّيخ فينا مَشيئةٌ فليسَ لَنا من دَهرنا ما نُنازلُ (٥)

وجمعتُ فِيه بين ثِقة الزُّبيدىِّ (٦) بالصَّمْصامَة (٧) وَالحارث بالنَّعامة (٨) فلم أقل فيه ما قال الهُذَلى (٩) لصاحبهِ حِينَ نَسىَ وَعدَهُ (١٠) وَحجبَ رِفدَهُ (١١)

« يادارَ عاتكة التي أتَغَزَّلُ » بل أناديه نداء الأَخيدَةِ (١٢) فى عَمُّورِيّة (١٣) شجاع الدَّوْلة العبَّاسية ، وَأَمدُّ صَوْتى بذكر إحسانه ، مَدَّ المؤذّن صَوْتهُ فى آذانه وَأعتمدُ عليه فى البُعد وَالقُرْب ، اعتمادَ الملاَّح (١٤) على نجمة القُطب (١٥)

وقالَ أُصيْحابى وَقدْ هالنى النَّوَى (١٦) وَهالَهمُ أمرى متى أنتَ قافل (١٧)

فقلتُ إذَا شاء الأمامُ فأوْبتى (١٨) قريبٌ وَرَبعى (١٩) بالسَّعادَة آهلُ

وها أنا متماسكٌ حتى تنحسر (٢٠) هذه الغُمّرَة (٢١) وَينطَوىَ أجلُ تلك

---

(١) كوكبان متقاربان بينهما قدر شبر وفيهما لطخ بياض كأنه قطعة سحاب (٢) من منازل القمر أربعة انجم مصطفة (٣) الفرح ومعنى تسلق تسور أى أتى الفرح من غير بابه ويروى تسلفت بالفاء (٤) عطيتى (٥) نصارب لان الشيخ كفانا صدمات الدهر (٦) أبو ربيعة عمرو بن معدى كرب ينتهى نسبه الى قحطان صحابى من شجعان الجاهلية والاسلام وزبيدى نسبة الي زبيد بضم الزاى قوم من اليمن (٧) اسم سيف عمرو (٨) اسم فرس للحارث بن عباد البكرى شيخ من العرب (٩) نديم الخليفة أبى جعفر المنصور العباسى كان لا يكلم الخليفة الا جوابا (١٠) وعده ولم يوف ولما مرا على دار عاتكة بنت عوف قال الهذلى هذه دار عاتكة التى قال فيها الشاعر - يادار عاتكة الخ فعجب الخليفة كيف بدأه بالكلام على غير عادة ثم نظر الملك فى قصيدة الشاعر فوجد فيها (وأراك تفعل ما تقول) فتذكر الخليفة الوعد (١١) عطاءه (١٢) الاسيرة يريد بها امرأة من بنى هاشم اسرها الروم فنادت وامعتصماه تعنى المعتصم من خلفاء بنى العباس فوصل الخبر الى المعتصم فحاربهم وخلصها (١٣) بلدة من بلاد الروم (١٤) صاحب السفينة (١٥) كوكب فى السماء تدور عليه الكواكب وهو ثابت مكانه ينظر اليه صاحب السفينة فيعرف الجهة التى هو قاصدها (١٦) البعد (١٧) راجع (١٨) رجعتى (١٩) دارى (٢٠) تنكشف (٢١) الشدة

الفترة (١) وينظرَ إلىّ سيّدى نظرةً ترفعنى من ذات (٢) الصّدْع (٣) الى ذات (٤) الرّجع (٥) وتردّنى الى وَكْرى (٦) الذى فيه دَرَجْت (٧) رَدّ الشّمْس قَطْرَة المُزن (٨) الى أصلها ،ورَدّ الوَفىّ الأَمانات الى أهلها

فان شاءَ فالقُرْبُ الذى قد رَجوْته وان شاءَ فالعزُّ الذى أنا آمِلُ

والاّ فانى قافُ رُؤْبة (٩) لم أزل بقيد النَّوَى حتّى تَعولَ الغوَائلُ

فلقد حَلَلْتُ السّودان حلولَ الكليم (١٠) فى النّابوت (١١) وَالمُغاضِب (١٢) فى جَوف الحُوت ، بين الضّيق وَالشّدّة ، والوَحشةِ والوَحدَة ، لا بل حلول الوزير (١٣) فى تنُّور العذاب ، وَالكافرَ فى مَوْقف الحساب ، بين نارَيْن نار القيظ (١٤) ونار الغيظ

فناديتُ باسم الشيخ والقيظُ جمرةٌ تُذيبُ دِماغ الصَّب والعقلُ ذاهلُ

فصِرتُ كأنّى بين رَوْضٍ ومَنهَل تَهُبُّ الصّبا فيه وتَشدو البلابل

واليوم أكتب اليه وقد قَعَدت هِمّةُ النَّحْمين وقصرتْ يدى الجديدَيْن (١٥) عن إزَالة ما فى نفْس ذَلك الجبّار العنيد ، فلقد نَمَى ضِبٌّ (١٦) ضِغْنه (١٧) علىّ وبدَرَتْ (١٨) بوَادرُ (١٩) السّوءِ منهُ إلىّ ، فأصبحت كما سرّ العدوّ وَساءَ الحميم (٢٠) وآلاَمى كأنّها جلود أهل الجحيم ، كلّما نَضجَ منها أديمٌ تجدّد أديم (٢١) وأمسيتُ

---

(١) يريد المدة بينهما (٢) الارض (٣) الشق (٤) السماء (٥) صوت الرعد (٦) يريد وطنه وأصله عش الطائر (٧) مشيت (٨) المطر (٩) رجل من العرب كان اكثر روى اراجيزه على القاف الساكنة (١٠) سيدنا موسى عليه السلام (١١) الذى وضعته أمه فيه والقته فى البحر (١٢) سيدنا يونس بن متى عليه السلام (١٣) محمد الزيات وزير الخليفة مروان الحمار أدخله تنوره الذى اصطنعه لتعذيب من يامر بتعذيبه (١٤) شدة الحر (١٥) الليل والنهار (١٦) بكسر الضاد الغيظ (١٧) حقده (١٨) أسرعت (١٩) جمع بادرة الحدة عند الغضب (٢٠) القريب الذى يهتم لامره (٢١) الجلد

ومُلك آمالى الى الزّوال ، أسرَع من أثَر الشّهاب فى السّماء ، وَدولة صبرى إلى الاضمحلال أحثّ (١) من حَبابِ (٢) الماء ، فنَظرْتُ فى وُجوه تلك العباد ، وانى لفارسُ العين والفُؤاد ، فلم تقفْ فِرَاستي على غير بابك

وانى أهديكَ سلاماً لو امتزَجَ بالسّحاب ، واخلطَ منهُ باللّعاب ،لأصبحتْ تَتهادَى (٣) بقَطرَة الأكاسِرَة (٣) وَأمستْ تدّخرِ منه الرّهبان فى الأدْيرَة ولأغنى ذات الحجاب عن الغالية (٥) وَالمَلاَب (٦)

وَلا بِدْعَ إذا جادَ السّيدبالرّدّ ، فقدْ يُرَى وجه المليك فى المرآة، وَخيال القَمر فى الاضاءة ، وإنْ حال حائلٌ دُونَ امْنيّة هذا السّائل ، فهوَ لا يُذمّ يَوْمك ، وَلا يَيأسُ من غدكَ ،فأنت خيرُما تكون حينلا تظنّ نفسٌ بنفس خيراً : وَالسلام

﴿ الفصل السابع فى رسائل العيادة ﴾

(كتب ابن الرّومى المتوفى سنة ٢٨٤ ﻫ الى بعضهم)

أذِنَ الله فى شِفائك ، وَتلقّى داءَك بدوَائك ، ومسَحَ بيد العافية عليك،ووجّه وَفد السّلاَمة اليك ، وجعلَ علّتك ماحِيةً لذُنوبك ، مُضاعفةً لِثوَابك

(وكتب أبو بكر الخوارزْمى المتوفى سنة ٣٨٣ ﻫ)

وَصلَ كتابك ياسيّدى،فسرّنى نظَرى إليه ثمّ غمّنى اطّلاعى عليه ،لما تضمّنه مِنْ ذِكرعلّتك ، جعلَ الله أوّلها كفّارَة ، وآخرها عَافيةً ، وَلا أعدمك على الأولى أجراً ، وعلى الأخرَى شُكراً

وَبودّى لوْ قرُب علىّ مُتناوَل عِيادتك فاحتملتِ عنك بالتّعهد والمساعدة بعضَ

(١) أسرع (٢) ما يرى على وجه الماء من الفقاقيع (٣) تحمله هدية (٤) الملوك (٥) الطيب (٦) الزعفران

أعباءِ [١] عِلّتك ، فلقد خصّنى من هـذه العلّة قِسمٌ كقِسْمك ، ومَرض قلبى فيك لمَرَض جِسْمك ، وأظنّ أنّى لَوْ لقيتك عليلاً لا نصرفت عنك وأنا أعلّ منك ، فإنّى بحَمْدِ الله تعالى حَلْدٌ [١] على أوجاعِ أعضائى غير جَلْدٍ على أوجاع أصدقائى ـ شفاك الله وعافاك

﴿ الفصل الثامن فى رسائل التهانى ﴾

(كتب فى التهنئة بميلاد الأولاد أبو منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

أهلا وسهلا بعقيله [٣] النّساء وأمّ الأبناءِ وجالبةِ الأصهارِ والأولاد الأطهار

ولو كانَ النّساءُ كمِثل هذى ... لفُضّلتِ النّساءُ على الرِّجال

فما التأنيث لاسم الشمس عَيْبٌ ... ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ

والله يُعرِّفك البركة فى مَطلعها ، والسعادَة بموْقعها ، فالدّنيا مُؤنثة ، والنّاس يخدُمونها ، والدّهور يعبدونها ، والارْض مؤنثة ، ومنها خُلقت البريّه ، وفيها كثرت الذّريه ، والسّماءُ مُؤنّثة ، وقد زيّنت بالكواكب وحُلّيت بالنّجوم الثّواقب [٣] والنّفس مؤنّثة ، وهى قِوام الأبدان ، وملاك الحيوان . والحياة مؤنّثة ولوْلاها لم تتصرّف الأجسام ، ولا تحرّك الأنام ، والجنّة مؤنّثة ، وبها وُعدَ المتقون وفيها تنعّم المرْسلون ـ فهنيئاً هنيئاً ما أوْليتَ وأوْزَعكَ [٥] الله شكر ما أعطيت ـ وأطال بقاءَك ما عرف النّسْل وما بقى الأبد

(وكتب بديع الزّمان الهمدانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ الى الدّاوردى يهنئه بمولود)

حقاً لقد أنجز الأقبال وعْدَه ، ووافق الطّالعَ سعده ، وأنّ الشأن لفيما بعدَه وحبذا الأصلُ وفرْعُهُ ، وبُورك الغيثُ وصوبُه [٦] وأينعَ الرّوْضُ ونَوْرُه [٧] وحبّذا

(١) جمع عبء الثقل (٢) شديد (٣) كريمتهن (٤) المصيبات (٥) اقدرك
(٦) مطره وهو هنا كناية عن الولد (٧) زهرة الشجرة وهو كناية عن الولد أيضا

سماء أطلعت فرقداً ، وغابة (١) أبرت أسداً ، وظهر وافق سنداً ، وذكر يبقى أبداً ، ومجد يسمى ولداً ، ونمرف لحمة وسدى (٢)

أنجب (٣) كل من والديه به اذ نجلاه فنعم ما نجلا

فألفياه (٤) شهاب ذكاء ، وبدر علاء

ووجداه ابن جلا (٥) أبيض (٦) يدعى الجفلى (٧)

لمثله أولى فلا إذا الندى (٨) احتفلا

« وكتب فى التهنئة بالقدوم أبو منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

أهنئ سيدى ونفسى تطيب بما يسر الله من قدومه سالماً ، وأشكر الله على ذلك شكراً دائماً : جعل الله قدومك مقروناً بالخيرة التامة العامة والكفاية الشاملة الكاملة غيبة المكارم مقرونة بغيبتك ، وأوبة النعم موصولة بأوبتك . فمتصل الله قدومك من الكرامة ، بأضعاف ما فرن به مسيرك من السلامة ، وهنأك بإيابك وبلغك غاية محابك ، ما رلت بالنيه معك مساوراً : وباتصال الذكر والفكر ملاقياً إلى أن جمع شمل سرورى بأوبتك . وسكن نافر قلبى بعودتك

(وكتب أيضا فى التهنئة برمضان)

ساق الله إليك سعادة إهلاله ، وعرفك بركة كماله ، لقاك الله فيه ما ترجوه ورقاك إلى ما تحب فى ما تتلوه ، جعل الله ما يطول من هذا الصوم مقروناً بأفضل

---

(١) موضع الاسد الذى يألفه والمراد أصوله (٢) كلاهما من لحمة الثوب وسداه وهو كناية عن الصرف وظاهرا وباطنا (٣) ولداه كريما (٤) وجداه (٥) واضح الامر (٦) نقى العرض شريفا (٧) دعاهم بجماعتهم وعامتهم (٨) مكان اجتماع الناس والاحتفال هو التجمع « أى لمثله نصوغ التهانى أولى فلا يحسن ان تصاغ لغيره »

بشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

القَبُول ، مؤذناً بدَرْك البُغية ونجْح المأمول ، ولا أخلاك من برٍّ مرفُوع ، ودعاء مسمُوع ، قابل اللهُ بالقبول صيامك ، وبعظيم المثوبة تهجّدك وقيامك ، أعاد الله الى مولاى أمثاله ، وَتقبَّلَ فيه أعماله ، وَأصلحَ فى الدِّين وَالدُّنيا أحوَاله ، وَبلَّغه منها آمالَه ، سعدَ اللهُ مولاى بهذا الشهر ، وَوَفّاه فيه أجزلَ المثُوبة والأجرِ

(وكتب أبو الفرج البغاء المتوفى سنة ٣٩٨ هـ تهنئة)

سيّدى : أيَّدَه الله — أرْفعُ قدراً ، وأنبهُ ذِكراً ، وأعظمُ نُبلاً ، وَأشهرُ فضلا مَنْ أنْ نهنّئه بولاية ، وإن جلَّ خطرها وَعظُم قدرُها ، لأن الوَاجبَ تهنئةُ الأعمال بفائض عدْلهِ ، وَالرَّعية بمحمود فعله ، وَالأقاليم بآثار رياستهِ ، وَالولايَات بسِمات سياسته ، فعرَّفهُ اللهُ يُمْنَ ما تولاَّهُ ، وَرَعاه فى سائر ما استرعاهُ ، ولاَ أخلاه منَ التَّوْفيق فيما يُعانيه ، وَالتَّسديد فيما يُبرِمُه ويُمضيه

(وكتب أستاذى المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٥ هـ)

أى حِهَابذَة (١) الكِنانة (٢) نبَّال الجُنانة (٣) ميَاه الإجَّانة (٤) أبناء تلك اللغى ، صناديدَ هذه الوَغى ، اليكمُ يُساقُ الحديثُ ، فى القديم وَالحديثِ عن هذا النَّبأ العظيم وَالمجد الصميم ، ما لى أرَى فى لُغتنا الشريفه « وَيعلمُ أُولوا النّهى آيةٌ هى من اللُّغات أحقُّ بهذا النَّبْرِ (٥) أن يُصرَفَ اليها عند الاطلاق » هُوباً غِبَّ خمُول ، وَتَرَّةً (٦) بعد نُحول ، ونوراً عقيب أُفول ، وَنَوْراً أثرَ ذُبول ، وَصباً وَرَاءَ قَبول ، وعدلاً ولاَ حيف (٧) وقوَّة وَلاضعف ، وَما يشاء المُطرِى (٨) فى هذا القبيل مِن العَطف

---

(١) الحذاق ذوو النقد (٢) ما يوضع فيها السهام والمراد انهم نقادون للمسائل (٣) بضم الجيم الترس التى يتقى بها (٤) الاجابة بالكسر اناء تغل فيه الثياب وما حول الغراس شبه الاحواض جمع اجاجين (٥) اللقب الرفيع (٦) امتلاء الجسم بالسمن (٧) الظلم والجور (٨) المادح

آمنتُ بالقدر المقدُور، والبعث والنشور، كذلك يحيى الله الموْتى

أليس رجلٌ واحدٌ أسفرَت (١) عنهُ عناية التَّوْفيق، فألفَتْ اليه المقاليد (٢)

بَلى (٣) ولكنهُ الوَاحد الذى يقول فى مثله صاحب بنى ميكال

والنّاس ألفٌ منهم كوَاحدٍ ووَاحدٌ كالألف ان أمرٌ عنا (٤)

إى (٥) وَرَبّ تلك البَنيّة (٦) بارِىء (٧) نَسَم البرِيّة، إنه لرُجلُ البلاد رجلُ الحزم والسّداد، ألَم ترَ جنَانه (٨) وَحنانه وَبيانه (٩) وَبيانه، عوَامل رفعٍ لهذه اللّغه لغةِ الفُرْقان (١٠) لغة الاوْطان، لا بل أمضى من العَوامل حتّى ظلّتْ آدابها فرَائض، وقد كانتْ وَما بالعهدِ من قِدَم نَوَافلَ، ومنْ حُلميِّها أحيادُ (١١) اللّهجاتِ عوَاطلُ، اللّهم الاَّ بقيّةَ نَمد قدْ مُنيت (١٢) صحفُها الأوَد (١٣) فَفقدت الجلد وَالجلد (١٤) وبعدَ أنْ رَاجَ سوُقُ الرّطانه (١٥) وَنصَبَ (١٦) ماءُ الإبانة وَخبتْ (١٧) أنْوَارُ اللَاغَه، وَزَوَتْ (١٨) أنوَارُ (١٩) السّاغة، وكسَدَ البيانُ وقُوِّض (٢٠) منهُ البُنيان، وَأصمحت العربيّه لغى (٢١) ملقاه، وَبضاعةَ مُزجاه (٢٢) فأيّهذا اليَراع (٢٣) لا اقلّ من نفَثات، فى صَوْع كلَيْمات، تقدُرُ هذه النّعمة قَدْرها وتمْنحُها (٢٤) شكرَها

ويْحك (٢٥) هُبَّ (٢٦) من سِنَتِك (٢٧) فى حِلْيةِ مِقتِك (٢٨) وَانْض (٢٩)

---

(١) ظهرت (٢) المفاتيح (٣) حرف جواب تثبت المعنى (٤) اهم الناس وأقلهم (٥) حرف جواب مثل نعم (٦) بفتح الباء وزن غنية الكعبة (٧) خالق (٨) قلبه (٩) أنامل أصابعه (١٠) القرآن الشريف (١١) الاعناق (١٢) احترت (١٣) الاود الكد والتعب ومراده اعتنى الناس بها لا عن بذل جهد (١٤) القوة (١٥) كل لسان يخالف العربية (١٦) غاروده (١٧) خفيت (١٨) دبلت (١٩) جمع نور بالفتح الزهر (٢٠) نقض (٢١) بالقصر مطروحة (٢٢) قليلة (٢٣) القلم (٢٤) نعطيها (٢٥) كلمة رحمة (٢٦) استيقظ (٢٧) نومك (٢٨) محبتك (٢٩) سله من غمده

حُسامَك (١) وَأشْحِذْ كِهامَك (٢) وأنْثُلْ (٣) كِنانَتَك (٤) واعمَلْ بَنانَتَكَ (٥) وصُغْ إن استطَعتَ تهانىء غُرّا ، بل عقُوداً دُرًّا ، بل أنجُماً زُهراً ، مِشتاراً (٦) من خَلَايا ذلك الأَرْيِ (٧) الشَّهىّ (٨) النَّدِى الذَّكىّ ، ما جَرَسَتْ (٩) نحلُه الشّيحَ (١٠) وَالخُزامَى (١١) وأطايبَ الثّمار ، وَأزاهِىَ الأزْهار ، تُهْدِيهنّ أولئك المصاقِع (١٢) شكراناً لتلك النِّعم ، تجميعاً لشَوارِدها ، وتقييداً لأوابدها (١٣)

كما شبّهها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو الصّادق المصدُوق ، وإشفاقاً عليها من الجِماح (١٤) بعد ذلك من الارتياح

فاليكم بنى هذه اللغة « كتابى هدا » تهنئةً بتلك النّهضة العربية فى إبّانٍ كما تعلمون وَجهُهُ مُكفهِرّ (١٥) وَبدنهُ مُقشعرّ ، وَثناءً على العناية التوفيقية والعزمة الرّياضية

على أنّ لهذا المولى الوَزير سوَى ذلك أيادىَ (١٦) مبرُورة ، ومساعى مشكورة أكْسَبتِ الوَطنَ وأهليه نهَضات ، وأقالَته كثيراً منَ العَثَرات ـ لكنّى آثرْتُ (١٧) تلكمُ النّهضة العربية بتهنئتِكمُ بها ـ أى بنى جِلْدَتى (١٨) وَإخوانَ حِرْفتى لكونها فيما إخال ، لا : بلْ فيما أتيقّنُ وَبتيقّنُ أولو الحِجا (١٩) أعظَمَ النّهضات ، وأيمَنَ (٢٠) ما اجتازُه (٢١) الوَطن من العقَبات ، ولو كان فى نطاق الامكان ، زيادة البيان ، فى هذا الشّأن ، لأسهبتُ (٢٢) وَأوْسعتُ وَأطرَيْت (٢٣) وَأطنبْتُ ، ولو لم يكن فى تلك

---

(١) السيف القاطع (٢) شحذه حده والكهام بفتح الكاف السيف الكليل (٣) استخرج ما فيها من النبال (٤) الجراب الذى توضع فيها النبال والسهام (٥) اصبعك (٦) كثير الشراء (٧) العسل (٨) ما يشتهى (٩) أكلت واصله جرس الشىء جرسا لحسه بلسانه (١٠) نبت طيب الرائحة (١١) بضم الخاء نبت زهره أطيب الازهار (١٢) جمع مصقع البليغ (١٣) لغرائبها (١٤) الذهاب بسرعة (١٥) متعبس (١٦) نعما من ذلك الوزير الخطير مصطفى باشا رياض المتوفى سنة ١٣٣١ هـ (١٧) اخترت (١٨) بنى عشيرتى (١٩) العقل (٢٠) اكثر بركة (٢١) سلكه (٢٢) لاكثرت الكلام (٢٣) مدحت

النَّهضة إلاَّ أنَّ حياة الأمة حياة لغتها فحسْبُ ، لكفاكَ ، وشفاك ، وأغناك ، وكان ذلك قُصارَاك (١) وحَمَاداك (٢)

(وكتب الأستاذ محمود بك أبو النصر)

انسان عين الفضائل عزيزى فلان المحترم

نورٌ على نُور ، وشفاءٌ لما فى الصُّدُور ، تفاؤكَ أيُّها العزيز من ذلك الرَّمد: قد أنجزَ الإقبالُ ما وَعدْ ، وابتهجَت النفوس ، وَتزيَّنَتِ الطُّرُوس ، وَاهتزَّتِ الأقلام وَأعلنتْ بالسلام

ولاحَ فجرُ التَّهانى بالبشائر اذ حيَّتْ فأحيَتْ رُبُوع الفضْل وَالأدب

وكيف لا وأنت واحد الكُتَّاب ، وإنسان عين الآداب ، رَمِدت فرَمِدت وَشُفيت فاهتزَّت وَرَبت ، وَقد كانَ طرْفُها كليلا وفُؤَادُها عليلاً ، وَاليوْم زَالَ العَناء ، وَحفَّ الهناء ، وَوَافى السّعاء ، فكان بردْاً وَسلاماً على القلوب ، وقميص يوسف فى أجفان يعقوب

فَلاكَ الهناء بصحةٍ ميمُونةٍ أبداً على مرِّ الدُّهور تدُوم

وإن الله مَا قصى بما قد مصى ، إلا ليُعرِّف سيِّدى مكانته من القلوب ومنزلتهُ من الفضل ، وهذه حُلل العافيةِ قد خُلعت عليك ، وَثيابُ السلامة سيقتْ اليك ، فوافى السرُور ، وعمّ الحُبور ، وَالله يُبلّغك بالصّحّة وَالأعمال منتهى الآمال ـ والسلام

« وكتب الوَزير عبد الله باشا فكرى المتوفّى سنة ١٣٠٧ هـ فى تهنئة العيد »

هذا يوم نَشَرَ البِشْرُ فيه أعلامه ، وَأضاءَتْ الدُّنيا وَازْدانت الآفاق ببهجة

(١) مبلغ جهدك وغايتك (٢) غاية ما تحمد عليه

هذا العيد السّعيد ، وأخذَ الأحبةُ ينهادَوْن رسائلَ البشائر فيما بينهم ، وكلُّ حزْبٍ فرِحُون بما لدَيهم ، بما أوْدَع فيهم منْ رَوَابط المحبةِ وَعوامل الاتحاد السّارية فى النفوس ـ أما أنا فعيدى و بهجةُ نفسى وَسرُورُ فؤادى دَوَامُ إقبال الزّمان عليك بوجه النّصر ، وَعوْدُ أعياد السُّرُور على جنابك الرفيع ، فمثلك تشرُقُ الدّنيا بطلعتهِ ، وَتفرَحُ الأعياد برُؤيته

وَأرَى الحياة لذيذةً بحياته وَأرَى الوُجُود مُشرّفاً بوُجودِه
لوْأنّنى خُيّرْتُ منْ دَهرى المُنى لاخترْتُ طُول بَقائه وَخلودِه

أعادَ اللهُ عليكَ أيُّها الأخُ أمثالَهُ وَأمثال أمثالهِ فى صفاءٍ وَهناء

﴿ الفصل التاسع فى رسائل التعازى ﴾

« كتب أبو منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ »

خبرٌ عزّ علىّ مُستمعهُ ، وَأثّر فى قلبى موْقعهُ ، خبرٌ تستاء [١] له المسامع وترتجّ منهُ الأضالع ، خبرٌ يهدُّ الرّوَاسى [٢] وَيفلقُ الحجرَ القاسى ، كادت له القلوبُ تطير ، وَالعقُول تطيش ، وَالنّفوسُ تَطيح [٣] خبرٌ يُشيب الوَليدَ ، وَيديب الحديد قدْ كاد من الحُزن أن تنقبضَ الألسنُ عن هذا النّعى الفَادح [٤] وَتخرَس ، وَتقصُر الأيدى عن التّعزية بهذا الرُّزْء الفَادح [٥] وَتيْبس

(وكتب أبو الفضل بديع الزّمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

إذاما الدّهرُ جرَّ على أناس مَصَائبهُ أناخَ بآخرِينا
فقل للشّامتينَ بنا أفيقوا سيَلقى الشّامتون كما لَقينا

(١) تتألم وتتأثر من أجله (٢) الجبال (٣) تهلك (٤) الذى يثقل الناس ويهمهم (٥) المصيبة

أحسنُ ما فى الدَّهر عمومهُ بالنَّوائب ، وخصوصهُ بالرَّغائبِ ، فهوَ يدعو الجفلَى (١) إذا ساءَ ، ويخصّ بالنِّعمة إذا شاءَ ،فليكفر الشَّامتُ : فان كان أفلتَ (٢) فله أن يشمت ولينظر الإنسانُ فى الدَّهر وصُروفهِ ،والموْتِ وصُنوفه ، من فاتحة أمرهِ الى خاتمةِ عمره ، هلْ يجدُ لِنفْسهِ أثراً فى نفسه ، أم لتدْبيره عوْناً على تصويره ، أمْ لِعمَله تقديماً لأمله ، أم لِحيله تأخيراً لاجله ، كلاَّ : بلْ هُو العَبد لم يَكُنْ شَيئاً مَذكورًا خُلقَ مَقهُوراً ، فهو يَحيا جَبراً ، ويَهلك صَبْراً ، وَليتأمَّلْ المَرءُ كيفَ كَان قبلاً فانْ كان العدمُ أصلاً ، والوُجُودُ فضلاً ، فليعلم الموْتَ عَدْلا

وَالموتُ أطال الله بقاءَ موْلاى خَطْبٌ قد عظُم حتَّى هان ، وَأمرٌ قد خَشُن حتَّى لانَ ، وَلعلّ هذا السّهمَ قد صارَ آخر ما فى كِنانَتها (٣) وَأزكى (٤) ما فى خِزانتها ، ونحنُ معَاشرَ التبَع ، نَعلَّم الأدبَ من أقْوَاله : وَالجميلَ من أفعاله ، فلا نحُثُّهُ على الجميل وهو الصَّبر ، وَلا نُرْغبهُ فى الجزيل وَهو الأجر ، فلْيرَ فيهما رَأيه

« وكتب أيضاً »

ياسيدى — المُصابُ لَعمْر الله كبيرٌ ، وَأنْتَ بالجزع جدير ، ولكنَّكَ بالصبر أجدَر ، وَالعزاءُ عنِ الأعزّة رُشْد كأنهُ الغىّ ، وقد مات المَيْتُ فلْيَحيَ الحىّ

« وكتب فقيد اللغة الشيخ ابراهيم اليازجى المتوفى سنة ١٩٠٦ م »

أتباحٌ تروح وتجى ، وآجالٌ تُمسى وتغْتدِى ، وأنفاسٌ تتقطعُ من دُونها حزناً وأسفاً ، وعَبرَاتٌ تتفطَّرُ وجداً ولَهفا ، وَما عَمدَت الأقدار إلى استنزاف مدْمع ، ولا أرَادت الأيام إيلامَ مُوجع ، إنما هى سُنَّةُ الخلق كونٌ يليه زوال وعقْدٌ يَسبقهُ انحلال ، وَأنَّ لكُلِّ شىء أجلاً موْقوتاً ، وأنَّ لكُلِّ أجل سبباً

(١) يدعو الناس بعامتهم وجماعتهم (٢) أطلق وخلص وسلم من نوائب الدهر
(٣) الجراب الذى توضع فيه السهام (٤) أطهر وأنفس لانه لايحرز الا ما كان نفيسا

مقدُوراً ، وَأنَّ الإنسانَ لفى كلّ ذلك شاهدٌ ، يسمعُ لاهياً ويبصرُ ساهياً ، وليس فى يَدِه أن يستردّ ماضياً ، وَلا أن يردَّ آتياً ، ولقدْ وَددت أن أعزّيك لوْلاَ ما يُغالبنى على العزَاء من كبدٍ حرّى ، ومُقلةٍ شكرَى ، وَزَفرَة تترى ، ثمَّ وددت أن أستبكيك لولا أنّى بَكيتُ حتّى لم أدع فى البكاء من واد ، وَأحييتُ ليالىَّ بالنَّوْح حتى ما بالنّجم سُهاد ، ثمَّ لم يزدنى البكاء على سُقم جَسَدِى . ولم يَزدنى النَّوح على صفر يدى الاَّ من كَبِدِى ، وإنَّ الأقدارَ سِهامٌ إذا انطلقَتْ لَم تُرَدّ ، وإنَّ المُتَطلّعَ إلى الفائتِ لَطويلُ شُقةِ الكَمَد ، وَإنَّ المُخطوبَ لهى هى وَانما تتفاوَت عِند الجلَد

وَإنّ الحصى عند الجزُوع ثقيلةٌ وضَخْم الصفا عند الصَّبور خفيف

والله المسئول فى إطالة بقائك قُرَّة لِلعيون ، وجبراً لخاطِر المحزون ، بمنّه وكرَمه

﴿ الفصل العاشر فى رسائل الاجوبة ﴾

« كتب المرحوم عبد الله باشا فكرى المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ »

سيّدى سلّمك الله وحيّاك ، وأسعدنى برُؤية مُحيّاك ، وزاد عزّك وعُلْياك وحرسَ دينك وَدُنياك ، وَجمعنى على بسَاط المسرّة وإيّاك ، وَلاحرمنى دوَام لُقياك وَلا بَرح الدّهر مُبتَسمَ الثّغر بمحاسن معاليك ، مُباهياً أعصار الأوَائل بأيامك ولياليك ، مُحلّياً أجياد المفاخر بزَواهر لآليك — وَرَدَ علىَّ كتابك الكريم ، مورد إعزاز وتكريم ، فَبلّ بعض مافى الجوَانح من الصّدى ، وأنعشنى وَلا انتعاس الزّهر بمُباكرَة الندَى ، وَجلا علىَّ من البلاغة رَوْضاً غَضًّا ، وَأدارَ لدَىَّ صَفْواً من سُلاَف المحبَّة محضاً ، وَهزّنى هزّة النّشوان شوْقاً وَطرَبا . وَاستفزّنى بمعجز آياته الحسانَ عُجْباً وعَجبا . ونثرَ علىَّ من محاسن لفظك الحُرّ ، وكلماتك الغرّ . ما يُخجلُ الدّرارى ويفضح الدُّرّ

كلامٌ كستهُ بهجةُ الحسنِ رَوْنقاً هو السحر لا بل جلَّ قدراً عن السحر

« وكتب أيضاً وهو بالاستانة العليَّة فى يوم برد كثير الامطار »

كتبتُ إليك والأمطارُ ساجمة (١) بطَلِّها (٢) ووَبْلها (٣) وعَساكرُ البَرْد والبرَد هاجمةٌ بخيلها ورَجْلها (٤) والسَّماءُ مُتلفِّعةٌ بأذيال السَّحاب . وكأنَ الشّمس خافت من الطَّلّ فتوارَت بالحجاب . والجوُّ مسكيّ الرِّداء . عنبريّ الأرجاء ، كأنه وَعليه ثوب الغيم مزْرُورٌ ، قد وَجلَ (٥) من صوْلة البرد فلبس فرْوَة السَّمُّور والغمام على الأُفُقِ بكلاكِله (٦) وَهزّ من البرْق بيض مناصله (٧) ونَشَرَ فى الجوّ طرَائقَ مطارِفه (٨) وجاد على الأرْض بتَليدهِ (٩) وطارِفه . وَثقلَ على كاهل الهواء كالطير بَلَّ جناحَه بالماء وَقرُب حتى كادَ يمسك باليدين . ويُعصرُ بالرَّاحتين أوْ كأنه مرآةٌ مُذهَّبَة تمدُو وتخفَى بأوْ جدوَةٌ (١٠) مُلتهبَةٌ توقَدُ وتُطفَى ، والرَّعْدُ يُهدِّدُ بروَاجر زماجره السَّحائب فَيُسكتها ، والطيرُ يتلُو سُطور النَّدَى فى طُرُوس الثَّرَى (١١) فيُملها ، ويُطرب بأفنان (١٢) الألحان أفنان (١٣) البَان فَيُعلمها ويُثنيها ، ويقرأ على رُؤوس الأغصان أوْرَاده الحسان فيُفريها ويَرقيها . وقوسُ السّماء يَرمى بسَهام وبْله (١٤) جنوب الشَّقائق (١٥) فيُصميها (١٦) ويدميها ، والرِّيح تمسحُ أخلافَ (١٧) الغمائم فتُمريها (١٨) وتُرْضعُ بدَرِّها بنات النّبات فى حُجُور أرَاضيها فَتُربِّيها وترْبيها ، وترَضِّعُ بدُرِّها تيجان القضبان وتارة تجعله عُقوداً

(١) سائلة (٢) الندى (٣) المطر الكثير (٤) المشاة على ارجلهم (٥) خاف (٦) بجماعاته (٧) سيوفه (٨) ثياب من خز مربعة والمراد أنه كثر حتى غطى السماء (٩) المال القديم والطارف ضده والمراد كثرة مطره (١٠) بتثليث الجيم الجمرة (١١) الارض (١٢) جمع فن الغصن (١٣) الاغصان الناعمة (١٤) المطر الكثير (١٥) شقائق النعمان نبت أحمر (١٦) يرميها ومراده انه يرميها بالمطر حتى تزهو فتحمر (١٧) جمع خلف بالكسر الضرع (١٨) مرى الدابة يمريها اذا مسح ضرعها لتدر اللبن

فى تراقيها [١] أوْ دُمُوعاً فى أماقيها ، وكأنّ الحرّ خافَ من بَنادق البَرْد ومدافع الرّعد ، ففرّ إلى مصر ونواحيها ، وأصبحَ نزيل مَنْ فيها لكرم أهليها وكأنّ غيرها بخلت عليه فلم تقبله عندها ضيفاً ، أوْ غلط النّاس فى حساب الفصُول فظنُّوا شتاها صيفاً

(وكتب المرحوم حفنى بك ناصف الى المرحوم الشيخ على الليثى المتوفى سنة ١٣١٣هـ)

وصل يامولاى إلى هدا الطرَف ، ما خصّصت به العبدَ من الطُّرَف « قفصٌ » من عنَب كاللؤلؤ فى الصدَف ، تتألق عناقيده كأنّها من صناعة « النّجَف » ولعَمر الحقّ أنها تُحفة مِن أحلى التُّحف ، لا يُعثرُ على مِثلها إلاّ بطريق (الصُدف) فقابلناه لثما بالأفواه ، ورشفاً بالشّفاه ، واحتفينا [٢] بقدُومه كلّ الاحتفاء ، ولم تفرِّط فى حُمّهِ عندَ اللقاء ، بل حَلانا لهُ الحبي [٣] وقُلنا لهُ أهلاً وسهلاً ومَرحباً وأوْ سعناهُ عضّاً ولثماً ، وتناولناهُ تجميشاً [٤] وضمّاً ، وحفظنا فى صدورنا سرّه المكنون ، وطوَيناه فى غضُون [٥] البُطون ، فطربتْ من تعاطيه الأرْوَاح ، ولا غرْوَ فهو أصل الرّاح [٦] وانتشَينا [٧] ولم نحمل وِزْراً ، وتمِلْنا [٨] ولم نذُقْ طَعْمًا مرًّا ، فهوَ كبيان مُهديه سِحرٌ ولكنّهُ حلالٌ ، ولَعِبٌ إلاّ أنه كمال ، فان أكسَبْت الشُمُول شاربها قوّة فى الجنان ، ونفَحتْ [٩] ذائقها طلاقة فى اللّسان فقد سَرَت فى أجسامنا من حرارته شجاعةٌ « ليثيّه » ودبّتْ فى كلامنا من مذاقتهِ فصاحةٌ « علويّه » وخلُصَتْ إلينا مِنهُ فوائدُ لا يحيط بها العلم ، ونجَمَتْ [١٠] عنه منافع ليس يصْحبُها إثمٌ — فان زَعَمَ الأوّلُونَ أنّ فى الخمر معنًى ليس فى

(١) اعناقها (٢) بالغنا فى اكرامه واظهرنا الفرح والسرور (٣) الحبال (٤) المغازلة والملاعبة (٥) طبقات البطون (٦) الخمرة (٧) سكرنا (٨) سكرنا أيضا (٩) أعطت (١٠) أظهرت

العنب ، فقد تغيَّر الحال فى هذه الهديَّة وانقلبَ، وانكشف للمتأخرين حقيقة الأمر أنَّ فى العنب معنًى ليسَ فى الخمر

وكان الأحرَى بهدَا العنب أن يُناط[1] بالنُّحور ،أو تُزَيَّن به الصُّدُور ،فما هوَ إلاّ اللُّؤلؤُ لكنَّهُ سَلِمَ مِن سِجْن البحار ، وما هوَ إلاَّ الدُّرُّ لكن ليس فيه صُغَار[2]

(وَمن كنتَ بحراً له يا عَليّ لا يَلقطُ الدُّرّ إلاَّ كُبارَا)

وَما ضرَّه أنْ ضمَّهُ القَفَص حصَّةً من الحصص ، فانَّ كريم الطير يُودَع فى الأقفاص ، والقلبُ ليس لهُ من حنايا الضُّلُوع خلاص ، فلا بِدع أن تستقلّ فى حبّاته حبّاتُ القلوب ، ويُسْملَحَ فى جنبِ حلاَوَتهِ رُضابُ[3] المحبوب ، وكانَّ الثريا لما أخـذَتْ شكلَهُ فغرَ[4] الهلال فاهُ لعُنْقودها ، يُريد أكلهُ فهو يطاردها فى السّماء ، ويأخـذ عليها الطريق من الوَراء ، وهى تجرى من الأمام مخافة الالتهام هـذا لمجرَّد تشابه فى الشكل فـكيف بالثريَّا لو أشبهَتْهُ حلاوةً وريًّا[5] فلله تلك العناقيد ما أشـدّ تألُّقَها وأصفَى ماءها وأحسن رَوْنقها من كل عنقودٍ تخالهُ عمود الصّبح أحاطتْ به الدَّرارى ، أو غُصنَ البان تعلَّقت به القمارى

فسقَى الغيثُ أرضاً أنبتَتْه ، ولا نَلّ[6] الدّهر عُرُوساً حملَتـه ، وأرضاً عرّفتنا بأثمارها حـلاَوة الجنَّة ، وأبرَزتْ لنا لمحـةً من محاسنها المستـكنَّة ، وأنْسانا عِنَبُها ذِكرَى دَمشْق[7] وأزمـير ، وأنبأنا غارسُها أن مصر خـيرُ مُسْتَقَرّ ، ولا يُنبئك مثـلُ خبير ، وعروساً كالعروس تَتيه[8] فى الحلْى والملبُوس تحسُدها المحرَّة[9]

---

(١) يعلق (٢) بضم الصاد الصغير (٣) ريقه (٤) فتح (٥) منظرا حسنا (٦) لا هـدم (٧) عاصمة الشام سميت باسم بانيها دمشاق بن كنعان (٨) تتمختر (٩) نجوم كـثيرة لا تدرك بمجرد البصر وانما ينتشر ضوءها فيري كانه بقعة بيضاء

فى السَّماء، وتوَدَّ لو تكون لها هذه البهجةُ والرُّواء [١] لازال مولاى يهدى ويُهدى وصنائعه تَعيد فى ثنائه وتُبدى

(وأجابه المرحوم الشيخ على اللبنى المتوفى سنة ١٣١٣ هـ)

وبعدُ : فقد وصل كتاب القاضى الفاضل ، وأرَّج الأرجاء بلطيف فواضله وشريف الفضائل . وما كنتُ أظنُّ أن يحصلَ من زَبيبة خماره ، حتى رأيت القاضىَ الفاضل سبكه فى قوالبَ شتَّي وصاغه ، وأتى بما أدهش اللُّبّ من أساليب البلاغة فتارةً عقْداً على النَّحور، وتارةً فى ميادين الطلب تُطاردُه البدُور، وآونة دُرًّا مكبَّرا ، ومرَّة خمراً مُعنبرًا، وساعة دوالى « نجفَه »وساعة غُصناً تعلَّق به الهزَار [٢] وأَلِفه

تكاثرَت الظِّباءُ على خراشٍ فما يدْرِى خراشٌ مايصيدُ

عجباً لك أيها الفاضل : هذا مع اشتغال بالك ، وإقبالك على ما لديك من مراعاة عدلك واعتدالك ، فكيف لو تفرَّغتَ لهذا الأمر ، ولإراحة النفس اعتصرتَ من العنقود قدحاً من خمر ، وامتَطَيْتَ [٣] طرَفَ اليرَاع منتهجاً مناهج الطِّرْس ، ودَبجْتَ [٤] بياضَ صفحانه بمحاسن حلْى النِّقس [٥] فلله أنت من بليغ بلغ ما يريد ، وقلدَ فرائدَ آدابه كلُّ جيد ، وأفاد السِّحْرَ منثوراً فى فواصله وأقام بعوامل أقلامه تثقيفَ عوامله وأوجب علينا الشهادة له بالسبق ، فأذعنَّا مسلمين والحقُّ أحقّ — هذا: ولولا أن يقال فلان جفَا ، وما احتفل بكتاب أخيه ولا احتفَى [٦] وإن كان شيبى يُلزمُنى ذلك ، كما أن شباب (البيك) يسلُك به

---

(١) بضم الراء حسن المنظر (٢) بفتح الهاء طائر يقال له العندليب (٣) علوت (٤) نقشت (٥) بكسر النون الحبر (٦) ولا سأل

أقوم المسالك ، لَسَرَتْ عِيّ وما أشرت ، ورأيتُ طَيّ خيراً لى مما نشرت وجعلتُ كتاب سيّدى فى عنقى تَمِيمَةً (١) وَرَوَّحتُ النفس تيمُّناً (٢) بمسّ آياته الكريمة ، وقلتُ كفانى ما أحاط بالعنق من قلائده ، حيثُ العبد لا يبلغ فى الفخامة كمال سيِّده

وهبنى قلتُ هذا الصبحُ ليلٌ أيعمى العالمون عن الضياء

لا زالت بُرُد التَّرَسُّل بيننا مُستمرّةً ، ومُددَ التَّوَصُّل على جَناح التقرب مُستقرّة ، ولا برَح الجنابُ فى كلّ بداية يَترقى كما يحبّ من غاية الى غاية والسلام

﴿ الفصل الحادى عشر فى رسائل الوصايا والشفاعات ﴾

(من كلام له عليه الصلاة والسلام لعُمر بن الخطاب فى غزْوة الفُرس)

ان هذا الأمر لم يكن نَصرُه ولا خِذلانه بِكثرةٍ ولا قِلّة ، وهو دِين الله الذى أظهَره ، وجُندُه الذى أعدّه وأمدّه ، حتى بَلغ ما بَلغ ، وطَلَع حيثُما طَلع ونحنُ على موْعود مِن الله ، والله مُنجزٌ وَعدَه ، وناصرٌ جُندَه ـ ومَكان القَيّم بالامْر مكان النِّظام مِن الخرَز يجمعُه ويَضُمّه ، فاذا انقطع النِّظام تفرّق الخرز وذهبَ ثُمّ لم يجتمع بحذافيره أبداً

والعرَبُ اليومَ وان كانوا قليلاً فهمْ كثيرون بالاسلام ، عزيزُون بالاجتماع فكن قُطباً ـ واستَدِر الرَّحى بالعرَب وأصلهمْ دُونكَ نارَ الحرْب ، فانك إن شخصت من هذه الأَرْض انتقضَتْ عليك العرَب من أطرَافها وأقْطارِها حتى يكون ما تدَعُ وَرَاءَك منَ العَوْرَات أهمَّ اليك مما بين يديك

(١) ما تكتب وتعلق فى عنق الصبيان للحرز (٢) تبركا

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا هـذا أصل العرب فاذا قطعتموه إسترحتم فيكون ذلك أشدّ لكلبهم عليك وطمعهم فيكَ ، فأمّا ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين ، فانّ الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره : وأمّا ما ذكرت من عددهم فانّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ، وانما كنّا نقاتل بالنصر والمعونة

﴿ ومن وصية له عليه الصلاة والسلام قالها بصفّين ﴾

أمّا بعدُ : فقد جعل الله لى عليكم حقّا بولاية أمركم ، ولكم علىّ من الحقّ مثل الذى لى عليكم ـ فالحقُّ أوْسعُ الأشياء فى التواصف ، وأضيقُها فى التناصف لا يجرى لأحد الاّ جرى عليه ، ولا يجرى عليه إلاّ جرى له ، ولو كان لأحد أنْ يجرى له ولا يجرى عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانهُ دُونَ خلقهِ لقدْرَته على عباده ، ولعدْلهِ فى كلّ ما جرت عليه صُروف قضائه ، ولكنّهُ جعل حقّه على العباد أن يُطيعُوه ، وجعلَ جزاءَهم عليه مُضاعَفةَ الثّواب تفضلا منه وتوسّعا بما هُوَ منَ المزيد أهلهُ ، ثمّ جعل سُبحانه من حُقوقه حقُوقاً افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأُ فى وُجوهها ، ويُوجبُ بعضُها بعضاً ، ولا يُستَوْجب بعضها إلاّ ببعض ، وأعظَمُ ما افترض سبحانهُ من تلك الحُقوق حقّ الوالى على الرّعية وحقّ الرّعيّة على الوالى فريضة فرضها سبحانهُ لكلّ على كلٍّ : فجعلها نظاماً لألْفتهم وعزّاً لدينهم ، فليست تصْلح الرّعية إلاّ بصلاح الوُلاة ، ولا تصْلح الوُلاة إلاّ باستقامة الرّعيّة ، فاذا أدّت الرّعيّة الى الوالى حقّه ،وأدّى الوالى اليها حقّها عزّ الحقُّ بينهم وقامت مناهج الدّين ، واعتدلت معالم العَدْل وجرت على أذْلالها السُّنن فصلح بذلك الزّمان ، وطُمع فى بقاء الدّوْلة ويئستْ مطامعُ الأعداء ، وإذ غلَبت

الرَّعيّة واليها وَأجحف الوالى برعيّته ، إختَلَفتْ هنالك الكلمةُ وظهَرَتْ معالم الجوْر وكثُرَ الإدغال فى الدّين وتَركتْ محاجُّ السُّنَنْ فعَمل بالهوَى وعُطّلت الأحكام وكثرَت علَلُ النُّفوس فلا يُستوحشُ لعظيم حقٍّ عُطّل ، وَلا لعظيم باطلٍ فُعل :فهنا لك تذِلُّ الأبرَار ، وتعزّ الأشرَار ، وَتعظُم تَبعاتُ الله عند العباد فعليكم بالتّناصُح فى ذلك وحُسنُ التّعاوُن عليه ، فليس أحد وإن اشتدّ على رضاء الله حرْصُه ،وَطال فى العمل اجتهادُه ، ببالغٍ حقيقةَ ماللهُ أهله من الطاعة : ولكن من واجب حقُوق الله على العباد ، النّصيحة بمبلغ جُهدهمْ ، والتعاوُن على إقامة الحق بينهم وليسَ امرؤٌ وان عَظُمت فى الحقّ منزلَتُه ، وتقدّمتْ فى الدّين فضيلته ،بفَوْقَ أنْ يُعان على ما حَمّله الله من حقّه ، ولا امرؤ وان صغّرَتْه النُّفوس وَاقْتحمَتْهُ العُيون بدُون أنْ يُعين على ذلك أوْ يُعانَ عليه

فأجابه عليه الصلاة والسلام رَجل من أصحابه بكلام طويل يُكثرُ فيه الثّناءَ عليه ويَذكر سمْعه وطاعته فقال عليه السلام : إنّ منْ حقّ مَن عَظم جلالُ الله فى نفسه وجلّ موْضعُه من قَلبِه أن يَصغرُ عنده لِعظم ذلك كلُّ ما سوَاه ، وانّ أحقّ من كان كذلك لَمَنْ عَظُمت نِعمةَ الله عليه ولُطفَ إحسانهُ إليه فانه لم تَعْظم نعمةُ الله على أحد الاّ ازدادَ حقّ الله عليه عِظَما ، وإنّ من أسْخَف حالاتِ الوُلاة عند صالح الناس أن يُظَنّ بهم حُبُّ الفخر ويُوضعَ أمرُهم على الكِبر وقد كَرِهْتُ أن يكون جالَ فى ظَنكم أنّى أُحبّ الإطرَاء واستماع الثّناء ، ولَستُ بحمد الله كذلك ، وَلو كُنت أُحبّ أن يقال ذلك لتركتُه انحطاطا للهِ سبحانه عن تنَاوُل ما هو أحق بهِ من العظمة والكبرياء ! وربّما استحلَى النّاسُ الثناءَ بعد البَلاء فلا تثْنُوا علىّ بجميل ثَناء لاخْراجى نفسى الى الله وإليكم من التّقيّة فى

حقوقٍ لم أفرُغْ من أدَائها ، وفرائضَ لا بُدَّ من إمضائها ، فلا تكلّمونى بما تكلّم به الجبابرَة ، ولا تتحفّظوا منّى بما يتحفّظ به عندَ أهل البادِرَة ، ولا تخالطونى بالمصانَعة ولا تظنّوا بى استثقالاً فى حقٍّ قِيل لى ولا التماس اعظام لنفسى فانه من استثقَل الحقّ أن يقالَ له ، أو العدْلَ أنْ يُعْرَض عليه كان العمل بها أثقلَ عليه ، فلا تكفّوا عن مقالةٍ بحقٍ أوْ مشورَة بعدْل فانّى لستُ فى نفسى بفَوْقَ أنْ أُخْطِىء ولا آمنُ ذلك من فعلى إلاَّ أن يكفى الله من نفسى ما هو أملك به منّى . فانما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لرَبٍّ لا رَبّ غيرَه ، يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا وأخرَجنا مما كنّا فيه إلى ما صَلحنَا عليه فأبدَلنا بعدَ الضلالة بالهدَى ، وأعطانا البصيرَة بعد العَمى

﴿ ومن وصية له عليه الصلاة والسلام وصّى بها جيشاً بعثه الى العدو ﴾

فإذا نزَلتمْ بِعدُوٍّ أوْ نزلَ بكم فليكُنْ معسكَرُكم فى قبيل الأشرَاف ، وسفاح الجبال أو أثناء الأنهار كيما يكون لكم رِدْءًا ودونكمُ مَرَدًّا ولتكُن مقاتلتكم منْ وَجه وَاحد أو اثنين ، وَاجعلُوا لكم رُقباء فى صَياصى الجبال ، ومَناكب الهِضاب لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافةٍ أو أمْن ، واعلموا أن مُقدّمة القوم عيونُهم وَعيونُ المقدّمة طَلائعهم ـ وايّاكم والتفرّق فاذا نزَلتم فانزلوا جميعاً واذا ارْتحلتم فارْتحلوا جميعاً واذا غَشيكم الليلُ فاجعلوا الرّماح كفّة ولا تَذُوقوا النّوم إلا غِرَاراً أو مَضمضة

﴿ ومنْ وصية له عليه الصلاة والسلام كان يكتبها لمنْ يستعمله عَلى الصدقات ﴾

إنْطَلق على تَقْوى الله وحده لا شريك له ، ولا تُروعَنّ مسلماً ، ولا تجتازَنّ عليه كارهاً ، ولا تأخذنّ منه أكثر من حقّ الله فى ماله ، فاذا قدِمْتَ على الحىّ

فانزل بمائهم من غير أنْ تُخالِطَ أبياتهم ، ثم امْضِ اليهم بالسكينة والوَقار ، حتى تقومَ بينهم فتُسلّم عليهم ، ولا تخْدِج بالتّحية لهم ، ثم تقول ـ عبادَ الله ، أرْسلنى اليكم وَلىُّ الله وخليفتهُ لآخذَ منكم حقّ الله فى أموالكم فهل لله من أموالكم من حقّ فتؤدُّوه إلى وليّه ، فان قال قائلٌ منهم لا فلا تُراجعه: وإن أنعَمَ لك مُنعِم فانْطلِق معهُ منْ غير أن تُخيفه وتُوعدَه ، أو تَعْسِفه أوْ ترْهقه ، فَخذْ ما أعطاكَ من ذهبٍ أوْ فضة ، فان كان له ماشية أو إبل فلا تدْخُلها إلا بأذنه فانّ أكثرَها له فإذا أتَيتها فلا تدخُلْ عليها دُخول مُتَسلطٍ عليه وَلا عَنيف به وَلا تُنَفِّرَنَّ بَهيمة ولا تفْزِعنَّها، ولا تَسُوأَنَّ صاحبها فيها ، واصْدَع المالَ صدْعين ثم خيِّره فاذا اختار فلا تَعرَّضنَّ لما اختاره ثمَّ اصدَع الباقى صدْعين ثم خيِّره فاذا اختار فلا تَعرَّضنَّ لما اختاره ، فلا تزَال بذلك حتى يَبقى ما فيه وَفاءُ لحقّ الله فى ماله ـ فاقبض حقّ الله منهُ فأن اُستقالَكَ فأقِلهُ ثمَّ اُخلطْهما ثم اُصنع مثل الذى صنَعت أوّلا حتى تأخذ حقَّ الله فى ماله وَلا تأخذنَّ عوْداً ولا هَرِمة وَلا مَكسورةً ولا مهْلوسة وَلا ذاتَ عوَارٍ ، وَلا تأمَنَنَّ عليها إلاَّ من تثِق بدينه رَافقاً بمال المسلمين حتى يوَصِّلهُ إلى وَليِّهم فيقْسمه بينهم ولا توكلْ بها إلاَّ ناصحاً شَفيقاً وَأميناً حفيظاً غيرَ مُعنّف ولا مُحْحف ولا مُلغب ولا مُتعب ، ثم اُحدُر إلينا ما اجتمع عندك نصيِّرْهُ حيثُ أمرَ الله ، فاذا أخذَها أمينك فأوْعزْ إليه أنْ لا يَحول بين ناقةٍ وبين فَصيلها ، ولا يمْصُر لَبنها فَيضُرّ ذلك بوَلدها ، ولاَ يجْهدَنَّها رُكوباً ، وليَعْدِلْ بين صواحِبتها فى ذلك وَبينها : وليُرَفِّه على اللاَّغب وليستأن بالنَّقب والظَّالع وليُوردها ما تمُرُّ به من الغُدُر ، وَلا يعدلْ بها عن نَبْتِ الأرْض إلى جوّاد الطُّرُق وليُرَوِّحها فى السَّاعات ، وليُمْهلها عند النِّطاف وَالأعشاب ، حتى تأتينا بأذن الله

بدْنا مُنقيات غيرَ مُتعبات ولا مجهودات لِنَقْسمها على كتاب الله وسُنّة نبيه صلى الله عليه وآله فان ذلك أعظم لأجْرِك وَأقْرَب لرُشْدك إن شاءَ الله

وقال عليه الصلاة والسلام وَقد سمع رجلاً يذم الدُّنيا ـ أيها الذَّامُّ للدُّنيا المغترُّ بغرورها ، المخْدُوع بأباطيلها أتَغْتَرُّ بالدُّنيا ثمَّ تذمها أنت المُتحَرِّم عليها أم هى المُتجَرِّمة عليك ، متي استهْوَتك أم متي غرَّتك ، أبمصارع آبائك من البِلى أم بمَضاجع أمهاتك تحتَ الثَّرَى ، كم علَّلْتَ بكَفَّيْك ، وكمْ مرَّضتَ بيَدَيك ، تبغى لهم الشِّفاء ، وتَستوْصف لهُمُ الأَطبَّاء ، لمْ ينفع أحَدَهُم إشفاقُكَ ولمْ تُسْعف بطَلبَتِك ولمْ تَدْفع عنهُ بقُوّتك ، وقد متَّلتْ لك به الدُّنيا نفسَك وبمَصرَعه مَصرَعك : ان الدُّنيا دَارُ صدْق لمن صدَقها ، وَدارُ عافيةٍ لمن فهمَ عنها ، وَدارُ غِنىً لمنْ تزَوّد منها ، وَدارُ موْعظةٍ لمن اتَّعظ بها مسجدَ أحبّاء الله ومُصلَّى ملائكة الله ، ومهْبط وَحى الله ، وَمتجَر أوْلياء الله ، اكْتَسَبوا فيها الرَّحمة ، وربَحوا فيها الجنَّة ، فَمنْ ذا يذُمُّها وَقدْ آذَنتْ ببيْنها ، ونادَت بفرَاقها ، ونَعتْ نفسها وأهلَها ، فمثَّلت لهم ببلائها البلاء ، وشوَّقتهم بسرُورها إلى السُّرُور ، رَاحتْ بعافية وَابتكرَتْ بفَجيعة ترْغيبًا وترهيبًا وتخويفا وتحذيراً ، فذَمُّها رجالٌ غدَاةَ النَّدامة وحمِدَها آخرُون يوم القيامة ذكّرَتهُم الدنيا فتذكَّرُوا وحدَّثتهم فصدَّقُوا وَوَعظتْهم فاتَّعظوا

« عهد الامام على المتوفى سنة ٤٠ هـ لمالك بن الحارث الأشتر النَّخعى »

(حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واصلاح أهلها وعمارة بلادها)

اعلم يا مالِك أنى قدْ وَجّهتُك إلى بلاد قد جرَتْ عليها دُولٌ قبلك من عدْلٍ وجَور ـ وَأنَّ النَّاس ينظرُون من أمورك فى مِثل ما كنتَ تنظر فيه من أمور الوُلاة قبلك ، ويقولُون فيك كما كُنتَ تقول فيهم ، وَانما يستدَلُّ على

الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسنة عباده ـ فليكن أحبّ الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح ، فاملك هواكَ ، وشحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك ، فانّ الشحّ بالنفس الانصاف منها فيما أحببتْ أوْ كرهت — وأشعِرْ قلبك الرحمة للرعيةِ والمحبة لهم واللطف بهم ، ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ، فانهم صنفان إمّا أخٌ لك فى الدين ، وإمّا نظيرٌ لك فى الخلق يفْرُط منهم الزلل وتعرض لهم العِلَل ويُؤتى على أيديهم فى العَمْد والخطأ ، فأعطهم من عفوِك وصفْحِك مثلَ الذى تُحبّ وترْضى أن يُعطيكَ الله من عفْوه وصفْحه ، فإنّك فوْقهمْ ووالى الأمر عليك فوْقكَ والله فوْقَ من وَلاّك ، وقد استكفاك أمرَهم وابتلاك بهم ، ولا تنصبنّ نفسك لحرْب الله ، فانهُ لا يدىْ لك بنقمته ، ولا غنًى بك عن عفوه ورحمته ، ولا تندَمنّ على عفوٍ ، ولا تَحمَّحنّ بعقوبة ، ولا تُسْرِعنّ إلى بادرة وجدْتَ عنها مندوحة ، ولا تقولنّ إنّى مؤمّرٌ آمرُ فأُطاع ، فانّ ذلك ادغالٌ فى القلب ، ومَنهكة للدين ، وتقرُّبٌ من الغير ، وإذا أحدَث لك ما أنْتَ فيه من سلطانك أبّهةَ أو مخيلةً فانظر إلى عِظَم ملك الله فوْقك . وقدْرَته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فانّ ذلك يُطامنُ اليك من طِماحك ويكُفّ عنك من عَرْبك ، ويُفىء اليك بما عزَب عنك من عقلك ، وإياك ومُسَامَاة الله فى عظَمته والتشبُّه به فى جبرُوته ، فانّ الله يُذِلّ كلّ جبّار ، ويُهين كلّ مُحتال ، أنصفِ الله وأنصفِ النّاس من نفسك ، ومن خاصّة أهلك ، ومَن لك فيه هوَى من رَعيّتك ، فانّك إن لم تفعَلْ تَظلم ، ومن ظلمَ عباد الله كان اللهُ خصمه دُون عِباده ، ومَن خاصمهُ الله أدْحَض حُجّته ، وكان اللهُ حرْباً حتى ينزِع ويتوب ، وليس شىء أدعى الى تغيير نعمة الله ، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فانّ الله سميعٌ دعوةَ المظلومين ، وهوَ للظالمين بالمرْصاد

وليكُنْ أحبّ الأُمور اليك أوْسطها فى الحقّ ، وأعمّها فى العدْل وأجمعها لرضاء الرَّعيّه ، فإن سخطَ العامّةَ يُجحفُ برضاءِ الخاصّة ، وانّ سخطَ الخاصّة يُغتفرُ معَ رِضاءِ العامّة ، وليس أحدٌ من الرّعيّة أثقلَ على الوَالى مؤونةً فى الرّخاء ، وأقلّ معونةً فى البلاء وأكرَه للإنصاف ، وأسأل بالألحاف وأقلّ شكراً عند الأعطاء وأبطأ عذْراً عند المنع ، وأخفّ صبراً عندَ مُلِمّات الدّهر من أهل الخاصّة : وانما عِماد الدّين ، وجماع المسلمين والعُدّة للأعداءِ العامّةُ من الامة ،فليكُنْ صفوُك لهم وميلُكَ معهم : وليكن أبعد رعيّتك منك وأشنأهُم عندك أطلَبهم لمَعايب النّاس فانّ فى النّاس عُيوباً الوَالى أحقّ من سترَها ، فلا تكشفن عمّا غاب عنك منها فانما عليك تطهير ماظهرَ لك واللهُ يحكم على ما غابَ عنك ،فاستُر العوْرةَ مَا استطعت يستُر الله منكَ ما تحبّ سترَهُ من رعيّتك ـ أطلِق عن النّاس عُقدَةَ كلّ حِقدواقطَع عنك سببَ كلّ وَتْرٍ وتغابَ عن كلّ ما لاَ يَصحّ لك ـ وَلا تعجلَنّ الى تَصديق ساع فانّ السّاعى غاشٌ وانْ تَشبّه بالنّاصحين ـ وَلا تدخلنّ فى مشُورَتك بَخيلا يَعدل بك عن الفضل ويَعِدُكَ الفقر ، ولا جباناً يُضعفك عن الأمور ولا حريصاً يُزَيّن لك الشرَ بالجوْر ، فانّ البُخْل والجبن والحرص غرَائز شتّى يجمعها سوء الظّنّ بالله : انّ شرَّ وُزرائك مَنْ كان قبلك للأشرار وزيراً ، وَمَنْ شرِكَهم فى الآثام فلا يكونَنّ لك بِطانةً فإنهم أعوان الأثَمة واخوان الظّلَمة وأنت وَاجدٌ منهم خيرَ الخلَف ممّنْ هوَ مثلُ آرَائهم ونفَاذِهم وَليسَ عليه مِثل آصارهم وَأوْزَارهم ممن لا يُعاونُ ظالماً على ظُلمه ، ولا آثماً على إثمه ، أولئك أخفّ عليك مؤونةً وأحسن لك معُونةً ، وأحنى عليك عطفاً ، وأقلّ لغيرك إلفاً ، فاتخذأولئك خاصّة لخَلَواتك وَحفلاَتك : ثم ليكُنْ أثَرهم عِندَكَ أقْولَهمْ لك بمُرّ الحقّ وأقلّهم مُساعدَةً

فيما يكون منك مما كرِه الله لأوليائه ، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع : والصق بأهل الورَع والصِّدْق ، ثم رُضهم على أنْ لا يُطْرُوك ولا يبجّحُوك بباطِل لم تفعله فان كثرَة الأطراءِ تحْدِث الزَّهْو ، وتُدْنى من العزَّة : ولا يكونَنَّ المُحسن والمُسىء عندك بمنزلةٍ سواء ، فانّ فى ذلك تزْهيداً لأهل الإحسان فى الإحسان ، وتدْريباً لأهل الإساءة على الإساءة ، وألزِم كلاًّ منهم ما ألزَمَ نفسهُ — واعلم أنهُ ليس شىءٌ بأدْعى إلى حُسْن ظنّ وَالٍ برعيّته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترْك استكراهِه إيّاهُم على ما ليْس له قِبلَهم ، فليكن منك فى ذلك أمرٌ يجمعُ لك حسن الظنّ برعيّتك ، فان حسن الظنّ يقطَعُ عنكَ نَصباً طويلاً : وإن أحق منْ حَسُنَ ظنّك به لَمَنْ حَسُن بلاؤك عندَهُ ، وإن أحقّ من ساءَ ظنُّك به لَمَن ساءَ بلاؤك عنده — ولا تنقض سُنة صالحة عمل بها صُدُور هذه الأمة واجتمعَتْ بها الألفة وصلَحَتْ عليها الرّعية ، وَلا تُحْدِثَنَّ سنة تَضُرّ بشىء مما مضى من تلك السُّنَن فيكون الأجر لمَن سنّها والوِزْرُ عليك بما نَقصتَ منها — وأكثِرْ مُدارَسة العلماء ، ومناقَشة الحكماء ، فى تثبيت ما صلَحَ عليه أمرُ بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك — واعلم أن الرّعية طبقاتٌ لا يصلح بعضها إلاّ ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ، فمنها جنُود الله ، ومنها كتّاب العامة والخاصّة ، ومنها قُضاة العدل ومنها عُمال الأنصاف والرِّفْق ، ومنها أهل الجزْية والخرَاج من أهل الذمّة ومُسلمة الناس ، ومنها التّجار وأهل الصّناعات . ومنها الطبقة السُّفلى من ذَوى الحاجة والمسكنة وكلاً قد سمّى الله سهمه ، ووَضع على حدّه فريضةً فى كتابه ، أو سُنة نبيّه صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً ، فالجنُود باذن الله حُصُون الرَّعية وزَين الوُلاة وعزّ الدِّين وسُبُل الأمن وليْس تقوم الرَّعية إلاَّ بهم ، ثمّ لا قِوامَ للجنود إلا بما يُخرج الله

تعالى لهـم من الخرَاج الذى يَقوَوْن فى جهاد عدُوّهم ، ويعتمدُون عليه فيما يصلحهم ويكون من وَرَاء حاجتهم ـ ثم لا قِوَام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة ، والعمّال ، والكتّاب ، لِما يحكمون من المعاقد وَيجمعون من المنافع ويُؤتمنون عليه من خواص الأُمور وَعوَامها ، وَلا قِوَامَ لهم جميعاً إلاّ بالتُّجار وذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مَرَافِقهم ويُقيمونه من أسواقهم ويكفُونهم من التّرَفُّق بأيديهم مَا لاَ يبلغ رفْق غيرهم : ثم الطبقة السُّفلى من أهـل الحاجة والمسكنه الذين يحقُّ رِفدُهم ومعونتهم . وفى الله لكلّ سعَةٌ : ولكلٍّ على الوَالى حقّ بقدْر ما يصلحه . وليس يخرُج الوَالى من حقيقه ما ألزَمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نَفسه على لزُومه الحقّ وَالصّبر عليه فيما خفّ عليه أو ثقُلَ فوَلِّ من جُنودك أنصحهم فى نَفسكَ لله وَلرَسوله ولإمامك ـ وأطهرَهُم جَيْباً وأفْضلهم حلماً ممن يُبطىء عن الغضَب وَيستريح الى العذْر . ويَرأف بالضُّعفاء وَينبُوا على الأقوِياء ممّن لا يُثيره العُنف . ولاَ يقعُد به الضّعف . ثم الْصق بذَوِى المرُوآت والأحساب . وأهل البيُوتات الصّالحة والسوَّابق الحسنة ، ثم أهل النّجدَة والشّجاعة والسّخاء والسّماحة فانهـم جُمّاعٌ من الكرَم وشُعب منَ العرْف ـ ثم تفقّد من أمورهم مايتفقّدَه الوالدَان من ولدهما ، ولا ينَفاقمَنّ فى نفسك شىء قوّيتهم به ـ وَلا تحقرَنّ لطفاً تتعاهدُهم به وإنْ قلّ فانه داعِيةٌ الى بَذل النّصيحة لك وحُسن الظّنّ بك ، ولاَ تدَع تَفقّد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمِها فإنّ لليسير من لُطفِكَ موْضعاً ينتفعُونَ به وللجَسيم مَوْقعاً لا يستغْنُون عنه — وليكن آثر رُؤوس جُندك عندك من وَاساهم فى مَعُونته وأفضلَ عليهم من جِدَته بمـا يَسعهُم ويَسع منْ وَرَائهم من خُلُوف أهلهم حتى يكون همُّهُم همًّا وَاحـداً فى جهاد

العدوّ ، فانّ عطفك عليهمْ يُعطّف قلوبَهم عليك : وإن أفضلَ قُرّة عين الوُلاة استقامةُ العَدْل فى البلاد ، وظهور مَوَدّة الرّعية ، وإنه لا تظهر مودّتُهم إلاّ بسلامة صدورهم ، ولا تصحّ نصيحتهم إلاّ بحيطتهم على ولاة أمورهم ، وقلّة استثقال دُولهم ، وترْك استبطاء انقطاع مُدّتهم ، فافسحْ فى آمالهم ، وواصل فى حُسن الثّناء عليهم وتعديل ما أبلى ذوُو البلاءِ منهم ، فان كثرةَ الذّكر لحُسْن فعالهم تهزُّ الشجاع وتُحرّضُ النّاكلَ ان شاءَ الله تعالى ـ ثم اعرف لكلّ امرىءٍ منهم ما أبْلى ولا تُضيفنّ بلاءَ امرىءٍ الى غيره ، ولا تُقصّرنّ به دُون غايَة بلائه ، ولا يدْعُونك شرفُ امرىء الى أن تعظمَ من بلائه ما كانَ صغيراً ، ولا ضعةُ امرِىءٍ أن تستصغِر من بلائهِ ما كان عظيما ، وارْدُدْ الى الله ورَسوله ما يُضلِعك من الخطوب ، ويشْتبه عليكَ من الامور ، فقد قال سبحانه لقوْم أحبَّ إرشادهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) فالرّد إلى الله الأخذ بمُحكم كتابه ، والرّدّ الى الرسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المُفرّقة ـ ثم اختر للحكم بين النّاس أفضلَ رعيتك فى نفسك ممّن لا تضيقُ به الأمور ، ولا تُمحّكهُ الخصُوم ، ولا يتمادى فى الزّلّة ، ولا يحصر عن الفيء الى الحقّ إذا عرَفه ، ولا تُشرف نفسهُ على طَمع ولا يكتفى بأدْنى فهم دون أقْصاه ، أوقفَهم فى الشُّبهات ، وآخذَهم بالحجَج ، وأقلّهم تبرّماً بمراجعة الخصْم وأصبرَهم على تكشيف الأمور وأصْرَمهم عند اتّضاح الحكم ممن لا يزْدَهيه إطْراء ولا يستميله إغراء ، وأولئك قليل ـ ثم أكْثِر تعاهُدَ قضائه ، وافسحْ له فى البَذْل ما يزيح علّتَه ، وتقلّ معه حاجتهُ إلى النّاس ، وأعْطه من المنزلة لديك مالا يطْمع فيه غيرُه من خاصتك لتأمن بذلك اغتيال الرّجال لهُ عندك ، فانظُرْ فى ذلك

نَظَراً بَليغًا ، فانّ هذا الدِّين قد كانَ أسيراً فى أيدى الأشرار ، يُعْمَلُ فيه بالهوَى وتُطلب به الدُّنيا — ثمّ انْظُر فى أمور عُمّالك فاستعملهم اختباراً ، وَلا تُوَلِّهم مُحَاباةً وأثَرَةً ، فانّهم جُماعٌ من شُعَب الجوْر والخيانة ، وتوخّ منهم أهل التّجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقِدَم فى الإسلام فانهم أكرَمُ أخلاقاً وأصَحُّ أعرَاضاً ، وأقلُّ فى المطامع إشرَافاً ، وأبلغ فى عواقب الأمور نَظراً . ثم أسْبِغ عليهم الأرزاق فانّ ذلك قوّة لهم على اسْتِصلاح أنفسهم وغنًى لهم عن تَناوُل ما تحت أيديهم وحُجّة عليهم ان خالَفُوا أمرَك أو خانوا أمانَتك — ثم تَفَقَّدْ أعمالهم وابْعث العُيون من أهل الصّدق والوَفاء عليهم ، فانّ تَعاهُدَك فى السرّ لأمورهم حَدْوةٌ لهم على استعمال الأمانة وَالرِّفق بالرَّعية ، وتحَفّظ من الأعوان ، فان أحدٌ منهم بسط يدُه إلى خيانة اجتَمَعَتْ بها عليه عندك أخبار عُيونك اكتَفَيتَ بذلك شَاهداً فَبَسَطْتَ عَليْه العُقوبة فى بدنه وأخذْتَهُ بما أصاب من عمله ثم نصَبْته بمقام المذلّة وَوسمْته بالخيانة وقَلَّدته عار التُّهمة — وتَفقَّدْ أمرَ الخرَاج بما يُصلح أهله ، فانّ فى صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سِواهم ، ولا صلاح لمن سِواهم إلاّ بهم لانّ الناس كلهم عيالٌ على الخرَاج وأهله — وليكن نظرُك عمارة الأرض أبلغَ من نظَرك فى استجلاب الخراجِ لأن ذلك لا يُدرَك إلاّ بالعمارة ، وَمن طلبَ الخراج بغير عمارة أخرَب البلاد وأهلك العباد ، ولم يستقم أمرُه إلاّ قليلاً ، فان شكَوْا ثقلاً أو علّة أو انقطاع شرْب أو بالّةً أو إحالة أرْضٍ اعتَمَرها غرَقٌ ، أوْ أجحَف بها عَطش ، خَفّفتَ عنهم بما ترْجُو أنْ يَصلُحَ به أمرُهم : ولا يثقُلَنّ عليك شيءٌ خَفَفْت به المؤونَةَ عنهم ، فانه ذخر يعُودُون به عليك فى عمارة بلدِك وتزْيين ولايتك مع استِجلابك حسُن ثنائهم ، وتبَجّحك باستفاضة العدل فيهم

مُعتَمداً فضل قُوَّتهم بما ذَخَرْت عندهم من اجمامك لهم والثِّقة منهم بما عوّدتهم من عدْلك عليهم فى رفقك بهم ، فربّما حدَثَ من الأُمور ما إذا عُوِّلَ فيه عليهم من بعدُ احتَملُوه طيّبةً أنفسهُم به ، فانَّ العُمرانَ يَحتمل ماحمَّلته، وإنما يأتى خرَاب الأرْض من أعوَاز أهلها ، وانما يُعوَز أهلها لاشرَاف أنفُس الوُلاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعِبَر — ثمَّ انظر فى حال كُتَّابك فوَلّ على أمورِك خيرَهم ، وَاخصص رَسائِلك التي تُدْخل فيها مكائدَك وَأسرَارك بأجمعهم لوُجوه صَالِح الأَخلاق ممَّن لا تبْطره الكَرَامة فيجترِىء بها عليك فى خلافٍ لك بحضرة ملأ ، ولا تُقصِّر به الغَفلة عن ايراد مكاتبات عمّالك عليك ، واصدَار جوَاباتها على الصَّوَاب عنك فيما يأخذ لك ويعطى منك ، ولا يضعف عقداً اعتقدَه لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عُقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه فى الأمور ، فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهلَ — ثم لا يكن اختيارُك إيَّاهُم على فِرَاستك واستنامتك وَحسن الظّن منك ، فان الرِّجال يتعَرَّفونَ لفِراساتِ الوُلاة بتصَنّعهم وَحسن خدمتهم ، وليسَ وَرَاء ذلك من النّصيحة وَالأَمانة شىء ، ولكن اختبرْهُم بما ولوا للصَّالحين قَبلك ، فاعْمد لأحسنهم فى العامّة أثراً، وأعرَفهم بالأَمانة وجهاً، فانّ ذلك دليلٌ على نصيحتك لله ولمَن وُليتَ أمرَه ، وَاجعل لرَأس كلٍّ من أمورك رَأساً منهم لا يَقهره كبيرُها ، ولا يستَتُرُ عليه صغيرُها ، ومهما كان فى كتَّابك من عَيب فتَغَايَيْتَ عنهُ ألزِمتَه ، ثمَّ استَوْص بالتُّجار وذوِى الصّناعات ، وَأوْص بهم خيراً المُقيمُ منهم والمُضطرب بمالهِ ، والمُتَرَفّقُ ببدنِه ، فانَّهم موَادّ المنافع، وأسباب المرَافق وجُلّابها مِن المباعد والمطارح ، فى برِّك وبحرك وسُهلك وجبلك ، وحيث لا يلتئم النَّاس لمواضعها ، ولا يجتَرِئون عليها فانهم سِلْمٌ لا تُخافُ بائقته ، وصُلْحٌ لا تُخشى

غائلته : وتفقَّدْ أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك ، واعلم مع ذلك أن فى كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشُحّاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً فى البياعات ، وذلك بابُ مضرّة للعامّة ، وعيبٌ على الوُلاة ، فامنع من الاحتكار ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَنعَ منهُ ، وليكن البيع بيعاً سَمْحاً بموازين عدْلٍ وأسعارٍ لا تُجحف بالفريقين من البائع والمُبتاع ، فمن قارَف حكرَةً بعد نهيك إيّاه فنكِّلْ به وعاقب فى غير إسرافٍ — ثمّ اللهَ الله فى الطَّبقة السفلى من الذين لا حِيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البُؤْسى والزّمنى ، فانّ فى هذه الطبقة قانِعاً ومُعتَرّاً واحفظ لله ما استَحْفظك من حقّه فيهم ، واجعل لهم قسْما من بيت مالك ، وقسما من غلّات صوافى الاسلام فى كلّ بلد ، فانّ للأقصى منهم مثلَ الذى للأدنى وكلٌّ قد استُرْعيتَ حقَّه فلا يَشْغلَنَّك عنهم بطرٌ فانك لا تعذر بتضييعك التافهَ لأحكامك الكثيرَ المُهم ، فلا تُشْخِص همَك عنهم ، ولا تُصعِّر خدّكَ لهم ، وتفقّدْ أمورَ مَنْ لا يَصلُ اليك منهم ممنْ تقتحمه العيون وتحتقِرُه الرِّجال ففرِّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشْيةِ والتواضع فليرفَعْ اليك أمورَهم ثمّ اعمل فيهم بالأعذار إلى الله سبحانه يوْم تلْقاه ، فانّ هؤلاء من بين الرَّعية أحوَجُ الى الانصافِ من غيرهم وكلٌّ فاعذِرْ إلى الله فى تأدية حقّه اليه ، وتعهد أهل اليتْم وذوى الرِّقة فى السنْ ممنْ لا حيلةَ له ، ولا يَنصِبُ للمسألة نفسه ، وذلك على الوُلاة ثقيل ، والحق كلُّه ثقيل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبةَ فصبَّرُوا أنفسهم ووَثِقوا بصدْق موْعُود الله لهم — واجعل لذوى الحاجات منك قسما تُفرِّغُ لهم فيهِ شخصك ، وتجلس لَهم مجلِسا عاماً فتتواضع فيه لِلّه الذى خلقك ، وتُقعِد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشُرَطك حتى يكلّمك متكلّمهم غيرَ مُتتعتع ، فانى

سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى غير مَوْطنٍ (ان تقدّس أُمّة لا يُؤخذ للضّعيف فيها حقه من القوىّ غير مُتتَعْتع) ثمّ احتمل الخرْق منهم والعِىّ ، وسُنح عنهم الضّيق والأنف ، يَبسط اللهُ عليك بذلك أكناف رحمته ويُوجبْ لك ثوَاب طاعته وأعط ما أعطيتَ هنيئاً ، وَامنع فى إجمال وإعذار — ثم أمورٌ من أمورك لا بُدّ لك من مباشرَتها ، منها إجابةُ عُمّالِكَ بما يَعْيا عنه كتّابك ومنها إصدار حاجات النّاس يوْمَ وُرُودها عليك مما تحرَج به صدُور أعوانك وأمْض لكلّ يوْم عَمَلَه ، فانّ لكُلّ يوم ما فيه : واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المَوَافيت ، وَأجزَلَ تلك الأقسام ، وان كانت كلها لله اذا صلَحَت فيها النّيّة وَسلِمت منها الرّعيه — وليكن فى خاصّة ما تُخْلِصُ لله به دِينك إقامة فرائضه التى هى له خاصّة ، فأعط الله من بدَنك ، فى ليلك ونهارك وَوَفّ ما تقرّبت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملاً غيرَ مثلوم ولا منقوص بالغاً من بدَنك ما بالغَ ، وإذا قمتَ فى صلاتكَ للنّاس فلا تكونَنّ منفراً ولا مضيّعاً ، فان فى النّاس مَن به العِلّه وله الحاجة ، وقد سألتُ رَسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وجّهنى اليمن كيف أُصلى بهم فقال : (صلّ بهم كصلاة أضعفهم ، وكنْ بالمُومنين رَحيما) وأمّا بعدُ : فلا تطَوّلَنّ احتجابك عن رَعيتك فان إحتجابَ الولاة عن الرّعية شُعبة من الضّيق وقلّة علم بالأمور ، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دُونه ، فيصغُر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويَقبُح الحسَن ، ويَحسُن القبيحُ ، ويُشاب الحقّ بالباطل ، وانما الوَالى بَشرٌ لا يعرف ما تَوَارَى عنهُ النّاس به من الأمور وليست على الحقّ سِماتٌ تعرَف بها ضرُوب الصّدق منَ الكذب ، وإنما أنتَ أحد رَجُلين ، إمّا امرؤٌ سخَتْ نفسك بالبذْل

فى الحقّ ففيم احتجابك من واجب حقّ تُعطيه ، أو فعل كريمٍ تُسديه ، أو مبتَلًى بالمَنع : فما أسرع كفّ النّاس عن مسألتك إذا أيسُوا منك بذلك ، مع أن أكثر حاجات النّاس اليك مما لا مَؤُونة فيه عليك من سَكاة مَظْلَمة ، أو طلب انصافٍ فى مُعاملة — ثمّ انّ للوالى خاصة و بطانة فيهم استئثار وتطاوُلٌ ، وقلّة انصاف فى مُعاملة ، فاحسِم مادّة أولئك بقَطع أسباب تلكَ الأحوال ، ولا تُقْطِعنّ لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة ، ولا يَطْمعنّ منك فى اعتقاد عُقدَة تَضُرُّ بمنْ يَليها منَ النّاس فى شِرْبٍ أو عملٍ مُشترَك ، يحملون مؤُونته على غيرهم فيكون مَهنأ ذلك لهم دونكَ ، وَعيبُه عليك فى الدّنيا والآخرة : وَألزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد ، وكنْ فى ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك منْ قَرابتك وخاصّتك حيثُ وَقعَ ، وابتغ عاقبتهُ بما يَثقل علىكَ منهُ ، فان مَغبّة ذلك محمودة وإن ظَنّت الرّعيّة بك حَيفاً فأصْحِر لهم بعُذْرك ، وَاعدِلْ عنْك ظنونهم باصحارك فانّ فى ذلك رياضةً منك لنفسك وَرِفقاً برعيّتك ، وإعذاراً تبلُغُ به حاجتك من تقويم على الحقّ ، ولا تدْفعنّ صلحاً دعكَ اليه عدُوّك ، ولله فيه رضا ، فانّ فى الصّلح دَعةً لجنودك ، وَراحةً من همُومك ، وأمناً لبلادك ، ولكنّ الحذَر كلّ الحذر من عدُوّك بعد صلحه ، فانّ العدُوّ رُبما قارَب ليتغفّل ، فخذ بالحزْم واتّهم فى ذلك حُسن الظنّ . وَإن عَقدْتَ بينكَ وبين عدُوّك عُقْدَة أو ألبستَهُ منكَ ذِمّة فَحُطْ عَهدَك بالوَفاء ، وَارْع ذِمّتك بالأمانة ، وَاجعل نفسك جُنة دُون ما أعْطيتَ ، فانّه لَيس من فرَائض الله شىء النّاسُ أشدّ عليه اجتماعا مع تفرّق أهوَائهم ، وَتشتّت آرَائهم من تعظيم الوَفاء بالعُهود ، وَقد لزم ذلكَ المُشركون فيما بَينهم دُونَ المُسلمين لما اسْتوْبَلُوا منْ عَوَاقب الغَدْر ، فلا تَغدرَن

بذمّتك ، ولا تَخيسَنّ بعهدك ، وَلا تَختلنّ عدوّك ، فانه لا يجترىء عَلَى الله إلا جاهل شقىّ ، وقد جعلَ الله عهده وذمّته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ، وحريماً يسكُنون إلى مَنعته ، ويَستفيضونَ إلى جوَاره ، فلا إدْغالَ ولا مُدَالسةَ ولا خِداع فيه ولا تَعقدْ عقداً تجوزُ فيه العلل ، ولا تعوّلنّ على لحن قوْل بعد التأكيد والتوْثقة ولا يدْعوَنك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفِساخه بغير الحقّ ، فان صبرَك على ضيقِ أمرٍ ترجو انفرَاجه وَفضلَ عاقبته خيرٌ من غَدْر تخاف تَبعته وأن تُحيط بك فيه منَ الله طلبةٌ ، فلا تستَقيلُ فيها دنياك ولا آخرتك — إياك والدّماء وَسفكها بغير حلّها ، فانه ليس شيء أدعى لِنقْمة ، ولا أعظم لتَبعة ، ولا أحرَى بزَوال نِعمةٍ ، وَانقطاع مدّة من سفَك الدّماء بغير حقّها ، والله سبحانهُ يتوَلّى الحكم بين العباد فيما تَسافكُوا منَ الدّماء يوْمَ القيامة ، فلا تُقوّينّ سلطانك بسفَك دمٍ حَرَامٍ ، فانّ ذلكَ مما يضعِفه ويُوهنهُ ، بل يزيلُه وَينقلهُ ، وَلا عذْرَ لك عندَ الله وَلا عندى فى قَتل العمْد ، لأنّ فيه قوَد البدن ، وإن ابتُليت بخطأ وأفرط عليك سوْطك أوْ سيفك أو يَدك بعقُوبة ، فان فى الوَكزَة فما فوْقهَا مَقتلةً ، فلا تَطمحَنّ بك نخوَةُ سلطانك ، عن أن تؤدّى إلى أوْلياء المقتول حقّهم وإيّاك والأعجاب بنفسك ، والثّقة بما يعجبك منها ، وحُبّ الاطراء ، فانّ ذلك من أوْثق فُرَص الشّيطان فى نفسه ليَمْحَقَ ما يكون من إحسان المحسنين — واياك والمَنّ على رَعيّتك بأحسانك ، أو التزَيّد فيما كان من فعلك ، أو أن تَعدَهم فتُتبع موْعدَك بخُلفك ، فانّ المنّ يُبطل الأحسان ، والتّزيد يذْهب بنور الحقّ ، والخُلف يوجب المقت عند الله والنّاس : قال اللهُ سبحانهُ وَتعالى (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُون) وَايّاكَ وَالعَجلة بالأمُور قبلَ أوَانها ، أو التّسقط

فيها عند امكانها ، أو اللجاجة فيها إذا تنكّرت ، أو الوَهن عنها إذا استوضحت فضع كلّ أمرٍ موضعه ، وأوقع كلّ عملٍ موقعه ـ وإيّاك والاستئثار بما النّاس فيه أُسوَةٌ ، والتّغابى عمّا يُعنى به مما قد وَضح للعيون ، فانهُ مأخوذٌ منكَ لغيرك وعما قليلٍ تنكشفُ عنكَ أغطيةَ الأمور ، ويُنتصَف منكَ للمظلوم : أملِك حميّةَ أنفك ، وسورَةَ حدّك ، وسَطْوَةَ يدك ، وغربَ لسانك ، واحترِس من كل ذلكَ بكفّ البادرة ، وتأخير السطوَة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولَنْ تحكم ذلكَ من نفسك حتى تكثُر هُمومك بذِكر المعاد إلى ربك ـ والواجب عليك أن تتذكّر ما مضى لمَنْ تقدّمك من حكومة عادلة أو سُنّةٍ فاضلة ، أو أثرٌ عن نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم ، أو فريضة فى كتاب الله فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك فى اتّباع ما عهدتُ اليك فى عَهدى هذا ، واسوُثقتُ به من الحجّة لنفسى دليلكَ لكيلا يكون لك علّة عندَ تسرُّع نفسك الى هواها ، وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرَته على إعطاء كل رَغبة ، أنْ يُوفّقنى وإيّاك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه من حُسن الثناء فى العباد ، وجميل الأثر فى البلاد وتمام النّعمة ، وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لى ولك بالسّعادة والشّهادة ، انّا إلى الله راغبون ، والسلامُ على رَسول الله صلّى عليه وآله الطّيبين الطاهرين

(وكتب أبو بكر الصديق المتوفى فى ٧ جماد الثانية سنة ١٣ هـ الى بعض قوّاده)

اذا سِرتَ فلا تُعنّف أصحابك فى السّير ولا تغضبهم ، وشاور ذوى الآراء منهم ، واستعمل العدل وباعدْ عنك الجَورَ ، فانهُ ماأفلحَ قومٌ ظلَموا ولا نصرُوا على عدُوّهم (وإذا لَقيتُمُ الّذينَ كَفَرُوا زحفاً [1] فلا تُوَلّوهُم الأدْبار [2] ومن

(١) مجتمعين لكثرتهم يزحفون (٢) الانهزام

يُوَلِّهم يومئذ دُبُرَه ، إلاَّ مُتحرِّفاً[1] لقتال ، أو مُتحيِّزاً[2] إلى فئةٍ ، فقد باءَ بغضب من الله — وإذا نُصرْتُم عليهم ، فلا تقتلُوا شيخاً وَلا امرأةً وَلا طفلاً ولاتحرقوا زَرعاً ، وَلا تَقْطَعوا شجراً ، وَلا تذبحُوا بهيمةً إلاّ ما يلزمكم للأكل ، ولا تَعدُروا اذا هادنتم [3] ولا تنقُصوا اذا صالحتم ، وستمرُّونَ على أقوام فى الصَّوامع رُهبان ترَهَّبوا لله فدَعُوهم ، وما أنفردوا اليه وَارْتصَوْهُ لِا نفسهم فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم) — والسلام

« وكتب عمر بن الخطاب المفنول فى ٢٦ ذى الحجه سنه ٢٢ هـ الى بعض قوّاده »

أمَّا بعدُ : فانى أوصيك ومَن معك من الأجناد بتقوَى الله على كلّ حال فان تقوَى الله أفضلُ العُدّة على العدُوّ ، وأقوَى المكيدة فى الحرب ، وأن تكون أنتَ ومن معك أشدَّ احتراساً من المعاصى منكم من عدُوّكم ، فانَّ ذُنوبَ الجيش أخوفُ عليهم من عدُوّهم . ولوْلا ذلك لم تكن لنا بهم قوَّة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، وَلا عُدّتنا كعدّتهم ، فان استوَينا فى المعصيةِ كان لهم الفضلُ علينا فى القوّة (وإلاَّ ننصرْ عليهم بطاعتنا لم نغلبهم بقوَّتنا) واعلموا أنَّ عليكم فى سيركم حَفَظَةً من الله ، يَعلَمُونَ ما تفعلون ، فاستَحْيوا منهم واسألوا الله العوْن على أنفسكم كما تسألُونَهُ النَّصْرَ على عدُوكم — وَأْمِم بمن معك فى كل جُمعةٍ يوْمًا وليله حتى تكون لهم رَاحةٌ يُحْيُون فيهما أنفسَهم ويرمُون أسلحتهم وَأمتعتهم ونَحِّ منازلَهم عن قرَى أهل الصّلح والذّمه ، فلا يدْخلها من أصحابك إلاّ مَنْ تثِقُ به — وليكن منك عند دُنوِّك من أرْض العدُوِّ أن تكثر الطَّلائع ونُبثّ السّرايا بَينك وبينهُم ، ثم أذْكِ أحراسَك على عسكرك ، وتَيقَّظ منَ البيَات جُهدَك واللهُ وَلىُّ أمرك ومَن معك ، وولى النَّصر لكم على عدوّكم

(١) متعطفا (٢) منضما الى جماعة يستنجد بهم (٣) صالحتهم

(وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمدانى المتوفى سنة ٣٩٨ ﻫ الى ابن أخته)

أنتَ وَلدِى ما دُمتَ والعلمُ شأنُك ، والمدرسة مكانك ، والمِحْبرَة حليفك والدَّفترُ أليفك ، فإنْ فصّرْتَ وَلا إخالك ، فغيرى خالك — والسلام .

« ومن وصية ابن سعيد المغربى المتوفى سنة ٦٩٧ ﻫ لابنه وقد أراد السفر »

اودِعُكَ الرَّحمنُ فى غُربتك ... مُرْتقباً رُحماه فى أوْبتك

فلا تُطلْ حَبل النَّوى إنَّنى ... والله أشتاق إلى طَلعتك

وَاختصر التَّوْدِيعَ أخذاً فما ... لى ناظرٌ يَقوَى على فُرْقتك

وَاجعل وَصاتى نُصبَ عين وَلا ... تبرَح مَدَى الايام من فكرتك

خُلاصة العُمر التى حُنِّكتْ ... فى ساعةٍ زُفَّتْ إلى فِطنتك

فللتجاريب أمُورٌ إذا ... طالَعتها تَشْحَذُ من غفلتك

فلا تَنمْ عنْ وَعيها ساعةً ... فانها عونٌ إلى يقظتك

وكلّ ما كابَدْتهُ فى النَّوَى ... إيّاك أنْ يكسِرَ من همّتك

فليسَ يدْرى أصلُ ذى غُربة ... وإنما تُعرَفُ منْ شِيمتك

وامْشِ الهُوَيْنا مُظهراً عفّةً ... وابغِ رِضا الأعيُن عن هيئتك

وَانطق بحيثُ الغِىّ مُستقبحُ ... وَاصمُتْ بحيث الخير فى سكتتك

وَلِجَّ على رِزْقِك منْ بابه ... وَاقصُدْ لهُ ما عشْتَ فى بكْرَتك

وَوفِّ كلاّ حَقَّه وَلتكنْ ... تكْسر عندَ الفخْر من حِدّتك

وحيثُما خيَّمتَ فاقصد إلى ... صُحبة مَنْ ترْجُوهُ فى نصرتك

وللرَّزايا وثبةٌ مالها ... إلا الذى تَذْخرُ من عُدّتك

وَلا تَقُلْ أسلمُ لى وَحدتى ... فقدْ تُقاسِى الذلَّ فى وَحدتك

ولتجعل العقلَ محكماً وخد كُلاً بما يظهر فى نقدتك
واعتبر النّاس بألفاظهم وَاصْحَبْ أخاً يرغب فى صحبتك
كم من صَديقٍ مُظهرٍ نُصحه وفكْرُهُ وَقفٌ على غَبنتك
إيّاك أنْ تقربه إنهُ عَوْنٌ مع الدّهر على كَرْبتك
وانْمُ نُموَّ النَّبْت قد رَارَه غِبُّ النَّدى واسمُ الى قَدْرتك
ولا تُضيّع زَمناً مُمكناً تذكارُه يُدكى لَظى حسرتك
وَالشرّ مهما استطعت لا تأتِهِ فانهُ جَوْرٌ على مُهجتك

يا بُنىّ الذى لا ناصحَ له مثلى ولا مَنصُوح لى مثلهُ ، قد قدّمتُ لك فى هذا النَّظم ما إن أخطَرته بخاطرك فى كلّ أوانٍ رَجوْت لك حُسْن العاقبة ان شاء الله تعالى ، وإنّ أخفّ منه للحفظ ، وأعلق بالفكرِ ، وأحقّ بالتقدّم قولُ الأوّل

يزينُ الغريبَ إذا ما اغترَب ثلاثٌ فمنهنّ حُسْن الأدب
وثانيـه حُسن أخلاقه وثالثهُ اجتنابُ الرِّيب

وَاصغ يابنىّ إلى البيت الذى هو يتيمة الدّهر ، وسلّم الكرَم والصّبر

وَلوْ أنّ أوطانَ الدِّيار نَبت بكم لَسكَنتمُ الأخلاقَ والآدابا

إذ حُسن الخُلق أكرَمُ نزيل ، وَالأدبُ أرحَبُ منزل ، ولْتكُنْ كما قال بعضهم فى أديبٍ مُتغرِّب ، وكان كلما طرأ على ملك فكأنهُ معهُ ولد ، واليه قصدَ ، غيرَ مستريب بدَهْره ، ولا مُنكرٍ شيأ من أمره ، واذا دَعاك قلبُك الى صُحبة من أخَذ بمجامع هوَاه ، فاجعل التّكلّف لهُ سُلّماً ، وهُبّ فى رَوْض أخلافهِ هُبُوب النَّسيم ، وحُلّ بطرفه حُلولَ الوسن ، وانزِل بقلبه نزولَ المَسرّة حتى يتمكّنَ لك ودَادُه ، ويخلص فيك اعتقادُه ، وطهّر من الوُقوع فيه لسانَك ، وأغلق سمعَك

ولا تُرَخّص فى جانبه لحسُودِ لك منهُ يُريد إبعادَك عنهُ لمنفعه ، أوْ حسُودِله يَغارُ لتحمّله بصُحبتك ، ومع هذا فلا تغترّ بطول صُحبته ، ولا تتمهّد بدَوام رقدته فقد يُنَبِّهُه الزّمان ، ويتغيّر منهُ القلب واللّسان ، وانما العاقل مَن جعل عقْله مِعياراً وكان كالمِرآة يلقى كلّ وجهٍ بمثاله — وفى أمثال العامة من سَبقك بيَوْم فقد سَبقَك بعقل ، فاْحتَذ بأمثلة مَنْ جرّب ،واستمع إلى ما خلّد الماضُون بعد جهدهم وتَعبهم منَ الأقوال ، فانها خُلاصة عُمرهم وزُبدَة تجاربهم ، ولا تتكل على عقلك فانّ النّظر فيما تَعب فيه النّاسُ طُول أعمارهم ، وابتاعُوه غالباً بتجاربهم ، يُرْبحُك ويَقع عليك رَخيصاً ـ وإنْ رَأيت مَنْ له عقل ومُرُوءَة وتجرِبة فاستفد منه ولا تضيّع قوْله ولا فعله ، فان فيما تلقاهُ تَلقيحاً لعقلك وَحثّاً لك واهتداءً

وليس كل ما تَسمع من أقوال الشعراء يحْسُن بك أن تَتّبعه حتي تتدّبره ، فان كان مُوافقاً لعقلك مُصلحاً لحالك ، فرَاع ذلك عندك ، والا فانْبذهُ نَبذَ النّواة فليس لكلّ أحد يُتبسّم ، ولا كل شخص يُكلّم ، ولا الجودُ ممّا يعُمّ به ، ولا حُسن الظنّ وطيبُ النّفس مما يُعامَل به كلُّ أحدٍ ـ ولله دَرّ القائل

وَما لىَ لا أوْفى البريّة قِسطَها على قَدْر ما يُعطى وعقلى ميزَان

وإيّاك أنْ تُعطِىَ مِنْ نفسك إلاّ بقدَرٍ ، فلا تُعامل الدُّون بمعاملة الكفء ولا الكفء بمعاملة الأعلى ، ولا تُضيّع عمرَك فِيمنْ يُعاملك بالمطَامع ، ويُنيبُك على مصلحةٍ حاضرَة عاجله ، بغائبة آجلة ، ولا تجفُ النّاسَ بالجملة ، ولكن يكون ذلك بحيث لا يلْحَق منهُ ملَل ولا ضجَر ولا جفاء ، فمتي فارَقتَ أحداً فعلى حُسنى فى القوْل وَالفعل ، فإنّكَ لا تدْرى هلْ أنتَ رَاجعُ اليه ، فلذلك قل الأوّل (وَلما مَضى سِلمٌ بَكيْتُ على سلمٍ) ـ وإيّاك وَالبيتَ السّائر

وكنتَ إذا حللتَ بدارِ قومٍ رَحلتَ بخزْيةٍ وتركتَ عارَ

وَاحرص على ما جمعَ قوْل القائل ، ثلاثةٌ تُبقى لك الوُدَّ فى صدر أخيك أن تَبدَأهُ بالسَّلام — وتُوسعَ له المجلس — وَتدْعوه بأحب الأسماء اليه واحذَر كلّ ما بَيَّنه لكَ القائل — كل ما تغرسُه تجنيه ، إلاَّ ابن آدم ، فاذا غرَستَه يقلعك ، وقول الآخر : ان ابن آدم ذئب مع الضّعف ، أسدٌ مع القوَّة — وإيَّاك أن تثبت على صحبة أحد قبل أنْ تُطيل اختباره . ويحكى أن ابن المُقفع خطب من الخليل صُحبته ، فجاوبهُ أنَّ الصّحبة رِقّ وَلا أضعُ رقى فى يدَيك حتى أعرَف كيف ملكتك ، واستَملْ من عَين من تُعاشره وتَفقَّد فى فلتات الألسن وصفحات الأوجه ولا يحملك الحياء على السكُوت عما يضرُّك أن لا تُبَيِّنه ، فانَّ الكلام سلاح السّلم وبالأنين يُعرَف ألَمُ الجرح ، وَاجعل لكل أمرٍ أخذْت فيه غايةً يجعلها نهاية لك

وخُذ من الدّهر ما أتاك به مَن فرَّ عيناً بعيشه نفعه

إذ الأفكار بجلب الهموم ، وتُضاعِفُ الغموم ، وَملازمة القطوب ، عنوان المصائب والخطوب ، يستريب به الصاحب ، ويَشمت العدُوّ والمُجانب ، ولا تصرّ بالوَساوس إلاّ نفسك ، لانّك تنصر بها الدّهر عليك — ولله درّ القائل

إذا ما كنتَ للأحزانِ عوْناً عليك مع الزّمان فمن تلوم

مع أنه لا يردّ عليك الغائب الحزْن ، ولا يُرعوى بطُول عتْبك الزّمن

ولقد شاهَدْت بغرناطَة شخصاً قد ألفتْه الهُموم ، وعشقتْه الغموم ، ومن صغَره إلى كِبَره لا ترَاه أبداً خليًّا من فِكرَة حتي لقّب « بصدْر الهمّ »

ومن أعجب ما رأيتُه منهُ انهُ يتنكَّد فى الشِّدَّة ، ولا يتعلَّل بأن يكون بعدَها فرَج ، ويتنكَّد فى الرَّخاء خوفاً من أن لا يدُوم — وينشد

« توقّعْ زوالاً إذا قِيلَ تَمَّ » وينْشد « وعند التّناهى يَقصرُ المتطاوِلُ »

وله من الحكايات فى هذا الشأن عجائب ومثل هذا عُمرُه محسور ، يَمرُّ ضياعاً — ومتى رفعَك الزّمانُ إلى قوم يدمّون من العلم ما تحسِنه حسداً لك وقصداً لتصغير قدرك عندك وتزهيداً لك فيه ، فلا يحملك ذلك على أن تزهد فى علمك ، وتركن إلى العلم الذى مدَحوه ، فتكونَ مثلَ الغُرَاب الذى أعجبهُ مشْىُ الحَجَله ، فرَامَ أن يتعلّمهُ فصَعبَ عليه ، ثم أرَاد أن يَرجع إلى مشيه فنَسيه فبقى مخبَّل المشى كما قيل

إن الغُرَابَ وكان يمتى مِشْيَةَ ... فيما مضى من سالف الأجيال

حَسَدَ القَطا وأرَادَ يمتى مشيها ... فأصابه ضرْبٌ من العُقّال

فأضلّ مِشيَته وأخطأ مشيها ... فلذاك كنّوْهُ أبا مِرْقال

ولا يُفسد خاطرَك منْ جعل يذُمُّ الزّمان وأهلَه ، ويقول ما بَقَى فى الدُّنيا كريم ولا فاضل ولا مكان يُرتاح فيه ، فانّ الذين تراهم على هذه الصفّة أكثر ما يكونون ممن صحبه الحرمان ، واستحقتْ طَلْعتُه للهوَان ، وأبرموا على الناس بالسّؤَال فمَقَوهم ، وعَجزُوا عن طلَب الأمور من وُجوهها ، فاستراحوا إلى الوُقوع فى الناس ، وأقاموا الأعذار لأنفسهم بقَطع أسبابهم ، وَلا تزِلْ هدين البيتين من فكْرك

لِنْ إذا ما نِلتَ عزّا ... فأخو العزّ يلينُ

فاذا نابكَ دَهرٌ ... فكما كنتَ تكون

وَالأمثالُ تُضْرَب لذِى اللُّبِّ الحكيم ، وَذُو البصَر يمشى على الصراط المستقيم ، والفطنُ يقنع بالقليلِ ، ويستدِلُّ باليسير ، وَاللهُ سبحانهُ خليفتى عَليك لا رَبَّ سوَاه

﴿ وصية هارون الرشيد لمعلم ولده الامين ﴾

يا أحمرُ — إن أمير المؤمنين قد دَفع اليك مُهجةَ نفسه ، وثمرةَ قلبه ، فَصيّرْ يَدَك عليه مبسوطةً ، وطاعتهُ لك واجبةً ، فكُنْ لهُ بحيث وضعكَ أميرُ المؤمنين أقْرِئْهُ القرآن ، وعرِّفهُ الأخبارَ ، وَرَوِّهِ الأشعارَ ، وعلّمهُ السُّننَ ، وَبصِّرْه بمواقع الكلام وبدئه — وامنعهُ من الضَّحك إلاّ فى أوْقاته ، وخذْهُ بتعظيم بنى هاشم اذا دخلوا عليه ، وَرفع مجالس القوّاد اذا حضرُوا مجلسه ، ولا يمرنَّ بك ساعةٌ إلاّ وَأنتَ مُغتنمٌ فائدةً تفيده اّياها من غير أن تُحزِنَه فتُميتَ ذهنَهُ ، وَلا تُمْعِنْ فى مُسامحته فيستحلى الفرَاغَ وَيألفُهُ ، وَقوِّمهُ ما استطعت بالقُرْب والملاينة ، فان أباها فعليك بالشّدّة والغلظة

﴿ ومن وصية ابن سداد لابنه ﴾

عليك بتقوَى الله العظيم ، وليكن أولى الأمور شكرَ الله ، وحُسن النيّة فى السِّر والعلانية ، فان الشّكورَ يَرْدادُ ، والتّقوى خيرُ زادٍ — وكن كما قال الحُطَيئة

ولستُ أرَى السّعادةَ جمعَ مالٍ ولكنَّ التّقىّ هُو السّعيدُ
وتقوَى اللهِ خيرُ الزّاد ذخرا وعندَ الله للأتقى مَزيدُ

ثم قال

أىْ بنىَّ — لا تزهدنَّ فى معروف ، فانَّ الدّهر ذُو صُرُوف ، والأيام ذاتُ نَوَائبَ ، على الشاهد والغائب . فكم من رَاغب قد كان مرْغوباً اليه ، وطالب أصبح مطلوباً مالديه : واعلم أنَّ الزّمان ذو ألوانٍ ، ومَنْ يَصْحب الزّمان يرى الهَوَانَ

ثم قال

أىْ بنىَّ كن جواداً بالمال فى موضع الحقّ . بخيلا بالاسرار عن جميع الخلق

فإن أحمدَ جُود المرءِ الانفاقُ فى وجه البرِّ، وأن أحمدَ بُخل الحرِّ الضنُّ بمكتوم السرّ وكن كما قال قَيسُ بن الخطيم

أجودُ بمكنون التلادِ (١) وإننى بسرّك عمّن سالنى لَضنينُ (٢)
إذا جاوَزَ الاثنين سرٌّ فانه بنث (٣) وتكثير الحديث قَمين
وعندى له يوماً إذا ما ائتمنْتنى مكانٌ بسوداء (٤) الفؤادِ مكين

ثم قال

أى بنىّ - وإن غلبت يوماً على المال فلا تدع الحيلة على حال، فإنّ الكريم يحتال، والدّنىء عيّال (٥) وكن أحسنَ ما تكون فى الظّاهر حالا، أقلّ ما تكون فى الباطن مالا، فانّ الكريم من كرُمت طبيعتُه، وظهرت عند الأنفاذ نعمته

ثم قال

أى بنىّ - وإن سمعتَ كلمةً من حاسد، فكن كأنك لستَ بالشّاهد، فانك ان أمضيتها حيالها، رجع العيب على مَنْ قالها. وكانَ يُقال: الأريبُ (٦) العاقل هو الفطن المُغافل

﴿ وصية بعض نساء العرب الى ابنها وقد أراد السفر ﴾

قال أبانُ بن تغلب: وكانَ عابداً من عبّاد أهل البصرة. شهدتُ أعرابيةً وهى توصى ولداً لها يريد سفراً وهى تقول له

أىّ بُنىّ: إجلس أمنحْك وصيّتى وبالله توْفيقُك، فانّ الوَصيّةَ أجدَى (٧) عليك من كثير عقلك. قال أبان: فوقفتُ مستمعاً لكلامها، مستحسناً لوصيتها فاذا هى تقول: أى بُنىّ - إيّاك والنميمةَ، فانّها تزرَعُ الضّغينةَ، وتُفرّقُ بين المحبّين

(١) المال القديم (٢) بخيل (٣) اظهار (٤) حبة القلب (٥) ثقيل على غيره (٦) الحازم (٧) أنفع

وإياك والتعرّضَ للعيوب فتتّخذ غرضاً (١) وخَليقٌ ألاّ يثبتَ الغرضُ على كثرة السِّهام . وقلّما اعتورَت (٢) السِّهام غرضاً الاّ كلَمَتْهُ (٣) حتى يَهِيَ (٤) ما اشتدّ من قُوَّته .

وإياك والجودَ بدينكَ والبُخلَ بمالك . واذا هَزَزْتَ فاهزُز كريماً يَلِنْ لهزّتك . ولا تهزُز اللّئيم فانه صخرةٌ لا ينفجر ماؤها

ومثّلْ لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبهُ ، فان المرء لا يرى عيب نفسه .

ومن كانت مودّته بِشْرَهُ وخالف ذلك منهُ فعلهُ كان صديقه منهُ على مثل الرِّيح فى تصرّفها — والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ومن جمع الحِلْم والسَّخاء فقد أجاد الحُلّة ريطتَها وسِرْبالها

﴿ الفصل الثانى عشر في رسائل التَّنصُّل والتَّبرؤ ﴾

(كتب أبو الحسن على بن الرومى المتوفى سنة ٢٨٤ ﻫ الى القاسم بن عُبيد الله)

ترَفع عن ظُلمى إن كنتُ بريئاً ، وتفضّل بالعفو إن كنتُ مُسيئاً ، فوالله انى لأطلب عفو ذنبٍ لم أجْنِه ، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه لِتزدادَ تطوُّلا وأزداد تدللاً ، وأنا أُعيذ حالى عندك بكرمك من واشٍ يكيدُها وأحرسها بوفائك من باغ يحاولُ إفسادها

واسأل الله تعالى أن يجعل حظّى منك بقدر وُدّى لك ومَحلّى من رجائك بحيث أستحقّ منك : والسلام

---

(١) هدفا يرمى فيه (٢) تداولت (٣) جرحته (٤) يضعف

﴿ وكتب أبو الوليد أحمد بن زيدون الأندلسى المتوفى بأشبيلية سنة ٤٦٣ هـ ﴾

يامولاى (١) وسيدى (٢) الذى ودادى له (٣) واعتمادى (٤) عليه واعنادى (٥) به وامتدادى (٦) منه ومن أبقاهُ الله ماضىَ (٧) حدّ العزم (٨) وارىَ (٩) زند (١٠) الامل (١١) ثابتَ (١٢) عهدِ (١٣) النعمة، إنْ سلبتنى (١٤) أعزكَ (١٥) اللهُ لباسَ (١٦) نعمائك، وعطّلتنى (١٧) من حُلىَ (١٨) إيياسك (١٩) وأظمأتنى (٢٠) إلى بُرُود (٢١) إسعافك (٢٢) ونفضتَ (٢٣) بى كفَّ حياطتك (٢٤) وغضضتَ (٢٥) عنّى طرْفَ (٢٦) حمايتك، بعدَ أن نظر الأعمى إلى تأميلى (٢٧) لك، وسمع الأصمُّ ثنائى (٢٨) عليك، وأحسَّ الجمادُ باستحمادى (٢٩) اليك

---

(١) المولى له معان كثيرة الاليق منها هنا السيد أو المنعم ومنها العبد أيضا قال أبو تمام

مولاك يامولاى صاحب لوعة ... فى يومه وصيانة فى أمسه

دنف يجود بنفسه حتى لقد ... أمسى صعيفا أن يجود بنفسه

(٢) السيد من ساد على قومه ارتفع وهواخص مما قبله وذكر لمزيد الاستعطاف (٣) محبتى (٤) اتكالى (٥) عدتى ليوم حاجتى (٦) مريد خيري (٧) قاطع (٨) قوة الاراده أى لايعزم على أمر الا امضاه (٩) الورى خروج النار من الزند وقت الاقتداح (١٠) ممدحة (١١) الرجاء (١٢) متمكن ومتوثق (١٣) ميثاق أى أي ان نعمته ثابتة ومحفوظة عليه أبدا وان محبته مقصورة عليه وانه هوالملتجأ اليه وانه يطلب من الله أن يبقيه وعزمه سيف قاطع وأمله نور لامع وخيره غيث متتابع وانه لحسن افتتاح وبراعة استهلال (١٤) انتزعت منى (١٥) أعزك الله جملة اعتراضية الغرض منها الدعاء لسيده بالعزة والاشارة الى مايستلزمه سلب اللباس من المذلة وتنبيها له على ذلك (١٦) مايوارى الجسم أى جردتنى من نعمك المحيطة بى (١٧) العطل فى الاصل خلو جيد المرأة من القلائد (١٨) مايتحلى به (١٩) انسك — أى أحرمتنى من لذيذ أنسك (٢٠) أعطشتنى (٢١) بارد (٢٢) انجادك (٢٣) طرحت (٢٤) احاطتك أى طرحتنى من كنف حوزك لي (٢٥) خفضت (٢٦) نظر — أى خفضت طرف وقايتك عنى فتركتنى غرضا لصائبات الحوادث (٢٧) التأميل أمر معنوي لايشاهد وانما دلك مبالغة فى شدة التلبس والاتصاف به (٢٨) مدحى — مبالغة فى انتشار مدحه (٢٩) حمدى مبالغة فى تأثير حمده يشير الى تعداد ماحل به من المصائب وأحدق به من كل جانب الا وهو تجريده من نعم الامير المحيطة به احاطة الثياب وحرمانه من الانس بذلك الجناب واعطاشه الى سريع اغاثته

فلا غَرْوَ (١) قد يَغَصُّ (٢) بالماءِ شاربهُ ويقتلُ الدواءُ المستَشفى به ،ويُؤتى الحذِرُ (٣) من مأمنه (٤) وتكونُ مَنِيَّةُ (٥) المُتَمَنِّى فى أُمْنِيَّته (٦) والحين (٧) قد يسبقُ جُهْدَ (٨) الحريص

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى وتهون غيرَ شمانه (٩) الحسَّاد

وانى لأُجلِّد (١٠) وأرى للشامتين « أنى لريبِ (١١) الدّهر لا أتضعضعُ » (١٢)

فأقول — هل أنا إلا يدٌ أدْماها (١٣) سِوَارُها (١٤) وجبينٌ عَضَّ به إكليله (١٥)

واخراجه من محيط دائرته وصرفه عنه نظر ملاحظته خصوصا بعد ان صير تأمله فيه حسما مخترعا ولدا رآه الاعمى وخلا مدحه بما جدب اليه الآذان مدخلها بدون استئذان ولدا سمعه الأصم وبذل قصارى جهده فى حمده حتى كان مؤثرا فى كل فى الكائنات ولدا ادركه الجماد: وفيه من المبالغة ما فى قول المتنبى

انا الذي نظر الأعمى الى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

وانما أكثر من تعداد مصائبه ليكون ذلك ادل على توجعه وتألمه وأسرع لتلبية ندائه وأمكن حلب الصماء وازالة الحفاء (١) فلا عجب الفاء واقعة فى جواب ان من قوله ان سلبتنى (٢) غصصت بالماء أغص غصا اذا شرقت به وأغصصته انا (٣) المتيقظ (٤) محل امنه (٥) موت (٦) ما يتمناه (٧) الهلاك (٨) طاقة (٩) الفرح فى بليه العير يقول ان انتزعت منى ما أعطيت وأحللت بى من المصائب ما أحللت بعد غلوى فى الثناء عليك والتحائى فى كل الأمور اليك فليس ذلك بالأمر العجيب ولا بالنادر الغريب بل كثير المظائر والأمثال فالماء الذى به زوال الغصص قد يكون هو المغص وان الامنية قد تكون فيها المنية وأنه يشير فى عبارته الى قول بعضهم

قد كنت عدتى التى أسطو بها ويدى اذا استدالزمان وساعدى
فرميت منك بغير ما أملته والمرء يشرق بالزلال البارد

والى قول الآخر

تجرى الأمور على وفق القضاء وفى طى الحوادث محبوب ومكروه
فربما سرنى مابت أحذره وربما ساءنى مابت أرجوه

والبيت الذي ذكره لابن أبى عيينة (١٠) أتكلف الصبر والقوة (١١) ريب الدهر نوائبه (١٢) أتزلزل هذا حل بيت لابى ذؤيب الهذلى وهو

وتجلدى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا اتضعضع

(١٣) أسال دمها (١٤) نوع من الحلى يلبس فى الساعد (١٥) تاجه

وَمشْرَفى (١) ألصقَهُ بالأرْض صاقِلُهُ (٢) وسمْهرىٌّ (٣) عَرضَهُ على النَّار مُثقِفُهُ (٤)

وعبدٌ ذهَب به سيّده مذْهب الذى يقول

فَقَسَا لِيزْدَجِرُوا (٥) وَمن يكُ حازماً فَلْيقْسُ أحيَاناً على مَنْ يرْحَمُ

هذا العَتبُ (٦) محمودٌ عواقبُهُ ، وهذه النَّبوَةُ (٧) غمرةٌ (٨) ثمَّ تنجَلى (٩)

وهذه النكبةُ (١٠) سحابة صيفٍ عن قليلٍ تَقْشَعُ (١١) ولن يُريبَنى (١٢) من سيّدى

إن أبطأ سَيبُهُ (١٣) أو تأخر غير (١٤) ضنين عَناؤُه (١٥) فأبطأُ الدِّلاءِ فيضاً (١٦)

أملؤُها ، وأثقَلُ السَّحائب مَشياً أحفلها (١٧) وأنفعُ الحيا (١٨) ما صادف جدباً (١٩)

وألذُّ الشّراب ما أصاب غليلاً (٢٠) ومَع اليوم غَدٌ ولكل أجلٍ كتابٌ

---

(١) سيف (٢) جالبه (٣) رمح (٤) مقومه (٥) يمتنعوا يخاطب نفسه ويسليها ويضرب لها الامثال ويمنيها ويسهل عليها ما تعانيه ويحببها فيما تعاديه مع مزيد استعطاف قلب سيده واستجلاب رحمته حيث لم يستهجن فعله وعمله معه فقد نزل نفسه منزلة يد الحسناء التى أحرى دمها السوار والحبين الذى أثر فيه تاج الافتخار والسيف الذى وضعه على الترب صاقله لصقله لا لهوانه والرمح الذى وضعه على النار مثقفه لتعديله لا لاحراقه والعبد الذى قسى سيده رحمة به واحسانا لا استخفافا به وهوانا — والبيت لابى تمام (٦) اللوم (٧) الجفوة (٨) شدة (٩) تنكشف (١٠) المصيبة (١١) تقلع — يقول أرجو أن يكون هذا اللوم خاتمة الجفاء فاتحة الالفة والصفاء وان هذه الجفوة شدة ومحول وسحابة لا تلبث ان تزول — يشير الى قول المتنبي

لعل عتبك محمود عواقبه ورب صحت الاجسام بالعلل

والى المثلين العربيين غمرات ثم تنجلين وسحابة صيف عن قليل تقشع والاول يضرب فى حصول اليسر بعد العسر والثانى فى سرعة التغير (١٢) يجعلنى شاكا (١٣) عطاؤه (١٤) غير ضنين احتراس يريد به حمل سيده على العطف ودفع ما يتوهم من ان التأخير للايقاع به (١٥) نفعه (١٦) الفيض صعود الماء على الصفة والمراد هنا مجرد الصعود أى أبطأ الدلاء صعودا أكثرها امتلاء (١٧) أملؤها (١٨) المطر (١٩) الارض التى لا نبات بها (٢٠) العطش بحرارة — لما ذكر ان هذا العتب محمود العاقبة وان ما حل به عن قريب يزول ورأى ان تأخير الرحمة به وعدم انقاذه من ورطته ربما يوهم الريبة فى محمدة العاقبة دفع ذلك معتذرا عن سيده فى هذا التأخير معللا بقوله فابطأ الدلاء فيضا املؤها وأثقل السحائب مشيا أحفلها وغير ذلك مما يدل على أن فى التأخير ما ينعم البال ويقر الاعين ثم ختم عبارته بما هو أمثل فى التسلية وأدعى للتصبر من حيث يقول : ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب

له الحمدُ على اهتبالِه (١) ولا عتبَ عليه فى اغتفاله (٢)

فان يكن الفعلُ الذى ساءَ واحداً فأفعالُه اللائى سَرَرْنَ أُلوفُ

وأعود فأقول : ما هذا الذّنبُ الذى لم يَسَعْهُ عَفْوُكَ والجهلُ الذى لم يَأتِ من وَرائه حلمُك، والتّطاوُل (٣) الذى لم يَسْتغرقهُ تَطوُّلُكَ (٤) وَالتّحامُلُ (٥) الذى لم يَفِ به احتمالُك (٦) ولا أخلو من أن أكونَ بريئاً فأيْنَ عدْلك أوْ مُسيئاً فأين فضلُك

إلاَّ يكن ذنبٌ فعدْلُك وَاسعٌ أو كان لى ذنبٌ فصفحُك أوسع

فَهَبْنى مُسيئاً كالذى قلت طالباً قصاصاً (٧) فأين الأخ ياعزّ (٨) بالفضل

حَنانيْكَ (٩) فد بلغ السّيلُ الزُّبَى (١٠) ونالنى ما حَسْبى به وكفى

وما أرانى إلاَّ لو أمرتُ بالسُّجُود لآدمَ فأبيتُ (١١) واستكبرتُ

---

(١) اغتنامه (٢) تغافله وهو تركه على ذكر منه بعد ان اعتذر عن سيده بما اعدر أحد يمدحه على ايقاعه به وتغافله عنه عله أن يرأف به ويعطف عليه والبيت للمتنبي (٣) الكبر (٤) فضلك (٥) التكليف بما لا يطاق (٦) الاحتمال كالحمل الا أنه فى الامور العظيمة قال النابغة الذبيانى * حملت بها واحتملت جارا * (٧) عقابا (٨) اسم امرأة — رجع بعد أن عود نفسه فى مخاطبة الامير الصبر والانتظار التفت منه الى ماقى ضميره من بقايا العتب فقال يستفهم مريدا بذلك الزامه بالصفح عنه بتصغير ذنبه وتكبير عفو سيده فكأنه يقول ماهذه الحركة التى زلزلت طودك وماهذه الجيفة التى عكرت بحرك ولم لا يشملنى كرمك وجودك مع أن فضلك وعدلك أكبر شفيع للعاصى والمطيع — وذكر البيتين تأييد لما قاله فى نثره والاول للبحترى والثانى مأخوذ من قول الحماسى

هبينى ظلوما نلتـه بمساءة قصاصا فأين الاحد ياعز بالفضل

(٩) تثنية حنان وهو الرحمة (١٠) جمع ربيـة وهى حفرة تحفر لصيد الاسد في مكان مرتفع لا يعلوه الماء فاذا وصل اليه السيل كان مجحفا — يريد بذلك مريد استرحام سيده من حيث يقول له حنانيك أى رحمة بعد رحمة أطلبها منك فأن الذل والهوان قد وصلا الى النهاية . والصغار والاحتقار قد بلغا الغاية — وقوله بلغ السيل الزبى مثل عربى يضرب فى بلوغ الشئ غايته (١١) امتنعت — ولقد احسن كل الاحسان وتلطف ماشاء فى عطف قلب سيده وطلب العفو عما

وقال لى نوحُ اركب معنا ففلت سَآوِى (١) إلى جَبلٍ يَعْصِمُنِي (٢) مِنَ الماء ، وأمرتُ ببناءِ صَرْحٍ (٣) لَعلِّى أطَّلع إلى إلهِ مُوسَى وعَكَفْتُ (٤) على العِجْل واعتديت (٥) فى السَّبتِ وتعاطَيت (٦) فعقَرْتُ (٧) وَشربتُ من

احترح من حريمته بأبلغ عبارة وأدق اشارة مبدعا فى وصف مالاقاه من العناء والنكال وأنه لوقسم على دوى الذنوب من الاولين والآخرين لكان كافيا لتكفير تلك الذنوب جزاء وفاقا ملمحا الى دوى الذنوب المشهورة ووقائع الآثام المأثورة فقال وما أرانى الخ يشير الى ذنب ابليس وهو امتناعه واستكباره عن السجود لآدم من حيث امره الله بذلك فأبى واستكبر وكان من الكافرين وقال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين (١) سألجأ (٢) يحفظنى — يشير الى ذنب ابن نوح وهو مخالفته لابيه من حيث قال له لما عم الطوفان وصعد السفينة هو ومن آمن معه « يابنى اركب معنا ولاتكن مع الكافرين » فحالف أباه وقال سآوى الخ (٣ قصر — يشير الى ذنب فرعون وهو أنكاره الآله وادعاؤه أنه هو الآله الحقيق وذلك حينما اتاه موسى عليه السلام بالايمان بالله فقال فرعون « ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا » الآية (٤) واطمت يشير الى ذنب بنى اسرائيل وهو عبادة العجل وذلك أنه لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه قام رجل صائغ من قبيلة يقال لها سامرة كانت تعبد البقرة وقال لبنى اسرائيل ان الحلى الذى استعرتموه من المصريين وبقى معكم بعد غرقهم لا يحل لكم فادفنوه حتى يأتى موسى ويرى رأيه فيه ففعلوا فأخذه وصاغه عجلا ووضع فيه القبضة التى أخذها من أثر حافر فرس الحياة فرس جبريل عليه السلام فصار العجل يمشى وكأنه يخور فقال لبنى اسرائيل هذا الهكم والله موسى نسيه وذهب لطلبه فافتتن به كثير منهم واتبعوه (٥) جاوزت يشير الى ذنب بنى اسرائيل وهو انتهاك حرمة السبت وذلك انهم نهوا عن الاصطياد فيه وكانت الحيتان تأتى فيه بكثرة رافعة خراطيمها حتى تغطى الماء ولاتأتى فى غيره فتحيلوا بعمل حياض متصلة بالبحر فاذا جاءت عشية الجمعة فتحوا الاتصال فتدخل الحيتان فى الحياض فيأخذونها يوم الاحد ولما أمهل الله عقوبتهم استحلوا الصيد يوم السبت فحاق بهم العذاب (٦) تعاطى قام على أطراف أصابع رجليه ثم رفع يديه وضرب (٧) عقر البعير بالسيف فانعقر أى ضرب به قوائمه يشير الى ذنب قدار وهو قتل ناقة صالح عليه السلام وذلك ان امرأة يقال لها عنيزة لها مال وبنات حسان وأخرى يقال لها صدوق بنت المحيا صاحب أوثانهم كان زوجها أسلم وأنفق ماله على صالح وأتباعه وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح فدعت صدوق مصدقا لنفسها على قتل الناقة ودعت عنيزة قدارا على ذلك أيضا فذهبا وتبعهما أشقياء ثمود وكمن كل منهما فى أصل صخرة ولما مرت ضربها مصدع فأصاب ساقها فشد عليها قدار بسيفه فأبان عروقها ثم نحرها

النَّهر الذى ابتلى (١) به جيوش طالوت وفُدْتُ الفيل لأبرَهةَ (٢) وعاهدتُ (٣) قُريشاً على ما فى الصَّحيفة وتأوَّلت (٤) فى بَيعة العَقَبة (٥) وَاستنفرتُ إلى العِير (٦) ببَدْر ، وانخذلت (٧) بثُلث النَّاس يوم أُحُد (٨) وتخلّفت (٩) عن صَلاة العصر فى

---

(١) اختبر — يشير الى ذنب معظم جيوش طالوت عليه السلام وهو مخالفتهم له حينما اقترحوا عليه قلة الماء فقال لهم « ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده » فخالفوا وشربوا الا قليلا منهم (٢) كان عامل اليمن من قبل النجاشى يشير الى ذنب ابرهة وهو ذهابه لهدم الكعبة وسبب ذلك انه بنى كنيسة فى صنعاء ليصرف الناس عن الكعبة فأتى رجل كنانى ولوثها بالعذره واتى أقوام من تجار قريش واضرموا نارا بجانبها فهبت الريح فاحرقتها فغضب النجاشى لذلك وقام أبرهة واخذ الفيلة وفى مقدمتها فيل النجاشى المسمى محمودا ليهدم الكعبة ارضاء له ولما وصل اليها وجه الفيل نحوها فابى فوجهه الى اليمن فقام مهرولا وبعد ذلك أرسل الله عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل

(٣) أعطيتهم عهدا وميثاقا — يشير الى ذنب قريش وهو اتحادهم على عدم نصر الدين وذلك انهم لما رأوا ان الدين أخذ فى النمو وأن حمزة وعمر أسلما تعاقدوا على مهاجرة بنى هاشم وبنى عبد المطلب وعلى قطع العلائق بينهم تماما وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى جوف الكعبة تأكيدا لذلك (٤) حالفت (٥) طريق وعر فى الجبل — يشير الى ذنب من نقض بيعة العقبة وبيعات العقبة ثلاث ولم يتأول فيها احد فذكره لها على سبيل الفرض أى هب أنى خالفت الاجماع وتعديت الحد وفعلت مالم يفعله أحد (٦) العير بالكسر الابل التى تحمل الميرة — يشير الى ذنب صمضم الغفارى وهو استنهاض قريش لابى سفيان وذلك ان ابا سفيان كان آتيا من الشام فى عير فذهب عليه السلام لقتاله فشعر بذلك أبو سفيان فاستأجر ضمضما المذكور ليحبر قريشا فذهب وصرخ ببطن الوادى واقفا على جمل قد جدعه وحول رحله وشق قميصه قائلا يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى ان تدركوها الغوث الغوث فتجهزوا جميعا وذهبوا اليه وحصلت الواقعة الشهيرة المسماة بغزوة بدر الكبرى وفيها انتصر النبى عليه السلام انتصارا باهرا (٧) خذله ترك عونه ونصرته (٨) أحد جبل بالمدينة يشير الى ذنب أبى بن سلول رأس المنافقين وهو رجوعه من الجيش هو ومن معه من المنافقين وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام لما خرج الى أحد ومعه الف من أصحابه لقتال أعدائه كان من رأى ابى ان يمكث النبى فى المدينة فابى عليه السلام قبول رأيه موافقا لمعظم الصحابة فرجع هو ومن معه من المنافقين وقال اطاعهم وعصانى (٩) تأخرت

بَنى قُريظـة (١) وجئْتُ بالأفك (٢) على عائشةَ الصّديقيَّة وأنفت (٣) عن إمارة أسامة ، وزعمتُ أنَّ خِلافة أبى بكر كانت فَلتَةً (٤) وَرويْتُ رُمْحى من كَتيبة (٥) خالد ،ومزّقت (٦) الأديمَ (٧) الذى باركَتْ يدُ الله عليه وضَحّيتُ بأشْمط (٨)

---

(١) طائفة من اليهود ـ يشير الى حادثة بنى قريظة وذلك انه عليه السـلام بعد رجوعه من غزوة الخندق قال من كان سميعا مطيعا فليصل العصر فى بنى قريظة فبعض الصحابة أخذ بظاهر الحـديث وصلى العصر هنـاك بعد مغيب الشمس والبعض الاخر رأى ان المقصود الاسراع فصلى فى الطريق ولما اختلف الفريقان فى تعيين المصيب ترافعا اليه عليه السلام فحكم باصابتهما واذا تكون عبارته كناية عن فداحة التحلف عن الذهاب (٢) الكذب ـ يشير الى ذنب مسطح وحسان ومن معها فى مجاهرتهم بالسوء لزوجه عليه السلام ـ وذلك انه لما ذهب عليه السلام الى غزوة بنى المصطاق كانت معـه السيدة عائشة حيث كانت قرعتها ـ فى العودة ذهبت السـيدة لقضاء حاجتها ففاتها الراكب ولم ينظر فى هودجها فمر صفوان وكان تأخر لامر ما فاركبها بعيره وقاده فاشاعوا هؤلاء ما اشاعوا فبرأها الله تعـالى بالآيات البينات (٣) استـكبرت يشير الى بعض الصحابة من حيث استـكبروا على اسامة وذلك ان النبي عليه الصـلاة والسلام جهز جيشا ليذهب به الى الشام وقال له سر الى مقتل ابيك فتـكلم قوم وقالوا ايأمر هذا الغلام على المهاجرين الاولين فغضب عليه السلام لذلك وخرج فى مرضـه عاصبا رأسـه وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال ما معناه لئن طعنتم فى اسامة فقـد طعنتم فى أبيه من قبل وانه لاهل لها فاستوصوا به خيرا (٤) أى من غير احكام ولا روية ـ يشير الي ذنب الشيعة وهو اعتقادهم ان عليا هو الاحق بالخـلافة ومن سواه غاصب ويقولون ما تقدم وفى حـديث عمر (أن بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى الله شرها) فقيل المراد بالفلتة الخلسة أى ان الامامة يوم السقيفة مالت الانفس الى توليها وكثر فيها التشاجر فانتزعها واختلسها ابو بكر اختلاسا ومثل هذة البيعة مهيجة للشر والفتنة فعصم الله تعـالى من ذلك ووقى (٥) جيش ـ يشـير الى دب أبى شجرة السلمى وهو فتـكه بجيش خالد فى حرب الردة ويشير الى قوله فى ذلك

ورويت رمحى من كتيبة خالد وانى لارجو بعدها أن أعمر

(٦) قطعت (٧) الجلد ـ يشير الى ذنب أبى لؤلؤة وهو قتل عمر عليه الرضوان وذلك أن أبالؤلؤة طلب منه ان يخفف عنه جعـل سيده فقال له انه ليس بكثير وانك لصانع مجيد وأريد ان تصنع لى رحى فقال سأصنع لك رحى يسمع دويها أهـل المشرق والمغرب وكمن له حتى طعنه فى صلاة الصبح ومات بسبب ذلك ويشير الى ماقاله بعضهم فى رثاء

جزى الله خيراً من أمام وباركت يد الله فى داك الاديم الممزق

(٨) مختلط شعر الرأس ـ يشير الى ذنب بعضهم وهو قتل عثمان عليه الرضوان وذلك أنه وفد

عنوان السّجود به ، وبذلتُ لِقَطَام (١)

ثلاثة آلافٍ وعبدٌ وقَيْنَةٌ (٢) وَضَرْبُ عليٍّ بالحسامِ المُسَمَّمِ

وكتبت إلى عُمر بن سعد : أن جَعْجَعَ (٣) بالحسين وتمثّلت عنده ما بلغنى من وقعة الحرّة (٤)

ليت أشياخى ببدْرٍ شَهِدُوا جِرْعَ الخزرج من وَقع الأسل

ورَجمت (٥) الكعبة وصلبت العائذ (٦) على الثَّنية (٧) لكان فيما جرى

عليه كثير من الجهات يشكون عماله فارضاهم وأرسل محمد بن أبى بكر يكون واليا على مصر فبينما هوذاهب اذ رأى عبدا على هجين يستحثه فأحضره وفتشه فوجد معه كتابا من الخليفة الى عامل مصر يقول فيه اذ أتاك محمد ومن معه فتحيل فى قتلهم فرجع محمد وأعطى الجواب الخليفة فأقر بأنه خط كاتبه وهذا ختمه وعبده وهجينه وأنه لم يرسله فطلب منه أحد أمرين الاعتزال أو أعطاء كاتبه الحكم فابى فحصلت الفتنة وحاصروه الى أن قتل ويشير الى ماقاله بعض نعاته

ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

(١) اسم امرأة (٢) جارية — يشير بذلك الى ذنب ابن ملجم وهو قتل على كرم الله وجهه — وذلك ان هذه المرأة أعجبته لنضارتها فاراد ان يتزوجها فطلبت مافى البيت فقال لها لك ما طلبت وقال البيت وبعده

فلا مهر أغلى من على وان غلا ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

(٣) ضيق — يشير الى ذنب عبيد الله بن زياد وهو تحريضه على قتل الحسين وذلك أنه أبى مبايعة يزيد وأراد الذهاب الى الكوفة من حيث أنهم طلبوا مبايعته فاحب يزيد عامله هناك عبيد الله بن زياد بذلك فأرسل لقتاله عمر بن سعد ولما أبطأ جهز له شمرا وكتب عبيد الله له ما تقدم فانتشبت الحرب بينهما وانتهت بقتله رضى الله عنه (٤) أرض بظاهر المدينة كانت بها الواقعة بين عقبة بن مسلم وأهل المدينة — يشير الى ذنب يزيد وهو تنفيه من أهل المدينة وذلك انه أرسل عقبة بن مسلم الى محاربة أهل المدينة واباحتها ثلاثة أيام فقتل وأسرف وأباح فلما بلغ يزيد ذلك قال بيت ابن الزبعرى المذكور مظهرا للضمير المستتر وهو كراهة الانصار والمهاجرين (٥) رميت بالحجارة (٦) الملتجئ (٧) طريق العقبة — يشير الى ذنب الحجاج وهو رجمه الكعبة وصلبه عبد الله بن الزبير وذلك أنه لما حاربه التجأ عبد الله وأصحابه الى الكعبة فنصب الحجاج المنجنيق عليها ورجمها وبعد ما انتصر عليه صلبه منكسا وآلى أن لا ينزله الا اذا شفعت امه فيه فبعد سنة مرت أمه وقالت أما آن لهذا الفارس أن يترجل فاعتبر قولها شفاعة وأنزله

علىّ (١) ما يحتمل أن يكون نَكالا (٢) ويُدّعى ولو على المجاز عِقابا

وحسبك من حادث بامرىء ترى حاسديه له راحمينا

فكيف ولا ذنبَ إلا نميمةٌ (٣) أهداها كاشحٌ (٤) ونبأ (٥) جاء به فاسقٌ

وهم الهمّازُون (٦) المشّاؤون (٧) بنَميم ، والواشُونَ (٨) الذين لاَ يلبثون (٩) أن

يَصْدَعُوا (١٠) العصا، والغُوَاةُ (١١) الذين لا يترُكون أديماً (١٢) صحيحاً، والسُّعاة (١٣)

الذين ذكرهم الأحنفُ بن قيس فقال : ما ظنُّك بقومٍ الصِّدقُ محمودٌ الا منهم

حَلفت فلم أترك لنفسك رِيبةً (١٤) وليسَ وَراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ

والله ما غَشَشْتُكَ بعدَ النّصيحةَ ، ولا انحرفت (١٥) عنك بعدَ الصّاغية (١٦)

ومن قولها لابنها يوم مقتله يابنى لا تقبلن منهم حطة تحاف منها على نفسك الذل مخافة القتل فوالله لضربة بالسيف فى عز خير من ضربة بالسوط فى مذلة فقال لها انما اخاف المثلة قالت يابنى ان الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها (١) حصل لى (٢) عدايا - يريد أنى لو أتيت بهذه الذنوب كلها لكان ما حصل لى من التعذيب والاهانة والذل والاستكانة كافيا لتمحيص هذه الذنوب وكيف لا وقد صرت فى حالة يرثى لها العدو والحبيب والبعيد والقريب وذلك ادل على طلب الرحمة واحكم فى الاستعطاف - والبيت الذى ذكره للعتبى (٣) نقل الكلام للافساد (٤) مضمر العداوة « أهداها كاشح » كناية عن حسن سلك هذه النميمة وأنه ممتن بها كما يمتنى بالهدية للامير (٥) خبر (٦) المغتابون (٧) النمامون (٨) الذين يزينون الحديث للافساد (٩) لبث بالمكان أقام به (١٠) يشقوا (١١) المضلون (١٢) جلدا (١٣) المفسدون — يريد بذلك انه بنى الاهانة والابعاد والصد والاعراض على أوهن الاسباب وأضعفها وهو سعى الذام وخبر الفاسق وتزيين الغواة والذين يشقون عصا الالفة ويمزقون أعراض الناس ويلمح فى عبارته الى قوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » الآية والى قول كثير عزة

ولا ليث الواشون أن يصدعوا العصا اذا هى لم يصلب على الرى عودها

(١٤) شبهة — يريد حلفت فلم أترك شبهة فى نفسك من براءتى وليس بعد الله من يصدق القسم به حق أقسم به وأدهب اليه — والبيت للنابغة الذبيانى من اعتذارياته للنعمان (١٥) ملت (١٦) الاصغاء

اليك ، ولا نصَبْتُ (١) لك بعد التّشيّع فيك ولا أزمعتُ (٢) يأساً منك مع ضمان تكفّلتْ به الثّقة عنك وعهد أخذه حُسن الظّن عليك ففيمَ عَبِثَ (٣) الجفاء بأذمّتى (٤) وعاثَ (٥) العقوق (٦) فى موَاتى (٧) وتمكّن الصّياع (٨) من وَسائلى (٩) ولمَ ضافَتْ مذاهبى (١٠) وأكْدَتْ (١١) مطالبى وعلامَ رَضيتُ من المركب (١٢) بالمّعليق (١٣) بل من الغَنيمةِ بالإياب (١٤) وأنّى غلبنى المغلب (١٥) وفجر (١٦) على العاجز الضّعيف ، ولطَمتنى (١٧) غير ذَات سوار

ومالكَ لم تمنع من قبل أن أفترس ، وتدركنى ولما أمزّق (١٨)

---

(١) الناصبى فى العرف من كان عدوا لعلى وهو ضد الشيعى (٢) خمت — يقول اقسم بالله انى مقيم على النصح لك ثبت على الميل اليك ولم أتخذ مذهب الناصبية مذهبا ولم يستفزنى اليأس منك وتلعب بى أيدى الاهواء فان تتقى بك وحسن ظنى فيك قد ضمنا لى أن أطرد اليأس بالرجاء فى عفوك . وهذا الكلام من الاستقصاء البديعى بمكان فانه استوفى جميع عوارض المحنة بحيث لم يبق لقائل قول لو ولا ليت استجلابا للرحمة وطلبا للعفو (٣) لعب وهزل (٤) حرماتى (٥) أفسد (٦) ضد البر (٧) وسائلى (٨) الهلاك (٩) ما اتقرب به (١٠) طرق (١١) ردت (١٢) الركوب (١٣) المراد تعليق الامتعة (١٤) الرجوع (١٥) المطلوب مرارا (١٦) اجترأ (١٧) ضربتنى على وجهى براحتها (١٨) أقطع — يستفهم عن سبب افساد الخفاء والعقوق لما قدمه من وسائل الرضا حتى ضاقت عليه المذاهب وامتنعت عليه المطالب وحتى رضى من عظيم الامر بصغيره ومن الغنيمة بالرجوع سالما واجترأ عليه كل ضعيف . وغلبه من كان له غلابا وظلمه من لم يكن له كفؤا وقد ضمن عبارته من الامثال ما هو كالسحر الحلال « أولها » أرض من المركب بالتعليق يضرب فى القناعة بادراك بعض الحاجة « وثانيها » رضيت من الغنيمة بالاياب يضرب فى القناعة بالسلامة — وهو مأخوذ من قول امرئ القيس

لقد طوقت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

وثالثها ورابعها مأخوذان من قوله

فانه لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد صحفه ابن ريدون وهو تصحيف حسن وخامسها « لو ذات سوار لطمتنى » قاله حاتم حينما لطمته جارية وكانت العادة لبس السوار للحرة — والثلاثة تضرب عند العجز والذلة — ويشير الى قول المثقب العبدى

أم كيف لا تصطرِمُ (١) حوَانحُ (٢) الأكفاء (٣) حسداً لى على الخصوص لك ، وتقطع أنفاسُ (٤) النُظراء (٥) مُنافسةً (٦) لى على الكرامه فيك ، وقد رانى اسمُ خدمتك ورَهانى (٧) وسْم (٨) نعمتك ، وأبليت (٩) البلاء الجميل فى سماطك (١٠) ومت المقامَ المحمود على بساطك

ألستُ الموالى (١١) فيك غُرّ قصائد هى الأنجمُ افتادت مع الليل أنجما
ثناء يطلُّ الرَّوض منه منوَّراً صُحَى ويخال الوَسْى (١٢) فيه مُسمنما (١٣)

وهل لبس الصبّاحُ الأبْرُداً (١٤) طرَّزته (١٥) بفضائلك . وبللّت (١٦) الحوراء (١٧) الا عقداً فصّلته (١٨) بمآثرك ، واستملى (١٩) الربيعُ إلا ثناءً أملأته فى محاسيك ونتَّ (٢٠) المسكُ الا حديثاً أذعته (٢١) فى محامدك (ما يومُ حليمةَ بسرّ) وان كنت لم أكسك سليماً (٢٢) ولا حليتك عُطْلاً ولا وسمتك غُفْلاً (٢٣) بل وحدت

وأن كنت مأكولا فكن خير آكل والا فادركنى ولما امزق

وفى هذا الاستفهام تحصيص له على اتحاده وسرعة انقاده (١) تتقد (٢) أضلاع (٣) الامثال (٤) جمع نفس (٥) جمع نظيره (٦) رغبة شديدة (٧) الزهو الكبر (٨) علامة (٩) حريت (١٠) السماط الصف من الناس (١١) المتابع (١٢) ضرب من الحرير ذو الوان (١٣) ثوب موشى بالوان فيها البياض — لقد أتى ابن زيدون من كلام السحر وسحر الكلام بما يكبو دونه قلم البليغ — وذلك من الاعتراف لسيده بانه قد أوقد النار فى قلوب الحساد والمطراء بتعهده له بالانعام وصلته بالصلات حتى أنطق لسانه فيه بالمدائح التى طلعت من الليل أنجما والثناء الذى زهرت به الرياض ووشيت به حلل الفضل — والبيتان من قصيدة للمترى يعاتب بها الفتح بن خاقان (١٤) رداء (١٥) علمته (١٦) لبست (١٧) برح (١٨) تفصيل العقد جعل خرزة بين كل لؤلؤتين (١٩) طلب الاملاء (٢٠) نشر (٢١) أشعته — والمعنى ان فضائلك التى نشرتها فى مدائحى طهرت للعين ظهور الصباح حتى انه لم يضئ الا بسنها — وان عقد الحوراء لم يحسن فى مرآى العين الا لكونى فصلته فى محامدك وكذلك الربيع لم تتضوع الازهار بنشرها فيه الا ليكونه استملى من الثناء المملوء بمحاسنك ثم اثنت ان ماتقدم حقائق ثابتة بقوله مايوم حليمة بسر وهو مثل عربى يضرب فى فشو الامر وانتشاره (٢٢) مسلوبا (٢٣) عادم العلامة

آخرًا (١) وحصًا (٢) فمتى «ومكان القول دا سَعَهِ» فعلت حاسًا (٣) انك أن أعدّ من العاملة الناصبه (٤) وأكون كالذى اله (٥) المصوبه تصئ للناس وهى تحترقُ (فَلَكَ المَثَلُ الأعْلَى (٦)) وهو بك وبى فيك أولى، ولعمرُك (٧) ماجهلت أنَّ (صريح الرأى (٨)) أن أتحوّل إذا بلغتنى الشمس و (سابى المنزل (٩)) وأصبح (١) عن المطامع التي تقطع أعناق الرجال، فلا (أستوطئ العَجْز (١١)) ولا أطمئنّ (١٢) إلى الغُرُور (١٣) وَمن الأمثال المضروبه — حامرى (١٤) أم عامر (١٥)

---

(١) الطين المحروق (٢) الحير — أراد دمع مايتوهم من أنه يتنصل عليه باداعة المحاسن ونشر المدائح وأنه اخترع له هذه السجايا والخلال حيث يقول له أنى لم أمدحك الا بما هو فيك من خصائص الخصال وجميل الخلال وانما انا صنعتها فى القالب الذى يلفت الانظار ويجلى صدأ الافكار (٣) تعريها لك (٤) من النصب وهو التعب (٥) الفضيلة (٦) الصفة العليا — بعد أن عمل جهد المستطيع فى الثناء عليه أراد أن يستميله بلطف ليجعل لعمله فائدة ونتيجة فبرهة عن أن يجعل مثله معه كمثل الكفار حيث عملوا وتعبوا فى الدنيا فيما لم يعد عليهم منه فائدة فى الاخرى - ويشير الى قوله تعالى « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية » الآية والى قول العباس بن الاحنف

صرت كأنى دبالة نصبت تصئ للناس وهى تحترق

وبالغ فى التلطف بقوله فلك المثل الاعلى والصفة العليا من التحاور والصفح وأنت اولى من صفح عن زلة المسئ وانا أولى من أدحرت مودته بالصفح عنه وما أحسن قوله وهو بك اخ كانه يقول هو بك أولى وهو فى كذلك اذا كان فيك فكلا الخالين محصوص بك وما الطف ما ينسب الى الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الامام احمد بن حنبل

قالوا يزورك احمد وتزوره قلت الفضائل لاتفارق منزله
أن زرته فلفضله أوزارنى فلفضله فالفضل فى الخالين له

(٧) حياتك (٨) سديده (٩) سابى المنزل لم يوافقنى (١٠) أعرض (١١) أستوطئ العجز احده ليبا سهلا (١٢) أميل (١٣) ما يغتر به من متاع الدنيا (١٤) استرى (١٥) كنية الصبع يقسم بحياة سيده أنه ما جهل ان سديد الرأى وجوب التحول عن مقام الاهانة متى شعر بلحاقها به كما أنه لم يجهل ان الطمع مورد الهلكة ودريعة الخذلان ومقطع أعناق الرجال وانه كان عليه

وإنى مع المعرفة ان الجلاء (١) سباء (٢) والثقلة (٣) مثلة (٤)

ومن يغترب عن قومه لم يرل يرى مصارع مظلوم محرا ومسحبا

وتدفن منه الصالحات وان يسئ يكن ما أساء النار فى رأس كبكبا (٥)

عارف أن الأدب الوطن لا يخشى فراقه والخليط (٦) لا يتوقع زياله (٧) والنسيب (٨) لا يخفى والجمال لا يجفى (٩)

ثم ما قران (١٠) السعد بالكواكب أبهى أثراً ولا أثنى خطراً (١١) من اقتران غنى النفس به ، وانتظامها نسقاً (١٢) معه ، فان الحائز (١٣) لهما الضارب بسهم فيهما « وقليل ما هم » (١٤) أينما توجه ورد منهل (١٥) برّ وحط فى جناب (١٦)

ان يرحل ولايستسهل العجز ولا يميل الي الغرور ولكن حابت آماله والعكست احواله فكانت الغرور نصيبه والامل قائده فاغتر كما اغترت الضبع بقول القائل حامرى ام عامر . يشير الى قول ابى تمام

وان صريح الرأى والحزم مأمرى اذا بلغته الشمس ان يتحولا

والى المثل العربى « العجز وطئ » يضرب لمن استلان فراش العجز وقعد عن طلب المكاسب وقوله خامرى الخ مثل يضرب لمن عرف الدنيا وتقلباتها ثم يميل اليها ويغتر بها (١) الخروج عن الوطن (٢) اسر (٣) الانتقال (٤) تنكيل (٥) حمل (٦) المخالط (٧) مفارقته (٨) ذو النسب (٩) لا يهجر — بعد ان بين لسيده انه لا يجهل ان الصواب التحول اراد ان يبين له انه يعرف ايضا ان الانتقال فيه التمثيل والنكال وأن الغربة كربة والنوى توى وان حسنات العريب مهجورة وسيئاته منشورة فقال انى مع معرفتى بان خروجى من وطنى اسرلى ودفن لمحاسنى وانتقالي منه الى غيره مع عدم معرفة اهل هذه الجهات بما انا متحل به من العلوم والآداب والكمالات تنكيل بمحاسنى وتضييع لبهجة كما لاتى فيجهل قدرى وتهضم حقوقى وتدفن منى الصالحات وتشاع على فلتها السيئات غير انى لا اعد ذلك البناء هو الوطن الحقيقى بل وطنى الذى اعول عليه انما هو الادب وهو ملازم لى اينما حللت وارتحلت فلا احشى فراقه وهو سميرى الملازم لى فلا اتوقع غيابه وان النسيب اينما حل فهو معروف والجمال اينما وجد فهو مألوف وحيث هو كذلك فلا يخشى من الانتقال بأسا ولا من التحول ضيما — والبيتان للاعشى . والنقلة مثلة — مثل مولد (١٠) مصاحبة (١١) قدرا (١٢) النسق من الكلام وغيره ماجاء على نظام واحد (١٣) الجامع (١٤) قليل ماهم يريد بذلك التعريض لسيده بانه لانظير له فى اخلاقه وآدابه (١٥) عين (١٦) ناحية

قبول ، وضُوحِك قبل إنزال رَحْلِه ، وأعطى حكم الصبّى على أهله

وقيلَ لهُ أهلاً وسهلاً ومرحبا فهذا مَبيتٌ صالحٌ ومقيل

غير أن الوطنَ محبوبٌ ، والمنشأَ مألوفٌ ، واللّبيبُ يحنّ إلى وطنه ، حنين النّجيب (١) إلى عَطَنِهِ (٢) والكريمُ لا يجفو أرْضاً بها هَوَاله (٣) ولا يَنْسى بلداً فيها مراضعهُ — قال الأول

أُحبُّ بلادَ الله ما بين مَنعج (٤) إليَّ وسلمى أن يَصوبَ سحابُها

بلاد بها حل الشّباب تمائمى (٥) وأوّل أرضٍ مسّ جلدى ترابُها

بعد ان بين ان الادب كبير النفع عظيم الفائدة حتى جعله وطنا فى الغربة وفرحة عند الكربة بين انه يكون اكبر نفعا واعظم جدوى اذا صاحبه عنى النفس فان المتحلى بحلاها القابض على زمامهم اينما يمم فالسعد قرينه والناس اهله يقبلون عليه من كل جانب ويعظمونه كل التعظيم لاول وهلة او مجرد نظرة ويعطونه حكم الصبى على اهله يفعل مايريد كالسيد بالعبيد ويقولون له لقيت اهلا ونزلت مكانا سهلا واسعا رحبا فانس ولا تستوحش وكن كما تحب وتختار فانت رب الدار . وقوله ماقران السعد الخ احده من قول البستى

واتم الاشياء نورا وحسنا بكر شكر رقت الى صهر بكر

ماقران السعد بالحوت اهوى منظرا من قران بكر وشكر

وقوله اعطى حكم الصبى الخ عبارة كانت تقولها العرب فى مدح من برلوا عنده واكرموهم واصل البيت المذكور — فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا — فهذا مبيت صالح وصديق

(١) النجيب من الابل الفحل الكريم (٢) معرك الابل حول الماء (٣) جمع قابلة وهى من تتلقى المولود عند خروجه (٤) اسم مكان (٥) جمع تميمة وهو مايعلق للطفل حفظا له — بعد ان بين له ان سديد الرأى الانتقال وانه لايحاف عاقبة ذلك لادبه وغنى نفسه اراد ان يبين له السبب الحامل على المكث فقال ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف

مامن غريب وان ابدى تجلده الا سيذكر عند الغربة الوطنا

ولاغرو فهو اول ارض وجد بها واول تربة تصمخ بها جسده وأول بقعة عما فيها فكره واول جهة قضى فيها الشباب ما ربه مع احوان واحباب وخلان واتراب — فاذا تذكر هذه الجهات تخيل له رغد العيش وحسن الحال ورأى اغصان شبابه تميد على تلك الاوطان وتتمايل مع النسيم تمايل البان فيحن اليها حنين الغريب الى وطنه وانه ليس من كرم الاصل وشرف المحتد ان يهجر الانسان قوابله ومراضعه لما لهن عليه من الخير العميم والفضل الجسيم اثناء

هذا إلى مُغالاتى (١) بعقد جوارك ، ومُنافَستى (٢) بلَحْظةٍ من قُربك واعتقادى أن الطّمع فى غيرك طَمعٌ (٣) والغنى ممن سِواك غناء والبَدل منك أعور والعوض أنَاء (٤) وكلّ الصيد فى جَوْفِ الفَرَا (٥)

وإذا نظرتُ إلى أميرى زَادَنى ضنًّا به نظرى إلى الأُمَرَاءِ

وفى كلّ سجرٍ نار واستمجدُ (المَرْخ وَالعفَار) (٦) فما هذه البراءةُ ممّن يتولاّك (٧) والميلُ عمّن لا يميلُ عنك — وهلاّ (٨) كان هواك (٩) فيمن هواه فيك ورضاك فيمن رضاه لك

يا من يعزّ علينا أن نُفارقهم وجْدَانُنا كلّ شىء بعدكم عدمُ

الصغر فالواجب عليه ان يصلهن فى اناء الكبر حتى يجنين ثمرات اتعابهن ويسررن بحسن معاملته لهن — والبيتان لبعض الاعراب (١) مجاوزتى الحد (٢) رغبتى فيك على وجه المباراة (٣) دنس (٤) حسيس حمار الوحش (٦) نوعان من الشجر سريعا الورى . واستمجد استفصل وقيل اقتدح على الهوينا — بعد ان بين محبة الوطن والفة المنشأ وسبب ذلك الطبيعى اراد ان يبين للامير ان ذلك ليس هو السبب الوحيد الحامل لى على المكث بل انضم اليه ما هو اشد منه تأثيرا واعظم خطرا الا وهو شدة محبتى لجوارك وحظوتى بقربك وانت اكرم من حفظ للجوار حرمته واوضح محجته واعتقادى بأن الطمأنينة الى غيرك غرور والثقة بخلافك خذلان وعدم رضائى بسواك بدلا ولا بغيرك عوضا وكيف استبدل السمين بالغث والراحة بالتعب ام كيف انظر الى غيرك من الامراء وغيرك فيك

وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد

نعم وان اشتركوا معك فى اللقب الا انهم لم يشتركوا معك فى كمال الادب وفى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار فى ذلك من استمالة القلب مايدهش اللب وقد جمعت هذه العبارة من الامثال ما يزرى باللآل — فاولها « رب طمع يحر الى طمع » وثانيها « كل الصيد فى جوف الفرا » وهو يضرب لمن يفصل نفسه على اقرانه وثالثها « البدل منك اعور » يضرب لكل مالا يرتضى به من الذاهب واصله ان يزيد ابن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلى وكان شحيحا اعور قال الناس هذا بدل اعور — ورابعها « رضى من الوفاء باللقاء » يضرب لمن يرضى بالقليل من الكثير — وخامسها « وفى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار » يضرب فى تفضيل بعض المشتركين فى صفة على بعض (٧) مضارع تولاه صار وليه (٨) كلمة تحضيض (٩) ميل

أعيذك ونفسى من أن أشيمَ (١) خُلُبًا (٢) وأستمطرَ جَهَاما (٣) وأكدِمَ (٤) فى غير مَكدَم ، وأشكو شكوَى الجريح الى الغربان والرَّخَم (٥) فما أبْسَسْتُ (٦) لك إلاَّ لِتَدُرّ ، ولا حركت لك الحوار (٧) إلا لِتَحِنَّ ، ولا نبَّهتك إلاّ لأنامَ ولا سَرَيْتُ اليك الاَّ لأحمَدَ السُّرَى (٨) لدَيك

وإنك إن سَنَيتَ (٩) عقْدَ أمرِى تيسَّر ، ومتى أعْدَرت (١٠) فى فكّ أسْرى لم يتعذّر ، وعِلمك محيط بأنَّ المعروف ثمرة النّعمة ، والشَّفاعة زكاةُ المروءة وفَصلَ الجاه (١١) يعوذ به صِدْقُه

وإذا امرُؤٌ أهدى اليك صَنيعةً من جاهه فكأنّها من ماله

النفس — بعد ان بين له انه لا يرضى بما سواه وأنه يفضل جواره على ما عداه وهو مع ذلك يعرض عنه ولا يميل اليه رجع ينكر عليه ذلك بطريق الاستفهام كما هو الادب من حيث يقول كيف تتبرأ منى وانا أو اليك وتميل عنى وتهجرنى وانا لا أميل الا اليك وهلا هويت من يهواك ورضيت من يرضاك والبيت للمتنبى (١) شام البرق نظر الى سحابته أين تمطر (٢) البرق الذى لا يعقبه مطر (٣) السحاب الذى لا ماء فيه (٤) أعض (٥) طائر ضعيف (٦) الابساس الرفق (٧) ولد الناقة (٨) السير ليلا — يطلب منه ان يجعل لاعماله نتيجة يجنى ثمرتها وان يكون سيده غارس دوحتها وان لا يجعله كالمستميح الماء من الصخر والمستجير عند كربته بعمرو والمستمطر الجهام والناظر الى البرق الخلب بل يرسل عليه عطفه مدرارا وان يصل رحم الجوار بعد القطيعة ويقر عينا أضرها سهاد الجفوة وان يحمد اليه سراه ويحسن عقباه ولقد رصع أعمارته بجواهر الامثال وصاغها فى قالب عربى المثال يشير فيها الى قول ابن معد يكرب

لا تهنى بعدا كرامك لى فشديد عادة منتزعه
لا يكن برقك برقا خلباً ان خير البرق ما الغيث معه

والى المثل العربى « كدمت فى غير مكدم » يضرب لمن يطلب شيئاً من غير أهله والى قول المتنبي

ولا تشك الى خلق فتشمتهم شكوى الجريح الى العقبان والرخم

والى الامثال العربية « الابساس قبل الايناس » وهو يضرب فى الرفق و « حركلها حوارها تحن » وهو يضرب فى استنهاض الهمة و « نبه لها عمرا ثم نم » يضرب فيمن يعتمد على غيره و « عند الصباح يحمد القوم السرى » وهو يضرب عند حمد العاقبة (٩) سهلت (١٠) بالغت فى طلب العذر (١١) المنزلة — يقول لسيده انى ما كلفتك أيها السيد بارتكاب متون الاهوال ولا

لعلّى ألقى العصا بذُراك (١) وتَستقرُّ بىَ النَّوَى (٢) فى ظلّك، وأستأنِف (٣) التأدّب بأدبك، والاحتمالَ على مَذهبك، فلا أُوجِدُ للحاسد مَجالَ (٤) لحظِه (٥) ولا أدَعُ للقادح (٦) مسَاغَ (٧) لفْظِه

والله مُيَسِّرك من إطلابى (٨) بهذه الطّلبَة (٩) وإشكائى (١٠) من هذه الشكْوَى بصنيعةٍ تُصيبُ منها مكان المصْنع، وتَستوْدِعها أحفظ مُستوْدع. حسبَما أنتَ خليقٌ (١١) له، وأنا منك حَرِىٌّ (١٢) به، وذلك بيدِه وهيِّن عليه

بمعاناة الاحوال ولا بعد نحوم السماء ولا رمال الدهناء وانما هو امر يكبر فى عين سائله ويصغر عند باذله وهو فى يدك وقبضتك وأنت قادر عليه وان سهلت عسيره سهل وان التمست لى المعذرة انتفت الصعوبة وانت تعلم زادك الله علماً ان النعمة شجرة ثمرها المعروف وان المروءة مال زكاتها الشفاعة وشفاعة اللسان أفضل زكاة الانسان وبذل الجاه رفد المستعين وأيد ذلك بالبيت بعده — وقوله ان سنيت مأخوذ من قول بشار

فسالله ثق ان عزما تبتغى وقل ادا الله سنى عبد امر تيسرا

(١) كل ما استترت به (٢) ما ينويه المسافر من قرب أو بعد (٣) ابتدئ (٤) حال طاف (٥) نظره (٦) الطاعن (٧) ساغ الشراب سهل مدخله فى الحلق يقول أرجو من سيدى ان يعفو عن ذنبى وتقصيرى ويلبى ندائى هذا كى أسكن فى ظلك وكنفك ولا اذهب الى غيرك وتكون غاية آمالى ومنتهى أسفارى وأتوب عما كنت مرتكبه ومتمسكا به مما لا يرضيك وأتحلق باخلاقك وأتمسك بطريقتك واحدو حذوك واتبع مذهبك وبذلك لا يجد عدوى فى مدار لحظه ولا الطاعن ما يسوغ من لفظه . وقوله لعلى القى الخ حل بيت للمعز بن اوس وهو

والقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر

(٨) اسعافى (٩) ما اطلبه (١٠) ازالة ما أشكوه (١١) جدير (١٢) حقيق يقول لسيده والحمد لله الذي سهل لك مطلبى واسعافى وازالة ما أشكوه من الام السجن بمعروف تبذله لاهله وتحفظه عند امين لوقته حسبما يقتضيه كرم أخلاقك وجميل صفاتك وانا احق الناس به لمودتى لك واخلاصى فى ولائك وما ذلك عليك بعزيز

ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى تصيب بها مكان المصنع

﴿ مكاتبات متفرقة ﴾

(كتب رئيس الجمهورية التركية إلى إحدى الدُّوَل الأوربية)

أيها الوزير الأفخم — إن لفظة تقسيم (تركيا) إفكٌ لا يفوه به عاقل، ولا يتصوَّره إنسان، تكاد تمطر له السماء دَهْشه . وترتجُّ له الأرْض وحْسة ، بل تخرُّ دُونه الجبال وتنفكّ عنده الآمال، كأنّ أوربا تستطيعه ولكنها لم تفعله . ولن تفعله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، فقل (اللَّهمَّ مالك المُلك تؤتى المُلك من تشاء وتنزع المُلك ممَّن تشاء وتعزّ من تشاء وتُذِلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كلّ شيء قدير) تقسيم تركيا كلمة ليست أكبر من أوربا فقط ، بل هي أكبر من منظومة هذا العالم الشمسى الذى تراه أو تسمع به إن كنت لا تراه، فلا يليقُ أن يفوه به الأفمُ القدرة الآلهية (القائم على كلّ نفسٍ بما كسبتْ وَاللهُ غالبٌ على أمْره وَلكنَّ أكثرَ النَّاس لا يعلمون) تقسيم تركيا ربّما يكون ، ولكن متى يكون ؟ يكون حينما يتحلَّى وَجهُ السيطة بدمائنا الطاهرة الزكية، يوم ترَى الارض لابسة تلك الحلّة الأرْجوَانية التَّمينة حيث تتمشَّى الدِّماء على فيروزج الفضاء محاطة كواكب الوجود بكتائب جنود العدم المطلق : لا أرض لمن تُقلّ ، ولا سماء لمَن تُظلّ ، ولا قائم موجود ، ولا دائم مقصود — هنالك تتحدَّث شياطين الخيال فى أندية المحال ، بحديث ذلك التَّقسيم المشئوم ، ولا من سميع ولا من مجيب ، فالوَيلُ ثم الويل يوم ذلك التّقسيم الموهوم ، والثُّبُور ثم الثّبور إذا تنزلَت السماء بقضاءِ ذلك الهول المقسوم : (إنَّ فى ذلِك لبلاَغاً لِقوْمٍ يتفكّرُون)

« وكتب ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ فى شكر صديق له على مراسلته اياه »

وصل ما وصلتنى به (١) جعلنى الله فِداك (٢) من كتابك بل نعمك التَّامة

(١) وردالى كتابك الذى ربطتنى به معك (٢) أي وصعنى الله مكانك فى كل مكروه حتى تخلص منه

ومِنتك العامة (١) فقرّت عيني بوُروده (٢) وشفيت نفسي بوُفوده (٣) ونشرته فحكى نسيم الرّياض غِبّ المطر (٤) وتنفّسَ الأنوار في السّحر (٥) وتأمّلتُ مفتَحه وما انتسل عليه من لطائف كَلِمك ،وبدائع حكمك (٦) فوجدته قد تحمّل من فنون البرّ عنك(٧) وضروب الفضل منك(٨) جدًّا وهزلاً (٩) ماملا عيني وغمر قلبي (١٠) وغلبَ فكري وبهر لُبّي (١١) فبقيت لا أدرى أسموط درّ خصصتني بها (١٢) أم عقود جوهر منحتيها (١٣) ولا أدرى أجَدّك أبلغ وألطف ، أم هزلك أرفع وأظرف ، وأنا أوكّل بتتبّع ما انطوى عليه نفساً لانرى الحظّ الاما اقتنته منهُ(١٤) ولا نعدّ الفضل الا فيما أخذتهُ عنهُ ، وأمتّع بتأمله عيناً لا تقرّ إلا بمثله . ممّا يصدُر عن يدك ، ويردُ من عندك ،وأعطيه نظراً لا يملّه ،وطرَفاً لا يطرِف دونه(١٥)وأجعله مثالاً أرتسمه وأحتديه (١٦) وأمتع خلفي برونقه وأغدّى نفسي بهجته ، وأمزج قريحتي برقته ، وأشرح صدري بقراءته ، ولئن كنت عن تحصيل ما فلتهُ عاجزاً وفي تعديد ما ذكرتهُ متخلّفاً ، لقد عرفت انهُ ماسمعت به من السِّحر الحلال

(ومن كتاب للسيد توفيق البكرى فى سَفرته إلى الاستانة العلية)

كتابي إلى السيد الأجل ، وأنا أحمد الله اليهِ .وأدعوهُ أن يُديم النّعمة والسلامة عليه : وبعدُ — فلما اعتزمتُ على الرّحلة هذا العام الى قبّة السلام ، ودار خلافة

أى الذى ورد الى هوخطابك الذى أعده بمنزلة نعمتك العمومية وجميلك الشامل (٢)فاطمأن قلبي بوصوله الى (٣) وطابت نفسي بمجيئه الى (٤) ونشرته أى فتحته فحكى نسيم الرياض غب المطر اي لشبه الريح التى تهب من البساتين بعد مانزل المطر عليها (٥) واشبه تفتح الازهار في اواخر الليل (٦) أى وتدرت فى صدره وفى الكلمات اللطيفة التى اودعتها فيه والحكم البديعة التى نثرتها فيه (٧)أى شاهدت منه أنواعا من الا كرام أثبتها فيه (٨) واصنافاً من الافضال دونتها فيه(٩)من الامور الهامة الجدية والامور المفرحة المازحة (١٠) ملأ عيني يعني صرفها عن النظر الى غيرا حسانك — وغمر قلبي اى لم يدع له منصرفاً الى غير افضالك (١١) وغلب فكرى اى استحوذ على عقلى وبهر لبي اي راع عقلى وسباه (١٢) أى عقود درقصرتها على (١٣) منحتنيها اى اعطيتنيها(١٤) اكتسبته(١٥) الطرف العين ويطرف يطبق جفنا على الآخر (١٦) ارسمه فى فكرى واقتدى به

الأسلام ، وفارقت مصر وسا كنها ، وأرباضها (١) ومواطنها ، ركبت سفينة عَدَوْليّة (٢) إلى الثّغور الفرنجيّة ، فَحرَتْ فى خِضَمّ (٣) عجّاج ، ملتطم الأمواج ، لهدَوىٌ من جرجرة (٤) الآذىّ (٥) أخضر الجلد ، كأنه إفْرند (٦) تصطخبُ (٧) فيه النِّيمانُ (٨) وتجرى فى جوْفه الدّعاميصُ (٩) والحيتان ، اذا مازحه الأصيلُ (١٠) بالعشىّ ، خِلْتَهُ كسِّرت (١١) عليه الحلىّ ، أو مُزِج بالرّحيق (١٢) القُطْربُّلى (١٣) وإن لاحت به نجومُ السّماء ، خلتهُ صفائح من فضّة بيضاء ، سُمِّرت بمسامير صغار من نضار (١٤) وأخذت السفينةُ شِقّ عُبابه (١٥) وتقلّق حبابه (١٦) بين ريح رُخاء (١٧) وزعزع (١٨) هَوْجاء (١٩) وهى تارةً فى طرامى مُعبّد (٢٠) ورَميثٍ (٢١) مُسرَّد (٢٢) وطوراً فوْقَ حَزْن (٢٣) ووِرْدَد (٢٤) أو على صَرْح (٢٥) مُمَرَّد (٢٦) — وكان معنا فى الفلك ، رَهط من العرَب والتُّرْك ، فكنّا نوارد معهم فى جوائب (٢٧) الأخبار وطُرف (٢٨) الأحاديث والأسمار (٢٩) ما يُزرى (٣٠) بالمنهل العَذْب ، واللؤلؤ الرّطب ، الى أن يميل ميزان النّهار ، وتغرُب ذُكاء (٣١) فى البحار ، ويُمسى الكونُ من السّواد ، فى لَبوس حديد (٣٢) أو لِباسٍ حداد ، وتبْرُق نجومُ السّماء ، فى أكناف

(١) مساكنها (٢) نسبة الى قرية عدولى بالبحرين او نسبه الى صانعها والمقصود انها اصحم سفينة (٣) البحر (٤) الصوت (٥) الموج (٦) جوهر السيف (٧) تختلط اصواتها (٨) جمع نون الحوت (٩) جمع دعموص دودة لها رأسان ترى فى الماء اذا قل (١٠) الوقت بعد العصر حتى تغرب الشمس (١١) ردت ووضعت (١٢) الخمر (١٣) بضم القاف وتسكين الطاء وضم الراء وتشديد الباء الخمر المنسوب الى قطربل قرية بين بغداد وعكبرا مشهورة بالخمر (١٤) الذهب (١٥) بضم العين الموج (١٦) بفتح الحاء مايعلو الماء (١٧) بضم الراء الريح اللينه (١٨) بفتح الزاءين الريح الشديدة (١٩) بفتح الهاء الريح القوية تقلع الاشجار والبيوت (٢٠) مذلل ومسهل (٢١) جمع ميثاء الارض السهلة (٢٢) منتظم لاصعوبة فيه (٢٣) الارض الصعبة (٢٤) الارض المرتفعة الغليظة (٢٥) القصر (٢٦) مرد البناء ملسه حتى صار ناعما (٢٧) الاخبار الطارئة (٢٨) المحاسن (٢٩) الاحاديث واصله لاحاديث الليل (٣٠) يعيب ويحقر (٣١) بضم الذال مجموعة من الصرف اسم للشمس (٣٢) بفتح اللام الدرع

الظَّلماء ، كأنَّها سِكاك (١) دِلاص (٢) أو فلكُ رَصاص ، أو عيون جراد ، أو جمرٌ في خلال رَماد ، أو دُرٌّ في بحر ، أو ثنبٌ في قمّة الدَّيْجور (٣) يلوحُ منها النور ويبدو الهلال كأنه خَمْجرٌ من ضياء ، يشقُّ طيالس الظَّلماء ، أو قلادة ، أو دُملج (٤) غادةٍ (٥) أو سِنانُ (٦) لواه الصرّاب ، أو الليل فيلٌ وهو ناب ، فاتخذ مجلساً نسْمه (٧) الكافور وأرْضُهُ عنبر مدور (٨) رُقِمتْ فيه رَرَاىٌّ منْمنماتٌ (٩) ومنابذ (١٠) وحسانات (١١) وأنماطٌ (١٢) ممروسة ، وبُسُطٌ منقوشة

بُسُطٌ أجادَ الرَّسمَ صانعها وَرها عليه النقشُ والشَّكلُ
فيكاد يُقطَفُ من أرْهارها وَيكاد يسقطُ فوْقها الظِّلُّ

وحولهُ شموع نَرْهر ، وأصواء تبهر (١٣) وقد دارت عليه سُقاةٌ (١٤) كجُمّاع (١٥) الثّريا (١٦) بأقداح الحُمَيّا (١٧) وأكواب (١٨) الفانيذ (١٩) المرَوَّق وفوارير (٢٠) الجُلاب (٢١) المصفّق (٢٢) ثمّ تجيء فيْنةٌ (٢٣) في يدها نايٌ كأنه صُور اسرافيل يحيي الرُّفات (٢٤) ويُشِرُ (٢٥) الأموات . حتى إذا بدَا الصِّياءُ كابتسام الشفة اللّمياء (٢٦) دخلنا المضْجَع لنهجع ، وهلُمَّ حرًّا (٢٧) في أيّامنا الأخرى

---

(١) جمع سك المسمار (٢) بكسر الدال الذى يبرق ويلمع (٣) الظلام (٤) بكسر الدال وزن درهم او بضمها مع ضم اللام حلى للنساء يلبسنه فى ايديهن (٥) المرأة الناعمة لينة الاعطاف (٦) حديدة الرمح (٧) نسيمه (٨) منشورا (٩) منشورات (١٠) جمع منبذورة مكعبة الوساده التى يتكأ أو ينام عليها (١١) جمع حسانة الوسادة الصغيرة التى يتكأ عليها أيضا (١٢) جمع نمط ثوب من صوف يطرح على الهودج ذو لون من الالوان (١٣) تزهر وتنهر كلاهما بمعنى تضئ وباهما منع (١٤) جمع ساق (١٥) بالضم ماجمع وانضم بعضه الى بعض ومراده العلمان (١٦) سبعة كواكب منضمة بعضها الى بعض (١٧) الخمر والمراد الشراب (١٨) جمع كوب الكوز المستدير الرأس لاعروة له اولا خرطوم (١٩) نوع من الحلوى فارسى معرب بانيذ (٢٠) جمع قارورة مايوضع فيها الشراب من الزجاج (٢١) ماء الورد فارسى معرب (٢٢) المروق الصافى (٢٣) المغنية (٢٤) الحطام البالى والمراد الاموات (٢٥) يحييها (٢٦) فيها لمى وهو سواد الشفة (٢٧) دعاء باتصال الامر واستدامته

﴿ وكتبت السيدة وردة اليازجية الى السيدة عائشة تيمور المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ ﴾

سيدتى ومولاتى — أعرض أننى بينما أنا ألهج بذكر ألطافكم السنية، وأتنسم شذا أنفاسكم العبقرية، وأترقب لقاء أثر من لدنكم يتعلل به الخاطر، ويكتحل بإثمد مداده الناظر وصلتنى مكاتبتكم فجلت عن العين أقذاءها وردت إلى النفس صفاءها، فتناولتها بالقلب لا بالبنان، وتصفحت ما فى طيها من سحر البيان — فقلت

هذا الكتابُ الذى هامَ الفؤاد به ياليتنى قلمٌ فى كفِّ كاتبه

ولعمرى انه كتاب حوى بدائع المنثور والمنظوم، وتحلى من درر الفصاحة فأخجلت لديه دراری النجوم، وقد تطفلتُ على مقامكم العالى بهذا الجواب ناطقاً بتقصيرى وضمنتهُ من مدح سحاياكم الغرّاء، وما يشفع لدى مكارمكم فى قبول معاذيرى، لا زلتم للفضل معدناً وذُخراً وللأدب كنزاً وفخراً

﴿ وكتبت السيدة عائشة تيمور إلى السيدة وردة اليازجية المتوفاة سنة ١٣١٣ هـ ﴾

استهلَّ براعةَ سلامٍ حَمَلَ الشوقُ رسالتَه، وتقلّدَ الشفقُ مانسقتْ ناشقةُ عَرْفِ الوداد كفالتَه، ولو رَضيتُ المجال، فى صدْفِ المقال، لَنطقَ بخالص الوَفاء مِدادُ حروفه وأقام بأداء التحيّة العاطرة قبلَ فضّ ختام مظروفه، ولعمرى قد توجّته أزهارُ الثناء بلآلىء غرّاء، كللّتهُ زواهر الوَفاء من خالص الوِدّاد إلى حصرة من لا تزالُ تستروح الأسماعُ بنسيم أنبائها صباح مساء — وتتشوّفُ الأرواح إلى استطلاع بدرِ إنسانها الكامل أطرافاً وآناء — ومما زادنى شوقاً إلى شوْق، حتى لقد شبَّ فيه طفل الشفق عن الطوْق اجتلائى حديقة « الورْد » القدْسيّة، ونافجة الأدب المسكيّة، فيالها من حديقة رمتها أحداقُ الأذهان فاقتبست نوراً ونوراً، وأنتشقتْها مَسامُّ الآذان فشملت طرباً وسروراً، ومُنذ سرّحتُ فى أرجاء تلك اليانعة إنسان العيون، وشرحت بأفكار البصيرة أسرار ذلك الدُّرّ المَصون، لم أزل بين طرَب أتوشّح بوشاحه، وأتعجّبُ من حسن اختتامه

وافتتاحه، وجعلتُ أغازل من نرجس تلك الروضة عيوناً ملكتْ منّي الحواس، وهصرت من غصون ألفاظها كلّ ممشوق أهيف ميّاس، وأتأدّبُ في حصرة وردها خوفاً من سَوكة سلطانها، وأن حياتي بجميل الالتفات ضاحكةٌ عن نفيس جمانه، وإذا الياسمين الغضّ قد ألقى نفسه على الثرى، ونادى بلسان الأفصاح هل لهذه النضرة نظير تيانري فأشار المنشور بكفّه الخضيب أن لا نظيرَ لتلك الغادة، ونطقَ الزنبقُ بلسان البيان لا تكتموا الشهادة، فعند ذلك صفّق الطيرُ بأكفّ الأجنحة وبشّر، وجرى الماء لإذاعة نبأ السرور فعثرَ بذيل النسيم وتكسّرَ، وتمايلتْ أغصانها المورقةُ لسماع هذا الحديث وأخذتْ نسماتُها العاطرة في السير الحثيث، إذاعةً لتلك البشائر في العشائر، ونشراً لهذه الفضائل التي سارتْ مسير المثل السائر، فقلتُ بلسان الصادق الأمين، بعد تحقّق هذا النبأ اليقين، هكذا هكذا تكون الحديقة والاّ فلا وكذلك لكذلك لتكتب الفضائل وتملى

وحدّثني يا سعدُ عنهم فزدتني غراماً فزدني من حديثك يا سعدُ

فتحمّلْ عنّي أيّها الصدّيقُ تحيّةً إلى ربّة هاتيك الحديقة، واشرح لديها حديث شغفي بفضلها الباهر على الحقيقة، وأعتذرُ عن كتابي هذا فقد جاء يمشي على استحياء وكلّما حرّكه الشوقُ يبطئه الحياء، وكيف وقد حلّ في منبع الفضائل، والمقام الذي لم يدَعْ مقالاً لقائل، فكأني انما أهدي الثمر إلى هجر، وأمنحُ البحرَ الخضمّ بالمطر، أدام الله معالي تلك الحضرة، وزادها في كل حال بهجة ونضرة، مالاح جبينُ هلال، وبلغ غاية الكمال

« وكتب السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ »

أستاذي وقدوتي، وملاذي وعمدتي — ربّيتَ فأحسنتَ، وغذّيت فأسمنتَ مؤدّباً ليثاً، ولنت فسوّدتَ، وجدتَ فعوّدتَ، مهذّباً غيثاً، وعلّمت فأفهمت، وأسرت فألهمت غرض سهمك، وقد نلتَ ما أمّلتَ، فيمنْ عليه عوّلت، بحسن فهمك غلامك الشهير بالنديم مَنْ صارَ في البيان كالنسيم

وكيف لا يكونُ لسانى قوسَ البديع ، وكلامى السّهم السّريع ، وأنتَ باريه ورَاميه ، أم كيف لا يكون مقامى الحِصنُ المَنيع ، وقَدْرى العزيز الرّفيعُ ، وأنت مُعليه وبانيه ، فوجهُ جمالُ العلم أنتَ غرّته ، وإنسانُ عينِ العلمِ أنتَ قُرّته ، وحاليه وحاليه ، وجبينُ العقل أنت طُرّته ، وكتابُ الفَضْل أنت صُورته ، وطاليه وتاليه

على بابك العالى من الفضْل رايةٌ ... على رأس أرباب المعارفِ تخفُقُ
فعلمك حنّاتٌ وحلمك جُنّةٌ ... وكُلْك خيراتٌ وغَيثُك مُغدِقُ
أرَى غصن من يدْعُو إلى الفضل نفسه ... مِنَ الفضْل عِرْياناً وغُصْنك مُورِقُ
اذا رمّت إنشاءً فعَنْ صِدْقِ فِكْرة ... تهادى بأبكارٍ وغيرك يسرِقُ

« وكتب أيضاً فى التّوَدُّد »

بينما أنا راكبٌ لُجّة بحر الفِكر ، مُحِدٌّ فى طلب فريدةٍ بكر ، تارةً أغوصُ ومرّةً أسبَحُ وآونةً أقفُ وطَوْراً أصفَحُ ، لايقرُّ لى قرار ، ولا يُمكننى الفرار ، ولا يقْصر عن طَرْح شِباكى ذراعٌ . ولا يُطوَى لسعينى شِراع ، كلّما أدركنى المَلل هاجت على رياحُ الأمل ، حتى دخلتْ فى بحر عَجّاج ، مُتلاطم الأمواج ، فاقتحمت هذا المركَبَ الصّعب وتُهتُ بين الجزائر والشّعب ، فتعلّقتْ أفكارى بالسّوارى والجبال ، وبتّ بليلة نجومُها كواحل ، لا يُرَى فيها بَرّ ولاسوَاحل ، وقلتُ استبدادُ الأمر يستدعى ضدّه ، ولا يأتى الفرَجُ إلا بعد الشدّة — وعينيك ما سلّ سيفها على مَفرَق مَساهَا ، حتى سمعت باسم الله مُجراها ومُرساها ، فكان من تمام حظّى وسعودى ، ان تركتْ لجّة اليمّ واستوتْ على الجودى ، وانصرف خوفى وارتباكى وبادرتُ بطرْح شِباكى ، فاذا هى قد ملئت بأصداف الجوْهر ، وعلقت بها شَجَرَة العنبر ، فتفتّح الصّدف عن دُرٍّ يستخدمُ الأفمار ، وفاح العنبرُ بما أذهب سَنَى الأزهار

وصرت ما بينها كسرى الزمان له شمس تُنادمهُ فى مجلس عطر
ونلت أقصى أمانى كنت آملها الأُنس فى خلدى والنور فى نظرى

ولما جلوتُ الطَّرْف بما فيها من الظَّرْف، ووقعت عندى الموْقع الحسن، أردت أن أسومها بثَمَن، فاذا هى دُرَّة يتيمة، لا يقدِر لها أحدٌ على قيمة، فاستهديتها من ربِّها، لشغفى بحبّها، وجعلتُ القلبَ لها كنزاً، والفؤادَ لها حِرْزاً، ألاوهى محنَّة العزيز الحافظ أبدع مرثىّ وأبلغ لافظ

« وكتب ابراهيم بك المويلحى المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ يعزِّى محمود باشا البارودى »

أنت بافوق أن تعزّى عن الأحبا ب فوق الذى يعزّيك عفلا
وبألفاظك أهتدى فاذا عزا ك قال الذى له قُلت قبلا
وفضلت الزَّمان علماً فما يغ رب قولاً ولا يُجدّد فعلا

نعَم إنك يا « محمود » الخصال و « سامى » الفعَال، لأنْتَ الشهم المُجرِّب لصُرُوف الحدثان، والعالم الخبيرُ بأحوال الزَّمان، قد أعْدَدْتَ لنوَازل المقدُور نزُلاً من الصَّبر المأْجور، وصرفت ضيف الشُّجُون والهموم، إلى قُرَى الفضائل والعلوم وأخذت بسُنه السَّلف الصالح، فى مُقابلة الخطوب الفوَادح، وأنت لاتشك عندنا آخذ فيما دهمك اليوم من المُصاب العظيم، بسيرة ذاك الفيلسوف الحكيم - بين هو جالسٌ يوماً فى الدّرس بين تلاميذه إذ جاءه من أخبرَه بأنّ ابنه الوَحيد مات وهو رَطْب الشباب غضّ العُمر، فلم يتولَّه الفزَع، ولم يظهر عليه الاضطرابُ، ولم يَبدُ على وجهه الكدَر، وما زاد على أن استرجع واستمرّ فى قراءة درسه كما كان فلمّا انتهى منه بادره أحد الحاضرين من أصحابه ممَّن حيّرتهم الدّهشة فى أمره، يسأله كيف لم يسلمه الحُزنُ ثوب الشَّات بُرهةً عند مُفاجأته بالخبر فقال له « لو فاجأتنى النَّازلةُ على غِرَّة منّى

لجزعْتُ وحزنت ، ولكنّى ما زلتُ أُقدّرُ لابنى مُندُ يومِ ولادتِه حُلول أجله فى كلّ يوم من أيام حياته ،ولمثلِ هذا اليوم كنتُ أعدّه من زمانٍ طويلٍ ،وكان كلما مضى عام من أعوامه اعتبرْتهُ خُلسة اختلَسْتها من الدّهر ،حتى مضى على هـذه العارية عشْرُون عاماً ، فشُكرى للهِ اليوْمَ على أن أبقاها فى يدى طُولَ هذه المدّة ،يوم مقام الحُزْن عندَ غيرى لدى استردادها » وعن النّبى صلى الله عليه وسلم « اذا ماتَ ولدُ العبد قال الله تعالى للملائكة أقبَضْتُم ولدَ عبدى فيقولون نعم فيقول أقبضتُم ثمرَة قلبه فيقولون نَعم فيقولُ الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدَك واسترجع فيقول الله تعالى ابنُوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسمُّوه بيت الحمد » وأنت يا محمود — صلواتُ الله عليك ورحمتهُ لقوله تعالى « ولنبلوّنكم بشىء من الخوْف والجوع ونقص من الأموَال والأنفس والثّمرَات وبشّر الصّابرين الذين اذا أصابتهم مُصيبةٌ قالوا إنّا لله وإنّا اليهِ رَاجعون . أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم وَرحمةٌ وأولئك هُمُ المهتدُون » — أوّل مَنْ يمتثل لحكم القضاء ويَسترْجعُ عندَ نزول البلاء، ويعملُ بأدب الدين فى التّجلّد والصّبر ، ويأخذُ بسيرة الحكماء فى التدبر والتبصّر

ومن كان ذا نفس كنفسك حُرّة ففيه لها مُعن وفيها له مُسل

﴿ الكلام على الرسالات العلمية ﴾

الرّسالات العلمية هى مقالاتٌ فى المطالب العلمية أو المسائل الأدبية وانّما سمّيت بالرّسالات لأن أصحابَها يُرْسلونها إلى مَن اقترحها عليهم ويسلك فيها صاحبها مناهج الاسترسال والمخاطبات البليغة وقد أفردنا لها كتابنا « أسلوب الحكيم فى منهج الأنشاء القويم » فارجع اليه إن شئت

﴿ الفن الثانى فى المناظرات ﴾

للمناظرة ثلاثة شروط (الأول) أن يُجمَع بين خَصمين متضادَّين أو متباينين فى صفاتهما بحيث تظهر خواصُّهما بالمقابلة كالرَّبيع ، والخريف ، والصيف والشتاء (والثانى) أن يأتى كلٌّ من الخصمين فى نُصرته لنفسه وتَفنيد مزاعم قِرْنه بأدلّة من شأنها أن تَرفَع قَدْره وتَحُطّ من مقام الخصم بحيث يميل بالسّامع عنه اليه (والثالث) أن تُصاغ المعانى والمراجعات صوغاً حسناً وتُرَتّبَ على سياق محكم ليزيد بذلك نشاط السّامع وتنمى فيه الرّغبة فى حلّ المشكل

ولنذكر لك عليها شذرات من أقوال الكُتّاب فنقول

﴿ مناظرة النّعمان بن المنذر وكِسرى أنُو شِرْوَان فى شأن العرب ﴾

رَوى بن القُطامى عن الكَلْبى قال : قَدِم النّعمان بن المنذر على كِسرى وعنده وُفود الرُّوم والهند والصّين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم — فافتخر النّعمان بالعرب وفضّلهم على جميع الأمم لا يَستَثْنى فارسَ ولا غيرها : فقال كِسرَى وأخذَتْه عِزّة المُلك يا نعمان ، لقد فكرْتُ فى أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت فى حالة من يَقدِم علىّ من وفُود الأمم — فوجدت للرّوم حظًّا فى اجتماع أُلْفتها وعِظم سُلطانها وكثرة مدائنها وَوَثيق بُنيانها ، وإنّ لها دِيناً يُبيِّن حلالَها وحرامها ويردّ سَفيهها ويقيم جَاهها — ورأيت الهند نحواً من ذلك فى حِكمتها وطِبِّها مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطِيب أشجارها ، ودقيق حِسابها ، وكثرة عدَدها وكذلك الصّين فى اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها وفُروسيتها وهِمّتها فى آلة

الحرب وصناعة الحديد وانّ لها مُلكاً يَجْمَعُها — والترك والخزَرُ على ما بهم من سوء الحال فى المعاش وقلة الرّيف والثمار والحصُون ، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تَضُمّ قواصِيَهم وتُدَبِّر أمرهم — ولم أرَ للعرب شيئاً من خصال الخير فى أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوّة : ومع أن مما يَدُلّ على مهانتها وذلها وصِغَرِ همّتها محلّتهم التى همُّ بها مع الوحوش النّافرة والطير الحائرة يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ،قد خرجوا من مَطاعِم الدُّنيا وملابسها ومَشارِبها ولَهْوها ولذّاتها ، فأفضل طعام ظَفِر به ناعِمهم لحُومُ الابِل التى يَعافها كثير من السِّباع لِثقلها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها — وان قِرى أحدُهم ضيفاً عَدّها مكرُمَةً ، وان أُطعم أكلة عدّها غنيمة تنطِق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم (ما خلا هـذه التّنوخية التى أسّس جَدّى اجتماعَها ، وشدّ مملكتها .ومنعَها من عَدُوّها ،فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا وان لها مع ذلك آثاراً ولبُوساً ، وقُرَى وحصُوناً . وأُموراً تُشبه بعض أمور النّاس يعنى اليمن) ثم لا أراكم تَسكتون على ما بكم من المذِلّة ، والقِلة والفاقة والبُؤس حتى تهتحرُوا وتُريدوا أن تنزلوا فوق مرَاتب الناس — قال النعمان أصلح الله الملك . حَقٌّ لأُمّةِ الملك مِنهـا أنْ يَسمُو فضلها ويَعْظُمَ خطْبها وتعلُو درجتها إلاّ أن عندى جَوَابا فى كل ما نطق به الملك فى غـير ردٍّ عليه ولا تـكذيب له، فان أمِنَنى من غضبه نَطقْتُ به : قال كسرى — قُلْ فأنتَ آمن : قال النعمان : أمّا أُمتك أيها الملك فليست تُنازعُ فى الفضل لموضعها الذى هِىَ به من عقولها وأحلامها وبَسْطة محلّها ، وبحبوحة عزّها ، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك وأمّا الأُمم التي ذكرْتَ فأيّة أُمّة تقرنها بالعَرَب إلاّ فضّلتها : قال كسرى بماذا :

قال النعمان بعزّها ومَنعتها وحُسن وُجوهها ودَسها وسخائها ، وحِكْمة ألسنتها وشدّة عقولها وأنفَتها ووَفائها

فأمّا عِزّها ومَنعتها فانها لم تَزَل مُحَاوِرة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ووطّدُوا المُلك وقادوا الجنْد ، لم يطمع فيهم طامع ولم ينَلْهم نائل حصُونُهم ظهُور خيلهم ومِهادُهم الأرْض ، وسقوفُهم السماء وجُنّتُهم السيوف وعُدّتهم الصّبر — إذْ غَيْرُها من الامم انما عِزُّها الحجارة والطّين وجزائر البحُور

وأما حُسنْ وُجوهها وألْوانها فقد يُعرَف فَضْلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المنْحَرفة ، والصِّين المُنْحَنة ، والتُّرْك المشوّهة ، والرّوم المُقتّرة

وأما أنْسابُها وأحسابُها فليست أُمّة من الأمم الا وقد جَهِلت آباءها وأصُولَها وكثيراً من أوّلها ، حتى ان أحدَهم لَيُسْئل عمن وراء أبيه دُنيا فلا يَدْسُه ولا يَعرفه — وليس أحد من العرَب الا يُسمّى آباءَه أباً فأباً حَاطُوا بذلك أحسَابهُم وحَفِظوا به أنسَابهم فلا يدخل رجل فى غير قومه ولا يَنْتسب إلى غير نسبه ولا يُدعى إلى غير أبيه

وأما سخاؤها فانّ أدْناهُم رَجُلا الذى تكون عنده البَكْرة والنّاب عليها بلاَغهُ فى حَمُوله وشِبَعه وريّه فيَطرُقُه الطارق الذى يكتفى بالفَلْذة ويَجترِى بالشّرْبة فيَعقِرها لهُ ويرْضى أن يَخرُج عن دُنياه كلّها فيما يكسبه حُسن الأحدُوثة وطَيّبَ الذّكر

وأما حِكمة ألسنَتهم فان الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم وَرَوْنق كلاَمهم وحُسنه ووَزْنه وقوافيه مع معرفتهم بالأشياء وضرْبهم للأمْثال وابلاغهم فى الصّفات ما ليس لشىء من ألسنة الاجناس — ثمّ خيلُهم أفضل الخيْل ، ونِساؤهم

أعفّ النّساء ، ولباسُهم أفضل اللّباس ، ومَعادِنُهم الذّهب والفضّة ، وحجارة جبالهم الجزْعُ ، ومَطاياهم التى لا يُبْلغ على مِثْلِها سفَرٌ ولا يُقْطع بمثلها بلدٌ قَفْرٌ

وأمّا دينها وشَرِيعتها فانهم مُتمسكون به حتّى يبلغ أحدُهم من نُسُكه بدينهِ أنّ لهم أشْهُراً حُرُما . وبلَدا مُحرَّما ، وبَيتاً مَحْجُوجا ، ينسكونَ فيه مَناسكَهُم ويذبَحُونَ فيه ذَبائحهم ، فيَلقَى الرَّجُل قاتلَ أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثاره وإدْرَاك رغَمه منهُ فيَحْجُزُهُ كرَمُه ، ويَمنعُهُ دينُه عن تَناوله بأذى

وأمّا وَفاؤها فانّ أحدَهم يلحظ اللّحظةَ ويُومئُ الإيماءَةَ فهى وَلْتٌ (أى عَهدٌ) وعُقدَةٌ لا يحُلها إلا خُرُوج نفسه ، وإنّ أحدَهم يَرفعُ عُوداً من الأرض فيكون رَهناً بدينه ، فلا يَغْلق رهْنه ، ولا تُخفر ذِمّته وانّ أحدَهم ليَبْلُغه أنّ رجلاً استَجارَ به ، وعَسى أنْ يكون نائياً عن دَاره فيُصاب فلا يرْضى ، حتى يُفنِى تلك القبيلة التى أصابَته أوْ تَفنَى قبيلته لما أُخْفِر من جوَاره ، وانه ليلجأ اليهم المجرِم المحْدِث من غير معرفة ولا قرَابة فتكون أنفسهم دُون نفسه وأموالهم دُون ماله

وأمّا قولك أيها الملك يئِدُون أوْلادهم فانما يفعله من يفعَله منهم بالإناث أنفة من العار وغَيرَة من الأزواج

وأما قولك إنّ أفصل طعامهم لُحوم الإبل على ما وَصفْت منها فما تركوا ما دُونها الاّ احتقارا له فعَمدُوا إلى أجلّها وأفضلها ، فكانت مرَاكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البَهائم شُحُوماً وأطيبُها لُحوماً ، وأرَقُّها ألبانا وأقلها غائلة ، وأحلاها مَضغة ، وانه لا شىء من اللّحمان يُعالج ما يُعالج به لحمُها الا استبان فَضلُها عليه

وأما تحارُبُهم وأكل بعْضهم بعضاً وتركهم الإنقياد لِرَجل يسُوسُهم ويَجْمَعُهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الأمم اذا أنِسَت من نفسها ضعفاً

وتخوّفت نهوض عدوّها اليها بالزّحف، وانّه انما يكون فى المملكة العظيمة أهل بيتٍ واحدٍ يُعرَف فضلُهم على سائر غيرهم، فيُلقونَ اليهم أُمورَهم وينقادُونَ لهم بأزمّتهم

وأما العرب فانّ ذلك كثيرٌ فيهم، حتّى لقد حاوَلُوا أن يكُونوا مُلوكا أجمعين مع أنَفَتهم من أداء الخَرَاج والوَطْء (أى الضّرْب الشّديد بالرّجل على الأرْض) والعَسْف

وأما اليمن الّتى وَصفَها الملك، فإنما أتى جدّ الملك اليها الذى أتاه عند غلبة الجيش له على مُلكٍ مُتّسق وأمرٍ مُجتمع، فأتاه مسلوباً طريداً مُستصرخاً، ولَوْلا ما وُتر به من يليه من العرَب لمَال الى محَال، ولَوجَدَ مَنْ يُجيد الطّعان، ويَغْضَب للأحرَار من غَلَبة العَبيد الاشرَار

قال: فعجب كسرَى لمَا أجابه النعمان به، وقال انك لأهلٌ لمَوْضعك من الرّياسة فى أهل إقليمك ثم كساه من كسوته وسرّحه إلى موْضعه من الحيرة

فلمّا قَدِم النعمان الحيرة وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقُّص العرَب وتهجين أمرِهم، بعثَ إلى أكْثم بن صَيفى وحاجب بن زُرارة التّميميّين والى الحارث بن ظالم وقيس بن مسعُود البكريّيْن، وإلى خالد بن جعفر وعَلْقمة ابن عُلاثة، وعامر بن الطُفيل العامريّيْن، والى عَمرو بن التّريد السُلَمى، وعمرو ابن معْديكربَ الزّبيدى، والحارث بن ظالم المُرّىّ - فلما قدِمُوا عليه فى الخَوَرْنَق قال لهم قد عرفتم هذه الأعاجم، وقُرْب جِوَار العرَب منها، وقد سمعتُ من كسرى مقالات تخوّفت أن يكُون لها غورٌ أو يكون انّما أظهرَها لامرٍ أرَاد أنْ يتّخذ به العرَب خَوَلا كبعض طماطِمَته فى تأديتهم الخرَاج اليه كما يفعل بملوك الامم الذينَ حولَهُ — فاقتص عليهم مقالات كسرى وما رَدّ عليه: فقالوا

أيّها الملك وفقك الله ، ما أحسن ما رَدَدْتَ وأبلغ ما حَجَجْتَه ، فمُرْنا بأمرك وأدْعُنا إلى ما شئت

قال انما أنا رَجلٌ منكم ، وانما مَلكْتُ وعزَزْتُ بمكانكم وما يُتخوّف من ناحيتكم ، وليس شيء أحبَّ إليَّ مما سدَّد الله به أمركم ، واصلح به شأنكم ،وأدام به عِزّكم — والرَّأى أن تسيرُوا بجماعتكم أيّها الرَّهْطُ وتنطلقوا إلى كسرى — فاذا دخلتم نطق كلُّ رجل منكم بما حضره، ليعلم أن العرَب على غير ما ظنَّ ، أو حدّثته نفسُه ، ولا يَنطق رَجل منكم بما يُغْضبُه ، فإنه ملك عظيم السلطان ، كثير الأعوان مُتْرَف مُعْجب بنفسه ، ولا تتخذلوا له انخذال الخاضع الذّليل ، ولْيكن أمرٌ بين ذلك تظهر به دَماثةُ حُلُومكم وَفضل منزلتكم وعظيم أخطاركم ، وليكن أوّل من يبدأ منكم بالكلام أكْثم بن صَيفي ، ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التى وَضعتْكم بها ، فانما دعانى إلى التّقدمة اليكم عِلْمى بميل كلّ رجل منكم الى التقدُّم قبْل صاحبه ، فلا يكوننّ ذلك منكم فيَجِدَ فى آدابكم مَطْعناً ، فانه ملِكٌ مُترَف وَقادر مُسلّط ، ثم دعا لهم بما فى خزائنه من طرائف حُلَل الملوك وأعطى كل رجل منهم حُلَّة وعَمَّمه عِمامة وَختّمه بياقوتة ، وأمر لكل رَجل منهم بنَجيبة مُهْريّة وَفرس نجيبة ـ وكتب معهم كتاباً

أما بعد ـ فان الملك ألقى إلىَّ من أمر العرَب ما قد علم ، وَأجبْتُه بما قد فهم، مما أحْبَبْتُ أن يكون منهُ على عِلْم وَلا يَتلَجْلَج فى نفسه ، أنّ أمّة من الأمم التى احتجزت دُونه بمملكتها وَحمت ما يليها بفضل قُوّتها، تبلغُها من الأمور التى يتعزَّزُ بها ذَوُو الحزْم والقُوّة والتّدْبير والمكيدة — وقدْ أوفَدْت أيُّها الملك رَهطاً من العرب لهم فضل فى أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ، فلْيسمع الملك وليُغمض

لاعن جفاء ان ظهر من منطقهم ، وليكرمني باكرامهسم ، وتعجيل سراحهم ، وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا الى عشائرهم ، فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن فدفعوا اليه كتاب النعمان ، فقرأه وأمر بانزالهم الى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم — فلما أن كان بعد ذلك بأيام أمر مرازبته ووجوه اهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه، وأقام الترجمان ليؤدي إليه كلامهم ، ثم أذن لهم في الكلام

فقام أكثم بن صيفي فقال ،إنّ أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها وأفضل الملوك أعمّها نفعاً ، وخيرُ الأزمنة أخصبُها ، وأفضل الخطباء أصدقها الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب، والعجز مركب وطيء — آفةُ الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الامور الصبر حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ، إصلاح فساد الرعية خيرٌ من إصلاح فساد الراعي ، مَنْ فسدت بطانته كان كالغاصّ بالماء

شرُّ البلاد بلاد لا أمير بها ، شرُّ الملوك من خافه البريء ، المرء يعجز لا محالة أفضل الأولاد البررة ، خيرُ الأعوان من لم يُرَاء بالنصيحة ، أحقّ الجنود بالنصر من حسنت سريرته ، يكفيكَ من الزاد ما بلّغك المحلّ ، حسبكَ من شرٍّ سماعه الصمتُ حكم وقليلٌ فاعله ، البلاغة الإيجاز ، مَنْ شدّد نفّر ، ومن تراخى تألّف فتعجّب كسرى من أكثم — ثم قال : ويحك يا أكثم ما أحكمك وأوثق كلامك لولا وضعك كلامك في غير موضعه، قال أكثم : الصدق ينبيء عنك لا الوعيد،قال كسرى ، لو لم يكن للعرب غيرك لكفى ، قال أكثم : ربَّ قولٍ أنفذ من صول

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي وقال : ورى زندك ، وعلت يدك ، وهيب

سُلطانُكَ — انَّ العرب أمَّة قد غَلَظَتْ أكبادُها واستحْصَدَتْ مرّتُها، ومُنِعَت درّتها، وَهى لك وامقةٌ ما تألَّفْتَها، مُسترْسِلةٌ ما لاَ يفْتها، سامعة ما سامَحتها، وهى العَلْقمْ مَرارَة، وهى الصّابُ غضَاضة، والعسل حلاوة والماء الزُّلال سَلاَسَة، نحنُ وفودُها اليك، وألْسِنتها لديك، ذِمَّتنا محفوظة وأحسابُنا ممنوعة، وعَشائرنا فينا سامعة مُطيعة، إن نوُّب لكَ حامِدين خيراً فَلك بذلك عُموم محْمدَتنا، وإن نَدُمَّ لم نُخَصَّ بالذَّمّ دُونها — قال كسرى ياحاجب، ما أشبهَ حجَر التِّلاَل بألوَان صَخرها — قال حاجب: بل زَئير الأُسدْ بصَوْلتها — قال كسرى ذلك

ثم قام الحارث البكرى فقال: دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظِّها وعُلوّ سَنائها — من طال رشاؤه كثُرَ متحُه ومن ذهبَ مالهُ قَلّ مَنْحه، نَناقُل الأَفاويل يُعرِّفِ اللُّبَّ، وهذا مقام سَيُوجف بما تَنْطق به الرَّكْب، وتعْرف به كُنْه حالِنا العَجَم والعرَب ونحن جيرانُك الأدْنَوْن وأعْوَانُك المُعِينُون، خَيْولُنا جمّة وحُيولُنا فَحمة، إن استَمْجَدْتَنا فغيْر رُبض وإن استَطرَفْتنا فَغيْر جهض، وإن طلبتنا فغير غمض، لا ننْثَنى لدُعر ولا نتَنكَّر لدَهر، رِماحُنا طِوَال وأعْمارنا قصار — قال كسرى أنفُسٌ عزيرة وأمّةٌ ضعيفة، قال الحارث أيها الملك: وأنَى يكون لضعيف عزّة أو لصغير مِرَّة، قال كِسرى: لو قصُرَ عُمرُك لم تَستوْل على لِسانك نفسك قال الحارث أيُّها الملك، إن الفارس إذا حمل نَفْسَه على الكَنيبة مُغرِّراً بنفسه على الموت فهى مَنيَّة استَقْبلها وجَنانٌ استَدْبرها — والعرَب تعْلم أنِّى أبْعث الحرب قُدُماً وأحبِسها وهى تَصرّفُ بها حتى إذا جاشَتْ نارُها وسَعَرَتْ لَظاها وكشفَتْ عن ساقِها جعَلْتُ مَقادَها رُمْحى وبَرْقَها سَيْفى وَرعْدَها زئيرى، ولم أقصِّر عن خوْض خَضْخاضها حتى أنْغمسَ فى غمرَات لُجِجها، وأكون فُلكاً

لِفرْسانى إلى بُحبُوحة كبْشها فأستَمْطِرُها دَما وأترُك حماتها جَزر السِّباع ، وكل نسرٍ قَشْعمٍ ، ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أكذلك هُو قالوا فعالهُ أنطَق من لسانه ، قال كسرى : ما رأيتُ كاليوم وفداً أحشد ، ولا شُهوداً أوْفَد

ثم قامَ عمر بن الشَّريد السُّلَمى فقال : أيها الملك نعُم بالكُ ، ودَامَ فى السُّرُور حالك ، إنَّ عاقبة الكلام متدَبَّرة ، وأشكال الأُمور مُعتبرة ، وفى كثير ثِقْلة ، وفى قليل بُلْغة ، وفى الملوك سَوْرَة العزِّ ، وهذا منطقٌ لهُ ما بَعدَه ـ شرُف فيه من شرُف وخَمَل فيه من خَمَل ، لمْ نأت لضيْمك ولم نفد لِسُخطك ولم نتعرَّض لِرفدِك ، انَّ فى أموالنا مُنتقَدا ، وعلى عزّنا مُعتَمدا ، إن أوْرَينا نارا أثْقَبنا وإن أود دهرٌ بنا اعتدَلنا ، إلاَّ أنَّا مع هذا لجوارك حافظُون ، ولمَن رَامَكَ كافِحُون ، حتى يحمَدَ الصَّدْرُ ويستطاب الخبر ، قال كسرى : ما يقوم قصدُ منْطِقك بإفراطك ولا مدْحك بذمِّك ، قال عَمرو كفى بقليل قصْدِى هادِيا وبأيسَر إفرَاطى مُخبِرا

ولم يُلمْ من غرَبت نفسهُ عمَّا يَعلَم وَرضى من القصد بما بلغ ، قال كسرى : ما كلُّ ما يَعرف المرء يَنْطق به — اجلس

ثم قامَ خالد بن جعفر الكلابى فقال : أحضرَ الله الملك إسعاداً وأرْشده إرشاداً ، إنَّ لكلِّ مَنطق فرْصة ، ولكلِّ حاجة غصة ، وعىُّ المنْطق أشدّ من عىّ السكوت وعِثار القوْل أنكأ من عِثار الوعْث ، وما فرصة المنطق عندنا إلاَّ بما نَهوى وغُصةُ المَنطق بما لا نهوَى غيرُ مُستساغة ، وتَركى ما أعْلم من نفسى ويُعلَمُ منْ سَمعى أنَّنى لهُ مُطيق أحبُّ إلىَّ من تكلفى ما أتَخوَّف ويُتَخوّف منى ، وقد أوْفَدَنا اليك مَلِكُنا النُّعمان وهو لك مِن خير الأعوَان ، ونَعْم حامل المَعرُوف والأحسان ، أنفُسنا بالطاعة لك باخعةٌ ورقابنا بالنَّصيحة خاضِعة ، وأيدِينا لك بالوفاء

رهينة ، قال كسرى : نَطَقتَ بعقل ، وسَمَرْت بفضل ، وعلوْت بنُبل

ثم قام علقمة بن عُلاثة العامرى فقال، نَهجَتْ لكَ سُبل الرشاد وخضعتْ لك رقاب العباد ، إنَّ للأقاويل مناهج ،وللآراء موالج ، وللعويص مَخارج وخير القولِ أصدقه ، وأفضل الطَّلب أنجحهُ — إنَّا وإن كانت المحبَّة أحضرتنا والوفادة قرَّبتنا فليس من حضرك منَّا بأفضل ممَّن عزَب عنك ، بل لوْ قِستَ كلَّ رجل منهم وعلمتَ منهم ما علمنا لوَجدْت له فى آبائهِ دنيا أنداداً وأكفاء ، كلّهم إلى الفضل منسوب وبالشرَف والسُّؤدَد موصوف وبالرأى الفاضل والأدب النَّافذ معروف ، يَحمَى حِماه ، ويُروى نداماه ، ويذود أعداه ،لا تخْمدْ ناره ولا يَحتَرِزُ منه جارهُ — انها الملك ، من يَبلُ العرَب يَعرف فَضلهم ، فاصطنع العرب فانها الجبال الرَّواسى عزًّا والبحور الزّواخر طمياوالنجوم الزَّواهر شُرفا ، والحصى عددا ،فانَّ تعرِف لهم فضلهم يُعزّوك وان تستصرخهُم لا يَخذلوك — قال كسرى : وخشِى أن يأتىَ منهُ كلام يَحْملهُ على السُّخْط عليه، حسبُك أبْلغت وأحسَنت

ثم قام قيس بن مسعود الشَّيْبانى فقال : أطابَ الله بك المراشد وجنَّبك المَصائب ووفَّاك مكروه الشدائد ، ما أحقَّنا اذا أتَيناك بأسماعك مالا يُحنِق صدْرك ولا يَزْرع لنا حِقداً فى قلبك ، لم نَقدَم أيُّها الملك لمُساماة ولم ننتسب لمُعاداة ولكن لتعلم أنت ورعيَّتك ومن حصرك من وُفود الأمم ، أنَّا فى المنْطِق غيْرُ مُحْجمين وفى النَّاس غير مُقصّرين ، ان جُورينا فغير مسبُوقين وان سومِينا فغير مغلوبين قال كسرى : غيْرَ أنكم إذا عاهَدْتُم غيرُ وَافِين وهو يُعرِّض به فى تركه الوَفاء بضَمانهِ السوَاد — قال قيس ، أيها الملك ما كُنتُ فى ذلك إلاَّ كوافٍ غدِرَ به أو كخافرٍ أُخفِر بذمَّتِه — قال كسرى : ما يكون لضَعيف ضَمان ولا لذليل خِفارة

قال قيس : أيها الملك ، ما أنا فيما أُخفِر من ذمّتى أحقُّ بالزامى العارَ منك فيما فُتِل من رَعيّتك وأنتهك من حُرمتك ، قال كسرى : ذلك لِأنّ من ائتمنَ الخونة واستنجد الأئمة نالَهُ من الخطأ ما نالَنى وليس كلّ الناس سواء — كيف رأيت حاجبَ ابن زُرارة لِمَ يُحكم قُواه فيبرِم ، ويعهد فيوفى ، ويَعِدُ فينجز — قال وما أحقّه بذلك وما رأيته إلاّ لى ، قال كسرى : القومُ بُرْلٌ فأفضلُها أشدُّها

ثم قام عامر بن الطفيل العامرىّ فقال : كَثُرَ فنون المَنطِق وليس الفول أعمى من حِندِس الظلماء ، وانّما الفخرُ فى الفِعال والعجز فى النجدةِ : والسؤدَد مُطاوَعةُ القُدرة ، وما أعلمك بقدرنا وأبصرك بفضلنا وبالحرَا أن أدالت الأيام وثابتِ الأحلام ان تُحدِث لنا أُمورا لها أعلام — قال كسرى · وماتلك الأعلام قال مُجتمع الأحياء من رَبيعة ومُضَر على أمر يُذكر — قال كسرى ، وما الأمرُ الذى يُذكر ، قال عامر : مالى علم بأكثر مما خبّرنى به مخبِّر ، قال كسرى : مَتى تكاهنْت يا ابن الطفيل . قال لستُ بكاهن ولكنّى بالرُمح طاعِن . قال كسرى فان أتاك آت من جهة عينك العَوْراء ما أنتَ صانع . قال ما هَيْبَتى فى قفاى بدُون هَيبتى فى وَجهى . وما أذهب عينى عَيثٌ ولكن مُطاوَعةُ العَيث

ثم قام عمرو بن معد يكرب الزُّبيدى فقال : انما المَرء بأصغريه قلبه ولسانه فبلاغ المَنطق الصوَاب وملاك النجْدة الارْتياد . وعفو الرأى خيرٌ من استِكراه الفِكرَة وتوْقيف الخِبرَة خيرٌ من اعتساف الحيرة فاجْتبذ طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادِرَتنا بحلمك ، وألنْ لنا كنفك يَسْلَس لك قِيادنا . فإنّا أناس لم يُوقّس صفاتنا قِراعُ منا قير مَنْ أرادَ لنا قضماً ، ولكن منعنا حمانا مِن كلّ مَن رامَ لنا هضما

ثم قام الحارث بن ظالم المُرِّى فقال . انَّ من آفة المنْطِق الكذب ومِن لُؤم الأخلاق الملَق ومَن خطَل الرَّأى خِفَّة المَلِك المسَلَّط . فان أعلمناك أنَّ مُواجَهتنَا لكَ عن ائتلاف وانقيادنا لك عن تَصاف مما أنتَ لِقبول ذلِك مِنا بِخَليق ولا للاعتماد عليه بحَقيق . ولكن الوَفاء بالعُهُود وإحكام ولْث العقُود والأمرُ بَيننَا وبَينكَ مُعتدِل ما لم يأتِ من قِبلك مَيل أوْ زَلَل — قال كسرى . من أنتَ قال الحارث بن ظالم . قال انَّ فى أسماء آبائك لَدليلاً على قِلّة وَفائك . وان تكون أوْلى بالغدر وأقرب من الوِزر قال الحارث ان فى الحقّ مَغضبة والسرّ التغافل ولن يستوجب أحدٌ الحلم إلاَّ مع القُدْرَة . فَلتُشْبِه أفْعالُكْ مَجْلِسَك . قال كسرى . هذا فتى القوم — ثم قال كسرى قد فَهِمْتُ ما نَطَقتْ به خُطباؤكم ، وَتفَنَّن فيه متكلِّمُوكم وَلولا أنِّى أعلم أنَّ الأدَب لم يُثقِّف أودَكم ولم يحكم أمركم وأنّه ليس لكم ملك يجمَعكم فتنْطقون عنده مَنطق الرَّعية الخاضعة الباخعة فَنطَقتُمْ بما استولى على ألْسِنتكم وغلب على طباعكم ، لم أجز لكم كثيراً مما تكلَّمتم به ، وإنّى لأكرهُ أن أجَبّه وفُودى أو أحنق صُدُورهم ، والذى أحبّ من إصلاح مُدبّركم وتألُّف شواذّكم والإعذار إلى الله فيما بينى وبَينكم . وَقد قبلتُ ما كان فى مَنطقكم من صَواب وَصفحت عما كان فيه من خَلل ، فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا مُوازرته والتزموا طاعته وَارْدَعوا سُفهاءكم وأقيموا أودَهم . وأحسنوا أدَبهم فإن فى ذلك صلاح العامة

***

رُوى عن الكلبى أنه قال . كان كسرى يحفل بالعرب ويستأنِسُ بمُشاهدتهم ويرغب فى سماع محادثاتهم ومُفاخراتهم ومُنافرَاتهم . ولم يَدَّخر وُسعاً إلا بذَله للحصول على ذلك (ومما اتَّفق له) أنَّ النُّعمان بن المنذر كان بمجلسه يوماً . فقال له

هل فى العرب من قبيلة تَشرُف على قبيلة . قال نعم . قال فبأىّ شىء . قال من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء واتّصل ذلك بمَزِيَّة رَابعة فبيته أشرف بيت واليه تنسب القبيلةُ وبه تعلو على غيرها . قال أحضر مَنْ هذه صِفتهم فطلبهم النُّعمان فلم يُصبهم إلا فى آل حُذَيفة بن بدر وآل ذى الجدَّين وآل الأشعث بن قيس بن كِنْدة فأحضرهم فى جملة من عشائرهم . فعقد لهم كسرى مَجلِساً عامًّا فحضره الحكّام والعدول والاعيان . ثم قال ليتكلّم كلّ منكم بمآثر قومه وليصدُقْ

فانتصب حُذيفة بن بدر قائماً وكان ألسَنَ القوم فقال ، قد علمت العرب أن فينا الشَّرفَ الأقدم والفَخرَ الأعظم . فقيل له لِمَ ذَاك يا أخا فزَارة ، قال ألسنا الدَّعائم[1] التى لا تُرَام ، والعزّ الذى لا يُضام . فقيل له صدقت ثم قام شاعرهم فقال

فزَارةُ بيتُ العزِّ والعزّ فيهمُ ... فزارةُ بدرٍ حسْبُ بدر نِضَالها[2]
لها العِزَّةُ القَعساء[3] والحسب الذى ... بناهُ لبَدرٍ فى القديم رِجالُها
فَهيْهات قد أعيا القُرون التى مَضتْ ... مآثرُ بدرٍ مجدُها وفِعالها
وهل أحدٌ إن مدَّ يوماً بكفّه ... إلى الشَّمس فى مجرَى النُّجوم ينَالها
فان يصلُحوا يَصلُحْ لذاك جميعُنا ... وان يَفسُدُوا يَفسُد على النَّاس حالُها

ثم قام الأشعث بن قيس فقال . لقد علمت العرب أنّا نُقاتل عديدَها الأكثر ونقْهر جمْعَها الأكبرَ . وأنّا غِياثُ اللّزْبات[4] وبُناة المَكرُمات . فقيل له لِمَ يا أخا كِندَة . قال لأنّا وَرِثنا مُلك كِندة فاستَظْلَلْنا بأفيائه وتقلَّدْنا مَنكِبَه الأعظم وتوسَّطنا بُحبوحَه[5] الأكرم . ثم قام شاعرهم فقال

إذا قِستَ أبياتَ الرِّجال ببيتنا ... وجَدْت لهُ فَضلاً على مَنْ يفاخرُ

(١) الاركان (٢) محاماتها ودفاعها (٣) الرفعة ضدها (٤) بتسكين الزاى الشدائد (٥) وسطه

فمن قال كلاًّ أو أتانا بخُطَّة يُنافرُنا يوماً فنحن نُحاطِرُ
تَعالوْا فعُدّوا يعلمِ الناس أيُّنا له الفضل فيما أورَثَتْه الأكابر

ثم قام بسطام بن قيس فقال : قد علمت العربُ أنّا بُناةُ بيتها الذى لا يزول ومَغرَسُ عزها الذى لا يحول . فقيل له ولِمَ يا أخا شيبان . قال لأنّا أدركُهم للثأر ، وأضربُهم لِلْملك الجبّار ، وأقولُهم للحق وألدُّهم للخَصم

ثم قام شاعرهم فقال

لِعمرِىَ بِسْطامٌ أحقُّ بِفضلها وأوّل بَيْت العزِّ عزّ القبائل
فسائلْ أبَيْتَ(١) اللَّعْن عن عزّ قومها اذا جَدَّ يوم الفخر كلُّ مناضل (٢)
فيخبرك الأقوام عنها فانها وقائع جِدٍّ لا مَلاعِبُ هازِل
ألسنا أعزَّ النّاس قوماً واُسرَةً وأضرَبهم للكبش يومَ التّخاذل
وقائع عزّ كلّها رَبعيةٌ تذِلُّ لهم فيها رقابُ المحافل
اذا ذُكرَت لم يُنكر الناس فضلَها وعادَ بها من شرِّها كلُّ قائل
وإنّا ملوك النّاس فى كلّ بلدةٍ اذا نزَلتْ بالناس إحدى النّوازِل

ثمّ قام حاجب بن زُرارة التّميمى فقال ، قدْ علمت العرب أنّا فرعُ دعامتها وقادَةُ زحفها . فقيل له لِمَ ذلك يا أخا بنى تميم . قال لأنا أكثرُ الناس عديداً وأنجبُهم طُرّا وليدا وأعطاهم للجزيل وأحملُهم للثقيل

ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمتْ أبناءِ خندفَ أنّنا لنا العزّ فِدْماً فى الخطوب الأوائل

(١) اللعن بفتحته ومنعته والمعنى انك لا تفعل ما يوجب لعنك بل تفعل ما تحمد وتمدح عليه
(٢) المجادل (٣) نسبة الى قبيلة ربيعة

وأنّا كرامٌ أهلُ مجدٍ وثروةٍ وعزٍّ قديم ليس بالمُتضائل
فكم فيهم من سيِّد وابن سيِّد أغرَّ نجيبٍ ذى فعال ونائل
فسائلْ أبَيتَ اللَّعنَ عنّا فإنّنا دعائمُ هذا النّاس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم السّعدى فقال لقد علم هؤلاء أنّا أرفعهم فى المكرُمات وأثبتهم فى النّائبات . فقيل له لِمَ ذاك يا أخا بنى سعد . قال لأنّا أدركهم للثأر وأمنعهم للجار لا نتّكل اذا حَملنا وَلا نُرَام اذا حللنا . ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت قيسٌ وخندِفُ أنّنا وجُلُّ تميم والجموعُ التي تَرَى
بأنّا ليوثُ البأسِ فى كلّ مأزقِ اذا جُزَّ بالبيض الجماجم والطّلى
وأنّا اذا دَاع دَعانا لِنَجدةٍ أجبنا سِراعاً فى العلائم مَن دعا
فهيهات قد أعيا الجميع فِعالُهم وفاتوا بيوم الفخر مَسعاة من سعى

فقال كسرى حينئذ ليس منهم إلاّ سيّد يصلح لموضعه ، ثم أعظمَ صِلاتهم أجمعين وردّهم الى أقوامهم مُعظَّمين

﴿ مناظرات المهدى لأهل بيته ومشاورته لهم فى حرب خُرَاسان ﴾

هذا ما تَرَاجعَ فيه المهدى ووزراؤه وما دار بينهم من تدبير الرأى فى حرب خُراسان أيّام تَحامَلتْ عليهم العُمال وأعنفَت ، فحَملتهم الدّالّة وما تقدّم لهم من المَكانة على أن نَكَثوا بيعتهم ونَقَضوا مَوْثقهم وطَردُوا العُمّال والْتَوَوْا بما عليهم من الخراج وحمل المهدى ما يُحبّ من مصلحتهم ويَكرَه من عنَتهم على أن أقال عَثْرَتهم واغتفرَ زَلّتَهم واحتمل دالّتهم تطوُّلاً بالفضل واتّساعاً بالعفو وأخْذاً بالحجة ورِفقاً بالسّياسة ، ولذلك لم يَزَل منذ حَمّلَه اللهُ أعباءَ الخلافة وقلّدَه أمور الرّعية رفيقاً بمَدار سلطانه ، بَصيراً بأهل زمانه ، باسِطاً للمعْدَلة فى رَعيّته

تَسْكن إلى كَنَفه وتأنس بعفْوه وتثق بحِلْمه ، فإذا وَقعت الأقْضية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عنده هوادة ولا إغضاء ولا مداهنة ، أثَرَةً للحق وقياماً بالعدل وأخذاً بالحزْم ، فدعَا أهلَ خُراسان الاغترار بحلْمه والثقة بعفوه ، أن كسَّرُوا الخَرَاج وطَرَدُوا العُمَّال وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خلَطوا احتجاجاً باعتذار وخُصومة بأقرار وتنصُّلا باعتلال — فلما انتهى ذلك الى المهدى خرج الى مَجْلس خَلَائه وبعث إلى نَفرٍ من لُحْمته ووُزَرائه ، فأعلمهم الحال واستفهم الرَّعية ، ثم أمر المَوالىَ بالابتداء وقال للعباس بن محمَّد « أى عمّ » تَعقَّبْ قولنا وكُن حَكَما بَيْننا وأرْسل إلى وَلَدَيْه مُوسَى وهارُون فأحضَرهما الأمرَ وشاركهما فى الرَّأى وأمرَ محمداً ابن اللَّيث بحفظ مُراجَعتهم واثبات مَقالتهم فى كتاب

فقال سلاَّم صاحب المظَالم

أيُّها المهدى ، إن فى كل أمر غاية ولكل قوم صناعة استَفْرَغَتْ رأيَهم واستَغْرَقَتْ أشغالَهم واستَنْفَدَتْ أعمارَهم وذَهَبُوا بها وذَهبَتْ بهم وعُرِفُوا بها وعُرِفَتْ بهم ولهذه الأُمور التى جَعلَتْنا فيها غاية وطَلَبْتَ مَعُونَتنا عليها أقوَام من أبناء الحرْب وساسة الأمور وقادة الجُنود وفُرْسان الهزَاهز وإخوان التّجارِب وأبطال الوقائع الذين رشَّحَتْهُمْ سِجَالُها وفيَّأتهم ظِلالُها وعَضَّتْهُم شدَائدُها وفَرَّمَتْهُم نَوَاجِذُها فلو عَجَمْتَ ما قِبلَهُم وكَشَفتَ ما عندهم لوَجَدْتَ نَظائر توَيِّد أمْرَك وتَجارِبَ تُوَافِق نظرَك وأحاديث تقوِّى قَلبَك ، فأمَّا نحنُ معَاشرَ عُمَّالك وأصْحاب دَوَاوينك فَحَسَنٌ بنا — وكثيرٌ منَّا أنْ نقُوم بثقَل ما حَمَّلتنا من عَمَلك واستَوْدَعْتنا من أمانَتِك وشغَلْتَنَا من إمْضاء عدْلك وإنْفاذ حُكمك وإظْهار حقّك

فأجابه المهدى ، انَّ فى كلّ قوْمٍ حِكمَةً ولكلّ زمان سِياسةً وفى كلّ حال

تدْبيراً يُبْطل الآخرُ الأوّلَ — ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا

قال نَعَم أيُّها المهدى ، أنتَ متَّبعُ الرّأى وثيق العُقْدَة قَوىّ المُنَّة بليغ الفِطنة معْصُوم النيّة مَحضور الرَّوِيَّة مؤيَّد البَديهة موَفَّق العزِيمة مُعان بالظَّفر مَهْدىّ إلى الخيْر — إنْ هَمَمتَ ففى عزْمك مَوَاقع الظنّ ، وان اجتَمَعتَ صدَع فعْلك مُلتبسَ الشَّكّ فاعزمْ يَهْد اللهُ الى الصواب قَلبَك ، وقُلْ يُنطقُ اللهُ بالحقّ لسانَك فان جُنودك جَمة وخزَائنك عامرة ونفسك سخية وأمرك نافِذ .

فأجابه المهدى : انَّ المشاورة والمَناظرة يا رحْمة ، ومِفتاحا بركَة ، لا يَهلك عليهما رأىٌ ولا يَتغيَّل مَعهُما حزْم فأشيروا برأيكم وقولوا بما يحضُركم ، فإنّى من ورائكم وتوفيقُ الله من وراء ذلك

قال الربيع . أيُّها المَهْدِى ، انَّ تَصاريف وُجُوه الرَّأى كثيرة ، وان الاشارة ببعض مَعاريض القوْل يَسيرة ، ولكن خُراسان أرضٌ بَعيدة المسافة مُتَراخية الشُّقَّة متفَاوتة السبيل ، فإذا ارْتأيْتَ من مُحكَم التَّدْبير ومبْرَم التَّقدير ولُباب الصَّوَاب رَأياً قد أحكَمه نظَرُك وفلَّبه تدْبيرك فليس وراءَه مَذْهب طاعن ولادُونه مَعْلقٌ لُخصومة غائب ، ثم أجَبْتَ البُرُد به وانطوت الرسل عليه كان بالحَرَى أن لا يصل اليهم مُحْكَمُه إلا وقد حدث منهم ماينقضُه ، فما أيْسَرَ أن ترجع اليك الرّسل وتردّ عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشوَارد آثارهم ومصادر امورهم ، فتحدْث رأياً غيره وتبتدع تدبيراً سواه وقد انفرجت الحلق وتحلَّلت العُقَد واسترخى الحِقَاب وامتدّ الزمان ، ثم لعلمنا موقع الآخرة كمصدر الأولى ، ولكن الرأى أيُّها المهدى ، وفّقك الله أن تصرف إجالة النظر وتقليب الفِكَر فيما جَمَعْتنا له واستشرتنا فيه من التّدبير لحرْبهم والحِيَل فى أمرهم إلى الطَّلب لرَجُل ذى دين فاضل وعقل كامل وورَع

واسع ليس موصوفاً بهوى فى سواك ولا متّهماً فى أثرة عليك ،ولا ظنينا على دُخلةٍ مكرهة ولا منسُوباً الى بدْعة محْدُورة ، فيقْدَح فى مُلكك ويُريض الأمور لغيرك ثم تُسْند اليه أمورهم وتفوّض اليه حرْبهُم وتأمره فى عَهدك ووصيّتك إيّاه بلزوم أمرك مالزمه الحزم، وخلاف نهْيك اذا خالفه الرّأى عند استحالة الأُمور واستداد الأحوال التى ينقضّ أمرُ الغائب عنها ويَثْبتُ رأىُ الشاهد لها ، فانه اذا فعل ذلك فوائب أمرَهم من قريب وسقط عنه ما يأتى من بعيد تمتْ الحيلة وقويت المَكيدة ونفذَ العَمل وأُحدّ النَّظر ان شاء الله

قال الفضل بن العباس

أيُّها المهدى ـ انّ وَلىّ الأمور وسائس الحرُوب رُبما نَحَّى جُنودَه وفرّق أمواله فى غير ما ضيقٍ أمر حَزْبه ولا ضَغْطه حَالٍ اضْطرّته فيقعد عند الحاجة اليها وبعد التّفرقة لها عَديمها منها فاقداً لها لا يثق بقوّة ولا يَصول بعُدّة ولا يَفزع إلى ثقة ، فالرأى لك أيها المهدى وفّقك الله أن تعفى خزَائنك من الانفاق للأموال وجنُودك من مُكابدة الأسفار ومُقارعة الأخطار وتغرير القتال ، ولا تُسرع للقوْم فى الاجابة الى ما يطلبُون والعطاء لما يسألون فيَفسُدُ عليك أدبُهم وتجرُّئ من رَعيّتك غيرَهُم ولكن اغزُهم بالحيلة وقاتلهم بالمكيدة وصارعْهم باللّين وخاتلْهم بالرّفْق وأبْرِق لهم بالقوْل وأرْعد نحوهم بالفِعل وابْعث البعُوث وَجنّد الجنود وكتّب الكتائب واعقد الألْوية وانصب الرّايات وأظْهِر أنك مُوَجّهٌ اليهم الجيوش مع أحْنق قُوادك عليهم وأسوئهم أثراً فيهم ، ثم ادسُس الرسل وأبثُثْ الكُتب وَضعْ بَعْضهم على طَمع من وَعْدك وَبعْضاً على خَوْفٍ من وعيدك ، وأوْقد بذلك وأشْباهه نِيرَان التّحاسُد فيهم واغرِس أشجار التّنافُس بينهم،حتى تملأ القلوب من

الوَحشة وتَنْطَوِى الصدُور على البِغضة ، ويَدخل كلاًّ من كلِّ الحذَر والهيْبَة فان مرَام الظَّفَرَ بالغِيلة والقتال بالحيلة والمُناصبة بالكتب والمُكايَدة بالرُّسُل والمُقارَعة بالكلام اللطيف المُدخَل فى القلوب القوِىّ المَوْقع من النُّفوس المَعقود بالحجَج الموْصول بالحِيَل المبْنى على اللِّين ، الذى يستميل القلوب ويسترقُّ العقول والآراء ويستميل الأهواء ويستدعى المُوَاتاة أنْفَذُ من القتال بظُبات السُّيوف وأسنَّة الرِّماح كما أنَّ الوالِىَ الَّذى يستنزل طاعة رعيته بالحِيَل ويُفرِّق كلمَةَ عدُوِّه بالمُكايدة أحكم عملاً وألطَف مَنظَراً وَأحسَن سياسة ، مِن الذى لا يَنال ذلك الا بالقتال والأتلاف للأموال والتّغرير والخطارِ — وليعلَم المهدى ، انه ان وَجَّه لِقتالهم رَجلاً لم يَسِرْ لقتالهم الاَّ بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتُقْدِم على أسفار ضيّقَة وأموَال مُتفرِّقة وقُوَّاد غشَشَة ان ائتمَنَهُم استنفَدُوا ماله وان استنْصَحَهم كانوا عليه لا له قال المهدى هذا رأىٌ قد أسفر نُورُه وأبرق ضَوْءُه وتَمثَّل صوابهُ للعيون وَمَجدَ حقه فى القلوب ، ولكن فوْق كلّ ذِى عِلم عليم ، ثم نظر الى ابنه علىّ فقال ما تقول

قال علىّ : أيُّها المهدى ان أهل خُراسان لم يَخْلعُوا عن طاعتك ولم يَنْصُبوا من دونك أحداً يقدَح فى تَغيير مُلكك ويُريض الامور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيْسَر والشأن أصغَر والحالُ أدَلَّ ، لأنَّ اللهَ مع حقه الذى لا يَخْذِله وعند مَوْعده الَّذى لا يُخلفه ، ولكنهم قومٌ من رَعيَّتك وَطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم وَالياً وَجعلَ العدل بينك وَبينهم حاكما ، طَلبُوا حقَّاً وَسألوا إنصافاً فان أجبتَ الى دعوتهم وَنفَّستَ عَنهم قبل أن يتلاحم منهم حال أو يَحْدُث من عندهم فَتْق أطعْتَ أمرَ الرَّبِّ وأطفأْت ثائرَة الحرْب وَوَفَّرْتَ خزَائن المال وطَرَحْت تغرير القتال ، وحمل النَّاس مَحمَل ذلك على طبيعة جودك وسجيَّة حلْمك

وأسجاع خليقتك ومعدلة نظرك ، فأمنت أن تنسب إلى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقى دربة وان منعتهم ما طلبوا ولم تجبهم إلى ما سألوا اعتدلت بك وبهم الحال وساويتهم فى ميدان الخطاب ـ فما أرب المهدى أن يعمد الى طائفة من رعيته مقرين بملكته مذعنين بطاعته لا يخرجون أنفسهم عن قدرته ولا يبرئونها من عبوديته فيملكهم أنفسهم ويخلع نفسه عنهم ويقف على الحيل معهم ثم يجازيهم السوء فى حد المنازعة ومضمار المخاطرة — أيريد المهدى وفقه الله الأموال : فلعمرى لا ينالها ولا يظفر بها الا بأنفاق أكثر منها مما يطلب منهم وأضعاف ما يدعى قبلهم ، ولو نالها فحملت اليه أو وضعت بخزائطها بين يديه ثم بجافى لهم عنها وطال عليهم بها ، لكان مما اليه يستسب وبه يعرف من الجود الذى طبعه الله عليه وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه ، فان قال المهدى هذا رأى مستقيم سديد فى أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا وتحامل ولاتنا . فأما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود وأنطقوا لسان الإرجاف وفتحوا باب المعصية وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغى لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم وعظة لسواهم فيعلم المهدى انه لو أتى بهم مغلولين فى الحديد مقرنين فى الأصفاد ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه ولإقالة عثراتهم صفحه واستبقاهم لما هم فيه من حزبه أو لمن ورائهم من عدوه لما كان بدعاً من رأيه ولا مستنكراً من نظره — لقد علمت العرب انه أعظم الخلفاء والملوك عفواً وأشدها وقعاً وأصدقها صولة ، وأنه لا يتعاظمه عفو ولا يتكاءده صفح وان عظم الذنب وجل الخطب ـ فالرأى للمهدى وفقه الله تعالى أن يحل عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله فى العفو عنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم برا بهم وتوسعاً لهم فانهم اخوان دولته وأركان دعوته وأساس حقه الذين بعزتهم يصول

وبحُجّتهم يقول وانّما مثلُهم فيما دَخلوا فيه من مساخطه وتعرّضوا له من معاصيه وَانْطوَوْا فيه عن إجابته ، ومَثَلهُ فى قلّة ما غيّر ذلك من رأيه فيهم أو نقُل من حاله لهم أو تغيّر من نعمته بهم كمَثل رَجُلين أخوَين مُتناصرَين مُتوَازِرَين أصاب أحدهما خَبْلٌ عارض وهوٌ حادث فنهض إلى أخيه بالأذى وتحامل عليه بالمكْرُوه ، فلم يزدَد أخوه الاّ رِقّةً لهُ ولُطفاً به واحتيالاً لِمُداواة مرضه ومراجعة حاله عطْفاً عليه وَبرًّا به ورحمةً له

فقال المهدى ـ أمّا على فقد كوى سَمْتَ اللّبان وفضّ القلوب فى أهل خُراسان ولكل نبأ مُستقَر، فقال ما ترَى يا أبا محمد يعنى موسى ابنَه

فقال موسى

أيُّها المهدى لا تسكُن الى حلاوة ما يجرى من القوْل على ألْسنتهم وأنت تبدى الدماء تسيل من خلل فعلهم ، الحالُ من القوْم يُنادى بمَضْمرة شرّ وخفيّة حِقد قد جعلوا المعاذير عليها سِتراً واتّخذُوا العلل من دونها حجَاباً ، رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير والأُمور بالتطويل ، فيكسرّوا حيل المهدى فيهم ويُفنوا جنوده عنهم حتى يتلاحم أمرُهم وتتلاحق مادّتهم وتستفحل حربهم وتستمر الأُمور بهم ، والمهديّ من قوْلهم فى حال غرّة ولباس أمَنَة ، قد فترَ لها وأنِس بها وسكنَ اليها ولوْلا ما اجتمعتْ به قلوبهم وبرَدتْ عليه جلودهم من المناصبة بالقتال والاضمار للقراع عن داعية ضلال أو شيطان فساد لرهبوا عواقب أخبار الوُلاة وغبّ سكون الأمور ، فلْيَشْدُدْ المهدى وفقه الله أزْره لهم ويكتّب كتائبه نحوَهم ، وليضَع الأمر على أشدّ ما يَحْضرَه فيهم ولْيُوقِنْ أنه لا يُعطيهم خُطّةً يُريدُ بها صلاحهم ، الا كانت دِرْبة إلى فسادهم وقُوّة على مَعصيتهم وداعيةً الى عودتهم وسبباً لفساد مَن بحضْرته

من الجنود ، ومن ببابه من الوُفود ، الذين أقرَّهم وتلك العادة ، وأجراهم على ذلك الأرب ولم يبرَح فى فَتْق حادِث وخلاف حاضر ، لا يَصلُح عليه دِين ولا تستقيم به دُنيا وإن طَلَبَ تغييرَه بعد استحكام العادة واستمرار الدُرْبة ، لم يَصل إلى ذلك إلاَّ بالعقُوبة المُفرطة ، والمَؤُونَة الشديدة ، والرَّأىُ للمهدى وفَّقهُ الله أن لا يُقيل عثْرَتهم ولا يقْبل مَعْذِرَتهم حتى تَطَأهم الجيوش وتأخُذَهم السُّيوف، ويَستحرّ بهم القتل ويحدق بهم البلاء ويُطْبق عليهم الذلّ ، فان فعل المهدى ذلك كان مَقْطَعةً لكلّ عادة سوء فيهم وهزيمةً لكل نادرة شرٍّ فيهم، واحتمالُ المهدى فى مَؤونة غزوتهم هذه تَضع عنه غزَواتٍ كثيرة ونفقات عظيمة

قال المهدى قد قال القوم ، فاحكُم يا أبا الفضل

فقال العباس بن محمد

أيُّها المهدى أمَّا (الموَالِىَ) فأخذُوا بفرُوع الرَّأى وَسلَكُوا جَنبات الصَّواب وَتعدَّوْا أمُوراً قَصّر بنَظَرهم عنها أنه لم تأت تجارِبُهم عليها ـ وأما (الفضل) فأشار بالأموال أن لا تُنفق ، والجنود أن لا تُفرّق، وبأن لا يعطى القوْمُ ماطلَبُوا ولا يُبذَل لهم ما سألوا، وجاء بأمرٍ بيْن ذلك استصغاراً لأمرهم واستهانةً بحَربهم ، وانما يَهيج جَسيمات الأمور صِغارُها، وأمَّا (علىٌّ) فأَشار باللّين وإفراط الرِّفق وإذا جرَّد الوَالى لمن غَمِط أمره وَسفِه حقّه اللّينَ بحتاً وَالْخَيْرَ مَحْصاً لم يَخلِطْهما بشِدَّة تَعْطف القلوب عن لِينه وَلا بشرٍّ يَحْبسهُم إلى خيره ، فقد ملَّكهُم الْخَلع لعُذْرهم وَوسّع لهم الفُرْجة لِثَنْىِ أعناقهم، فان أجابوا دعوته وَقبلوا لينه من غير خوف اضطرّهم ولا شدّة فَنَزْوَة فى رُؤوسهم يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم، ويَستَصْرخون بها رأى المهدى فيهم وإن لم يقبَلوا دعوَته ويسرعوا لإجابته باللِّين المحض والخير الصُّرَاح، فذلك ماعليه

الظّن بهم والرّأى فيهم ، وَما قد يُشبه أن يكون من مِثْلهم ، لأنّ الله تعالى خلقَ الجنة وَجعلَ فيها من النعيم المُقيم والمُلك الكبير ما لا يخطُرُ على قلب بَشر ولا تُدْركُه الفِكرِ وَلا تعلمه نفْس ، ثمّ دَعا النّاسَ اليها وَرَغّبَهُم فيها ، فلو لا أنه خلقَ ناراً جَعلها لهم رَحمةً يسوقُهُم بها الى الجنة لَما أجابوا وَلا قَبِلُوا

وأما (موسى) فأشار بأن يُعْصَبوا بشدّة لالين فيها ، وأن يُرْمَوْا بشرٍ لا خيرَ معهُ واذا أضمرَ الوَالى لِمَن فارَق طاعتَه وَخالفَ جَماعتَه الخوْفَ مفرَداً وَالشّر مجرّداً ليس معَهما طمع ولالين يثنيهم استدّت الأُمُور بهم وَانقطعت الحال منهم الى أحد أمرين إمّا أن تدْخُلهم الحَمِيّة منَ الشدّة والأَنفَةُ من الذّلّة ، وَالامتعاضُ منَ القهر فيدْعُوهم ذلك إلى التّمادى فى الخلاف وَالاستبسال فى القتال والاستسلام للموت ، وإمّا أن ينْقادُوا بالكُرْه ويُذْعِنُوا بالقهر على بغضةٍ لازمةٍ وعدَاوة باقية تُورثُ النّفاق وَتُعْقب الشّقاق ، فاذا أمكنْتَهُم فُرْصة أوْ ثابت لهم قُدْرَة أو قويت لهم حالٌ ، عاد أمرَهُم الى أصْعبَ وَأغْلظ وَأشد مما كان

وقال فى قول الفضل

أيّها المهدى أكفَى دليل وَأوْضح بُرْهان وأبيَن خبر ، بأن قد أجْمع رَأيه وَحزْم نَظرُه على الأرشاد ببَعثة الجيُوش اليهم ، ووجيه البعُوث نحوهم ، مع اعطائهم ماسألوا من الحق وإجابتهم إلى ما سألوه من العدل

قال المهدى ، ذلك رَأىٌ

قال هارُون ما خُلطت الشدّة أيّها المهدى باللّين ، فصارَت الشدّة أمرّ فِطامٍ لما تكْره ، وعاد اللين أهْدَى قائدٍ إلى ما تُحبّ ، ولكن أرَى غير ذلك

قال المهدى ، لقد قلت قوْلا بديعاً ، وخالفت فيه أهل بيتك جميعاً ، والمرء مُؤْتَمَن

بما قال ، وَظنين بما ادّعى ، حتى يأتى ببيّنة عادلة وحجة ظاهرة ، فاخرج عما نلت

قال هارون

أيها المهدى: إنّ الحَرْبَ خُدعة والأعاجم قومٌ مكرة وربما اعتدلت الحال بهم واتفقت الأهواء منهم فكان باطن ما يُسرّون على ظاهر ما يُعلنون وربما افترقت الحالان وخالفَ القلبَ اللسانُ ، فانطوى القلبُ على محجونة تُبطن واستسرّ بمدخولة لا تُعلن ، والطبيب الرفيق بطبّه ، البصير بأمره العالم بتقدّم يده وموضع ميسمه ، لا يتعجّل بالدّواء حتى يقع على معرفة الدّاء ، فالرّأى للمهدى وفّقه الله أن يفرّ باطن أمرهم فرّ المُسنّة ويمخضَ ظاهرَ حالهم مخضَ السِّقاء ، بمتابعة الكُتب ومظاهرة الرُّسل ومواصلة العُيون ، حتى تهتك حُجب عيونهم ، وتُكشف أغطية أمورهم ، فاذا انفرجت الحال وأفضت الأمور إلى تغيير حال أو داعية ضلال استملت الأهواء عليه ، وانقادَ الرِّجال اليه وامتدّت الأعناق نحوه بدين يعتقدونه وأثم يستحلّونه عصمهم بشدّة لا لين فيها ، ورماهم بعقوبة لا عفوَ معها ، وإن انفرجت العُيون واهتصرت السّتور ورُفعت الحُجب والحال فيهم مَرِعة والأمور بهم معتدلة فى أرزاق يطلبونها وأعمال يُنكرونها وظلامات يدّعونها ، وحقوق يسألونها بماتّة سابقتهم ودالّة مناصحتهم ، فالرّأى للمهدى وفّقه الله أن يتّسع لهم بما طلبوا ويتجافى لهم عما كرهوا ويشعّب من أمرهم ما صدّعوا ويرتق من فتقهم ما قطعوا ويُولى عليهم من أحبّوا ويداوى بذلك مرض قلوبهم وفساد أمورهم ، فانما المهدى وأمته وسوّاد اهل مملكته بمنزلة الطبيب الرّفيق والوالد الشّفيق والراعى المُجرّب الذى يحتال لمرابض غنمه وضوالّ رعيته حتى يُبرِىء المريضة من داء علّتها ويردّ الصحيحة الى أُنس جماعتها — ثم ان خراسان بخاصة الدّين ، لهم دالّة محمولة وماتّة

مقبولة ووسيلة معروفة وحقوق واجبة لأنهم أيدى دولته وسيوف دعوته وأنصار حقه وأعوان عدله ، فليس من شأن المهدى الاضطغان عليهم ولا المؤاخذة لهم ولا التوغير بهم ولا المكافأة باساءتهم لانّ مبادرة حسيم الأمور ضعيفةً قبل أن تقوى ومحاولة قطع الأصول ضئيلةً قبل أن تغلظ أحزم فى الرأى وأصح فى التدبير من التأخير لها والتهاون بها حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع أطرافها الى جمهورها

قال المهدى ـ مازال هارون يقع وقع الحيا حتى خرج خروج القدح من الماء وانسلّ انسلال السيف فيما ادّعى فدعوا ما سبق موسى فيه فانه هو الرأى وثنى بعده هارون ـ ولكن من لأعنة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس ان أمعن بهم اللجاج وأفرطت بهم الدالة

قال صالح

لسنا نبلغ أيها المهدى بدوام البحث وطول الفكر أدنى فراسة رأيك ، وبعض لحظات نظرك ، وليس يغضّ عنك من بيوتات العرب ورجال العجم ذو دين فاضل ورأى كامل وتدبير قوى تقلّده حربك وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ويضطلع بالأعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النقيبة مبارك العزيمة مخبور التجارب محمود العواقب ، معصوم العزم فليس يقع اختيارك ولا يقع بطرك على أحد تولّيه أمرك وتسند اليه ثغرك الاّ أراك الله ما تحبّ وجمع لك منه ما تريد

قال المهدى ـ انى لأرجو ذلك لقديم عادة الله فيه وحسن معونته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأى والاعتبار للمشاورة فى الأمر المهم

قال محمد بن الليث

أهل خراسان أيها المهدى ، قوم ذوو عزة ومنعة ، وشياطين خدعة ، وزروع

الحَمِيَّة فيهم نابتة ، وملابس الأُنفة عليهم ظاهرة ، فالرَّوِيَّة عنهم عازبة ، والعَجلة عنهم حاضرة ، تسبق سيولهم مَطَرَهم وَسيُوفُهم عَذَلَهم ، لانهم بين سِفْلة لا يعْدو مبلغ عقُولهم مَنظر عيُونهم وبين رُؤساء لا يُلْجَمون الاَّ بشدَّة ولا يُفْطمون إلاَّ بالمرّ وان ولّى المهدى عليهم وضيعاً لم تَنْقد له العُظماء ، وان ولَّى أمرَهم شريفاً تحامل على الضُعفاء ، وان أخَّر المهدى أمرَهم وَدافع حَرْبهم حتى يُصيب لنفسه من حَشَمه ومواليه أو بَنى عمِّه أو بَنى أبيه ، ناصحاً يتَّفق عليه أمرُهم وثِقة يَجتَمع له أملاؤهم بلا أُنفَة تَلزمُهم ولا حَمِيَّة تَدْخُلهم ولا مُصيبة تُنفّرهم ، تَنَفَّست الايَّام بهم وترَاخت الحال بأمرهم فدَخلَ بذلك منَ الفساد الكبير والضَّياع العظيم مالا يتلافاهُ صاحبُ هذه الصفة وان جَدَّ ، ولا يَستَصْلحُه وان جهَد ، إلا بعد دَهْر طويل وشرّ كبير ، وليس المهدى وفَّقهُ اللهُ فاطما عاداتهم وَلا فارعاً صفاتهم بمثْل أحد رَجُلين لا ثالث لهما ولا عدْل فى ذلك بهما — أحدُهما لسانٌ ناطق موصُول بسَمعك ويدٌ مُمثّلة لِعينك وَصخْرة لا تُزَعزع وُبهمَة لا تُثْنى ، وبازِلٌ لا يُفزِعهُ صوْتُ الجُلجُل ، نقىّ العرْض نزِيه النَّفس جَليل الخطر قد اتّصعتْ الدُّنيا عن قَدْره وسَما نحو الآخرة بهِمَّته ، فجعَل الغَرَض الاقْصى لِعينه نُصْبا وَالغَرَض الادْنى لِقَدَمه مَوْطِئاً ، فليس يَقبلُ عملاً ولا يتَعدَّى أملاً وهو رأس مَواليك وأنْصَح بَنى أبيك رجل قد غذّى بلطيف كرامتك وَنَبتَ فى ظلّ دَولتك ونشأَ على قوائم أدَبك فان قلَّدْته أمْرَهم وَحمَّلْته ثِقلَهم وأسْندت اليه ثغْرهم ، كان قُفلاً فتَحه أمرُك وباباً أغْلَقه نَهيُك ، فجعل العدْل عليه وعليهم أميراً والانصافَ بينَه وبينهم حاكماً ، واذا حَكمَ المنْصفة وسلك المعْدَلة فاعطاهم ما لهُم وأخذ منهم ما عليهم ، غرَس فى الذى لك بين صُدُورهم وأسكن لك فى السُوَيْداء دَاخلَ قلوبهم طاعة رَاسخة العُرُوق

بَاسِقَةَ الفروع متماثله فى حواسى عوامهم ، مُتمكِّنه من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهم رَيْبٌ إلاَّ نفوه ولا يلزمهم حقٌّ إلاَّ أدّوه ، وهذا أحدهما والآخر عودٌ من غيصتك أوْ نبعةٌ من أرومتك فتِيّ السن كهلُ الحلم رَاجح العقل محمود الصَّرَمة مأمُون الخلاف ، يُجرِّد فيهم سيفه ويبسط عليهم خيرَه بقدر ما يستحقون وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلان

أيها المهدى — فسلطه أعزّك اللهُ عليهم ووجّهه للجيوش اليهم ، ولا تمنعك ضَراعة سِنّه وحداثة مَوْلده فان الحِلم والتقى مع الحداثة خيرٌ من الشكّ والجهل مع الكهولة ، وانما أحداثكم أهلَ البيت فيما طبعكم الله عليه واختصّكم به من مكارم الأخلاق ومحامد الفعال ومحاسن الأمور وصواب التدبير وصرامة الأنفس ، كفراخ عناق الطَّيْر المُحكمة لأخذ الصيد بلا تدريب ، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب فالحلم والعلم والحزم والجود والمؤدة والرِّفق ثابتٌ فى صُدُوركم مَزْرُوع فى قلوبكم مُستحكم لكم متكامل عددكم ، بطبائعَ لازمة ، وغرائز ثابته

قال معاوية بن عبد الله

فِتاءُ أهل بيتك أيها المهدى فى الحلم على ما ذُكر وأهلُ خراسان فى حال عزّ على ه وصف — ولكن ان ولى المهدى عليهم رُجلا ليس بقديم الذكر فى الجنود ولا بنميه الصوت فى الحرُوب ولا بطويل التجربة للأمور ، ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة فى الأعداء ، دخل ذلك أمران عظيمان وخطران مهولان أحدهما أن الأعداء يغتمزونها منه ويحقرونها فيه ويجترئون بها عليه فى النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبار لأمره والتكشف لحاله والعلم بطباعه والأمر الآخر أن الجنود التى يقود ، والجيوش التى يسوس اذا لم يختبروا منه البأس

والنَّجْدة ولم يعرفوه بالصِّيت والهَيْبَة انكسرت شجاعتهم وماتت نَجْدَتهم واستأخرت طاعتهم إلى حين اختيارهم ووقوع معرفتهم ، وربما وقع البوار قبل الاختيار

وبباب المهدى وفقه الله رجل مَهيب نَبيه حَنيك صَيِّتٌ له نسب زاكٍ وَصوْت عالٍ قد قاد الجيوش وساد الحروب وتألّف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالمَقة ، ووثقوا به كل الثّقة ، فلو ولاّه المهدى أمْرهم لكفاه الله شرّهم

قال المهدى ، جانَبْتَ قَصدالرَّمِيّة وأبَيْتَ إلاّ عَصَبِيَّة ، اذ رَأى الحدَث من أهل بيتنا كرأى عَشرة حُلَماء من غيرنا ـ ولكن أين تركتم ولىّ العهد

قالوا : لم يَمْنَعْنا من ذكره الاّ كوْنُه شَبيه جدّه ونَسيج وحدِه ، ومن الدّين وأهله بحيث يَقْصُر القول عن أدنى فضله ، ولكن وَجدْنا الله عزّ وجل حَجب عن خَلْقه وَستَرَ دُون عباده عِلْم ما تخلف به الأيام ، ومعرفة ما تجرى عليه المقادير من حوادث الأمور ورَيب المَنون المُخْتَرِمة لحوالى القُرون ومَواضى المُلوك فكرهْنا تُسوُّعه عن محلّة المُلك ودار السّلطان ومَقرّ الإمامة والولاية وموضع المدائن والخزائن ومستقرّ الجُنود ومعدِن الجود ومَجمَع الأموال التى جعلها الله قُطْباً لدار المُلك ومِصْيدة لقلوب الناس ومثابة لأخوان الطّمع وثُوّار الفِتن ودواعى البِدَع وفُرسان الضّلال وأبناء الموت — وقُلنا ان وجّه المهدى ولى عَهده فحدث فى جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله لم يستطع المهدىُّ أن يُعقبهم بغيره الاّ أن ينْهدَ اليهم بنفسه ، وهذا خَطر عظيم وَهوْل شديد ، إن تنفست الأيام بمقامه واستدارت الحال بأمامه حتى يقع عِوَض لا يستغنى عنه أو يحدث أمر لا بُدّ منه صار مابعده مما هو أعظم هولاً وأجل خطراً له تبعاً وبه منصلاً

قال المهدى

الخطب أيسرُ مما تذهبون اليه وعلى غير ما تصفون الأمرَ عليه نحن أهل البيت نَجرى من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابق من العلم ومحتوم من الأمر قد أنبأتْ به الكتب ونبَّأتْ عليه الرُّسل ، وقد تناهى ذلك بأجمعه الينا وتكامل بحذافيره عندنا ، فبه نُدبّر وعلى الله نتوكل: انه لابدَّ لوَلىٍّ عهدى وولىّ عهد عَقبى بعدى أن يقود الى خراسان البعُوث ويتوجّه نحوها بالجنود ؛ أمَّا الأوَّل فانه يُقدّم اليهم رُسله ويُعمِل فيهم حِيَله ثم يخرج نشطا اليهم حَنِقا عليهم ، يريد أن لا يَدَع أحداً من إخوان الفِتَن ودواعى البِدَع ، وفُرْسان الضلال الاَّ توطَّأه بحرّ القتل وألبسه قِناعَ القهر وقلّده طوق الذلّ ولا أحداً من الذين عمِلوا فى قصّ جناح الفتنة وإخماد نار البدْعة ونُصْرة وُلاة الحقّ إلاَّ أجْرَى عليهم دِيَمَ فضْله وجدَاوِل نَهْله ، فاذا خرَج مُزْمِعاً به مُجْمِعاً عليه لم يسِرْ إلاَّ قليلاً حتى تأتيه أن قد عمِلَت حيَلُه وكدَحتْ كُتبُه ونفَذت مكائده ، فهدأت نافرة القلوب ووقَعتْ طائرة الأهواء واجتمع عليه المختلفون بالرضى فيميل نظراً لهم وَبرًّا بهم وتعطُّفا عليهم إلى عَدُوّ قد أخاف سبيلهم وقطع طريقهم ومنع حُجَّاجَهم بيتَ الله الحرام ، وَسلب تُجّارَهم رِزْقَ الله الحلال ، وأمَّا الآخر ، فانه يُوجّه اليهم ثم تعقد له الحجة عليهم باعطاء ما يطلبون وبذل ما يسألون ، فاذا سَمحت الفرَق بقَرَاباتها له وجنَح أهل النَّواحى بأعْناقهم نحوه ، فأصغَتْ اليه الأفئدة واجتمعت له الكلمة وقدِمت عليه الوُفود قصدَ الأول ناحيـة نجعت بطاعتها وألقت بأزمَّتها فألبسَها جَناح نِعْمته وأنزلها ظِلّ كرَامته وخصَّها بعظيم حِبائه ، ثمّ عمّ الجماعة بالمَعدَلة وتعطَّفَ عليهم بالرحمة فلا تبقى فيهم ناحيةٌ دانية ولا فِرْقة قاصية إلا دخلت عليها بَركَتنا وَوَصلتْ اليهـا

مَنفعته فأغنَى فقيرَها وجبرَ كسيرها ورفَع وضيعها وزاد رفيعها، ما خلا ناحيتيْن ناحيةٍ يَغلب عليها الشقاء وتَستميلهم الأهواء فتستخِفّ بِدعْوته وتُبطئ عن إجابته وَتتَناقَل عن حقّه فتكون آخر مَنْ يَبعْث وأبطأ مَنْ يُوجّه، فَيصْطَلى عليها مَوْجودَه، ويبتغى لها علة، لا يلْبَث أن يَجدّ بحقّ يلزُمهم وأمرٍ يجب عليهم فتستَلْحِمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ويستحرُّ بهم القتْل ويُحيط بهم الأسر ويُضيمهم التّتبّع حتى يُخرِّب البلاد ويُوتّم الأولاد وناحيةٍ لا يَبسُط لهم أماناً ولا يَقبَلْ لهم عهداً ولا يجعل لهم ذمّةً لانّهم أوّلُ من فتحَ باب الفرْقة وندَرَّع جلْبابَ الفتنة ورَبض فى شَقّ العصَا ولكنّه يَقتُل أعلامَهُم ويَأسر قوّادهم ويَطلب هُرّابهم فى لُجُج البحار وقُلل الجبال وحميل الاوْدية وبطون الارْض تقتيلاً وتغليلا وتنكيلا حتى يَدَع الدّيار خراباً والنساء أيامَى — وهذا أمرٌ لا نعرف له فى كُتُبنا وقتاً ولا نصحّح منه غيرَ ما قلْنا تفسيراً — وأما (موسى ولىّ عهدى) فهذا أوانُ تَوَجُّهه إلى خراسان وحلوله بجُرْجان وما قضى الله له من الشُّخوص اليها والمقام فيها خيرٌ للمسلمين مغبّةً له بإذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر فى لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا، فيتصاغر عظيم فضله ويتدأب مشرق نوره ويتقلل كثير ما هو كائن منه، فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس

قال محمد بن الليث

أيُّها المهدى — انّ ولىّ عهدك أصبح لامتك وأهل مِلّتك عَلَما قد تذنتْ نحوه أعناقها، ومدتْ سَمْتَهُ أبصارَها، وقد كان لقُرْب داره منك ومحلّ جوَاره لك عُطل الحال غُفْل الأمر واسعُ العُذْر، فأما اذا انْفرَد بنفسه وخلا بنظره وصارَ إلى تدبيره، فان من شأن العامة أن تَتفقّد مَخارج رأيه • وتَستَنْصت لِمواقع آثاره

وتسأل عن حوادث أحواله فى برّه ومَرْحمته، وإقساطه ومعدلته، وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه، ثم يكون ما سبق اليهم أغلب الأشياء عليهم وأملك الأمور بهم وألزمها لقلوبهم وأشدّها استمالة لرأيهم، وعطفاً لأهوائهم، فلا يفتأ المهدى وفقه الله ناظراً له فيما يقوّى عمد مملكته، ويسدّد أركان ولايته، ويستجمع رضاء امته بأمر هو أزين لحاله وأظهر لجماله وأفصل مغنّة لأمره وأجل موقعاً فى قلوب رعيته وأحمد حالا فى نفوس أهل ملّته، ولا أدفع مع ذلك باستجماع الأهواء له وأبلغ فى استعطاف القلوب عليه من مرحمة تظهر من فعله، ومعدلة تنتشر عن أثره ومحبة للخير وأهله — وأن يختار المهدى وفقه الله من خيار أهل كل مصر أقواماً تسكن العامة اليهم اذا ذكروا وتأنس الرعية بهم إذا وصفوا، ثم تسهّل لهم عمارة سبُل الاحسان وفتح باب المعروف، كما قد كان فُتح له وسُهّل عليه

قال المهدى صدقت ونصحت، ثم بعث فى ابنه موسى، فقال :—

أى بنىّ — انك قد أصبحت لسمت وجوه العامة نصبا ولمثنى أعطاف الرعية غاية فحسنات سامان واساءتك نائية وأمرك ظاهر، فعليك بتقوى الله وطاعته فاحتمل سخط الناس فيهما ولا تطلب رضاهم بخلافهما فان الله عزّ وجل كافيك من أسخطه عليك إيثارك رضاه، وليس يكافيك من يسخطه عليك ايثارك رضا من سواه — ثم اعلم أن لله تعالى فى كل زمان فترة من رسله وبقايا من صفوة خلقه وخبايا لنصرة حقه يجدّد حبل الاسلام بدعواهم ويشيّد أركان الدين بنصرتهم ويتّخذ لأولياء دينه أنصاراً وعلى أقامة عدله أعواناً، يسدون الخلل ويقيمون الميل ويدفعون عن الأرض الفساد، وان أهل خراسان أصبحوا أيدى دولتنا وسيوف دعوتنا الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ونستصرف نزول العظائم بمناصحتهم

وُندافع ريبَ الزمان بعزائمهم. ونُزاحم ركن الدّهر ببصائرهم ، فهُمْ عِماد الأرض إذا أرجفتْ لفَنها ، وَخوْف الاعداء إذا برزت صفحتها. وَحصون الرَّعية اذا تضايقت الحال بها ، قد مصت لهم وقائع صادقات ، ومَواطن صالحات ، أخْمَدَتْ نِيرَان الفتن وَقسَمتْ دواعى البدَع وأذلَّت رِقاب الجبّارين ، ولَم ينْفكُّوا كذلك ما جَرَوامع ريح دولتنا ، وأقامُوا فى ظلّ دعْوَتنا. واعتصموا بحبل طاعتنا ، التى أعز الله بها ذاتَهم وَرَفعَ بها ضعَتَهم وَجعلهم بها أرْبابًا فى أقطار الأرْض ومُلوكا على رقب العالمين ، بعد لباس الذُّلّ وقناع الخوف وإطباق البلاء ومُحالَفة الأسى وَجَهد البأس والضرّ ، فظاهِرْ عليهم لِباسَ كرَامتك وَأنزِلْهُم فى حدائق نعمتك ، ثم اعْرف لهم حقّ طاعتهم ، ووسيلة دالَّتهم وماتّة سابقَتهم وحُرْمة مُناصحتهم ، بالاحسان اليهم والتَّوسعه عليهم والاثابة لمحسنهم والاقاله لمُسيئهم — أيْ بَنَىّ — ثم عليك العامّة فاستدْع رِضاها بالعَدْل عليها . واستجلِبْ مودّتها بالانصاف لها ، وتحسَّنْ بذلك لربك وتَوَثَّق به فى عَين رَعيتك ، واجعلْ عُمّال العذْر وولاة الحَجج مُقدَّمة بين عملك وَصفةً مِنك لرَعيَّتك ، وذلك أن تأمر فاضىَ كلّ بلد وخيار أهل كل مصر أن يختارُوا لأنفسهم رَجلاً تُوَلّيه أمرَهُمْ ، وَتجعَل العَدْل حاكماً بَينه وبَينهم . فانْ أحسَنَ حُمِدتَ ، وإنْ أساءَ عَذرْتَ ، هؤلاء عُمّال العُذْر وَوُلاة الحَجج ، فلا يسقطنّ عليك ما فى ذلك اذا انْتشرَ فى الآفاق وَسبقَ الى الاسماع من انعقاد ألسنة المُرْجفين وكَبْتِ قلوب الحاسدين وإطْفاء نِيران الحُرُوب وسلامة عواقب الأمور ولا يَنْفكّنّ فى ظلّ كرَامتك نازلا ، وبعُرَا حبْلك مُتعلّقا رَجلان أحدُهما كريمة من كرَائم رِجالات العرَب وأعْلام بُيُوتات الشّرَف ، له أدب فاضل وحلْم رَاجح ودِين صحيح ، والآخرُ له دِين غيرُ مَغْمُوز ، ومَوْضع غير مَدخُول بصيرٌ

بتقليب الكلام وتصريف الرأى ،وأنحاء العرب ووضع الكتب ، عالم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب ، يضع آداباً نافعة وآثاراً باقية من محاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذكرك فتستشيره فى حربك وتدخله فى أمرك ، فرجل أصبته كذلك فهو يأوى إلى محلتى ويرعى فى خضرة جنانى، ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان وخيار الامصار أقواماً يكونون جيرانك وسمارك وأهل مشاورتك فيما تورد،وأصحاب مناظرتك فيما تصدر، فسر على بركة الله أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدى إلى الصواب قلبك، وهادياً ينطق بالخير لسانك

﴿ وفود بكارة الهلالية على معاوية ﴾

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبى سفيان فأذن لها ، وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه، وكانت أسنت وعشى بصرها،وضعفت قوتها ،ترعش بين خادمين لها ؛فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام ، وقال كيف أنتِ ياخالة فقالت بخير يا أمير المؤمنين قال غيرك الدهر قالت كذلك هو ذو غيرٍ من عاش كبر ومن مات قبر ،فقال عمرو بن العاص ، هى والله القائلة يا أمير المؤمنين

يا زيد دونك فاحتفر من دارنا سيفا حساماً فى التراب دفينا
قد كنت أذخره ليوم كريهة فالآن أبرزه الزمان مصونا

قال مروان ، وهى والله القائلة يا أمير المؤمنين

أترى ابن هند للخلافة مالكا هيهات ذاك وان أراد بعيد
منتك نفسك فى الخلاء ضلالة أغراك عمرو للشقا وسعيد

قال سعيد بن العاص ،هى والله القائلة

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمية خاطباً

فالله أخّر مُدّتى فتطاولت حتّى رأيت من الزّمان عجائباً
فى كل يوم لا يزال خطيبهم بينَ الجميع لآل أحمد عائباً

ثم سكتوا : فقالت ،يا مُعاوية ـ كلامك أعشى بصرى وقصّرحتّى ؟أنا والله قائلة ما قالوا وما خفى عليك منّى أكثر فضحك وقال ليس يمنعنا ذلك من برّك اذكرى حاجتك : قالت أما الآن فلا

﴿ مناظرة السيف والقلم لزين الدين عمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩هـ ﴾

لمّا كان السّيفُ والقلمُ عدّتى العمل وَالقوْلِ . وعمْدَتَيِ الدّوَل فإن عَدَمتهما دولةٌ فلا حَوْل . وَرُكْنَىْ إسناد المُلْك المعربينِ عنِ المخفُوضِ والمرْفوعِ ،ومقدّمتَىْ نتيجةَ الجدَل الصّادِر عَنْهُما المحمُولُ وَالموْضُوعُ ، فكّرْتُ أيهما أعظمُ فخراً ،وَأعلى قدْراً ،فجلستُ لهُما مجلِسَ الحكْمِ وَالفتْوى ،ومثّلتهُما فى الفِكرِ حاضرَيْنِ لِلدّعوى ، وَسوّيْتُ بين الخصْمين فى الإكرام ،وَاستنطقْتُ لسانَ حالِهما للكلامِ (فقال القلمُ) بسمِ الله مُجراها ومُرْساها ،والنّهارِ إذا جلاّهاوَاللّيلِ إذا يَغشاها ،أمّا بعدَ حَمْدِ الله بارِئِ القلمِ ومُشرّفه بالقَسَمِ ، وَجعلهُ أوّلَ ما خلَق وجمّلَ الوَرَق بغُصْنه كما جمل الغصنَ بالوَرَقِ ، والصلاةِ على القائلِ جفّتِ الأقلامُ ،فانّ القلَم قصبُ السّباقِ ،والكاتبُ بِسَبعة أقلام مِنْ طبقاتِ الكُتّاب فى السّمع الطّباقِ ، جرَى بالقضاءِ والقدَر ، وناب عن اللّسان فيما نَهى وأمرَ ، طالما أرْبى على البِيض والسمر فى ضِرَا بها وَطعانِها ، وَقاتَل فى البُعدِ والصّوَارِمُ فى القُرْب ملءُ أجفانِها، وما ذا يُشبهُ القلم فى طَاعة ناسه، ومشيه لهم على أمّ رَاسه (قال السّيْف) بسْمِ الله الخافضِ الرّافعِ ، وأنْزلنا الحديدَ فيه بأسٌ شديدٌ ومنافع ، أما بعد حَمْدِ الله الذى أنزَلَ آيةَ السّيفِ ، فعظّمَ بها حُرْمة الجرْح وآمن

خيفةَ الحَيْف، والصلاةِ على الذى نَفَّذَ بالسَّيْف سُطُور الطُّرُوس وخدمتْهُ الأقلام ماشية على الرُّؤُوس، وعلى آله وصَحْبِهِ الذينَ أُرْهِفَتْ سيُوفهم وبُنِيتْ بها على كسْرِ الأعداءِ حُرُوفُهم، فانَّ السيفَ عَظيمُ الدَّوْلة، شديدُ الصَّوْلة، محا أسْطارَ البلاغةِ، وأساغَ ممنوعَ الإساغةِ، من اعْتَمَدَ على غيرِه فى قَهْرِ الأعْداءِ تعِبَ وكيفَ لا وَفي حدِّه الحدُّ بينَ الجدِّ واللَّعِبِ، فإنْ كانَ القلمُ شاهِداً فالسَّيفُ قاضى وإن اقتَربتْ مُجادَلتهُ بأمرٍ مُستقبل قطعَه السَّيف بفعْلٍ ماضى، به ظهرَ الدِّينُ وهوَ العُدَّة لقَمعِ المُعْتدين، حملتْه دُونَ القلمِ يدُ نَبيِّنا، فشَرُفَ بذلك فى الأُمَم شَرَفاً بيِّناً، الجنةُ تحْتَ ظِلالِه، ولا سيَّما حينَ يَسَلُّ فتَرَى وَدْقَ الدَّمِ يَخْرُج من خِلالِه زُيِّنتْ بزينة الكَوَاكِب سَماءُ غمْده، وصَدَقَ القائلُ (السيْفُ أصدَقُ إنباءً من ضدِّه) لا يَعبثُ به الحاملُ، ولا يتناوله كالقلم بأطْرافِ الأنامِل، ما هوَ كالقلم المُشبّه بقوْمٍ عُرُّوا عن لوسهم، ثمَّ نُكِّسُوا كما قيلَ على رُؤُوسهم، فكأنَّ السيفَ خُلقَ من ماءٍ دافق، أو كوكبٍ راشق، مُقدَّراً فى السَّرْدِ، فهو الجوْهرُ الفرْدُ، لا يُشرَى كالقلم بثمَنٍ بخْس، ولا يَبلى كما يَبلى القلم بسوَادٍ وطَمْسٍ، كم لقائمِه المُنتَظِرِ، من أثرٍ فى عينٍ أو عينٍ فى أثرٍ، فهو فى جِرَاب القوْم قوامُ الحرْب، ولهذا جاءَ مطبُوعَ الشكل داخِلَ الضَّرْب (قال القلمُ) أو من ينْشأُ فى الحِلْية وهو فى الخصام غيرُ مُبينٍ، يُفاخرُ وَهوالقائمُ عن الشِّمالِ وأنا الجالس على اليَمين، أنا المخصوص بالرَّأى وأنتَ المخصوص بالصَّدَى، أنا آلةُ الحياة وأنتَ آلةُ الرّدى، ما لِنْتَ إلاَّ بعْد دُخول السَّعير، وما حُددت إلاَّ عن ذنبٍ كبير، أنتَ تَنفعُ فى العمرِ ساعة وأنا أُفنى العُمرَ فى الطَّاعةِ، أنتَ لِلرَّهَبِ وأنا للرَّغَب، وإذا كان بصَرُكَ حديداً فبَصرى ماءُ ذهب، أينَ تقليدُكَ من اجتهادى. وأينَ نَجاسةُ دَمك من تطهير

مِدَادى (قال السيفُ) أمِثلُكَ يُعيِّرُ مِثلى بالدِّماء ، فَطالما أمرْتُ بعض فِراخى وهى السِّكينُ فأصبحْتَ من الفَرّاثات فى عُقدك يامِسكينُ . فأخلت من الحياة جُثْمانَك . وشقّت أنْفك وقطعت لسانك وَيك إنْ كنت لِلدِّيوان فحاسبٌ مهمومٌ ، أو للإنشاء فخادمٌ لمحدوم . أو للبليغ فساحرٌ مذمومٌ . أو للفقيه فناقص فى المعلومِ . أو للشاعر فسائلٌ محرومٌ . أو للشاهد فخائفٌ مسمومٌ . أو للمُعلّم فللحى القيّوم . وأما أنا فلى الوحيهُ الأزهرُ . والحلمة والجوهرُ . والهيبة إذا أشهرُ . والصعودُ على المنبر ، شكلى الحسَنُ علىَّ . ولمَ لا أحملك الحطبَ بدلىَ ثمَّ إنِّى مملوكٌ كالكِ فانّك كناسك . أسلك الطّرائق ، وأقطعُ العلائق (قال القلمُ) : أمّا أنا فابنُ ماء السّماءِ . وأليفُ الغدير وحليفُ الهواء . وأمّا أنت فابنُ النّار والدُّخان . وناثرُ الاعمارِ وحوّاك الإخوان تفصلُ ما لا يُفصَلُ وتقطعُ ما أمرَ الله به أن يُوصلَ ، لا جرم شُمِّر السَّيفُ وصقلَ قفاهُ ، وسُقى ماء حميماً فقطّع مِعاهُ ، يا غُرابَ البيْن ، ويا عُدَّة الحيْن ، ويا مُعتلّ العَين ، ويا ذا الوَجهين ، كم أفْنيت وأعْدَمت ، وأرملتَ وأيتَمْتَ (قال السيف) : يا ابن الطِّين ، ألستْ ضامراً وأنتَ بَطين ، كم جرَيتَ بعكسٍ ، وتصرَّفتَ فى مكسٍ وَزوَّرْت وحرَّفتَ ، ونكَّرْتَ وعرَّفتَ ، وسطَّرْتَ هَجواً وشَتما ، وخلَّدْت عاراً وذمّا ، أبْشِرْ بِفرْط رَوْعتك ، وشدَّة خيفتك ، إذا قِستَ بَياض صَحيفَتى بسوَاد صحيفتك ، فألِنْ خِطابَك فأنتَ قصيرُ المدَّة ، وَأحسنْ جوَابك فعندى حِدّةٌ ، وأقلل من غلظتِك وَجبهك ، واستغِل عن دَم فى وجهى بمَدَّةٍ فى وجهك ، وإلا فأدْنى ضرْبةٍ منّى ترُومُ أرُومتَك ، فتستأصل أصلكَ وَتجتثُّ جُرثومتَك ، فَسقياً لِمنْ غابَ بك عن غابِك ، ورعْياً لمن أهابَ

بك لسلْخ إهابك ، (فلمَّا رأى القلمُ) السَّيفَ قدِ احتدَّ ، ألانَ لهُ من خطابهِ ما اشتدَّ وقال : أمَّا الأدَبُ فيؤخذُ عنِّى ، وامَّا اللطْفُ فيكْتَسبُ منِّى ، فان لِنتُ لِنتَ ، وإنْ أحسَنتُ أحسنتَ ، نحنُ أهلُ السَّمع والطَّاعةِ ، ولهذا نُجْمعُ فى الدَّواةِ الوَاحدةِ مِنَّا جماعة ، وأمَّا أنتمْ فأهلُ الحدَّة والخلافِ ، ولهـذا لم يَجْمعوا بين سيفين فى غلافٍ ، (قال السيفُ) : أمكْراً وَدعوى عِفَّةٍ ، لأمر مّا جَدعَ قصيرٌ أنْفهُ — لو كنتَ كما زَعمتَ ذا أدَبٍ ، لَما قابلتَ رأس الكاتب بعُقدة الذَّنب ، أنا ذُو الصِّيت والصَّوت ، وغرارَىَ لسانا مَشْرَفىّ يَرْتجِلُ غرائب الموْت ، أنا من مارجٍ من نارٍ ، والقلمُ منْ صَلْصالٍ كالفَخَّار وإذا زَعم القـلمُ أنَّهُ مِثلى ، أمرْتُ من يَدقّ رأسه بنعلى ، (قال القلمُ) : صَهْ فصاحب السَّيف بلا سعادةٍ كالأعزل ، (قال السيفُ) : مَهْ فقلمُ البليع بغير حظّ مغزَل ، (قال القلمُ) : أنا أزكى وأطهرُ ، (قال السيفُ) : أنا أبهى وأبهر فتلاَ (ذو القلم) لقلمه : إنَّا أعْطَيْنَاكَ ٱلْـكَوْثَرَ ، فتلا (صاحب السَّيف) لسيفه: فَصلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ، فتلا (ذو القـلم) لقلمه : إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرْ ، (قال) أمَا وَكِتابى الْمسطور ، وبَيتى المعمور ، والتوراة والانجيل ، والقُرآن ذى التَّبجيل إن لم تـكفّ عنِّى غَرْبك ، وَتبْعد منِّى قُرْبَك ، لأكْتبَنَّكَ منَ الصُّمِّ البُكم ولأسَطِّرَنَّ عليك بِقَلمى سجِلاً بهـذا الحـكم ، (قال السيفُ) : أمَا وَمثنى المَثين ، وفتحى المُبين ، ولسانىَّ الرَّطبين ، وَوجَهىَّ الصُّلبين ، إن لمْ تَغب عنْ بياضى بسوادك ، لأمسَخنَّ وجهك بمدادك ، ولقد كسبتَ من الأسد فى الغابة توقيع العين والصَّلابةَ ، مع أنِّى ما ألوْتُكَ نصحاً ، أفنضربُ عنـكم الذِّكرَ صفحاً ، (قال القلم) سَلِّ الرَّمح مَنْ سلَّ ، إن كنتَ أعلى فأنا أعلى ، وإن كنتَ

أحلى فأنا أحلمُ ، وإن كنتَ أقوى فأنا أقومُ ، أو كنتَ ألوى فأنا ألوَمُ ، أو كنتَ أطْرى فأنا أطْرَبُ . أو كنتَ أغلى فأنا أغلبُ . أو كنتَ أعتى فأنا أعتبُ . أو كنتَ أقْضى فأنا أقصبُ (قال السَّيفُ) : كيفَ لا أفْضلُكَ والمقرُّ الفلانىُّ شادٌّ أزرى . (قال القلمُ) كيفَ لا أفْضُلكَ وهو عزَّ نصرُه ولىّ أمرى

(قال الحكَمُ بين السيفِ والقلم) : فلما رأيتُ الحجتَيْن ناهضتَين . والبَيِّنتيْن بَيِّنتَين مُتعارضتين . وعلمتُ أنَّ لكلّ واحدٍ منهما نسبةً صحيحةً إلى هذا المَفرّ الكريم . وروايةً مُسْندةً عن حديثه القديم لَطّفْتُ الوَسيلةَ . ودَقَّقت الحيلةَ حتى رَددْتُ القلمَ إلى كِنّهِ . وأعْمَدْتُ السَّيفَ فنامَ مِلءَ جفْنهِ . وأخَّرْتُ بَيْنهُما التَّرْجيحَ ، وسَكَتُّ عمَّا هو عندى الصحيحُ • الى أنْ يَحكمَ المَقرُّ بَينهما بعلمه ويُسَكِّنَ سَوْرةَ غضبهما الوافر ولجاجهما المديد ببسط حِلمهِ

﴿ مناظرة بين صاحب أبى تمّام وصاحب البُحْتُرى للآمدِى ﴾

(صاحب أبى تمّام) كيف يجور لقائل أن يقول إنَّ البُحتُرىّ أشعر من أبى تمّام ، وعن أبى تمّام أخذ وعلى حَدْوه احتذى ، ومن معانيه استقى ، حتى قيل الطائىّ الأكبر والطائى الأصغر

(صاحب البحترى) أمَّا الصّحبة له فما صحبه ولا تتلمذَ له . ولا روى ذلك أحد عنه ولا نقله ، ولا رأى قطّ أنهُ محتاج اليهِ ، ودليل ذلك الخبرُ المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند أبى سعيد محمد بن يوسف الثَّغرى ، وقد دخل عليه البُحترى بقصيدته التى أوّلها * أ أفاقَ صبٌّ من هوى فأُفيقا * وأبو تمّام حاضرٌ فلما أنشدها عَلقَ أبو تمّام منها أبياتاً كثيرة ، فلما فرغ من الإنشاد أقبلَ أبو تمّام على محمد بن يوسف فقال أيها الأمير ، ما ظننت أن أحداً يُقدم على أن يسرق شعرى ويُنشده بحضرتى حتى

اليوم ، ثم اندفع ينشد ماحفظه حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة، فبُهت البحتري و رأى أبو تمّام الإنكار في وجه أبي سعيد ، فحينئذ قال له أبو تمّام أيها الأمير والله ما الشعرُ إلا له وإنهُ أحسنَ فيه الإحسانَ كلّه وأقبل يقرّظه ويصف معانيه ويذكر محاسنه، ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى أضعف له الجائزة، فمن كان يقول مثل هذه القصيدة التي هي من عين شعره وفاخر كلامه قبل أن يعرف أنا تمّام جديرٌ به أن يستغني عن أن يصحبه أو يتتلمذ له أو لغيره من الشعراء ، على أنني لا أنكر أنهُ استعار بعض معاني أبي تمّام لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البُحتري من شعره وليس ذلك بمقتضٍ أن يكون أبو تمام أستاذ البُحتري ولا بمانع أن يكون البُحتري أشعر من أبي تمام فهذا « كُثَيِّر » قد أخذ من « جميل » واستقى من معانيه فما رأينا أنّ أحداً قال إنّ « جميلاً » أشعرُ منهُ بل هو عند أهل العلم بالشعر والرّواية أشعرُ من جميل

(صاحب أبي تمّام) أنّ البُحتري نفسه يعترف أن أبا تمّام أشعرُ منهُ

فقد سُئل عنهُ وعن أبي تمّام فقال أن جيِّده خيرٌ من جيِّدي، وجيِّدُ أبي تمام كثيرٌ

(صاحب البُحتري) ان كان هذا الخبر صحيحاً فهو للبُحتري لا عليه لان قوله هذا يدلّ على أنّ شعر أبي تمّام كثير الاختلاف وشعرَه شديد الاستواء والمستوى الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعرِ، وقد اجتمعنا نحن وأنتم على أنّ أبا تمام يعلو علواً حسناً وينحطُّ انحطاطاً قبيحاً، وإن البُحتري يعلو بتوسّط ولا يسقط

ومن لا يسقط ولا يُسفّ أفضل ممن يسقط ويُسفّ

(صاحب أبي تمام) أنّ أبا تمام انفرد بمذهب اخترَعه ، وَصار فيه أوّلا وإماما متبوعاً ، وشهر به حتى قيل هذا مذهبُ أبي تمام وطريقة أبي تمام ، وسلك الناس نهجه ، واقتفوا أثرَه ، وهي فضيلة عَرى عن مثلها البُحتري

(صاحب البُحترى) ليس الأمرُ على ما وصفتَ وليس أبو تمام صاحبَ هـذا المذهب ولا بأول فيه ولا سابق اليه ، بل سلك فيه سبيل مُسْلم بن الوليد، واحتَذَى حذْوهُ وأفرط فى ذلك وأسرفَ حتى زالَ عن النّهج المعروف وسُنَن المألوف

بل إنَّ مُسْلماً غيرُ مُبتَدع، ولـكنَّه رأى هذه الأنواع التى وقع عليها اسمُ البديع منفرّقة فى أشعار المتقدمين فقصَدَها ، وأكثرَ فى شعره منها ـ ولـكنهُ حرص على أن يضعها فى مواضعها ولم يَسلم مع ذلك من الطَّعن عليه ، حتى قيل انهُ أوّل من أفسد الشعرَ فجاء أبو تمام على أثره واستحسن مذهبه وأحبَّ أن يجعل كل بيتٍ من شعره غير خال من هذه الأصناف فسلك طريقاً وعراً واستكره الألفاظ والمعانى استكراهاً ففسد شعره وذهبت طَلاوته ونشف ماؤه ـ فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبى تمام لهـذا المذهب وسبقه اليه — وكلُّ ما فى المسألة أنهُ استكثر منه وأفرط ، فـكان إفراطهُ فيه من أعظم ذُنوبه وأكبر عيوبه

أما البحترى فانه ما فارق عمود الشعر وطريقته المعروفة على كثرة ما جاء فى شعره من الاستعارة والجنيس والمُطابقة فكان انفرادُه بحسن العبارة وحلاوة اللفظ وصحة المعنى والبعد عن التّكلف والتّعمّل سبباً فى اجماع الناس على استحسان شعره واستجادته وتداوله ، ونَفاقُ شعر الشاعر دليلٌ على علوّ مكانتِه واضطلاعه بلائم الأذواق ويُلامس القلوب من أساليب الكلام ومناهجه

(صاحب أبى تمام) إنَّما أعرضَ عن شعر أبى تمام مَنْ لم يفهمه لدِقَّة معانيه وقصور فهمهِ عنه ـ اما النُقّاد والعلماء فقد فهموه وعرفوا قدره ، واذا عرفتْ هذه الطّبقة فضيلته لم يضرّه طعْنُ من طعنَ بعدها عليه

(صاحب البُحترى) لا يستطيع أحدٌ أن يُنكِر منزلة ابن الأعرابى

وأحمد بن يحيى الشّيبانى ودُعبل بن الخزَاعى من الشعر ومنزلتهم من العلم بكلام العرب وقد علمتم مـذهبَهم فى أبى تمام وازدِرائهم بشعره حتى قال دُعبل إن ثُلث شِعره محال [1] وثلثه مسرُوق وثلثه صالح ، وقال ما جعل الله أبا تمّام من الشّعراء بل شعره بالخطب والـكلام المنثور أشبه منهُ بالشعر — وقال ابن الأعرابى فى شعر أبى تمام إن كان هذا شعراً فـكلام العرب باطلٌ وهذا محمد ابن يزيد المبرّد ماعلمناه دوّن له كبير شىء

(صاحب أبى تمام) ان دُعبلاً كانَ بشنأ أبا تمام ويحسده على ماهو معروف ومشهُورٌ فلا يُقبل قولُ شاعر فى شاعر . واما ابنُ الأعرابى فـكان شديدَ التّعصب عليه لغرابة مذهبهِ ، ولأنهُ كان يَرِدُ عليه من معانيهِ ما لا يفهمهُ ولا يعلمهُ ، فـكان اذا سُئل عن شىء منها بأنف أن يقول لا أدرى ، فيعدل الى الطّعن عليه ولا مانع أن يكون جميع من تذكرونه على هذا القياس

(صاحب البُحترى) لا عيب على ابن الأعرابى فى طعنهِ على شاعر عدل فى شعره عن مذاهب العرب الى الاستعارات البعيدة المُخرجة للكلام الى الخطأ والأحالة والعيبُ فى ذلك يلحق أبا تمام إذا عدل عن المحجّة إلى طريقة يجهلها ابن الإعرابى وأمثاله من المضطلعين بالسليقة العربية

(صاحب أبى تمام) إنّ العلم فى شعر أبى تمام أظهرُ منهُ فى شعر البُحترى والشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم

(صاحب البحترى) كان الخليل بن أحمد عالمـاً شاعراً ، وكان الأصمَعى شاعراً عالمـاً ، وكان الـكسائى كذلك ، وكان خلف بن حيّان الأحمر أشعرَ العلماء ، وما بلغ

(١) المحال الفاسد

بهم العلم طبقةً من كان فى زمانهم من الشُّعراء غير العلماء ، والتجويدُ فى الشعر ليست علته العلم — والشائع المشهور أنَّ شعر العلماء دون شعر الشعراء، وقد كان أبو تمام يعمل على أن يدلَّ فى شعره على عامه باللغة وكلام العرب

أما البُحترى فلم يقصد هذا ولا اعتمده ولا كان يعدّه فضيلة ولا يراه علماً بل كان يرى أنه شاعر لا بدّ له أن يقرِّب شعرَه من فهم سامعه، فلا يأتى بالغريب الا أن يتّفق له فى اللفظة بعد اللفظة فى موضعه من غير طلبٍ له ولا حرص عليهِ على أن هذا العلم الذى تُؤثرون به أبا تمام لم ينفعهُ فقد كان يلحن فى شعره لحناً يضيقُ العذرُ فيه ولا يجد المتأوّل له مخرجاً منهُ إلاَّ بالحيلة والتحمُّل الشديد

(صاحب أبى تمام) لسنا ننكر أن يكون صاحبُنا قد وهِم فى بعض شعره وعدل عن الوجه الأوضح فى كثير من معانيه : وغير غريب على فكر تنتج من المحاسن ما تنتج وولَّدَ من البَدَائع ما وَلَد أن يلحقه الكلال فى الأوقات والزللُ فى الأحيان، بل من الواجب لمن أحسن إحسانَهُ أن يُسامَحَ فى سهوه ويُتجاوَزَ له عن خطائه ، وما رأينا أحداً من شعراءِ الجاهلية سلم من الطَّعن ولا من أخذ الرُّواة عليهِ الغلطَ والعيب — وكذلك ما أخذنهُ الرُّواة على المحدثين المتأخرين من الغلط والخطأ — واللّحن أشهر من أن يحتاج الى أن نبرهنهُ أو ندلّ عليهِ، وما كان أحدٌ من أولئك وهؤلاء مجهول الحق ولا مجحود الفضل بل عفا إحسانهم على إساءتهم وتجويدهم على تقصيرهم

(صاحب البحترى) أما أخذ السَّهو والغلط على من أخذ عليهم من المتقدمين والمتأخرين ففى البيت الواحد والبيتين والثلاثة — أما أبو تمام فلا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عِدَّة أبيات يكون فيها مفسداً أو مُحيلاً أو عادلاً عن السَّنن

أو مستعيراً استعارةً قبيحة أو مخطئاً للمعنى بطلب الطّباق والتّجنيس أو متهماً يسوء العبارة والتّعقيد حتى لا يُفهم ولا يوجد له مخرج

(صاحب أبي تمام) انكم تنكرون على أبي تمّام من الفضل ما يعترف به البُحتري نفسه، فقد رثاه بعد موته رثاءً اعترف فيه له بالسّبق وفضّله على شعراء عصره

(صاحب البحتري) لمَ لا يفعل البحتري ذلك وقد كان هو وأبو تمام صديقين مُتحابّين ، وأخوَين متصافيين يجمعهما الطلب والنّسب والمكسب ، فليس بمنكر ولا غريب أن يشهد أحدهما لصاحبه بالفضل ويصفهُ بأحسن ما فيه ويَنحله ماليس فيهِ على أن الميت خاصة يُعطى فى تأبينه من التّقريظ والوَصف وَجميل الذّكر أضعاف ما كان يستحقهُ

(صاحب أبي تمام) كيفما كان الأمر لا تستطيعون أن تدفعوا ما أجمع عليه الرُّواة والعلماء أن جيدأبي تمام لا يعلق به جيّد أمثاله ، وإذا كان جيده بهذه المكانة وكان منَ الممكن اغفال رديئه واطّراحه كأنه لم يقله فلا يبقى ريب فى أنه أشعر شعرَاء عصره والبُحتري واحد منهم

(صاحب البحتري) انما صار جيد أبي تمام موصوفاً ومذكوراً لندرته ووقوعه فى تضاعيف الرّديء ، فيكون له رونق وماء عندالمقابلة بينه وَبين ما يليهِ : وجيّد البُحتري كجيّد أبي تمّام إلا أنه يقع فى جيّدِ مثله أو متوسط فلا يفاجئ النفسَ منه ما يفاجئها من جيّد صاحبه

﴿ مناظرة بين الليل والنهار لمحمد افندى المبارك الجزائرى ﴾

لمّا أسفر النّهار عن بياض الغُرّة ، قابله الليل بسواد الطرة ، ثم صار الهزْل جدًّا واشتدّ النّزاع بينهما جِدًّا ، فاستنجد كلٌّ منهما أميرَه ، وأفشى له سرّه وضميره ، واذا

باللَّيل حَملَ على النَّهار، فَصبغَ حُمْرَة وَرْدَته بصفْرَة البَهار، وَخطرَ يجُرُّ ذُيُول تِيهه وعُجبه، مُرَصِّعاً تيجان مَفَاخره بدُرَرِ شُهبهُ. ثم قال: (وَاللَّيْلِ إذا يَغْشَى). (إنَّ فى ذَلكَ لَعبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) ففتح باب المناقشة فى هذا الفصل، وعقد أسباب المنافسة بقوله الفَصْلِ (فإنَّ الحرْب أوّلها كلام) ثم تنجلى عن قتيل أو أسير بكلام ـ ولما بلغَ الليل غايتَه، بَزَغَ الفجر وَرَفعَ رَايتَه، وقال إذْ جال فى مُعترك المنايا) أنا ابن جلاَ وَطَلاَّع الثَّنايَا) فتقدَّم فى ذلك المَيدان وجلَّى، تَالياً قوله تعالى (وَالنَّهَارِ إذَا تجَلَّى) ثمَّ استوى على عرْش السَّناوالسناء، وأَطلع شُموس طلعته فى الأَرْض والسماء فأعْرَبَ عن غوامض الرَّقائق والحقائق، وأغربَ فى نَشر ما انطَوى من الأسرار والدقائق، وما انحدر من منبره، حتى أيَّدَ دَعْوَى خبرَه بشاهِدِ مَخبره — فانتدب اليه «الليل» ومال عليه كلّ الميل، وقال: أحمَد من جَعلنى خلوة للأحباب، وجلوَة لعرائس العرفان وَنفائس الآداب، وخلَقنى مثوَى لراحة العباد، ومأوَى لخاصَّة النُسَّاك والعُبَّاد: ولله درَّ من قال فأجاد

أيها اللَّيلُ طُل بغير جُناحِ ... لَيسَ للعين راحةٌ فى الصباحِ
كيف لا أبغض الصّباح وفيه ... بان عَنى نور الوجوه الصّباحِ

أتَرَدَّدُ على أرباب المجاهدة بفنون الغرائب، وأتودَّدُ إلى أصحاب المُشاهدة بعيون الرَّغائب، تدُورُ فى ساحتهم بدُورُ الحُسن والبهاء، وتُدَارُ من رَاحتهم كؤوس الأنس والهناء، فتُحييهم نغمات السَّمَر، وتُحْيِيهم نسمات السَّحَر، فأحيانُ وصلى بالتَّهانى مقمرة، وأفنان فضلى بالأمانى مُثمرة، وَحسبي كرَامةً أنِّى للناس خير لباس، أقيهم بلطف الإيناس من كل باس، ومَن واصل الإدلاج وهجَر طيب الكَرَى، قيل نه (عند الصباح يحمد القومُ السُّرَى)

وما الليلُ الا للمُجِدِّ مَطِيَّةٌ وَميدَانُ سَبقٍ فاستبق تبلغ المُنَى

ففتن بمعانى بيانه البديع ، وتفنَّن فى أفانين التَّصريع والتَّرْصيع ، ثمَّ أتمَّ خطبته بالتماس المغفرة والعفو ، واستعاذ بالله من دواهى الغفلة وَدَواعى اللهو ، فوثب اليه (النّهار) وصال عليه صولة ملك قهّار ، وصعدَ على مَنبره ثانيا ، وقد اضحى التّيه لعطْفِهِ ثانياً فأثنى على منْ جلى ظلمة الحجاب وتحلّى له باسمه النّور وتوّجه بسورَة منَ الكتاب وزانه بأبْهى سراج وهّاج ، فأوضح بسناه السبيل والمنهاج ، ثمَّ صاح : أيها الليل هلا قصَّرت من إعجابك الذّيل ولئن دَارَت رَحى الحرْب ، واستعرَّت نار الطّعن والضَّرْب ، فلا سبيَنّ مخدَّراتك ، وَهىَ عنِ الْوُجوه حاسرة ، وَأنتَ تتلو يومئذ (تِلكَ إذاً كَرَّةٌ خاسِرَة) لما دَعاك إلى حَلبة المُفاضلة ، وَما دهاك حتى عرَّضت بنفسك المناضلة ، وهل دَأبك إلاَّ الخِدَاع وَالمَكر ، وتَرَقّب الفُرْصة وأنت داخل الوَكر ، أمَّا حَضّ الفُرآنُ على التَّعوُّذ بِرَبِّ الفَلَق وندب (مِنْ شَرِّ مَا خَلَق وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إذَا وَقب) فبِرَبِّى يستعاذ منْ شرّك ، ويستعانُ على صُنُوف صُرُوف غَدْرك ، وَهبْ أنَّكَ تجْمع المحبّ بالحبيب ، إذا جارَ عليه الهوى وحار الطبيب ، فكم يقاسى منك فى هاجرَة الهَجر ويَئِن أنِين الثّكلى حتَّى مَطلع الفجر

يبيتُ كما بَاتَ السَّليمُ مُسهَّدا وفى قلبهِ نارٌ يشبُّ لها وَقدْ

فيساهر النجوم ويساور الوُجوم ، وقد هاجت لوَاعِج غرَامه وتحرّكت سوَاكن وَجده وَهُيامه : فأنشد وَزَفيره يتصَعَّد

أُقَضِّى نهارِى بالحَدِيثِ رَبالمُنَى وَيَجْمعُنِي والهمّ بالليل جامعُ

نهارى نهار النَّاس حتى اذا بدا لىَ الليلُ هزَّتنى إليك المضاجعُ

على أن العاشق الوَالِه يشكو منك فى جميع أحوالِه ، فكم قطع آناءك بمواصلة

أنينهُ ، مُتململاً منْ فرط شوْقه وَحنينه ، فلمَّا أنْ حظيَ بالوصال تمثّل بقول من قال

الليلُ إن واصلتْ كالليل إن هجرتْ أشكُو منَ الطُّول ما أشكُو من القِصَر

ولئن افتخرتَ ببدرك الباهر الباهى، فانما تُبارى ببعض أنوَارى وتُباهى، وهل للبدر عندَ إشرَاق الشّمس من نور ، أو لطلعة حُسنهِ من خدُور البطون ظهور، ومن ادَّعى أنك تساوينى فى الفضل والقدْر ، أو زَعَم أنَّ الشمس تقتبس من مِشكاة البدر ، ومتى استمدَّت الأُصول منَ الفرُوع (وَما أغْنى الشُّموسَ عن الشموع) فَىَ تتجلى محاسنُ المظاهِر الكوْنيَّة وَتتحلى بجوَاهر الأعرَاض اللّوْنيه ، وأنّى يخفى حسْنى وجمالى على مُشاهد ، أو يفتقرُ فضلى وكمالى الى ساهد ، وَعرْضى عارٍ عن العار وَجميعُ الحُسن من ضيائى مُستعار

وَلَيسَ يَصحُّ فى الأذهان شىءٌ اذا احتاج النّهار الى دليل

أما كفاك بَيِّنةً وزادك ذكرى وتبصرة قوله تعالى (فَمحوْنَا آيةَ اللّيل وَجعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَة) (وَهَلْ يَستوى الْاعمَى وَالبَصيرأمْ هَلْ تَسْوِى الظُّلُمات وَالنُّور) وأين منزل أهل الغفلة من منزل أهل اليقظة والحضور ، وإن كنتَ مَغنَى الأنس والأفراح تَفعل بعقول الناس فعل الرّاح ، فهل حسبت أنَّ السُّكون خيرٌ منَ الحركه ، وَقد أجمع العالَم على أن (الحركه بَركة) فانَّ لى بكلِّ خطوَة حظْوة ، وليسَ لجوَادى كَبْوَةٌ وَلا لِصارِمى نَبوَة ، وَإنْ صَرَّحْتَ لِلّذينَ يَبيتُونَ لرَبِّهمْ سُجدًا وَقياماً مُعرِّضاً بكلّ غافِل لاَه ، فى كلّ مجالٍ رجالٌ لاَ تُلهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلاَ بَيعٌ عَنْ ذِكرِ الله ، وَأينَ من احْتَجبَ بظلماتٍ بَعضُها فَوْق بَعض ، مِمَّنْ أضْحى يَنظر بعين الإعتبار فى ملكوت السّموَات وَالأرْض ، وَقدْ أتْحفَنى اللهُ بالصَّلاَة الوُسطَى فأوْتِرُ بِهَا صَلوَاتى ، وَشَرَعَ فِيها الإسرَار لأسرَار اختَصَّتْ بها أهل جلوَاتى

وكفاني شرفاً (شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآن) فما آثِرِى مأثورة فى القديم والحديث ، ومفاخرى منثورة فى الكتاب والحديث ، ومحاسنى واضحة لأولى الأبصار ، وهل تخفى الشمس فى رائعة النهار ، فاكفف عن الجدال ، وامسكْ ولا تجعل يومك مثل أمسك ، وسالِمْ مَنْ لَيْسَ لكَ عليه قُدْرَة فقد قيل (ما هَلَكَ امرؤ عَرَف قَدْرَه) أقولُ قولى هذا وأستغفرُ الله من آفة العُجب والكبرياء ، ولمَّا انهارَ ركن النهار إبهارَّ (اللَّيْل) وتبرقعَ بالاكفهرار فسدَّ ما بينَ الخافقين بسواده ، وطفقَ يرمى بسهام جداله فى جلاده ، وقدَّم بين نجواه سورة القدر آية على ما حازه من كمال الرِّفعة والفَدْر ، وثنّى بقوله تعالى (سبحانَ الذى أسْرَى بعبْدِهِ ليلاً) فأشارَ إلى الحبيب حين تجلَّتْ له قُرّة عينه ليلاً ، ثم قال سُحْقاً لكَ أيها النهار فقدْ أسَّسْتَ بُنيانَك على شفا جُرُفِ هار ، تُناضلنى ومنّى كان انسلاخك وظهورك ، وتُفاضلنى وبى ارّختْ أعوامك وشهورك ـ ألم يأنِ لك أن تخشع للذكر فتعترف لى برُتبة التقديم فى الذكر ، وكيف تعيرنى بلون السواد ، وهل يَقبُح السوَّاد إلا فى الفؤاد ، أو كيف تعيبنى بالخداع (والحربُ خُدْعة) وليْسَ الشىء فى موْطنه بغريب ولا بدْعة ، أما تشهد العوالم من هيْبَتى حيارَى (وترَى النَّاسَ سُكارَى وما هُمْ بسُكارَى) فكم أرَّقتُ ملوكاً أكاسرة ، وأرَقْتُ دِماء أُسودٍ كاسرة ، وكم أوْرَيتُ نار الوَغى تحتَ العَجاج ، وقد أزْوَرَّت اللّحاظ واغبرّت الفجاج ، فأنا البَطل الَّذى لا يُصطَلى بناره ، ولا يأخذُ منهُ الموْتورُ بثاره وافتخارك علىَّ بالصّلاة الوُسطَى ، ليس إنصافاً منك ولا قسْطاً ، وهبْ أنَّك انفردتَ بتلك الصلاة الجليلة ، فأينَ أنتَ مما أُوتيتهُ مِنَ الصلّات الجزيلة ، أما كان اقتراض الصّلاة فى ليلة العرُوج ، فما بالكَ تدَّعى الإرْتقاء الى هذه البُرُوج

وما أعجبتني قطّ دعوى عريضة ولو قام في تصديقها ألفُ شاهدِ

وأمّا افتخارك عليّ بفضل شهر رمضان وما نزل فيه من السبع المثاني والقرآن فهل صحّ لك صيامه إلا بدأً وختاماً، وقد تميّزتُ عليك بفضيلة إحيائه تهجّداً وقياماً، على أني محلّ النيّة (ونيّة المرء خيرٌ من عمله) لأنها بمثابة الرّوح له، وبها يحظى الرّاجي ببلوغ أمله، هذا وإني أتكمّل للصائم بمديد الرّاحة وَوافر الأجر حتى ينبيّن له الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وكيف نفتخر بالكتاب المنزّه في مزاياه عن المشاركة والله تعالى يقول فيه (إنّا أنزلناه في ليلةٍ مباركةٍ) وهل في مطالع سعودك أشرقت بدور العيدين، أم على جناح جنحك أسري بنور طلعة الكونين، ثم عُرج به عليه الصلاة والسلام إلى منزلة قاب قوسين، وهل في تجلّيات أسحارك يقول الربّ: هل من سائل، فيناجيه العبد مضرّعاً اليه بقلبٍ خاشع ودمع سائل، ومما اختصصتُ به من الفضائل والمفاخر، أنه في دولتي وُلد سيّد الأوائل والأواخر. وناهيك بليالي سهر الله رجب، وكيف لا وفي طالعها السعيد حملت آمنة بسيّد العجم والعرب (فطلع النهار) طلوع الأسد من غابه، وكسّر جيوش الدّجى حين كشّر عن نابه، وتسمّر للحرب العوان غير ناكلٍ ولا وانٍ، ناشراً في الأفق رايته البيضاء، وأسنّته لامعة بين الخضراء والغبراء، وقال والذي كساني حلل الملاحة، وأطلق لساني بالبلاغة والفصاحة لأمحوَنّ سطور الدّجى من طروس الوجود، ولأثبتنّ حسن أحوالي في مقامات أهل الشهود، فإني معروفٌ بالوفاء وصدق الخبر، موصوف بالصفاء الذي لا يشوب صفوه كدر، كيف يباهيني الليل بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، وأنا أتحدّث بنعم الله وهو موسوم بكفران النعم، ألستُ مظهر الهداية والدلالة

وَهو مَظهر الغوَايه وَالضلَالَة ، فكم أرْشدتُ مَنْ أضلّه ، وَأعزَزْتُ مَنْ أهَانهُ وَأذلّه، وكم أظهرْتُ مِنهُ عيباً كانَ غيباً ،فابْيضَّتْ عينهُ حُزْنا (وَاشْتعَلَ الرّأسُ شَيْبا)

وَمَنْ جهلَتْ نفْسهُ قدَرَه رَأى غَيْرُهُ مِنْهُ مَالاَ يَرَى

وكيفَ يَزعمُ هذا العبد الآبق أنَّهُ لِسيدِهِ فى حَلْبة الشرَف سابق ،وَقد قال الوَاحِدُ القهّار (وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهار) إنْ هُوَ وَأيْمُ الله إلاَّ كافر ، وَبشمُوس أنوَار الشَّهَادَةِ غيرُ ظافِر ، لوْ كانَ مِنَ السُّعدَاء لَفازَ بدَارِ النَّعيم ، ولوْلاَ شقَاؤه لما شابَهُ سَوَادُ طبقَات الجحِيم ، وَماذَا يُؤمّله مِنَ الجَزْاء وَيَرْجُوه (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوه) أما دَرى أنَّ صَحيفه سوْدَاء مُظلمة ، وَصحيفتِى تُفصح عنْ نَفسٍ مُؤمِنة بالله مُسلمة ، وَأنّى يرْفى كتابُهُ إلى عِلّيِّين ، وَهوْ مِنْ ظُلُمات الحجاب فى سِجّين ، ثمَّ أقبَلَ عليه وَأنشد مُشيراً إليه

يا مُنسبها فى فِعلِهِ لوْنه لم تعد ما أوْجَبَتِ القسْمه
خُلقك من خَلْقكَ مُسْتحْرَجٌ وَالظُّلْمُ مُشْتقٌّ من الظلْمه

وقالَ كيفَ تدَّعى فوْقَ حالك ، وَأىُّ فضل لمَن مَنْظرُه أسوَد حالِك

أماعلمت أنَّ الظَّاهر لِلباطن عُنوَان، كما أن اللسان عن الجنان تَرْجُمان : قال أفصل الخلق (ابْتغُوا الخيْرَ عِنْدَ حِسان الوُجُوه) وقال الشاعر

لاَ تسأل المرْءَ عنْ خلاَئقِهِ فى وَجْهِهِ شاهدٌ منَ الخبَر

فأنا مُفتاح خزَائن الأرْزَاق ، وبى يُستفتح بابُ الكرِيم الرّزَّاق ، وكفانى دليلاً على الفضل وَالكمال (إنّ اللهَ تعالى جَميلٌ يُحبُّ الجمال) لقد سمعتُ أقاويلك التى قدّمتها بين يَديك ، وَزعمتَ أنَّها حُجّة عليك ، وَلا جَرَمَ أنَّ (لسانَ الجاهلِ مِفتاحُ حَتفِهِ) وكم مِنْ بَاغٍ قُتل بصارِم بَغيه وحيفه — أما

انسلاخى منكَ فمنْ أمْلَح المِلَح لِى وَالغُرَرْ ، وَهلْ تحقُّ لأصناف الأصداف أنْ تُنافِس نَفائس الدُّرَر، أليستَ (تَلدُ الامةُ رَبّتها حُرَّة نجيبة) وَقد قالوا (إنَّ اللّيالى حبالى يلدْنَ كلَّ عجيبة) وَأمَّا تقدمك علىَّ فمِنَ العادة تقدُّم الخدَم بينَ يدِى السَّادة

أوْ ما ترَى أنَّ النَّبىّ محمداً فاقَ البريّة وَهوَ آخرُ مُرْسَل

علَى أنّهُ (أوَّلُ ما خلقَ اللهُ النورَ) كما وَرَدَ عن جابر فى خبره المأثور

وأمّا تحلّى صفوَتك بتحلّى الحقّ تعالى فى السَّحر، فلَيسَ إلا لمن أحيا أحيانك بالمجاهدة والسّهر ، وَأمَّا زُهُوّك بقِصَّةِ ظُهور سيد ولد آدم ، الذى هو نتيجة مقدِّمات الكون وَزُبدَةُ العالم ، فهل وَقع اتّفاقُ الرّواة على ذلك ، وَأنّى لَكَ هذا ، وَصُبْح طلعته يمحو سوَادك الحالك ، وَأمَّا خبرُ الإسرَاء فعنّى رَوته الأُمَّة ، ثم بلغه الشاهد للغائب بعد أمَّة ، فما لاحت أسرَاره إلا بمطالعى ، ولا راحت أستاره إلاَّ بطوالعى وما أشرت اليه من بقية معانيك التى أضاءَتْ بها فى الخافقين نجومُ معاليك ، فأنت أين من يوْم عَرَفه ، الذى عرَفه بأبْهى الخصائص من عَرَفه ، وأين أنت من يوْم عاشوراء ، الذى يَعظُم فيه الشكر وَالصَّبر على السَّراء وَالضرَّاء ، وناهيك بسُموّ شأن العيدَين فما أجلّهما من موسمين سعيدين ، وكيف تُفاخرنى بساعة تبدو منك مرّة فى كلّ عام ، وَلى فى كل أسبوع أمدٌ تمتدُّ فيه موائد الجود والإنعام ، فأخبارُ أخيارى سارَت بها الرّكبان ، وَماسَت بنسيم رِقَّتها معاطف البيان ، وقدرى فوق ما تصِفُه الألسُن ، وعندى (مَا تَشْتَهِيهِ الأنفُس وَتَلَذُّ الأعْيُن) فدَعْ عنك قول الزّور والمينْ (فقد بُيِّنَ الصّبح لذى عينين) ولمَّا أفاض النَّهار ، فى حديث يُفضح الأزْهار ، أبدَع فى كنايته وتلويحه ، وأعرَب فى تعرِيضه وتصريحه (ابتدَرَ اليه الليل) وأجلبَ عليه بالرَّجل والخيلِ ، وامتطى جوَاده الأدهم ، وَاعتمَّ بعمامة

سوْدَاءَ وَتلَثَّم ، فأنسَى بفَتكاته عَنْتَرَةَ بَنى عبس ، حِينَ أمسى يتوَعَّد عمارةَ بالقتل والرَّمس ، ثم نشرَ فى الافُق ذوائبه السُّود ، وَعَبَسَ وَبَسَرَ فأسرَ بسَطوَته الأُسود ، وقال (فلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفقِ وَاللَّيلِ وَما وَسقَ وَالْقَمَرِ إذا اتَّسَق) لأسبيَنَّ رُومىَّ النَّهار ولأجعلنهُ عِبرة لذوِى الاعتبار ، فلقَدْ تَزَيَّا المَلُوكُ بزِىِّ الملوك وادَّعى مقام الوُصُول الى صاحب السِّير والسلوك ، أما كفاه ازْدِرائى وتحقيرِى ، حتى حكم بتضليلى وَتكْفيرى ، كَم أسبَلتُ على عَوْرَاته ذيلَ سترى وهو لا يُبالى بهتك أستارى ، وكم أوْدَعتُ مكنُون سِرِّه فى خِزانة سرِّى ، وهو يبُوح بمصون أسرَارى ، أُفٍّ له من فاضح ، أما يكْفيه ما فيه من المفاضح

أنَمّ بما أستوْدَعْتُهُ من زُجاجةٍ يُرَى الشَّئُ فيها ظاهراً وهو باطِنُ

كيف احتَجَّ لتقدّمه بحدِيث جابر ، مع أن ما رَواه لكسرى أعْظمُ جابر ، فانه برهنَ علَى تقدّمى عليه ، لو أدرك سِرَّما أوْمأ اليه ، وَعلامَ جعل السَّوَاد علَى النَّقص علامة ، وهو مُشْتَقٌّ من السُّؤْدَد لدَى كلّ علاَّمة ، أمادَرَى أنى حُزتُ من الكمال الحظّ الأوْفر ، حتى تحلّى ببديع وَصْفى العنْبَرُ والمِسكُ الأزفرُ

إن كنتُ عبْداً ففى نفسى حُرَّةٌ كرَماً أو أسوَد الخَلْق إنّى أبيض الخلق

وهل يُزْرى بالخال سواده البارع ، أو يُغرى بالبرَص بياضه الناصع ، وفى بياض المشيب عِبرَة وأىّ عبرَة فكم أجرَى من الآماق أعظم عَبرَة

لهُ منظرٌ فى العين أبيضُ ناصع ولكنَّه فى القلب أسود أسفَعُ

وَمنْ عاب نعْت الشَّباب وفضَّل وصفَ الشَّيب ، فقد غاب عن شهُود العَيب وعالم الغيب (فما كلّ بيضاء شَحمة ولا كلّ حمراء لحمة) ولمَّا أنهى مقالَه ، وملّ مقامه شمَّرَ للرّحلة أذْيَاله وَقوَّض خيامه ، فتهلَّلَ وجه الصَّباح ، وَهلّل بذكر فالق

الإصباح وازدهاه السّرُور والابتهاج ، كأنّه ربّ السّرير والتّاج

فكأنّ الصّبْح لمّا لاَح من تحت الثُّريَّا
مَلكٌ أقبَل فى النّا ج يُفدَّى ويُحيَّا

وبَرَز إلى المُبارزَة من بابها إذ كان من فرسانها وأرْبابها ، فسلب اللّيل لباسه وأذَاقهُ شِدَّتَه وباسه ، وقال له : أيها المعجبُ بنفسه ، المغرب فى نقْشه صحيفةَ زوره بنقسِه (ما كلّ سوْدَاءَ تمرَة ولا كل صَهْبَاءَ خَمْرَة) ألم تعلم أيّنا أبْهى مُحيّا وَشتّان ما بَينَ الثّرَى والثُّرَيَّا ، أين سوَادك من بَياضى ، ومازهر نجمك إن تتلألأ زهرُ رِياضى ، وكم أطلعتُ بُدُوراً فى مواكب السّيارة ، فأصحت تزهو بجمالها على الكواكب السيّارة ، وهل لك مثل الغزالة التى انفرَدَت فى المَلاحة لا بحالة فأنا الذى ضاء صباح الصّباحة من مُحيّاه ، وضاعَ عَبير العنبر من نشر أنفاسهِ وطِيب رياه ، ولوْلاَى ما عُرف الحُسن والجمال ، ولا سعى على وجه الأرض بدر الكمال : فوجم (الليل) لبراعة تلك العبارة ، وبلاغة ما لاح له من الرّمز والإشارة ثمّ وثبَ المقال ، كأنّما أُنشط من عِقال ، وقال (رُبّ ملوم لا ذنب له) ومظلوم خيّب الدّهر أمله ، فإلى متى يسوءنى النهار ، وحتى مَ يسومنى عذاب النار ، ظالما أعرْته أُذُناً صمّاء ، وعيناً عمياء ، وهو لا ينثنى عن المُقابلة . ولا يرْعوى عن المحاربة والمُقاتلة ، أما تعلم أيّها المُغتر ببياضك أن السّوَاد حلية أهل الزُّهد والصّلاح ، وهل يسترقّ الأُسودَ إلاّ سُودُ أحداق الملاح ، بيد أنّ الحرّ لا يُبالى بالجمال الظّاهر وإنّما يُباهى بالفعل الجميل والقلب الطّاهر ، فإنّ تفاوُت المرَاتب بحسَب تفاوُت المناقِب

وما الحسن فى وجه الفتى شرفٌ له اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وكم أعدَدتُ للأُنس مقاعد ، وفى الأمثال (رُبّ ساعٍ لقاعد) فإنّ ظِلّى

ظليل، ونسيمى عليلٌ. بليل تهدأ بى الأنفاس، وتسكن الأعضاء والحواسّ (فقام النهار) يعثرُ فى ذيله، وقد كفكفَ وَاكِف سَيْلِهِ، فما لَبث أن تنفّس الصبّاح؛ وأظهر مِن سَنَاه ما أخفى ضوء المصباح، وَرَفرف بجناحه الأبيض على الدُّجى، فاقتنصه من وَكره بعد ما سكن وَسجا

فكأنّ الصبّاح فى الأفق بازٌ وَالدُّجى بين مِخْلَبيْهِ غُرَابُ

وقال تبًّا لك أيها (الليل) فلقد أُوتيتَ منَ المَيْن أوفرَ نَيل. أىّ حديث لك صحيح وَضعتهُ، وأىّ حقّ لك صريح أضعتهُ

عليك بالصِّدق وَلو أنه أحرَقَك الصِّدْقُ بنار الوَعيد
وابْغِ رضا اللهِ فأعيى الوَرَى مَن أسخط المولى وأرْضى العَبيد

نعم لك فى السّمر خبرٌ مرْفوع، بَيد أنه مكروه فى السُّنة موضوع، قد اشتهرت لكن بأقبح الأوْصاف، وعدلت لكن عن سبيل العدل والإنصاف، تكتم عن المرء ما يُريدّيه (وتُخفِى فى نفسك ما اللهُ مبديه) وفى المثل (الليلُ أخفى للوَيل) فما أصْعَبَ مراسك قبل افْترار سُهيل، وهل يترنَّم بذكرك إلاّ غافل، وأنّى يغترّ بك عاقلٌ ونجمُكَ آفل، وكيف تفتخر علىّ وأنت تفتقرُ إلىّ، ولمّا سَلَبَ النهار بأساليب بيانه العقُول (سكت الليل) مَليًّا ثم أنشأ يقولُ

فعينُ الرِّضا عن كلّ عيبٍ كليلهُ كما أنّ عينَ السُّخْط تُبدى المَساويا

كيف أتصدّى للكذب وأتردّى باللّهو واللعب، وأنا المنعُوتُ باللُّطْف والظَّرف، والموْسومُ بالصّمت وغَضِّ الطرْف، كيف أوْرثُ الغرُور، وأوْثرُ الغفلة على الحُضور، وأنا الدّاعى لذكر الله وَحده، والسّاعى فى رَدّ الكثرَة الوَهميّة الى عين الوحدَة، وأنا الموْصُوف بالسِّتر الجمِيل، وَالمعرُوفُ بشكر المعرُوف والجميل

وهل أحْجُبُ البَصَرَ عن شُهود عالَم الكثافة ، إلاّ لأكْشفَ لعين البصيرة عن عالَم اللّطافة ، وَبذلك يتحقّق العبد بفنائه عن وُجودهِ ، فيمدّه الرّبّ تعالى بسرّ بقائه من خزائن جُودِه ، ثمّ قال : (النّهار للّيل) وقد هجمَ عليه هُجُوم السّيل أيّها المدّعى مقام الدّعْوَة الى الله، وهوَ فى حال الغفلة عن مولاه لاه ، كيف تسنّمْتَ ذِرْوَةَ هذا المِنبر ، كأنكَ تكتُبُ بالمِسكِ وتختمُ بالعنبر ، لقدْ أطَلْتَ فيما «لاطائل تحتهُ » ولا معنى ، فكم ذا (أسمَعُ جَعْجَعةً وَلا أرى طِحناً) فلوْ كنتَ ممّن انتخب غرَر الشّيَم واُنتقى . لاُتّعظتَ بقوله تعالى (فَلاَ تُزَكّوا أنْفُسكُمْ هُوَ أعْلَمُ بِمَن اُتّقى . فتنبّه من غفلتك أيها « الليل » قبل أن تدعوَ بالثّبُور وَالويل وَإلاّ فرّقتُ طلائع سَوادك أىّ تفريق ، ومَزّقتُ سوابغ ظلامك أىّ تمزيق (فَما كلُّ مرّة تَسْلَمُ الجرّة) فاسودّ وَجه اللّيل ،وَانقلبَ «بخُفّ وَسُوء كَيْل» وَندمَ على مُناضلة النّهار نَدامة المَرْزُدَق [1] حينَ فارَق النّوّار (وَلَمّا سُقط فى يَدِه) ورُزِئَ فى عَدَده وَعُدَده ، تَرَدّى بالسّواد ، ولبسَ ثِياب الحِداد ثم لاح هلاله للعيْن ، كمِنجَل صِيغَ مِن لُجَيْن

أنْظُر إلى حُسْنِ هلال بدا بجْلُو سنا طَلعته الحِنْدِسا
كمِنْجَل قد صِيغَ من فِضّةٍ يَحْصُدُ من زهرِ الدُّجى نرجسا

(١) بنت مجاشع زوج الفرزدق طلقها في مجلس عبد الملك بن مروان — وذلك ان الفرزدق قال فى المجلس وعند جرير — النوار طالق ثلاثا ان لم أقل بيتا لا يستطيع جرير ان ينقضه ابداً فقال عبد الملك ماهو فقال

فانى انا ألموت الذى هو واقع بنفسك فانظر كيف انت مزاوله

فقال جرير ام حرزة طالق منه ثلاثا ان اكن نقضته وزدت عليه فقال عبد الملك هات فانشد

انا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئنى بمثل الدهر شيئا يطاوله

فقال عبد الملك فضلك والله يا ابا فراس وطلق عليك

وقالَ مَنْ ينْصفُنى من هـذا الجائر ، وَينْصِتُ لى فأبُثُّهُ شكوَى الوَالهِ الحائر فختّامَ أُعانى حدَّ الظُّبا (وقد بلغَ السَّيل الزُّبى)

وكُنتُ كالمُتمنّى أن يَرَى فَلَقاً من الصَّباح فلمَّا أنْ رآه عَمِى

فانتبه طرف (النهار) وأزْدهر سِرَاجـه أىّ ازدهار ، وَشرَعَ يَتلو سُورَة النُّور بكمال الابتهاج ، والشَّمس تَرْقُمُ آية جَماله بالذَّهب الوَهَّاج

وقابَل الصُّبْحُ جُنْحَ اللّيْل فارْتَسَمَتْ سُطورُه البيضُ فى ألوَاحه السُّود

ثمَّ قال: أيها « الليل » البهيم (تَاللهِ إنَّكَ لَفى ضَلَالِكَ القديم) كيف تدَّعى أنك مظلوم ، وتشتكى من جوْرى وَأنتَ الظَّلوم ، وَهبْ أنى قاتَلْتُكَ ظُلماً فأنتَ البادى ، وَهـل قابلتُك إلاَّ بما وَاجهتَنى به فى المبادى ، وَهأنا بَرْهنْتُ على فَضلى بشهُودٍ عُدُول ، لَيس لِلمُنْصِفِ على تَزكيـة شهادَتهمْ عُدُول ، فاستقِلْ مِن دعوى المجد والفخر ، فقد (حَصْحَصَ الحَقُّ) وَوَضَحَ الفَجر ، وَإنْ أبيتَ سُلوكَ مَحجَّتِي ، وَلمْ تتَّضح لك أدِلَّة حُجَّتِى ، فهلُمَّ إلى حضرة الأمير (وَلاَ يُنبِّئُك مِثلُ خَبير) فأنكرَ الليلُ زَعمَهُ التفرّدَ بالفصل وَادّعاءَهُ ، وَأجابَ فى عرْض أمرِهما على الأمير دُعاءَه ، وقال «على الخبيرِ سقَطتْ،وَعند ابن بجدِ ها حَطَطت»

﴿ وكتب أيضاً مُناظرة بين الأرض والسماء ﴾

جالتِ السَّماء فى ذلكَ المضمار وَصالت، ونوَّهتْ برفيع قدرها وقالت ، تبارَكَ الَّذِى جعَلَ فى السَّماءِ بُرُوجاً ، وَمنَحَ أشرَفَ الخلق إلىَّ مُرُوجا ، وَقدَّمَنى فى الذِّكر ، فى مُحكم الذّكر ، وَشرّفَنى بحُسْن القَسَم، وَأتْحفَنى بأوْفر القِسَم، وَقدَّسنى منَ النَّقائِصِ وَالعيُوب ، وَأطلعنى على الغوَامض والغيُوب ، وَقد وَرَدَ أنَّ الرَّبَّ ينزل إلىَّ كلّ ليلة ، فيُولى من تعرَّض لنفحَاته بِرّه وَنَيْلهُ ، فيالها من تُحفة جليلة

وَمِنحةٍ جزيلة ، يحقُّ لى أن أجرَّبها ذُيول العزَّة والافتخار ، وكيفَ لا والوجود بأسره ناسط إلىّ أيْدِىَ الذِّلةِ وَالإفتقار ، فلىَ العزُّ الباذِخ ، وَالمجدُ الأثيل الشَّامخُ لتفرّدى بالرِّفعةِ وَالسموِّ ، وَعلوِّ المنزلة دُونَ غُلوّ ، فقالت لها « الأرض » وَيْكِ لقد أكثرْت نزْراً ، وارْتكبتِ بما فُهْتِ بهِ وزْراً ، أمَا إنّهُ لا يَعْجَبُ بنفسه عاقل ولا يأمَنُ مكرَ رَبه إلاَّ غافل ، وَمن ادَّعى ما ليس لهُ بقوْله أوْ فعله ، فهلاكه أقرَب اليه مِنْ شِراكِ نَعله ، وَقد قِيلَ : « من سعادة جدّك ، وُفوقك عن حدّك » وَمن فعلَ ما شاءَ ؛ لفَى ما ساء ، وَما كفاكِ أنْ خطرْتِ فى مَيادين التِّيهِ وَالإعجاب حتَّى عرّضت لنسْمى « إنَّ هذَا لَشىءٌ عُجَاب » وَهل أختصَّكَ اللهُ بالذِّكْر ، أو أقسَمَ بك دُونى فى الذِّكر ، أوْ آثرَكَ بالتَّقديم ، فى جَميع كلامه القديم ، حتى تردَّيت بالكبرياء ، وَتعدَّيت طَوْرَ الحياء

إذا لم تخشَ عاقبة اللّيالى ولم تَسْتحِ فاصنَعْ ما تشاء
فلا وأبيك ما فى العيش خيرٌ ولا الدُّنيا إذا ذهب الحياء

وكيف تردَرِينَ أهلى بالذُّنوب والمعاصى ، وَأنت تعلمينَ أنَّ الله هوَ الآخذ بالنَّواصى ـ فقابلتْها ﴿ السماء ﴾ بوجهٍ قد قطَّبتْهُ ، وَبحَنَ قد قَلَّبتْهُ ، وقالت لها فى الحال ، أيتها القانعةُ بالمُحال ، ما كنت أحسِبُ أنك تجترئينَ على مُبارزة مثلى وتنكرينَ علىَّ ما ترَنَّمْتُ به من شَواهد مَجْدِى وَفضلى ، وَهل خِلتِ أنَّ التَّحدُّث بالنِّعم مما يُلام عليه ، مع أنهُ أمرٌ مَندوبٌ إليه ، وَمن أمثال ذَوى الفِطنةِ والعقل ليس منَ العدْل سُرْعةُ العَذْل ، وَلِمَ جَحدْتِ ظهُور شمس كمالى ، وهل لك منَ الفضائل والفواضل كمالى ؛ ولكنّ لك عندى عُذْراً جلياً ، وإن كنتِ (لقدْ جئتِ شَيْئاً فرِياً)

قد تُنكِرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رَمَدٍ ويُنكِرُ الفمُ طعمَ الماءِ من سَقَمِ

ولو رأيتِ ما فيك من المساوِى عيانا ، لما ثَنيتِ إلى حَلبة المُفاخرةِ عِناناً فأنى تفوزين بأشرَف الأقدار ، وأنتِ موضِعُ الفضلات والأقذار ، وما هذا التطاوُلُ والإقدام ، ووَجهك موطئُ النعال والأقدام ، إن هذا إلاَّ فعل مكابر دَعوى عريضةٌ وعجزٌ ظاهر . وهل يحقّ للكثيف ، أن يتغالى على اللطيف ، أم ينبغى للوضيع ، أن يتعالى على الرفيع ، فقالت لها (الأرض) أيتها المغترة بطوالع أقْمارها ، والمغترَّة بلوامع أنوارها (ما كل بيضاء شحمه ولا كل حمراء لحمه) فبمَ تزْعمين أنك أتقى منِّى وأنقى ، وما عِندَ اللهِ خيرٌ وأبقى ، وأنتِ واقفةٌ لى على أقدام الخدْمة ، جاريةٌ فى قضاء ما ربى بحسب الحكمة ، قد كفَّلك الحقُّ بحمل مؤُونتى ، وكلّفك بمساعدتى ومعونتى ، ووكّلك بأيقاد سراجى ومصباحى ووكّلك إلى القيام بشؤونى فى ليلى وصباحى ، وليس عُلوُّكِ شاهداً لك بالرتبة العلية ، فضلاً عن أنْ يوجبَ لك مقام الأفضلية (فما كلّ مُرْتفع نجد ، ولا كل متعاظم ذُو شرف ومجد)

وإن علانِىَ مَنْ دُونى فلا عَجبٌ لى أسوةٌ بانحطاط الشمسِ عن زُحَلِ

فمنْ أعظمْ مَا فُقْتُ به حُسناً وجَمالاً ، وكِدْتُ بأخْمَصىّ أطأ الثُّرَيَّا فضلاً وكمالا ، تكوينُ اللهِ منى وجود سيِّد الوُجود ، فأفرَغ علىَّ به خُلع المكارم والجُود فهو بدر الكمال وشمْسُ الجمال

وأجملُ منك لم ترَ قطّ عينٌ وأكملُ منك لم تلِدِ النِّساءُ

خُلِقْتَ مُبرَّأً من كلّ عَيْبٍ كأنَّكَ قد خُلِقت كما تشاءُ

فأكْرِمْ به من نبىٍّ أسرَّنى به وأرْضى ، كيف لا ولولاه ما خلَقَ سماءً ولا

أرضاً ، وجعلني له مسجداً وطهوراً ، وأقرَّ به عَيْني بطوناً وظهورا ، فَبَرقتْ (السّماءُ) وَأرْعدَتْ ، وأرْغَتْ وأزبدَتْ ، وقالت إن لم تتَخطَّ خطةَ المكابَره وتتخلى عن هذه المُثابرَه ، لأغرقَنَّك في بحار طُوفاني ، أوْ أحرقَنَّك بصواعق نيرَاني ، وهل امتطيتِ السّماكين ، أو انعلتِ الفرقَدَيْن ، حتى تفتخري عليَّ ، وتشيري بالذَّمّ إليَّ ، وذلك شهادةٌ لي بالكمال ، ولقد صدَق من قال

وإذا أتتْك مذمّتي من ناقصٍ فهيَ الشّهادة لي بأني كاملْ

أم حسبْت أنَّ لك في ذلك حُجَّة ، فخاطَرْت بنفسك في رُكوب هذه اللُّجّة وكنتِ كالباحث عن حَتفه بظلْفه ، والجادِع مارِن أنْفه بكَفِّه

لكلِّ داءٍ دواءٌ يُستَطبُّ به إلاَّ الحماقةَ أعْيتْ من يُداويها

أما دعواك أني واقفةٌ لك على أقدام الخدمة ، فهي ممايوجبُ لي عليكِ شكر الفَضل والنّعمة ، فلوْ تفكَّرْتِ أن خادم القوْم هُو السَّيد والمولى ، وعَرفت الفاضل من المفضول ، أو تدبَّرْتِ أنَّ « اليدَ العُليا خيرٌ من اليد السُفلى » لاستفَدْتِ من هذا الفُضول ، فان في قيامي بشؤونك أوْضحَ أمارَة — وأمَّا قولك مني سيّد الوُجود ومن اصطفاهم لحضرته الملكُ الوَدُود ، فإن كنت تفتخرين بأشباحهم الظّاهرة فأنا أفتخرُ بأرْواحهم الطّاهرَة ، أما علمتِ أنها في ملكوتي تغدُو وتروح ، وبواردَي بسطي وقبضي تشدُو وتنوح ، فأنا أوْلى بهم ، وأحرى بالافتخار بحزبهم ، فلمَّا سمعت الأرْض من السَّماء ، مقالة تقْطُرُ من خلالها الدِّماء ، أطرَقت لمحةَ بارق خاطف ، أو نغْبةَ طائرٍ خائف ، ثمَّ قمَّتْ رأسُها ، وصعدَتْ أنفاسها ، وقالت : لقد أكثرْت ياهذه اللّغط ، وما آثرْتِ الصَّواب على الغَلَط ، فعلامَ تهزئين بي وتستخفّين بحَسَبي ونَسَبي وإلامَ تقْضين عُرى أدِلَّتي ، ولا تُعامِلينني باللّتي ، وحتّام تُقابلينني بأنواع التأنيب

ولِمَ لا تقفى على حقيقتى بالتّقير والتّنقيب ، أحسِبتِ أنّ الجسم ما خُلق إلا عبثا وَلا كانَ للنّفس النّفيسة إلا جدَثا، وفى ميدانه تتسابقُ الفُهوم ، وتُدْرَكُ عوارف المعارف والعلوم، وبه تترقّى الأرْواح فى مرَاقى الفلاح، وكيف لا يكُون مقدّساً من كلّ غىٍّ ومَيْنٍ ،وهو لا يفْتر عن تسبيح بَارئهِ طرْفة عَيْن ، وإلى متى أنتِ علىّ متحامِلة ، وَعن آيه العدْل والإحسان متمايلة، وأنا لكِ أسمعُ من خادم، وأطوَع من خاتم، على أنّ لى من الفضائل ما ثبتَ بأصَحّ البراهين والدّلائل ،أمَا فىّ بُقعةٌ من أشرَف البقاع على الإطلاق ، لصمّها أعصاءَ مَن تَمّمَ اللهُ به مكارِمَ الأخلاق وَفىّ رَوْضةٌ من رياض الجنّة ، كما أفصَحَتْ عنْ ذلك ألسنةُ السنّة ، ومنى الكعبة والمشْعَرُ الحرام ، وَالحجر وَزمزَم وَالرُّكنُ والمقام ، وَعلىّ بُيوتُ اللهِ تشدُّ اليها الرِّحال ، ويسبِّحُ له فيها بالغُدُوِّ والآصال رجال ، وأخرَج منّى طيبات الرّزق فأكرَم بها عِبادَه . وأتمّ نعمتهُ عليهم فجعل الشّكر عليها عِباده ، وَناهيك بما اشملت عليه من الرِّياض والغِياض ، ذاتِ الأنهار والحِياض ، التى تشفى بنسيمها العليل ، وتُنْفى ببرْد زُلالها حرّ الغليل

لِمَ لا أهيمُ على الرّياضِ وطيبها وأظلُّ منها تحت ظِلّ صافى
والزّهرُ يضحكُ لى بثغرٍ باسم والنّهرُ يَلقانى بقلبٍ صافى

فأسفرتْ عن بدر طلعتها (السماء) وهى تَزْهُو فى بُرُد السّنا والسّناء ، وقالت تُناجى نفْسها عند مارَقّ السّمَرَ ، حتّامَ أُريها السُّهى وتُرينى القَمر ، ثمّ عطفتْ عليها تقول وهى تَسْطو وتصول، أيتها المنعدّية لمفاضلتى ،والمتصدّية لمناضلتى ، متى قِيسَ التُّرْب بالعَسجد ، أوْ شُبّه الحصى بالزّبرْجد ، ان افتخرت بشَرَفِ هاتيك البقاع التى زها بها منك اليفاع والقاع ، فأين أنت من عرش الرّحمن ،الذى تَعكفُ عليه

أرْواحُ أهل الإيمان ، وَأين أنت من البيت المَعْمور ؛ والكرْسى المكلَّل بالنور وكيفَ تفتخرين علىَّ بروْضةٍ من رياض الجنة ، وَهى علىَّ بأسرِها فضلاً مِن الله وَمنّه ، أم كيفَ تزعُمين أنه كُتِبَ لك بأوْفر الحُظوظ ،وعندى القلم الأعلى واللوح المحفُوظ ، وأما ازْدهاؤك بالحياض والأنهار ، والرّياضِ المبْتهجةِ بوُرُودِ الوَرْدِ وَالأزهار ، فليت شِعرى هل حوَيت تلك المعانى إلاّ بنفحات غُيوثى وأمطارى أم أشرقتْ منك هاتيك المغانى إلا بلمَحات شموسى وأقمارى ، فكيف تباهينى بما منحتك إيّاه ، وعطّرتْ أرْجاءَك بأرْيح نَشْره وريّاه ، ويا عجباً منك كلّما لاحَ علىَّ شعار الحزن ، خطَرتِ فى أبْهى حُلّة من حُلل الملاحة والحُسن ، وإن افترّت ثُغورُ بدُورِ أنسى ،وقرّت ببديع جمالى عين شمسى ، زَفرْتِ زَفْرَة القيظ ،وكدتِ أن تتَميَّزى منَ الغيظ ، ما هذا الجفاء يا قليلة الوفاء ، وهل صفتْ أوْفائك إلاّ بوجودى ، أو طابت أوْقاتك إلا بوَابل كرَمى وَجُودى ، ولوْ قطعْتُ عنك لَطائف الأمداد ، خلعتِ ملابس الأنس ولبستِ ثِياب الحِدَاد ، أو حجبتُ عنك الشّموس والأقمار ، لما مَيّزتِ بَينَ اللّيل والنّهار ، فهلاّ كُنت بفصلى معترِفة حيث إنك من بحر فَيْضى مُغترفة ، فنَزعت (الأرض) عن مقاتَلَتها ، وعلمت أنها لا قِبَلَ لها بمُقابلتها ، وَحين عجزَت عن العَوْم فى بحرها ، وَاسْتسلَمت تمامها لسحرِها ، بسطت لها بِساط العتاب، مُتمثّلةً بقوْلِ ذى اللُّطف والآداب

إذا ذَهبَ العِتابُ فليسَ وِدّ ويَبقى الودُّ ما بقى العِتابُ

ثمَّ قالت :اعلَمى أيّتها الموسومةُ بسلامة الصّدْر ، الموْصوفة بسموِّ المنزلة وعلوِّ القدر ، أن اللهُ ما قارَنَ إسمى باسمك ، ولا قابلَ صورة جسمى بجسمك ، إلاّ لمناسبَة عظيمةٍ ،وألفةٍ بيننا قديمة،فلا تشْمتى بنا الاعداء ،وَتسيئى الأحبّاءوَالأوِدّاء

فانَّ ذلك من أعظم الرّزايا ـ وأشدِّ المِحَن والبلايا

كلّ المصائبِ قد تمُرُّ على الفتى فتهون غيرَ شماتةِ الأعداءِ

ألا وإنَّ العبد محلُّ النّقصِ والخلل ، وهل يسُوغ لأحدٍ أن يُبَرِّىء نفسه من الزَّلل ، وَمنْ ذَا الذى يسلمُ منَ القَدح ، ولو كانَ أقومَ من القِدْح

وَمن ذا الذى تُرْجى مزَاياهُ كلُّها كفى المرء فضلاً أن تُعدَّ معايبُه

هذا — وإنَّ لى مفاخرَ لا تُنكر ، ومآثرَ تجلُّ عن أن تُحصر ، كما أنَّك فى الفضل أشهرُ من نار على عَلَمَ ، وأجَلُّ من أنْ يحصى ثناءً عليك لسانُ القلم ، فإلى متى ونحنُ فى جدالٍ وَجلاد ، نتطاعنُ بأسِنَّة ألسنةَ حِداد ، وهل ينبغى أنْ يَجُرَّ بعضُنا على بعضٍ ذِيلَ الكِبر والصَّلَف ، ولكن عفا الله عمَّا سَلَف ، وهذه لعمرى حقيقة أمرى ، فانْظرى إلىَّ بعينِ الرِّضا ، واصفحى بحقِّك عمَّا مضى ، ولما سمعت (السَّماء) هذه المقالة ، التى تجنَحُ إلى طلب السِّلم والإقالة ، قالت لها مآربُ لا حفَاوة ، ومشربٌ قد وَجدْتُ لهُ حلاوة ، وما ندَبتِ اليه من المَودَّة والألْفة ، فلأمرٍ ما جدَعَ قصير أنفه ، ولو لم تلقَ إلىَّ انقياد ، لعاينتِ منِّى مادونه خَرْط القتَاد ، ولكن لاحرَجَ عليك وَلا ضيْر ، فإنك اخترْت الصُّلْحَ والصُّلْحُ خير ، وكيف جعلت العِتاب شرْطاً بين الأحباب ، أوَ ما سمعت قول بعض أولى الألباب

اذا كنتَ فى كلّ الأمور مُعاتباً صديقك لم تَلْقَ الذى لاتُعاتبُه

وان أنت لم تشربْ مراراً على القذَى ظَمئتَ وأىّ النَّاس تصفُو مشاربه

وهأنا رَادَّةٌ اليك عوائد إحسانى ، وموائدَ جُودى وأمتنانى ، فقرِّى عيناً وطيبى نفساً ، وتيهى ابتهاجاً وأنساً ، وأبشرى ببلوغ الوَطر ، وزوَال البُؤس والخطر فسجدتِ الأرْض شكراً ، وهامَت نَشْوَةً وسُكراً ، وتهلَّل وجهُها سروراً

وامتلأت طرَباً وحُبورا

﴿ مناظرة بين فصول العام لابن جبيب الحلبي المتوفى سنة ٤٠١ هـ ﴾

(قال الرَّبيع) أنا شابُّ الزَّمان ، وروْح الحيوان ، وإنسانُ[١] عين الإنسان أنا حياة النُّفوس، وزينة عَرُوس الغُروس، ونُزهة الأبصار ،ومطفُ الأطيار، عرْف[٢] أوْقاتى ناسِم ، وأيامى أعيادٌ ومواسِم ،فيها يَظهرُ السَّات وتُنْشر[٣] الأموات،وتُرَدُّ الوَدائع وتتحرَّك الطَّبائع ، ويمرَحُ[٤] جَنيب[٥] الجنوب[٦] وينزح[٧] وجيبُ[٨] القلوب،وتَفيضُ عيونُ الأنهار، ويَعْتدِل اللَّيل والنهار، كم لى عقدٌ منظوم، وطِرَازُ وَشْى مرْقوم ، وَحلَّةٌ فاخرَةٌ وحِليةٌ ظاهرة ، وبَجمُ سعد يَدْنى راعيه من الامل وشمسُ حُسن تُنْشِدُنا[٩] يا بُعد ما بين بُرْج الجدْى[١٠] والحمل[١١] عساكرى منصورَة،وأسلحتى مشهورة ،فمن سيف غُصن محوْهرٍ ودِرْع بنفسج مُشهَّرٍ، ومغفرٍ[١٢] شقيفٍ[١٣] أحمر وترْس بهار يَبْهر ، وسهم آس يرْشقُ فينشقّ ورُمح سوْسَن[١٤] سِنانه أزْرَق، تحرسها آيات وتكْتنفها ألويةٌ ورايات ، بى تحْمرّ من الوَرد خدُوده وتهتزّ من البَان قدُودُه ،ويخضرّ عِذار الرَّيحان وينتبه من النرْجس طَرْفه الوَسْنان[١٥] وتخرُج الخبايا من الزَّوايا ، ويفتَرّ ثغْرُ الأقْحوان[١٦] قائلاً أنا ابن جلا وطَلاّع الثّنايا

إنَّ هذا الرَّبيعَ شيءٌ عجيبٌ يُضحك الأرض من بكاء السماء

---

(١) مايرى فى السواد (٢) الريح الطيبه (٣) تحيا (٤) ينشط (٥) مجوب والجنوب ريح تخالف الشمال مهبها من مطلع سهيل الى مطلع الثريا (٦) ريح تخالف الشمال ومنه اذا جاءت الجنوب جاء معها خير كثير (٧) يبعد ويذهب (٨) كثرة خفقانها (٩) تطلبنا (١٠) نجم الى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبلة يقال له جدى الفرقد (١١) برج فى السماء من البروج الربيعية (١٢) زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس (١٣) شقائق النعمان وهو نبت أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة (١٤) نبات طيب الرائحة (١٥) النعسان الغفلان (١٦) البابونج نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر

ذهبٌ حيثما ذهبنا وَدُرٌّ حيث دُرْنا وفضةٌ فى الفضاء

(وقال الصيف) أنا الخِلّ الموافق والصَّديق الصَّادِق والطَّبيب الحاذق أجتهد فى مصلحة الأحباب ، وأرْفع عنهم كُلْفة حَمل الثّياب . وأُخفِّفُ أثقالهم وَأوَفِّر أموالهم وأكفهم المؤونة ، وأجزِلُ لهم المعونه ، وأغنيهم عَنْ شِرَاءِ الفِرَا وأُحقّقُ عندهم أنّ كلّ الصَّيد فى جَوْفِ الفَرَا ، نُصِرْتُ بالصَّبا ، وأُوتيتُ الحكمة فى زمن الصِّبا ، بى تَتَّضِحُ الجادّة [١] وَتنضج منَ الفواكه المادّة ، ويَزْهُو البُسرُ والرُّطب ، وينصلحُ مِزَاج العنب ، وَيقوى قلب اللّوز ، وَيلين عطف التّين والموز وَينعقد حبُّ الرُّمّان ، فيقمع الصفراء ويسكن الخفقان ، وتُخصب وَجنات التُّفّاح ويَذهب عَرقُ [٢] السَّرْجل مع هُبوب الرِّياح ، وَتسْوَدُّ عُيون الزَّيتون ، وتخرُج تِيجان المَّاريج واللّيمون ، مواعدى منقودة ، وَموائدى مَمدُودة ، الخير موْجُود فى مقامى ، والرِّزْقُ مقسومٌ فى أيّامى

الفقير يَنصاع [٣] بملءِ مُدِّه وصاعِه ، والغنىُّ يرْتعُ فى رَبْع مُلكه وأقطاعه والوحش تأتى زرافاتٍ وَوُحدانًا [٤] والطّير نغْد وخماصًا وتروحُ بِطانا [٥]

مَصيفٌ لهُ ظِل ظليلٌ على الوَرَى وَمَنْ حلاَ طعماً وَحللَ أخلاَطا

يُعالج أنواع الفواكهِ مُبدِياً لصحتها حفظاً يُعجزُ بقراطا [٦]

(وقال الخريف) أنا سائق الغيوم ، وكاسر جيش الغُموم ، وهازم أحزَاب السّموم [٧] وحادى نجائب السّحائب ، وحاسرُ نِقاب المناقب ، أنا أصدُّ الصدَى [٨] وأجود بالنَّدى ، وأُظهرُ كلُ معنى جَلىّ ، وأسمو (بالوسمىّ [٩] وَالولى) فى أيامى

---

(١) الطريق (٢) رائحته الطيبه (٣) ينتقل راجعا مسرعا (٤) جماعات (٥) تذهب جائعة وترجع مملتئة (٦) بقراط الحكيم اليونانى وهو لفظ يونانى معناه ماسك الصبح

(٧) الريح الحارة (٨) العطش (٩) المطر الذى يأتى فى الخريف والولى الذى يأتى بعده

تُقْطَفُ الثّمار ، وتصفو الأنهار منَ الأكدار ، وَيترقْرَق[٤] دمع العُيون ، ويبلوّن وَرَق الغُصون ، طَوْراً يحاكى القمْ ، وتارَةً يُشبه الأرْقم ، وَحيناً يَبدُو فى حلّته الذّهبيّة ، فَيجذِبُ إلى حُلّته القلوب الأبية ، وَفيها يكفى النّاس همّ الهوامّ ، ويتساوَى فى لذّة الماء الخاصّ والعامّ ، وَتقدُمُ الأطيارُ مُطْرِبَةً بِنَشِيشها ، رَافلةً فى الملابس المجدّدة من رِيشها ، وتُعصَرُ بنتُ العنقود ، وتوثَقُ فى سجن الدِّنّ بالقيود ، على أنها لم تجترح إثماً ، ولم تُعاقبْ إلا عُدوَاناً وظُلماً ، بى تَطيبُ الأوْقات وتحصلُ اللّذّات وَتَرِقُّ النّسمات ، وتُرْمى حَصَى الجمَرات وتسكُنُ حرَارة القلوب ، وتكثرُ أنواع المطعوم والمشرُوب ، كم لى من نسخرةٍ أكلُها دائم ، وحملُها لِلنفع المتعدّى لازم وَرَقها على الدّوام غير زائل ، وقُدُود أغصانها تحمِل كلّ رُمح ذابل

إنّ فصل الخريف وافى الينا ... يتهادى فى حُلةٍ كالعرُوس
غيرهُ كان للعيون ربيعاً ... وهو ما بيننا رَبيعُ النّفوس

(وقال الشّتاء) أنا شيخ الجماعة ، ورَبّ البضاعة ، والمُقابَلُ بالسّمع والطاعة ، أجمعُ شمل الأصحاب ، وأسدلُ عليهم الحجاب ، وأُتحفهم بالطّعام والشّراب وَمنْ ليس له بى طاقةٌ أغلى من دونه الباب ، أميل إلى المُطيع ، القادر المُستطيع ، المُعْتصدُ بالبرُود والفِرَا ، المتمسّكِ من الدّيار بأوْثَقِ العُرَى ، وَمنْ يَعشْ عن ذكرى ولم يمثل أمرى ، أرْجفْتهُ بصوت الرّعد ، وأنجزْتُ له من سيف البرق صادق الوعد وسرتُ اليه بعساكر السّحاب ولم أقْنع من الغنيمة بالإياب ، معروفى معروف ونَيلى نيلى موصوف ، رَمْز إحسانى دانيةُ القُطوف ، كم لى من (وابل) طويل المدى (وجَود) وافرِ الجدا (وَقطر) حلا مذاقه (وغيثٍ) قيّد العفاة إطلاقه

٤) ترقرق الدمع فى العين تحرك

(ودِيمةٍ) تُطْرِبُ السمَع بصوتها (وحَيَاً) يُحيي الأرْضَ بعد موْتها، أيّامى وَجيزة وَأوقاتى عزيزة، ومجالسى معمورةٌ بذوى السِّيادة، مغمُورَة بالخير وَالمَير والسَّعادة نُقْلها يأتى من أنواعه بالعجب، ومناقِلها تسمَحُ بذهب اللّهب، وَرَاحُها تنعشُ الأرْواح، وسُقاتُها بجفُونهم السَّقيمة تَفتنُ العقُول الصّحاح، إن رُدتها وجدْتَ مالاً ممدوداً، وان زُرْتها شاهدْتَ لها بَنين شهوداً

﴿ مناظرة بين البر والبحر لبعض الأدباء ﴾

قال (البَرّ) ياصاحب الدَّرّ، ومعدن الدُّر، أطرقت رياضى، ومزّقت جسورى وأحوَاضى، وأغرقت جُثَّتى، ودَخلْت جَنَّتى، وَتلاطمت أمواجك على جُنّتى، وأكلت جزائرى وَجرُوفى، وأهلكت مرعى فصيلى وخُروفى، وأهزلت ثَورى وحَملى وَفرسى وجَملى، وأجرَيت سفُنك على أرْض لم تجر علمها، ولم تملِ طرف غرابها اليها وغرستْ أوتادها على أوتاد الأرض، وعرّست فى مواطن الفل والفرض، وجعلت مَحرى مراكبك فى مَحرى مراكبى، ومتى حُوتُك على بطنه فى سعد أخبية مضاربى، وغاص ملاحك فى ديار فرَحى، وهاجرْت من القرى إلى أمِّ القرى، وحملت فلاحى أثقاله على القِرى، وقد تلقّيتك من الجنادل بصدرى، وحملتك إلى برزخك على ظهرى؟ وقبّلت أمواجك بثغرى، وخلقت مقياسى فرحاً بقدُومك الى مصرى وقد جُرت وَعدلت وفعلت مافعلت، فلعلك تفيض، ولا يكون ذهابك عن ذهاب بغيض، أوْ تفارقُ هذه الفجاج، وتختلط بالبحر العجّاج، وإن لم تفعل شكوناك إلى من أنزلك من السَّماء، وأنعم بك علينا من خزائن الماء

إذا لم تكن ترْحم بلاداً ولم تَغث عباداً فمولاهم يَغيث ويرحمُ
وإن صدَرَتْ منهم ذُنوبٌ عَظيمةٌ فعَفْوُ الذى أجرَاك يابحرُ أعظمُ

نمدُّ اليه أيْدِياً لم نُمدّها إلى غيره وَالله بالحال أعلمُ

قال (البحر) يا بَرُّ، ياذا البِرِّ. ومُنبتُ البرِّ، هكذا تخاطِب ضيفَك وهو يحصب شتاءك وصيفك، وقد ساقنى الله إلى أرْضك الجرُز، ومعدن الدّر والخرز، لأبهج زرْعها وخيلها، وأُخرج أبّها ونخيلها، وأُكرِمَ ساكنك، وأُنزل البركة فى أماكنك، وأُثبت لك فى قلب أهلك أحكام المحبّة، وأُنبتَ باك لهم فى كل سُنْبلةٍ مائة حبّة، وأُحييّك حياة طيّبة، يَبتهجُ بها عُمرُك الجديد، ويَتلُو (كذلك يُحيى اللهُ الموْتى) ألسِنةُ العبيد، وأطهّرك منَ الأوْساخ، وَأحمِل اليك الإبْليز فأطيبك به من عرَقِ السِّباخ. وأنا هدّية الله إلى مصرك، وملكُ عصرك القائمُ بنصرك، وَلولا بَرَ كانى عليك، وَمسيرى فى كل مَسْرَى اليكَ، لكنتَ وَادياً غير ذى زَرْع، وصادِياً غير ذى ضَرْع

سَرَيتُ أنا ماءُ الحياة فلا أذى ... إذا ما حفِظْتُ الصَّحب فالمالُ هيّنُ
فكن خَصراً يا برّ واعلمْ بأنّنى ... إلى طِيبك الظمآن بالرّىِّ أحسنُ
وَأسعى اليه من بلادٍ بعيدةٍ ... وأُحسنُ أجرِى بالّتى هىَ أحْسنُ
اذا طاف طوفانى بمقياسك الذى ... يُسرُّ بانيان الوفاءِ ويُعلنُ
فَقُم وَتلقّاه ببسطتك التى ... لرَوْضتها فضلٌ على الرَّوْض بَيّنُ

ولعمرى لقد تَلطّفَ (البَرّ) فى عتابه وأحسنَ، ودَفع (البحرُ) فى جوابه بالتى هى أحسن، وقد اصطلَحا وهما بحمد الله أخوان مُتضافِران على عِمارة بلاده ونشر الثرْوة ونموّ الخيرات بين عباده، فالله تعالى يُخصب مرعاهُما ويحرُسهما وبَرْعاهما

﴿ وكتب بعض الادباء مناظرة بين الهواء والماء ﴾

الحمد لله الذى رفع فلك الهواء، على عُنصر التّراب والماء «أمّا بعد» فأنا (الهواء

الذى أؤلّف بين السّحاب ، وأنقلُ نسيم الأحباب ، وأهُبّ تارةً بالرّحمة وأخرى بالعذاب ، وأنا الّذى سُيّرَ بى الفُلكُ فى البحر كما تسيرُ العِيس فى البِطاح ، وطار بى فى الجوّ كل ذى جناح ، وأنا الذى يُضطربُ منّى الماءُ اضطرَاب الأنابيب فى القَنا إذا صفَوْتُ صفا العالم ، وكان له نَضرَة وزَهواً ، واذا تكدّرتُ انكدرتْ النّجوم وتكدّر الجوّ ، لا أتلوّن مثل الماء المتلوّن بلون الأناء — لولاىَ ما عاش كلّ ذى نفس ، ولولاىَ ما طاب الجوّ من بخار الأرض الخارج منها بعد ما احتبس ، ولولاىَ ماتكلّم آدمىٌّ ولاصوّت حيوان ، ولا غرّد طائرٌ على غُصن بان ، ولولاىَ ما سُمع كتابٌ ولا حديث ، ولا عُرف طِيب المسموع والمشموم من الخبيث ، فكيف يُفاخِرنى الماء الذى اذا طال مُكثه ظهر خُبثه ، وعلتْ فوْقه الجيف ، وانحطّت عنده اللآلئُ فى الصّدف : فقال (الماء) الحمد لله الذى خلق كلّ حىّ (أمّابعد) فأنا أوّل مخلوق ولا فَخْر ، وأنا لذّة الدّنيا والآخرة ويوم الحشر ، وأنا الجوهر الشّفّاف ، المشبّه بالسّيف إذا سُلّ من الغلاف ، وقد خلق الله فىّ جميع الجواهر حتّى اللآلئ والأصداف ، أُحيى الأرض بعد مماتها ، وأخرج منها للعالم جميع أقواتها ، وأكسو عرائسِ الرّياض أنواع الحُلل ، وأنثرُ عليها لآلئ الوَبْل والطّلّ ، حتى يُضرَبَ بها فى الحُسن المَثَل — كما قِيل

إنّ السّماءَ إذا لم تبك مُقلتها لم تَضحك الأرض عن شىء من الزّهر

فكيف يُنكرُ فضلى مَنْ دَبّ أوْ دَرَج ، وأنا البحرُ الذى قيل عنهُ فى الأمثال (حدّث عن البحر ولا حرَج) وأما أنت أيها الهواء فطالما أهلَكْتَ أُمماً بسمومك وزَمهرِيرك ، ولا تقُوم جنّتُك بسعيرك

وأما قولك لولاى ما عاش إنسان ، ولا بقَى على الأرض حيوان ، فجوابُهُ

(لو شاء الله تعالى لعاش العالَم بلا هواء ، كما عاش عالَم الماء فى الماء) وأنشدُك الله أما رأيتَ ماحبانى اللهُ به من عظيم المِنَّة ، حيثُ جعلنى نهراً من أنهار الجنّة ، أنا أرفع الأحداث وأطهرُ الأخباث ، وأجلو النظَر وأُريل الوَضَر ، أما رأيت الناسَ إذا غِبتُ عنهم يَتضرَّعون إلى الله بالصوْم والصلاة والصَّدَقة والدُّعاء ، ويَسألونه تعالى إرْسالى من قِبَل السَّماء — واعلَمْ أنى ما نِلتُ هذا المقامَ الذى ارْتفعتُ به على أبناءِ جنسى ، إلا بانحطاطى الذى عَيَّرْتنى به وتواضُعى وهَضْم نفسى

وقد كثرَ بَينهما النزاع والجِدال ، حتى حكَم بَينهما أميرٌ وقال

إنَّ كُلاً منكما مُحقٌّ فيما يَدّعيه فما أشبهَكما فى السَّماء بالفَرْقدَين وفى الأرض بالعَيْنين إلا أن مِرآة الخفِّ أرَتنى فصيلةً تفصلُ بها أيها الماءُ أخاك الهواء وحقّقتَ لى بأنكما لَسْتُما فى الفصل سواء وهى (أنَّ الله تعالى خلَقَ آدَمَ من الماء) فاعترف لأخيك بالفَضل والذَّكاء

(وكتب المقدسى المتوفى سنه ٨٧٥ هـ مناظرة بين الجمل والحصان)

قال (الجمل) أنا أحمل الأحمال الثِّقال وأقطَعُ بها المراحل الطِّوال وأكابدُ الكَلال وأصبرُ على مُرِّ النِّكال ، ولا يَعترينى من ذلك ملال ، وأصُول صوْلة الأبطال ، بل أنقادُ للطفل الصّغير ، ولو شِئتُ استصعبتُ على الأمير الكبير ، فأنا الذّلول وللأثقال حمول ، لست بالخائن ولا الغلول ولا الصَّائل عند الوُصول ، أقطعُ فى الوُحول ما يَعجزُ عنهُ الفُحول ، وأُصابرُ الظَّلماء فى الهواجر ولا أحُول ، فاذا قضيت حقَّ صاحبى وبَلغتُ ما ربى ألقيتُ حَبلى على غاربى ، وذهبتُ فى البوادى أكتسب من الحلال زادى ، فإن سمعتُ صوْت حادى سلَّمتُ اليه قيادى وواصلتُ فيه سُهادى وطلّقتُ طيبَ رُقادى ، ومدَدْتُ اليه عُنقى لبلوغ مُرادى ، فأنا إن ضللت فالدَّليل

هادى ، وإن زَللت أخذ بيدى من اليه انقيادى ، وإن ظَمئتُ فذِكر الحبيب زادى ، وأنا المسخرُ لكم بإشارةِ (وَتَحْمِلُ أثقالَكُمْ) فلم أزَل بين رِحلة ومقام حتى أصِل الى ذلك المقام

فقال (الحصان) أنا أحمل على كاهلى فأجتهد بهِ فى السَّير ، وأنطلقُ به كالطير أهجمُ هجومَ اللَّيل ، وأقتحمُ اقتحام السّيل

فان كان طالباً أدركَ فىَّ طلَبه ، وإن كان مطلوباً قَطعتُ عنه سببه ، وجعلتُ أسبابَ الردى عنه مُحتجِبه ، فلا يُدركُ منِّى إلا الغُبار ، ولا يسمعُ عنِّى الا الأخبار

وان كان الجمل هو الصَّابر المجرَّب فأنا السابق المقرّب ، وان كان هو المقتصد اللَّاحق ، فأنا المقرَّب السَّابق ، فاذا كان يوم اللقاء قدمتُ أقدام الواله ، وسبقت سبق نِبالِه ، وذلك مُتحلّفُ لِمثل أحماله ، وان أوْثَقَ سائسى قيدى وأمِنَ قائدى كيدى أُوثقتُ بشكالِى ، لكيلا أحُول على أشكالى ، وألجمتُ كيلا أغفلَ عنْ فيامى وأنعلت بالحديد أقدامى ، كيلا أكِلَّ عن إقدامى

فأنا الموعودُ بالنّجاه ، المعدُودُ لنيل الجاه ، المشدودُ للسَّلامه المقصود للكرامه ، قدأجزل النّعم على إنعامه ، وأمضى بالعناية الازَلية أحكامه « فانّ الخيرَ معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامه » خلقتُ من الرّيح ، والهمت التّسبيح ، وما برحَ ظهرى عزّا وبطنى كنزاً ، وصهْوتى حرزاً ، فكم رَكضتُ فى ميدان السّباق وما أبديت عَجزا ، وكم حَززْتُ رؤوس أهل النفاق حزّا ، وكم أخليت منهم الآفاق (هل تحِسّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم رِكزا)

﴿ ألفن الثالث فى الأمثال ﴾

ألمَثل عِبارَةٌ عَنْ تأليف لاحقيقة له فى الظَّاهر وَقد ضمّنَ بَاطنهُ الحِكمَ الشَّافية وَهى ثلاثة أقسام ـ مُفترَضةٌ ممكنة ـ وَمُخْتَرعةٌ مستحيلة ـ ومختلطة

(١) فالأمثال المفترَضة الممكنة هِىَ مَا نُسبَ فِيها النُّطق وَالعمل الى عاقل[1]

(٢) وَالمخترَعة المستحيلة ما جَاءَتْ على ألسِنة الحيوَانات وَالجمادَات فيُعزى لها النطق وَالعَمل لإِرْشاد الأنسان

(٣) وَالمختلطة ما دَارَ فِيها الكلام أو العمل بين النَّاطق وَغير النَّاطق

وَشرُوط المثل أرْبعة (الأوَّل) أن تكون روَايته خالية مِنْ كلّ تعقيد ليُفضى المقصود منهُ إلى ذهن السَّامع (الثّانى) أن لايكون مُسهبًا مُملاًّ (الثّالث) أن يُهيج السَّامع بطَلاَوَته وَيُفكّه فِكرَته بهزْل كلامِهِ وَاستكار مَعَانِيهِ وَيضبُطَ عقله فى فهم الرِّوَاية المختلَقة وَفضّ مُشكلها (الرَّابع) أنْ يُورَدَ بصُورَةٍ مُحْتملة

وَفوَائد المثل جَمّة ؛ مِنها نزهة البال وترْويح الخاطِر وَمنها استقصاء الحكم وَهىَ قَديمهُ العَهد جِدًّا وَلا يعرَف اسم أوَّل مَن تكلمَ بها وَكما تكُونُ نَثراً تكون نظماً — وَلنذكُر لكَ مِنَ الأمثال ما طابَ وَرَاق فنقول

﴿ أمثال القرآن الكريم ﴾

أمثال القُرآن الشريف قِسمان ظاهر مصرّح به ـ وكامن لا ذِكر للمثل فِيه

أما أمثاله الظَّاهرة فكقوله تعالى فى شأن المنافقين (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلذِى ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ

(١) وتختلف عن الحكاية من وجهين الاول ان لها مغزى والثانى كونها غير واقعة وان كانت فى حيز الامكان

لاَ يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ أو كَصَيِّبٍ (١) مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ) وَقَوْلُهُ تعالى فى شأن الذى يُنفق أمواله ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَالذى ينفقها رياءً (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى، كَالَّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ (٢) عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ (٣) فتركه صَلْداً (٤) لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ، وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ (٥) أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ (٦) وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ (٧) فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ

وقوله تعالى فى تمثيل الحقّ والباطل (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً (٨) رَابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فى النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً (٩) وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فى الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمثال)

وقوله تعالى فى تمثيل الحكمة وضدها

---

(١) مطر (٢) حجر أملس (٣) مطر شديد (٤) صلباً نقياً من التراب (٥) مكان مرتفع (٦) مطر خفيف (٧) ريح شديد (٨) ما يعلو على وجه الماء من قذر ونحوه (٩) باطلا مرمياً به

ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت[1] من فوق الأرض مالها من قرار) وقوله جل شأنه فى حال الكفار وما يعبدون من دون الله

يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وأن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) وقوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) وقوله تعالى فى أن عمل الكافر يذهب هباء تذروه الرياح

(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ) وقوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب[2] بقيعة[3] يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب، أو كظلمات فى بحر لجى[4] يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

وقوله تعالى فى أن الدنيا ظل زائل وخيال باطل

(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما[5] تذروه الرياح) وقوله تعالى (اعلموا أنما الحياة الدنيا

---

(١) قطعت من أصلها (٢) شعاع يرى مثل الماء حين اشتداد الحر نصف النهار (٣) جمع قاع وهو الارض المستوية (٤) عميق (٥) يابساً متفرقة اجزاؤه

لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَينكم وَتكاثُرٌ فى الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ كمثل غيث أعجبَ الكفارَ نباتُه ثمَّ يَهيجُ فتراه مُصفرًّا ثم يكون حُطَامًا (١))

وأما أمثاله الكامِنة فهى الآداب البارعة والحِكَمَ الباهرَة فمن ذلك قوله تعالى

ليس لها مِن دونِ الله كاشفة

لن تنالوا البرَّ حتى تُنفقوا مِما تُحبُّون

الآنَ حصحَصَ الحقّ

وضَرَب لنا مثلاً وَنسِىَ خَلقهُ

ذلك بما قدّمت يداك

قُضِىَ الأمرُ الذى فيه تَستفتيان

أَليسَ الصُّبحُ بقريب

وَحيل بينهم وَبينَ ما يشتهون

وَقليلٌ من عِبادىَ الشَّكور

وَلا يحيقُ المكر السَّئ إلا بأهلِه

قل كلٌّ يعملُ على شاكِلته

وعسى أن تكرهُوا شيئاً وَهوَ خيرٌ لكم وَعسى أن تحبّوا شيئاً وَهوَ شرٌّ لكم

كلّ نفس بما كَسَبَت رَهينة

لكلِّ نبأٍ مُستقرّ

هل جزاءُ الإحسان إلاَّ الإحسانُ

كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئة كثيرة بإذن الله

آلآن وَقد عصَيْتَ قبلُ

تحسبهم جميعاً وَقلوبُهم شَتى

ولا يُنبئك مثلُ خبير

كل حِزبٍ بما لدَيهم فرِحُون

ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم

ما على الرَّسُول إلا البلاغُ

ما على المحسنين من سبيل

لا يُكلِّف الله نفساً إلا وُسْعَهَا

لا يستوى الخبيث وَالطَّيب

ظهر الفساد فى البر والبحر

لمثل هذا فليعمل العاملون

فاعتبروا يا أولى الأبصار

---

(١) فتاتا

جملة من أمثال العرب والمولّدين	ما يماثلها من القرآن الكريم
القتل أنفى للقتل	ولكم فى القِصاص حياةٌ
إن عادت العقرب عُدنا لها	وَإنْ عُدْتم عُدْنا . وَإن تعودوا نَعُدْ
إن غداً لناظره قريب	أليسَ الصبحُ بقريب
قد وَضح الأمر لذى عَينين	الآن حَصْحَصَ الحقّ
أعطِ أخاك تمرة فان أبى فجمرة	وَمن يَعشُ عن ذكر الرّحمن نُقيّض له شَيطاناً
سبَق السَّيف العَذل	قُضىَ الأمر الذى فيه تَستفْتيَان
قد حِيل بين العيرِ وَالنَّزَوَان	وحِيل بينهم و بين ما يَشتَهون
عادت غيث على ما أفسد	ثم بدّلنا مكان السّيئة الحسنة
لكلّ مقامٍ مقال	لكلّ نبأٍ مُستقر
مصائبُ قوم عند قوم فوائدُ	وأن تُصبهم سَيئَة يفرَحوا بها
من حفَر لأخيه بئراً وقع فيها	وَلا يَحيقُ المكرُ السَّيئُ إلا بأهله
كُل البقل لا تسأل عن المبقله	لا تسألوا عن أشياء ان تُبدا لكم تسؤكم
المأمولُ خيرٌ من المأكول	والآخرة خيرٌ لك من الأولى
لو كانَ فى اليوْم خيرٌ ما سلم على الصيَّاد	ولو علم اللهُ فيهم خيراً لأسمعهم
الكلب لا يصيد كارهاً	لاَ إكراهَ فى الدِّين
كلّ شاة ستُناط برجليها	كل نَفس بما كَسَبت رَهينةٌ
عند الخنازير تنفق العَذرة	الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات

(١) أنَّ منَ البيان لَسِحرا (٢) انّ البلاء موكّل بالمنطق (٢) أن الموصّيْن بنُو سَهْوَان (٣) أنَّ الشقّيَّ وَامِدِ البرَاجِم (٤) أن البُغاث بأرْضنا يَستَنْسِر (٥) أنّ الجبان حتفهُ من فوقه (٦) أنَّ المُعَافى غيرُ مخدُوع (٨) أنّ فى الشرّ خِيارا (٩) أنَّ الحَديدَ بالحديد يُفْلح (١٠) أنَّ الشفِيق بسُوء ظَنّ مُولَع (١١) أنَّ وَرَاء الأكمَة ما وَرَاءَها (١٢) أنَّ العَصَا من العُصيَّة (١٣) أنَّ العَوَان لا تُعلم الحمْرَة (١٤) أنَّ الغنىَّ طويل الذَّيل مَيَّاس (١٥) أن اللَّيل طويل وَأنتَ مُقمِر (١٦) أن العَصَا قُرعت لِذِى الحلم (١٧) أنَّ الحسيب الى الأخوان ذو المال (١٨) أنَّ الهزبل إذا سَمِع مات (١٩) أنَّ غداً لناظره قريب (٢٠) أن أخاك من آساك (٢١) أنك لا تجى من الشَّوك العِنب (٢٢) أتتك بحائن رحلاه (٢٣) انما أُكِلْت يوْم أُكِل الثور الأبيض (٢٤) أن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر (٢٥) ان كنتَ ريحاً فقد لاقيت إعصارا (٢٦) أن ترد الماء بماء أكيس (٢٧) إحدى حُظيَّات لُقمان (٢٨) أكل عليه الدهر وشرب (٢٩) أنّه لَيَعْلم من أيْنَ تُؤكل الكَتِف (٣٠) آكل لحمى ولا أدعه لِآكِلِ (٣١) أياك وَما

---

(١) يضرب فى استحسان المنطق (٢) يضرب لمن يسهو عن طلب شئ أمر به (٣) البراجم بطن من تميم . يضرب لمن يوقع نفسه فى هلكة طمعاً (٤) يضرب للضعيف يصير قويا (٥) يضرب فى أن الحذر لا ينجى من القدر (٦) يضرب لمن يحدع ولا يخدع (١١) يضرب لمن يفشى على نفسه أمرا مستورا (١٢) يضرب فى مشاكلة الفرع للاصل (١٣) العوان -- المرأة النصف والحمرة — ليس الحمار . يضرب فى استغناء المجرب عن الارشاد (١٤) أي لا يستطيع دو الغنى أن يكتمه (١٥) يضرب للامر بالتصبر فى طلب الحاجة (١٦) يضرب لمن أدا به ادبه (١٨) يضرب فيمن استغنى فتجبر على الناس (٢٠) يضرب فى الحث على مراعاة الاخوان (٢٢) يضرب فى المرء يسعى لحتفه بظلفه (٢٣) يضرب المرء يرزأ بأخيه (٢٤) يضرب للامر المشهور (٢٥) يضرب للداهى الشديد يلى بمن هو أدهى منه وأشد (٢٦) يضرب للاخذ فى الامور بالاحتياط (٢٧) يضرب فى النشر يصدر عمن عرف به وحظيات لقمان سهامه (وفى القاموس حظاً) (٢٨) يضرب لمن طال عمره (٢٩) يضرب فى المجرب المحنك (٣٠) يضرب فى الرجل ينصر قريبه وان كان

يُعتذَرُ منه (٣٢) اذا زلَّ العالِمُ زَلَّ بزلّته عَالَمٌ (٣٣) أنت تئِقٌ وأنا مَئِقٌ فمتى نتَّفق (٣٤) اِيّاكِ أعنى واسمعى ياجارة (٣٥) اذا حان القضاء ضاق الفضاء (٣٦) أُمُّ الجبان لا تَفرَح ولا تَحزَن (٣٧) إذا جاءت السنةُ جاء معها أعوانها (٣٨) ان حالت القَوْسُ فَسهْمى صائب (٣٩) ألاَ مَنْ يشترى سَهَراً بنَوم (٤٠) اذاما القارِظُ العَنَزِىُّ آبَ (٤١) إنْ كنتَ كدُوباً فكُنْ ذَكُورا (٤٢) انما يُحمل الكَلّ على أهل الفَضْل (٤٣) إذا تخاصم اللِّصّان ظهر المسرُوق (٤٤) إذا تفرَّقت الغنم قادتها العَنْزالجرباء (٤٥) إذا عابَ البَزَّازثوباً فاعلم أنه من حاجته (٤٦) إذا أرَدْتَ أن تُطاع فسلْ ما يُستطاع (٤٧) أن يكن الشّغلُ مَجهَدة فانّ الفرَاغ مَفسَدَة (٤٨) إذا قدُمَ الإخاء سَمُجَ الثَّناء (٤٩) بَلغَ السَّيلُ الزُّبى (٥٠) بعضُ الشَّرّ أهوَنُ مِنْ بعض (٥١) بلغ السكّينُ العظم (٥٢) باقعةٌ من البوَاقع (٥٣) إبدأهم بالصُّرَاخ يَفِرُّوا (٥٤) أبدى الصَّريحُ عن الرُّغْوة (٥٥) بعضُ الجَدب أمرأ للهزيل (٥٦) بَنان كفٍّ ليسَ فيهـا ساعدُ (٥٧) بعد البَلاء يكون الثَّناء (٥٨) أبلغ مَنْ قُسّ (٥٩) أبْخَل من مَادر (٦٠) أبصر من زَرْقَاء اليمامة (٦١) أبصر من غُرَاب (٦٢) أبقى مِنَ الدّهر (٦٣) أبقى من وَحْىٍ فى

عدوه (٣٣) الئق — السريع الى الشر والمئق — السريع الى البكاء . يضرب للمختلفين أخلاقا (٣٤) يضرب لمن يخاطب شخصا وهو يريد غيره تعريضا

(٣٧) السنة — القحط وأعوانها الجراد والامراض يضرب فى تجمع الشدائد (٣٨) حالت القوس — زالت عن استقامتها . يضرب فيمن زالت نعمته ولم تزل مروءته (٣٩) يضرب لمن غمط النعمة وكره العافية (٤٠) يضرب فى امتداد الغيبة (٤١) يضرب للرجل يكذب ثم يسى فينقض نفسه (٤٢) الكل — الثقل (٤٤) يضرب فى القوم يختلفون فيسود فيهم الاشرار (٤٥) البرار بائع الثياب (٤٩) الزبى جمع زبية وهى أعلى الجبل . يضرب لما جاوز الحد (٥٠) يضرب فى الشرين يختار أهونهما (٥١) يضرب لما جاور الحد (٥٢) الباقعة الداهية — يقال فى الرجل يكون دلهيا منكرا (٥٣) يضرب فى الظالم يتظلم ليسكت عنه (٥٤) يضرب عند انكشاف الامر وظهوره (٥٥) يضرب فيمن لا يحسن احتمال الغنى بل يطغى فيه (٥٦) يضرب فيمن له همة ولا قدرة له على بلوغ مافى نفسه (٦٣) الوحى — الكتابة

حَجَر (٦٤) أبين من فَلَق الصُّبح (٦٥) أبكر من غُرَاب
(٦٦) تَرْك الذَّنب أيسر من طَلَب التوبة (٦٧) تَجُوع الحُرَّة وَلا تأكل بِثَدْيَيْها (٦٨) تسألنى
برامتين سَلجَما (٦٩) تَجَشَّأ لُقْمانُ من غير شِبَع (٧٠) تَضرِب فى حديد بارد (٧١) تَلْدَغ
العَقْرَب وَتصئ (٧٢) تَرَكْتُهم فى حَيْص بَيْص (٧٣) تطْلب أثرًا بعد عَيْن (٧٤) تَسمعُ
بالمُعيْدى خير من أنْ تراه (٧٥) اتَّخذ اللَّيل جملا (٧٦) ترَى الفِتيان كالنَّخل وَما
يُدْريك ما الدَّخل (٧٧) التَّثبُّت نِصف العفو (٧٨) تقطعُ أعْنَاقَ الرِّجال المطامعُ (٧٩)
اتبع السَّيئةَ الحسَنَةَ تمْحُها (٨٠) اتق شرَّ مَنْ أحسنتَ إليه (٨١) تَضرَّع إلى الطَّبيب
قَبل أن تَمْرَض (٨٢) تَحرِى الرِّياح بما لا تَشتهى السُّفُنُ (٨٣) التَّقدير أحد الكاسبين
(٨٤) التَّدْبير نِصف المعيشة (٨٥) جزاء سِنِمَّار (٨٦) أسمعُ جَعْجَعَةً وَلا أرَى طِحْنا (٨٧)
جَوِّع كلبك يتْبعَك (٨٨) جاوزَ الحِزَامُ الطبْيْنِ (٨٩) جَانِيك مَن يجْنِي عليك (٩٠)
جليسُ السَّوء كالقَيْن إنْ لم يُحرق ثَوبك دَخَّنه (٩١) جاءوا على بَكْرَة أبيهم (٩٢)
أجودُ من حاتم ، وَمن كعب بن مَامَةَ (٩٣) أجبن من صافر ، ومن نعامة (٩٤) أجهل
من فراشة (٩٥) أجمع من نملة
(٩٦) حال الجَرِيضِ دُونَ القَرِيض (٩٧) حَنَّ قِدْح ليسَ مِنها (٩٨) حسْبُكَ

---

(٦٧) اى لاتكون مرضعا يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب (٦٨) الساجم — اللفت . يضرب لمن يطلب شيئا فى غير موضعه (٦٩) يضرب لمن يدعى ماليس يملك (٧١) يضرب لمن يظلم ويتظلم . وصاءت العقرب — صوتت (٧٢) يضرب فيمن وقع فيما لا مخلص له منه (٧٣) يضرب فيمن ترك الشيء ثم طلبه بعد ذهابه (٧٤) يضرب فيمن منظره دون مخبره (٧٥) أى أدى واجبه من العمل ليلا (٧٦) يضرب لدى المنظر لاخير فيه (٨٥) يضرب فى مقابلة الاحسان بالاساءة (٨٦) يضرب فيمن يعد ولا يفى (٨٧) يضرب فيما ينبغى أن يعامل به اللئيم (٨٨) يضرب فى تفاقم الامر (٨٩) اى لاتزر وازرة وزر اخرى (٩٠) القين — الحداد (٩١) أى جاءوا جميعا (٩٣) الصافر من الطيور بغلها وضعافها (٩) الجريض — الغصة والقريض — الشعر . يضرب فى الامر يتيسر حين لا ينفع (٩٧) يضرب فى الرجل يفتخر بقوم ليس منهم أو يتمدح

من شرٍّ سماعه (٩٩) حسبك من القِلادة ما أحاط بالعُنُق (١٠٠) حبك الشيءَ يُعمي ويُصِمّ
(١٠١) الحديث ذو شُجُون (١٠٢) حافظ على الصّديق ولو فى الحريق (١٠٣) أحشفاً
وسوءَ كِيلة (١٠٤) أَلحكمه ضالّة المؤمن (١٠٥) الحُبارى خالة الكَرَوان (١٠٦) الحاجة
تفتّق الحيلة (١٠٧) أحمقُ من هبنّقة ومن جُحَا (١٠٨) أحلمُ من الأحنف (١٠٩)
أحكم من لُقمان (١١٠) أحذَرُ من غُراب ومن ذِئب ومن ظَليم (١١١) أحفظُ
من الشّعْبي
(١١٢) خُذْ من حِذْع ما أعطاك (١١٣) خالف تُذْكر (١١٤) خَرْفاء وجدَت صُوفاً
(١١٥) خير المال عين خرّارة فى أرض خوّارة (١١٦) أخطبُ من سَحْبان
ومن قُس (١١٧) أخوَن من ذِئب
(١١٨) دُونَ ذا وبنفقُ الحمار (١١٩) أدْهى من قيس بن زُهير، ومن عمرو بن
العاص (١٢٠) ذهبوا أيْدِى سبا (١٢١) الذئب خالياً أسَد (١٢٢) ذكّرتنى الطّعْن
وكنتُ ناسيا (١٢٣) رَمتى بدائها وانسلّتْ (١٢٤) رَماهُ اللهُ بثالثة الأثافِيّ (١٢٥)
رُبَّ قولٍ أشدّ من صَوْل (١٢٦) رُبَّ أخٍ لك لَم تَلِده أُمك (١٢٧) رَجعَ بخُفَّيْ

بمالبس فيه (٩٨) يضرب فى المقالة السيئة وما يحشى منها (١٠١) الشجون — الفنون . يضرب فى الحديث يتذكر به غيره (١٠٣) يضرب فى الجمع بين خصلتين مكروهتين (١٠٥) يضرب فى مناسبة أحد الشيئين للآخر (١١٠) الظليم — ذكر النعام (١١٢) حذع اسم رجل يضرب فى اغتنام مايجود به البخيل (١١٤) الخرقاء — التى لا تحسن العمل . يضرب فيمن يفسد ماله بسوء تصرفه (١١٥) الخوارة — الارض التى فيها لين وسهولة
(١١٨) يضرب فى المبالغة فى المدح بغير احتياج اليها (١٢٠) أي تفرقوا تفرقا لا اجتماع معه كما تفرقت سبا (١٢٢) يضرب فى تذكر الشيء بغيره (١٢٣) يضرب فيمن يعير صاحبه بعيب هو فيه (١٢٤) الأثافى جمع أثفية وهى الحجر توضع عليه القدر وهما اثنتان وثالثتهما الجبل والمراد بها الداهية العظيمة (١٢٥) يضرب عند الكلام بؤثر فيمن يواجه به (١٢٧) يضرب فى الخيبة

حُنين (١٢٨) رُبَّ رَمية من غير رَام (١٢٩) الرِّوَاية أحد الشَّاهدين (١٣٠) رُبَّ كلمة سلبت نِعمة (١٣١) رُبَّ مَلُوم لا ذنب لهُ (١٣٢) رُبَّ زارع لِنفسه حاصدٌ سواه (١٣٣) أرْوَى من ضَبّ (١٣٤) أرَقّ من النَّسيم ، وَمن رَقْرَاق السَّرَاب ، وَمن غِرْقِئ البيض

(١٣٥) الزّيت فى العجين لا يَصيع (١٣٦) زَكاة النّعم المعروف

أزْكى من إياس (١٣٨) أزْهى من طاوُس

(١٣٩) سَيفَ السَّيف العذَل (١٤٠) أساء سمعاً فأساءَ إجابة (١٤١) سَكتَ ألفاً وَنطقَ حَلْفا (١٤٢) سُرو السَّارق فانحر (١٤٣) السليمُ لا يَنام وَلا يُنيم (١٤٤) سَحابَة صيفٍ عن فليلٍ تَقشَّعُ (١٤٥) شَرّ الرَّأى الدّبَرىّ (١٤٦) شُخْب فى الأناء وَشُحب فى الأرْض (١٤٧) شِنْشنة أعْرفها من أخْزَم (١٤٨) شرٌّ من الموت ما يَتمنّى معه الموت (١٤٩) أشأم من البَسُوس ومن أحمر عاد ومن غُراب البَيْن (١٥١) أشكَرَ من كَلْب

(١٥١) صَدَقنى سِنّ بَكْره (١٥٢) صادف دَرْءُ السَّيل درءا يصدعه (١٥٣) صدرك

---

(١٢٩) هذا كقولنا شتمك من بلغك (١٣٣) تزعم العرب أن الصب لا يحتاج الى شرب الماء بل يفتح فاه للهواء فيكون فى ذلك ريه (١٣٤) العرقىء — القشرة الرقيقة الملتزقة ببياض البيضة (١٣٥) يضرب فى الاحسان الى الاقارب (١٣٨) الزهو — العجب (١٣٩) يضرب فى الخطأ يلام فاعله بعد وقوعه (١٤١) الخلف — الردىء من القول (١٤٢) يضرب لمن ينتزع من يده ما لبس له فيجزع عليه (١٤٣) السليم — الملدوغ . يضرب فيمن لا يستريح ولا يريح غيره (١٤٥) الدبرى — الذى يسنح بعد فوات الفرصة (١٤٦) الشخب — ماخرج من الضرع ممتنعا من اللبن . يضرب فيمن يصيب مرة ويخطىء اخرى (١٤٧) الشنشنة — الطبيعة والعادة يضرب فى مشابهة الفرع لاصله فى الشر (١٤٩) البسوس هى المرأة التى هاجت بسببها حرب بكر وتغلب واحمر عاد هو أحمر ثمود وهو الذى عقر الناقة فحل العذاب بثمود من جراء عمله (١٥١) يضرب فى الانسان يقرر الحقيقة على غير قصد منه (١٥٢) هذا كقولهم لا يفل الحديد الا الحديد

أوْسعُ لسرّك (١٥٤) أصدقُ من قَطاة (١٥٥) أصعب من رَدّ الشّخب فى الضَّرع (١٥٦) ضرَب أخماساً لأسداس (١٥٧) أضْيق من ظِلّ الرُّمْح (١٥٨) أضعف من بعوضة (١٥٩) أضبط من نملة

(١٦٠) أطْرق كَرَا أنّ النّعامة فى القُرَى (١٦١) أطول صحبة مِنَ الفرْقدين (١٦٢) أطمع من أشعب (١٦٣) طبيب يداوى الناسَ وهو مريض (١٦٤) طُفَيْلٌ ومُقترح (١٦٥) ظِئْرٌ رَؤُوم خيرٌ من أمّ سؤُوم (١٦٦) عِند الصّباح يحْمدُ القوْم السُّرَى (١٦٧) عند جُهينة الخبر اليقينُ (١٦٨) عَرض عليه حَصلتى الضَّبع (١٦٩) عِشْ رَجبا ترَ عَجبا (١٧٠) أعْط القوْس بَاريها (١٧١) أعرَض ثوْب المَلبَس (١٧٢) العود أحمد (١٧٣) عند الامتحان يُكرم المرْءُ أو يُهان (١٧٤) أعزّ من كُليب وَائل (١٧٥) أعيا من باقل (١٧٦) أعدى من الظّليم وَمنَ الشَّنْفرَى ومنَ السُّليك (١٧٧) أعقّ من ذئبة (١٧٨) أعقد من ذَنَب الضَّبّ (١٧٩) أعْجز مِمّن قتلَ الدُّخَان (١٨٠) غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلُولية (١٨١) غَثّك خير من سِمين غيرك (١٨٢) فى الصّيف ضيّعتِ اللّبن (١٨٣) فى بيته يُؤتى الحكَمُ (١٨٤) فى كل شَجَر نار واستمْجَد المرْخُ والعَفَار

---

(١٥٤) لان صوت القطاه واحد لا يتغير (١٥٦) يضرب فيمن يريد الشئ ويظهر غيره (١٦٠) الكرا — الكروان . يضرب فيمن يتكلم بمالا يقدر عليه (١٦٥) الظئر الحاضنة . والرؤوم — العطوف (١٦٦) يضرب فى تحمل المشقة رجاء الراحة (١٦٧) يضرب فى الرجل يعرف الشئ على وجهه كقولهم (على الخبير سقطت) (١٦٨) تزعم العرب ان الضبع صادت ثعلباً وحيرته بين ان تأكله وأن تمزقه . يضرب فيمن يسوم غيره مالا خيار فيه من البلاء (١٧١) يضرب فيمن اذا سألته عن امر أسهم الجواب (١٨٠) سلول قبيلة دليلة . يضرب فى اجتماع خصلتين من الشر (١٨٢) يضرب لمن يطلب شيئاً قد فوته على نفسه (١٨٤) المرخ والعفار — شجر توري به النار . يضرب فى تفضيل بعض الشئ على بعض

(١٨٥) أفرس من بِسْطام (١٨٦) أفتك من عمرو بن كلثوم

(١٨٧) قطعت جَهيزة قول كلّ خطيب (١٨٨) قد أنصف القارةَ من رَاماها

(١٨٩) قبل الرّماء تملأ الكنائن (١٩٠) اقتلونى ومالكا (١٩١) القَوْلُ ماقالت حَذَام

(١٩٢) كان كُرَاعا فصار ذِراعا (١٩٣) كلام كالعسل وفعل كالأسَل (١٩٤) كل فَتَاةٍ بأبيها مُعْجَبَة (١٩٥) كطالب القَرْن جُدِعت أذنه (١٩٦) كمُجير أمّ عامر (١٩٧) كيف أعاودك وهذا أثر فأسك (١٩٨) كأنّ على رؤسهم الطّير (١٩٩) كالمُسْتَجير من الرَّمْضَاء بالنّار (٢٠٠) لو ذاتُ سِوَار لطَمَتْنى (٢٠١) لو خُيِّرْتُ لاخترتُ (٢٠٢) لو تُرِك القَطا ليلا لنام (٢٠٣) لعلّ له عُذْرا وأنت تلوم (٢٠٤) لأمرٍ ماجُدِع قصيرٌ أنفه (٢٠٥) لكل مقام مقال (٢٠٦) لا تَخْبأ لِعطْر بعد عَرُوس (٢٠٧) لا تَعْدَم الحسناء ذَاما (٢٠٨) لا تَهْرِفْ بما لا تَعْرِفَ (٢٠٩) لا ناقتى فيها ولا جَمَلى (٢١٠) لا فى العير ولا فى النّفير (٢١١) لا يَفُلّ الحديد الا الحديد (٢١٢) لا تأمَن الأحمق وبيده سِكّين (١٢٣) لا تَجْزَعْ من سُنّة أنتَ سِرْتَها

(٢١٤) ماوراءك ياعِصَام (٢١٥) ما يوم حليمة بسرّ (٢١٦) ما أشبه اللَّيْلةَ بالبارحة

يقطع على الناس ماهم فيه بحماقة يأتى بها (١٨٨) القارة — قبيلة من أبرع الناس فى المراماة (١٨٩) يضرب فى الاستعداد للامر قبل الشروع فيه (١٩٠) يضرب فيمن يريد بصاحبه المكروه وان ناله هو منه ضرر (١٩٢) يضرب فى الذليل يصبح عزيزا (١٩٣) الاسل — الرماح (١٩٤) يضرب فى عجب الرجل برهطه وعشيرته

(١٩٥) أصل المثل فى النعام . ويضرب فى طلب الامر يفضى بصاحبه الى التلف (١٩٦) أم عامر الضبع وقد أكلت من أجارها . يضرب فى الذى يجزى على احسانه بالسوء (١٩٧) يضرب فيمن لا يفى بالعهد (٢٠٠) يضرب فى الوضيع يقع فى العدوان (٢٠٢) يضرب فيمن حمل على مكروه من غير ارادته (٢٠٦) يضرب فيمن لا يدخر عنده نفيس (٢٠٧) يضرب فى الشىء الحسن لا يخلو من عيب (٢٠٨) يضرب لمن يتعجل فى مدح الشىء قبل تمام معرفته (٢١٠) يضرب فى الوضيع ليس فيه شىء من خلال الشرف (٢١٢) يضرب فى عسف الجاهل اذا قدر (٢١٥) حليمة بنت ملك غسان . يضرب للامر المشهور الذى لا يكاد يجهل

(٢١٧) مَرْعَى ولا كالسَّعدان (٢١٨) ما كل بيضاء شَحْمة (٢١٩) منك أَنْفَك وان كان أجْدع (٢٠) من استرعى الذئب ظلم (٢٢١) من مأمَنه يُؤْتَى الحَذِر (٢٢٢) مواعيد عُرْقوب (٢٢٣) مُكْرَهٌ أخوك لا بَطَل (٢٢٤) أمنع من عُقاب الجوّ

نَفْسُ عِصام سَوَّدَتْ عِصاما (٢٢٦) نعيم كلب فى بؤس أهله (٢٢٧) أندمُ من الكُسَعِىّ (٢٢٨) وافق شَنٌّ طَبَقَه (٢٢٩) أوردها سعد وسعد مُشْتَمِل (٢٣٠) أوْفى من السَّموءل ، ومن الحارث بن عُباد (٢٣١) هما كفَرَسَىْ رِهان (٢٣١) يَدَاك أو كتاوفُوك نَفخ (٢٣٣) اليوم خَمْر وغدا أمر

---

(٢١٧) السعدان نبت من أنفع الاعشاب للابل يضرب فى الشىء يفصل على أشكاله وأقرانه
(٢١٩) يضرب فيمن يلزمك خيره وشره (٢٢٢) يضرب فيمن يحمل على ماليس من شأنه
(٢٢٥) يضرب فى سودد الرجل بنفسه (٢٢٦) يضرب فى التابع كالخادم يشغل سادته بمصيبة فيغتنم ماقدر عليه من أموالهم (٢٢٧) يضرب فى تمام المشاكلة والاتفاق (٢٢٩) يضرب للمقصر فى الامر (٢٣٢) يضرب لمن يجنى على نفسه (٢٣٣) يضرب فى تقلب الايام

﴿ الفن الرابع فى الأوصاف ﴾

الوصف (١) عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته الممثلة له، وأصوله ثلاثة

« الأول » أن يكون الوصف حقيقياً بالموصوف مفرزاً له عمّا سواه

« الثانى » أن يكون ذا طلاوة ورونق

« الثالث » أن لايخرج فيه إلى حدود المبالغة والأسهاب ، ويكتفى بما كان مناسباً للحال ـ وأنواعه كثيرة، ولكنها ترجع الى قسمين وهما وصف الاشياء ووصف الأشخاص ـ أما الأشياء الحرية بالوصف فهى كالأمكنة والحوادث ومناظر الطبيعة

وأما وصف الأشخاص فيكون بوصف الصورة أو الطبع أو بوصفهما معاً

ولنذكر لك ففراً جارية على ألسنة البلغاء فى صفات شتى ثم نتبعها بمقالات فى الوصف نثرا ونظماً

﴿ وصف البلدان ﴾

بَلْدَةٌ كأنها صورة جنة الخلد منفوشة فى عرض الأرض ، بلدةٌ كأنّ محاسنَ الدُّنيا مجموعةٌ ومحصورة فى نواحيها ، بلدةٌ تُرابها عَنبر وحَصباؤها عقيق ، وهَواؤها نسيم ، وماؤها رَحيق ، بلدة معشوقة السكنى رَحْبة المَثْوى (٢) كوكبها يقظان وجوُّها عُرْيان ، يومها غَداةٌ وليلُها سَحَرَ ، بلدة واسعةُ الرُّقعة طَيِّبة البُقْعة ، واسطة البلاد وسُرَّتها ، وجهُها وغرَّتها

﴿ وصف القلاع ﴾

قَلعة حلّقت (٣) بالجوّ تُناجى السَّماء بأسرارها ، قلعة تتوشّحُ بالغيوم وتجتلى

---

(١) احسن طريقة للاجادة فى الوصف أن ترسم أولا فى بدء وصفك نظرا عاما جامعا لمجمل الامر الذي تحاول وصفه ثم تأخذ بأيراده مختلف الاجزاء قسما فقسما وذلك اما على تتابع ورود هذه الاجزاء تماما بتقديم أهم الاجزاء أو ايثار ماكان يراه الكاتب أشد مناسبة لغايته (٢) الاقامة (٣) ارتفعت

النّجوم قلعةٌ مُتناهيةٌ فى الحصانة، مُمتنعةٌ عن الطّلب والطّالب، منصوبة على أضيق المَسالك وأوعر المَناصب، لم تَزِدْها الايام إلاّ نُبوّ (١) أعطاف واستِصْعابَ جوانب وأطراف، وقد ملّ المُلوك حِصارَها ففارَقوها عن طِماح (٢) منها وتِمَاس (٣) وَسئمَتِ الجُيوش ظِلّها فغادرَتْها (٤) بعد قُنوط ويأس، فهى حِمًى لا يُراع (٥) ومعقِلٌ لا يُستطاع، كأنّ الايّام صالحتها على الإعفاء من الحوادث والليالى عاهدَتها على التسليم من القوَارع (٦)

وصف الدّور

دارُ قرارٍ تُوسِعُ العين قرّة، والنّفسَ مَسَرّة، كأنّ بانيها استَسلف الجنّة فعجّلتْ له، دارٌ تخجل منها الدّور وتتصاصر عنها القصور، دارٌ قد اقترَن اليُمن (٧) بيُمناها واليُسْرُ بيُسراها، الجُسوم منها فى حَصَر، والعُون على سَفَر، دارُ دارَ بالسّعد نجمُها وفاز بالحسن سَهمُها، يخدُمُها الدّهر ويأوِيها البَدر ويكنُفُها النّصر، هى مَرْتع النّواظر ومُنفّس الخواطر، أخذَتْ أدواتِ الجِنان وضحكت من العبقرِىّ (٨) الحِسان

وصف الدّيار الخالية

دارٌ لبسَت البِلى وتَعطّلتْ من الحِلَى، صارتْ من أهلها خالية بعد ما كانت بهم حاليه، قد أنفدَ البَين سُكّانها، وأقعد حِيطانَها، دارٌ شاهدُ اليأس منها يَنطق وحبلُ الرّجاء فيها يَقصُرُ، كأنّ عُمرانها يُطوَى وخرابَها يُنشَر، أركانها قيامٌ وقعود، وحيطانُها رُكّع وسُجود

بَكتْ دارُهم من بَعدهم فتهلّلت دُموعى فأىّ الجازِعين أَلومُ

(١) بعدا (٢) كبر وفخر (٣) اباء وامتناع (٤) تركتها (٥) لا يفزع ولا يخاف فيها أحد
(٦) الحوادث والنوائب (٧) البركة (٨) البسط المعجب شكلها

أمُسْتعبراً يَبكى على اللّهو والِلى أم آخرَ يبكى شجْوه فيهيم

﴿ وصف أيام الرَّبيع ﴾

يومٌ جلابيبُ غيُومه روَاق (١) وأوْدِية نَسيمه رقاق ، يومٌ سماؤه فاختِية وأرضُهُ طاوُوسية ، يوم مُمَسّك السماء مُعصفَرُ الهواء ، مُعَنْبرُ الرَّوض مُصنْدَلُ الماء ، يومٌ تبسَّم عنه الرَّبيع وتبرّج عنه الرَّوضُ المريع ، يوم كأن سماءَه مُحِدٌّ تتَباكَى ، وأرضُهُ عَروسٌ تتحلّى ، يومٌ دَجْنُهُ (٢) عاكف وقطره واكِف (٣)

﴿ وصف الرياض ﴾

روضةٌ رقّت حواشيها وتأنق واشيها (٤) روضة كالعُقُود المُنظّمة على البُرُود المُنمْنَمة ، روضة قد راضتها كفُّ المطر ودَجّتها أيدى النّدَى ، رياضٌ كالعرائس فى حَليْها وزَخارفها والقِيانِ (٥) فى وَشْيها ومَطارفها (٦) باسطةٌ زرابيّها وأنْماطَها ناشرة بُرودَها ورباطها ، رَاهيةٌ بحمرَائها وصفرائها تائهةٌ بغيدانها وغُدرانها ، كأنما احتفلت لوفْد أو هِى من حسيب على وَعْد ، روضة قد تَضوّعت (٧) بالأرَج (٨) الطيّب أرجاؤها وتبرّجت (٩) فى ظُلَل الغَمام صَحراؤها ، وتنافحتْ بنوافح المسك أنوارُها وتعارَضت بغرائب النُّطق أطيارها ، بُستانٌ أنهارُه محفوفة بالأزهار وأشجاره مُوقرَةٌ بالثّمار ، أشجارٌ كأنّ الحورَ أعارَتها قُدُودَها وكستْها بُرُدَها وحلّتها عُقُودها ، شقائقُ كتيجان العقيق على رؤوس الزُّنوج كأنها أصداغ المِسك على الوَجنات المُورَّدة كأن الشقيق جامٌ (١٠) من عقيق أحمر مُلئتْ

---

(١) الكساء المرسل على مقدم البيت من أعلاه الى الارض (٢) الغيم (٣) سائل (٤) حائكها ونقاشها (٥) جمع قين المغنية (٦) جمع مطرف رداء من خز مربع فيه اعلام والزرابى البسط والانماط الاثواب التى تطرح على الهوادج والرياط الاثواب الرقاق (٧) تحركت (٨) نفحة ريح الطيب (٩) تزينت (١٠) اناء

قَراراته بمسك أدْفر ، الأرض زُمُرُّدة ، والأشجار وَشْى ، والماء سيوفٌ والطّيور رِقيان [١] قدْ غرّدت خطباءُ الأطيار على مَنابر الأنوار والأزهار

(وصف طول الليل والسّهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر)

ليلةٌ قُصَّ جناحُها ، وضلَّ صباحُها ، ليالٍ ليست لها أسحارٌ ، وظُلمات لا يتخلّلُها أنوار ، ليلٌ ثابتُ الأطناب [٢] بَطِيءُ الغوارب طامِحُ الأمواج وَافى الذّوائب ، باتَ بليلة ساورته [٣] فيها الهموم ، وسامَرَته النّجوم ، واكتحلَ السُّهاد وافترَش السَّهاد ، اكتحل بماء السّهرِ وَتململَ على فِراش الفكر ، قد أقضَّ مهادُه [٤] وَقلِقَ وسادُه ، هُموم تُفرِّق بين الجنب والمهاد ، وَتجمعُ بين العين وَالسُّهاد

(وصف انصاف الليل وتناهيه وانشار النور وأفول النجوم)

قد اكتهل [٥] الظّلام قدْ نَصفْنا عُمْرَ اللّيل وَاستغرَقنا شَبابه ، قدشابَ رأسُ اللّيل ، كاد يبسّم النّسيم بالسّحر ، قد انكشفَ غِطاءُ اللّيل وسِتْرُ الدُّجى : هرمَ اللّيلُ وشمطتْ ذوائبه ، قُوضت [٦] خِيامُ الليل وخلَع الأُفق ثوبَ الدُّجى تبسّم الفجرُ ضاحكا مِن شَرْفه ، وَنصبَ أعلامَه على منازل أُفقه ، اقْتنص بازى الصُّوء غُرابَ الظّلام ، وَفضَّ كافُور النُّور مِن الغَسق مسْك الخِتام ، طُرِّزَ قميصُ الليل بغُرَّة الصّبح ، ماحَ الصبحُ بسيرِّه ، خَلَع الليل ثِيابَه ، وحدَر [٧] الصّبحُ نِقابه بَثّ الصُّبحُ طَلائعه تبرقع اللّيل بُغرَّة الصُّبح أطار مُنادى الصُّبح غُرابَ الليل عُزِلت نَوَافج اللّيل بجَامات الكافُور وانهزمَ جَيشُ الظلام عن عَسكر النّور مالت الجوزاء [٨] للغروب ، وولّت مواكبُ الكواكب وتناثرتْ عقود النّجوم وَوَهى نِطاق الجوزاء وانطفأ قِنديل الثُّريا

(١) مغنيات (٢) حبال الخيمة (٣) شغلته وقاومته (٤) خشن وتترب (٥) صار كهلا تشبيها بالرجل الكهل وهو من جاوز الاربعين سنة (٦) هدمت (٧) أنزل (٨) برج فى السماء

﴿ وصف طلوع الشمس وغروبها ﴾

بدَا حاجبُ الشَّمس ، ألْقت الغزَالة [١] لُعابَها ، وَضَرَبَت الضُّحى أطنابَها انْتَشَرَ جَناح الضَّوء ، فى أفُقِ الجَوِّ ، استوَى شبابُ النهار على رَونق الضّحى. بلغت الشَّمسُ كَبِدَ السّماء ، قام قائمُ الهاجرَة وَرَمت الشَّمس بجَمرَات الظّهر ، اصفرَّت غِلالةُ [٢] الشَّمس وَصارَت كأنَّها الدِّينارُ يلمع فى قرَار الماء ، نَفَصتْ تِبْراً على الأصيل ، وَشدَّت رَحلها للرَّحيل ، جَنَحَت الشَّمس إلى مغاربها ، دَلكَتْ [٣] دَلوح [٤] وَاغبرَّ لَوْحُ اللُّوح [٥] تصوّبت الشَّمس للمَغيب ، تَصيَّفت للغُرُوب فآذَن جنبُها بالوُجوب [٦] شاب النَّهار وأقبلَ شَبَابُ الليل استَترَ وجهُ الشَّمس بالنِّقاب ونوَارَت بالحجاب ، كأن هذا الأمرَ مِنْ مَطلع الفَلَق إلى مجمع الغَسَق

﴿ وصف الرَّعد والبرق ﴾

قامَ خطيب الرَّعد نبضَ [٧] عِرْق البَرْق ، سحَابه ارتجزت [٨] رُعودُها وَذَهبت ببُرُوقها بُرُدُها ، نَطق لسانُ الرَّعد وَخفَقَ قلبُ البرْق ، فالرَّعد ذُو صَخب [٩] والبَرق ذو لَهب ، ابْتسم البرق عن قَهقهة الرَّعد ، زَأرت أُسود الرَّعد ولمَعت سُيوف البرق رَعدَت الغَمائم وَبرَقت ، وَانحلَّت عُرى السَّماء فطبَّقت هَدَرت رَوَاعدُها وَقَربت أباعدُها وَصدقتْ مَواعدُها

﴿ وصف مُقدّمات المطر ﴾

لَبست السَّماء سِرْبالها ، وَسحَبت السَّحائبُ أذيالهَا ، قد احْتجَبَت السَّماء فى سُرادِق الغَيم ، لبسَ الجوّ مُطرَفَه [١٠] الأدكن [١١] باحَتِ الرِّيحُ بأسرَار النَّدَى

---

(١) الشمس (٢) الثوب (٣) غربت (٤) السحابة (٥) لوح واللوح كلاهما الهواء بين السماء والارض (٦) وجبت الشمس وجيباً ووجوباً غابت (٧) تحرك (٨) تداركت اصواتها (٩) ذو صوت شديد (١٠) رداء من خز مربع (١١) المائل الى السواد

ضُربت خيمةُ الغمام ، ابتلَّ جناحُ الهواء وَاغرَوْرَقت مُقلة السَّماء ، هبَّت شمائلُ الجنائب، لتأليف شَمْل السَّحائب ، تألَّفت أشْتات الغيوم وأسْبلت السّتور على النّجوم

﴿ وصف الثلج وَالبرد وأيام الشتاء ﴾

مدَّ الشّتاءُ رِواقه ، وَألقى أرْواقه[1] وَحلَّ نِطاقه، أناخَ بموَازِله، وَأرْسَى بكلاكله وكَلَحَ بوجهه وكشرَ عن أنيابه، قد عادت الجبال سَيبا وَلبست من الثّلوج ملاءً قَشيباً [2] نابتْ مَعارِف البُرُوج بترَاكُم الثُّلوج ، ألمَّ الشَّيب بها وَابْيضت لِمَمُها[3] بردٌ يُقَصقِض [4] الأعصاء ، وَيَقْضْ الأحْشاء، برد يُجمِّدُ الرِّيق فى الاشداق وَالدّمع فى الآماق يوْم كأنَّ الأرضَ سابَتْ لِهوْلِه يوم فِضَّتْ الجلباب مِسكىّ الثّياب، عَبوسْ قَمْطرِير [5] كشرَ عَن ناب الزَّمهرير وَفرَش الأرْض بالقوارير [6] يوْم أرْصهُ كالقوَارير اللّامعة وهوَاؤه كالزَّنابير اللّاسعه

(وصف المطر والسحاب والماء والغدران)

ماء إذا مسَّه أيدى النَّسيم حكى [7] سلاسلَ الفضَّة، غديرٌ ترَقرقت [8] فيه دُموع السحائب، وتوَاترَت عليه أنفاس الرِّياح الغرَائب ، انحلَّ عقْدُ السَّماء وأنهلَّ دمعُ الأنواء [9] انحلَّ سِلْك القَطْر عن دُرِّ البحر ، سحابةٌ تحدو من الغيوم جمالاً وتمُدّ من الأمطار حِبالاً ، سحابه تُرْسل الأمطار أمواجاً والأمواج أفواجاً ، سحابةٌ يَضحكُ من بُكائها الرَّوضُ وتخضرُّ من سوَادها الأرضُ ، سحابةٌ لا تجفُّ جفُونُها وَلا يخفُّ أنينُها، دِيمة [10] رَوَّت أديم [11] الثّرى [12] ونبّهت عيُون النّور من الكَرَى [13] سحابة رَكِبت أعناق الرِّياح، وَسحّت كأفوَاه الجراح، مَطرٌ كأفواه القِرَب

---

(١) جمع روق وهو والرواق بمعنى (٢) جديدا (٣) جمع لمة الشعر الذى يجاوز شحمة الاذن (٤) يكسر ويضعف (٥) شديد مظلم (٦) جمع قارورة الاناء من الزجاج (٧) شابه (٨) تحركت (٩) جمع نوء المطر (١٠) المطر بلا رعد (١١) وجه الارض (١٢) التراب (١٣) النوم

وصف القيظ وشدة الحر

حَرٌّ يُشبه قلب الصَبّ ، ويُذيبُ دماغ الضَّب [١] قَوىَ سلطان الحرّ ، وبُسِط بِساطُ الجمر ، أوْقدت الشَّمس نارَها وأذكت [٢] أُوَارها [٣] حَرٌّ يلفح حُرّ الوجه ، هاجِرة كأنها من قلوب العُشّاق إذا اشتعلت فيها نارُ الفِراق ، هاجرة تحكى نارَ الهَجر وتُذيب قلب الصَّخر ، حرٌّ يهرُبُ لهُ الحرباء [٤] من الشمس قد صَهَرَت [٥] الهاجرة الأبدان وركبت الجَمادِب [٦] العيدان ، حرٌّ يُنضِجُ الجلود ويُذيب الجلمود ، أيام كأيّام الفُرْقة امتدّاداً ، وَحرٌّ كحرّ الوَجه اشتداداً ، هاجِرَة [٧] كالسّعير الهاجم ، يَجُرُّ أذيال السّمائم [٨]

(وصف الشيب)

ذَوَى [٩] غُصنُ شبابه بَدتْ في رأسه طَلائع المشيب أقمرَ ليلُ شبابه ظهرت غُرّة القمر وأومض [١٠] البرقُ في ليل الشَّعر رُمى فاحمُ الفوْدِ [١١] بِضدِّه واشتعل المُبيضّ في مُسوَدّه ، لمع ضوءُ فَرْعه وتفرّق شمل جمعه ، علاه غُبارُ وقائع الدّهر ، بينا هو رَاقدٌ في ليل الشّباب ، أيقظَهُ صُبحُ المَشيب ، طوَى مرَاحِل الشّباب وأنفق عُمرَهُ بغير حِساب ، جاوَز منَ الشّباب مرَاحِل ، وَوَرَدَ من الشّيب مَناهل . فلَّ [١٢] الدّهرُ شبَابه ومحا محاسنَ رُوَائه ، طار غُراب شَبابِه انتهى شبَابُه ، وَشاب أترابه إستبدل بالأدهم [١٣] الأبلق [١٤] وبالغُراب العقْعَق [١٥] استعاضَ [١٦] من الغُراب بقادمةِ النّسر ، أسفرَ صُبحُ المشيب ، علتْه أُهْبَة الكِبرَ نفض جُبّة الصبّا

---

(١) حيوان يرى (٢) اوقدت (٣) نارها (٤) حيوان يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويتلون الوانا بحر الشمس (٥) اذابت (٦) الجراد (٧) شدة الحر عند الزوال (٨) الرياح الحارة (٩) ذبل (١٠) برق ولمع (١١) معظم شعر الرأس مما يلى الاذن (١٢) هزم (١٣) الاسود (١٤) الابيض واصله للرخام (١٥) طائر على قدر الحمامة (١٦) جعله عوضا

وَتوَلَّى داعِيهُ الحِجا [١] الشَّيب زُبدةٌ مَخَضَتْها الأيام ، وفضّة مَحَصَتها التَّجارِب سرَى فى طريق الرُّشد بمصباح الشَّيب ، الشَّيب خِطام المَنِيَّة ، الشَّيب نذير الآخرة

(وصف آلات الكتابة)

ألدَّواة من أنفع الأدوات ، وَهى لِلكتابة عَتاد [٢] وَللخاطِر زِناد ، غَديرٌ لا يَردُ غير الأفهام ، ولا يُمتح [٣] بغير أرْشِيَة [٤] الأقلام ، غديرٌ تفيضُ ينابيعُ الحِكمة من أقطاره ، وتنشأ سُحبُ البَلاغة من قرَاره ، مِدادٌ كسوَاد العين وسُوَيداء القلب ، وَجناح الغُرَاب ، ولُعابِ اللَّيل ، وألوان دُهم الخيل ، مدادٌ ناسب خافية الغُراب ، واستعارَ لَونه من شَرْخ [٥] الشَّباب ، أقلامُ جمّة المحاسن ، بعيدةٌ من المَطاعن أنابيبُ ناسبت رِماح الخطّ فى أجناسِها ، وشاكَلَتْ الذَّهبَ فى ألوَانها ، وضاهت الحديد فى لَمَعانها ، أقلامٌ كأنَّها الأميال استواءً والآجالَ مَضاءً ، بطيئةُ الخفى قَوِيَّة القُوى ، قلم لا يَنبُو [٦] إذا نَبت الصِّفاح وَلا يُحجِمُ [٧] إذا أحجمت الرِّماح قلم يسكتُ وَافقاً ، وَينطقُ ساكتاً

(وصف الخطباء)

جلَوْا بكلامهم الأبصار العليلة ، وَشَحَذُوا بمواعظهم الأذهان الكَليلة ، ونَبَّهوا القلوب من رَقدتها ، ونَقلُوها عَنْ سُوءِ عادَتها ، فشفَوْا من داء القَسوة وغباوَة الغفْلة وداوَوْا مِن العىّ الفاضح ونهجوا لنا الطَّريق الواضح ، خطيبٌ لا تَنالهُ حبسة ولا ترْتَهنه لُكنةَ ، ولا تَتمَشَّى فى خِطابه رُتّةٌ [٨] ولا تَتحيّف [٩] ببيانه عُجمة ولا تعترضُ لسانَه عُقدة خطيبٌ جوَاهرُ نفَثاته صحاح وعرائس أفكاره صِباح خطيبٌ

(١) العقل (٢) ما يعده الانسان لحوادث الدهر (٣) لا ينزع (٤) حبال الدلاء
(٥) ريعانه (٦) لا يبعد (٧) لا يتأخر (٨) العجمة (٩) بمعنى تنقص

تزيّنت بدُرَر ألفاظه عقود الملح ، لا عيبَ فيه إلا أنّ لفظَهُ عطّل الياقوتَ والدُّرّ خطيبٌ مِصقع يَنثُرُ لسانُهُ اللؤلؤَ المكنون ،هو الخطيبُ المِصقعُ الذى أشخص بآيات خُطبه الزّاجرة عيون القوْم وأبكاهاهو الخطيب المصقعُ الذى نتلاعب بالعقول معانيه ويصاغ الدُّرُّ من لفظ فِيه ، هو الخطيب الذى تهتزّ لهُ المنابر وتنقادُ اليه كلمات السِّحر مُسابقةً آخذاً بعضُها برقاب بعض

(وصف العُلماء)

بَدرُ العُلوم اللّائح، وقَطرُها الغادى والرّائح ، وتَبيرُها [١] الذى لا يُزْحَم ومُنيرُها الذى يَنجلى به ليلها الأسحم [٢] أمّا فنون الأدب فهو ابن بَجدتها [٣] وأخو جُملَتها وأبو عُذرتها ومَالك أزمّتها تستخرَج الجواهرُ من بحوره وتُحلّى لمعات الطُّروس بقلائد سُطوره، تآليفه غُرَرٌ مُنيرَاتٌ أضاءت فى وُجوه دُهُم المُشكلات عالمٌ أقلامُه نَفَثات السِّحر ، تآليفه عَقائل أصبحَ الدّهر من خطّابها ، له بدائع مائسات [٤] الأعطاف ، بحر البيان الزّاخر ، سيخ المعارف وَإمامُها ومَن فى يديه زِمامُها، لدَيه تُنشدُ ضوَالُّ الأعراب، وتُوجد شوَارد اللغة وَالاعراب مالك أعِنّة العُلوم وناهج طريقها وَالعارف بترْصيعها وتنميقها النّاظم لعُقودها الرّاقم لبرُودها المُجيدُ لإرهافِها [٥] العالم بجلائها وزَفافها، مَلَك رِقّ الكتابة والإنشاء ، وَتصرّف فى فُنون الإبداع كيف شاءَ ،عالم يَتفجّر العلم من جوَانبه وتنطق الحكمة من نواحيه صاحِبُ المصنّفات التى دلت على وَفرة اطلاعه وغَزارة مادّته وحُسن بيانه لم يترُك معنى مُغلقا إلاّ فَتح صَياصِيه [٦] وَلا مُشكلاً الاّ أوضحَ مَبانيه

---

(١) المثابر المواظب (٢) الاسود (٣) العالم بها المتقن لها (٤) متبخترات مائلات (٥) لدقتها ولطفها (٦) جمع صيصة الحصن المنيع

(وصف البلغاء)

فلانٌ يَحوكُ الكلامَ على حسب الأمانى، ويُخيط الألفاظَ على قُدود المعانى يجتنى من الألفاظ أنوارها ومن المعانى ثمارَها ، يَعبث[1] بالكلام ، ويَقودُه بألين زِمام ، حتى كأنَّ الالفاظ تتحاسد فى التَّسابُق إلى خواطره والمعانى تتغايَر فى الانْثيال[2] على أنامله ، بليغٌ نَسقَ[3] من جواهر كلامه أكاليلَ دُرّ ، مَا لَمَنْظُومها سلْك بليغٌ تَفكُّ سِهامُ أفكاره الزَّرَد، ناظم سِلك البلاغة ، وقائد زمام البَراعة ، إذا أوْجز أعجز واذا شاءَ أطال،وأطلق من البلاغة العِقَال ، اذا أذْكى سِرَاج الفكر أضاءَ ظلام الأمر ، يَستنبطُ حقائق القلوب ، ويَستخرجُ ودائع الغيوب

(وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر)

مَقدفُ حَصَى القريض وجماره ، ومطلع شُموسه وأقماره، نَثْرُهُ سِحر البيان ونظمه قِطعُ الجُمان طلعت شمسُ الادَب من أُفق أشعاره ؛ وتفجرَت يَنابيعها من خِلال آثاره ، شاعرٌ توَقَّدَت جَمرات أفكاره شاعرٌ عرَائس أفكاره صِباح إن نثَر فالنجوم فى أفلاكها أو نَظمَ فالجواهرُ فى أسلاكها، أخذَت بمجامع القلوب كَلمُه ،إذا كتبَ انتسبَ اليه السِّحر أصحّ انتساب،ونَسق[4] المُعجزات نَسقَ حِساب وأرَى البدائعَ بِيض الوُجوه كريمة الأحساب ، إن نَثَر رأيتَ بحراً يزْخر وإذا نظَم أزْرَى بِنَظم العُقود وأتى بأحسنَ من رَقْم البرُود ،اذا كتب مَلأ المَهارِق[5] بياناً وأرى السِّحر عِياناً ، هو الكاتب الذى تحسدُ أرقامُ الطِّراز سُطور قلمه ،ويودّ التِّبر لو كان مِداد كلمه ، هو الكاتب الذى تَنقاد إلى يَراعه[6] دَقائق المعانى

---

(١) يلعب (٢) الانصباب (٣) نظم (٤) نظم (٥) جمع مهرق ثوب حرير أبيض يبقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه (٦) اقلامه

صاغِرَةً بزِمام ، نثرٌ كنَثْرِ الوَرْد وَنَظْمٌ كنَظم العِقد ، نَثرٌ كالسِّحر أوْ أدَق وَنظم كالماء أو أرَقّ ، نثر كما تفتّح الزّهرُ ، ونظمٌ كما تنفّسَ السَّحَر ، رسالة تضحكُ عنْ غُرَرٍ وَزَهر ، وَقَصيدةٌ تنطوى على حبر وَدُرَر ، كلامٌ كما هبّ نسيم السَّحَر على صفحات الزّهر ، كتابٌ مطلعه مَطلع أهلّة الأعياد وَموْقعه مَوْقعُ نيل المُراد ، كتاب حَسِبته يَطير من يدى لِخفّته ، وَيلطَفُ عن حِسّى لقلّته ، صحائف انطوَت المحاسن تحت رقٍّ منشورها وَصدَحت حمائم البلاغة على أغصانُ سُطورها ، صحائف تنُوب عن الصّفائح وَقَراطِيسُ تزُفُّ الى الأسماع عرائس القرائح صحائفُ ألبَسها الحِبر أثْواباً من الحبْر (١) وَدبّجها (٢) صَوْبُ (٣) الفِكر لا صَوْب المَطر

(وصف الأمراء وَالأشراف)

فلانٌ من شرَف العُنصُر الكريم ، وَمعدَنِ الشَّرَف الصّميم (٤) أصلٌ رَاسخ وفرع شامخ (٥) وَمجد بادِخ (٦) قَدْ رَكّبَ الله دَوْحتَه (٧) فى قرارة المجد وَغرَس نَبعْته (٨) فى منبِت الفضل ، المجدُ لسان أوْصافه ، والشَّرَف نسبُ أسلافه دَوحة رَسبَ (٩) عِرْقها وَبسَقَ (١٠) فرْعُها وَطاب عُودُها واعتدَل عمُودها وفيّأت ظِلالها وَتهدّلتْ (١١) ثمارها ، وَتفرّعَتْ أغصانها وَيرَدَ مَقيلُها (١٢) أمير جيشُه الهمَم دَوْحة مجدهِ وَريفةُ (١٣) الظِّلِّ وَريقة (١٤) أمير لا عيب فى نَدَاه (١٥) إلا أنّه يستعبد كلّ حُرّ ، هو غُرّةُ الجمال وَصورة الكمال ، عِقْد المَناصب بهِ نَضيد ، أمير

---

(١) الحبرات التى تلبسها النساء اداخرجن (٢) نقشها (٣) المطر (٤) الخالص (٥) المرتفع (٦) العالى (٧) الشجرة العظيمة (٨) الشجرة ايضاً (٩) ثبت (١٠) ارتفع (١١) تدلت (١٢) مكانها (١٣) ممتدة متسعة (١٤) مورقة (١٥) عطائه وهذا نوع من انواع البديع يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم كقول بعضهم

ولا عيب فى معروفهم غير أنه يبين عجز الشاكرين عن الشكر

وفى الحقيقة ليس بعيب بل هو نهاية فى المدح

عبقَتْ من شمائله نسَمات النَّد، وقطرَت من سَلسبيل أوْصافه مِياهُ المجد ؛ جامعُ ما تفرّق من شَمل الفَضائل ، ناظِمُ ما انتثر من عِقد المآثر ، أنارَت بهنجومُ المعالى وَشُموسُها ، لهُ شرَف باذخ تُعقد بالنّجوم ذوَائبه ، ألقت اليه الرِّئاسة مقاليدَها (١) وَملّكه طريفها وَتليدَها (٢) أمير تفرَّع من دَوْحةِ سناء (٣) وتحدّر من سُلالة أكابر ، وَرُفاذُ أسرَّة ومنابر، مُرتصع ثَدْى المجد ومُفترشُ حِجر الفصل ، لهُ صدْر تَضيقُ به الدَّهناء (٤) وَتفزعُ اليه الدَّهْماء (٥) له فى كلّ مكرُمَةٍ غُرَّةُ الإصباح وَفى كل فضيلةٍ فادِمَة الجنَاح ، لهُ صُورة تَستطِق الأفواهَ بالتَّسبيح ، وَيترَقرَقُ فيها ماءُ الكرَم وَتقرأُ فيها صَحيفة البِشر ، يبابيع الجود تتفجّر من أنامِله ، ورَبيع السَّماك يضحك من فَواضله ، لهُ أخلاقٌ خُلقن من الفضل ، وَشِيَمٌ تُشام (٦) منها بَوَارقُ المجد أرِج (٧) الزَّمانُ بفضله ، وَعقِمَ النساءُ عَن الأتيان بمثله ، مالهُ للعُفاة (٨) مُباح وَفعالُه (٩) فى ظُلمة الدّهر مِصباح ، مناقب تشدَخُ (١٠) فى حينها غُرَّة الصّباح وَتتهادى أنباءَها (١١) وُفُودُ الرِّياح، سألت عن أخباره فكانى حرّكت المسك فَتيقاً ، أو صبّحت الرَّوض أنيقاً (١٢) هو رَائشُ (١٣) نَبلهم ، وَنَبْعة (١٤) فصلهم وَواسطهُ (١٥) عِقدهم ، لهُ همّة علا حَناحها إلى عِنان النّجم ، وامتدّ صباحُها من شرق إلى غرب ، همّتهُ أبعَدُ من مناط (١٦) الفرقَد وأعلى من مَنكِبِ الجوزاء (١٧) موضعُهُ من أهل الفضل موْضعُ الوَاسطة منَ العِقد وَليلة التّمِّ من الشّهر ، بل ليلة القدر إلى مَطلع الفَجر ، هَطلت علىَّ سَحائبُ عِنايته ، وَرَفرفت حَوْلى أجنحة

(١) مفاتيحها (٢) حديثها وقديمها (٣) مجد ورفعة (٤) الفلاة الواسع (٥) جماعة الناس (٦) تنظر (٧) فاحت منه رائحة طيبة (٨) الطالبون للعطاء (٩) بفتح الفاء كرمه (١٠) تفلق (١١) اخبارها (١٢) معجباً (١٣) السهم دوالريش (١٤) الشجرة (١٥) ما تكون وسط العقد وهى احسنه (١٦) محل علاقته (١٧) برج فى السماء

رعايته. قد استظهرت على جور الأيام بعدله، واستترت من دهري بظله، قد غرقتني نعمه حتى استنفدت شكر لساني ويدي، وتتابعت نعمه تتابع القطر على القفر وترادفت منه ترادف اليسر إلى ذوي الفقر، له أيادٍ قد عمت الآفاق، وطوقت الأعناق، أيادٍ قد حبست عليه الشكر واستعبدت له الحر، من توالت توالي القطر، واتسعت سعة البر والبحر، وأثقلت كاهل الحر

(وصف القلم)

القلم أحد اللسانين وهو المخاطب للغيوب بسرائر القلوب، على لغات مختلفة من معان معقولة بحروف معلولة متباينات الصور مختلفات الجهات، لقاحها التفكر ونتاجها التدبير، تخرس منفردات وتنطق مزدوجات بلا أصوات مسموعة ولا ألسن محدودة ولا حركات ظاهرة - خلا قلم حرف باريه قطته ليتعلق المداد به وأرهف جانبيه ليرد ما انتشر عنه اليه وسوى رأسه ليحتبس المداد عليه، فهو لك استمد القلم بشقه ونثر في القرطاس بخطه حروفاً أحكمها التفكر وأولى الأسماع بها الكلام الذي سداه العقل وألحمه اللسان ونهسته اللهوات وقطعته الأسنان ولفظته الشفاه ووعته الأسماع عن أنحاء شتى من صفات وأسماء — قال البحتري

طعان بأطراف القوافي كأنه طعان بأطراف القنا المتكسر

وقال ابن المقفع « القلم بريد القلب يخبر بالخبر وينظر بلا نظر »

وقال أبو دلف « القلم صائغ الكلام يفرغ ما يجمعه العلم »

وقال الجاحظ (الدواة منهل، والقلم ماتح، والكتاب عطن

وقال سهل بن هارون (القلم أنف الضمير اذا رعف أعلن أسراره، وأبان آثاره)

وقال عمرو بن مسعدة (الأقلام مطايا الفطن)

وقال المأمون (لله دَرّ القلم كيف يحوك وَشْى المملكة)

وقال جالينوس (القلم طبيب المنطق)

وقال احمد بن عبد الله (القلم راقد فى الأفئدة ، مستيقظ فى الأفواه)

وقيل (عقول الرجال تحت أقلامها)

وقال آخر (القلم أصمّ يسمع النَّجوى ، وأخرس يفصح بالدَّعوى ، وجاهل يَعلم الفحوى)

وقال احمد بن يوسف (عبرات الأقلام فى خدود كُتْبها أحسن من عَبرات الغوانى فى صُحون خدودها)

وقال أيضاً (القلم لسان البصر يناجيه بما استترعن الأسماع ، اذا نسج حُلله وأودعها حِكمه)

وقال العتابى (الأقلام مطايا الأذهان)

وقال عبد الحميد (القلم شجرة ثمرتها الألفاظ ، والفِكر بحر لؤلؤه الحِكمة)

وقيل (برىّ القلم تروى القلوب الظّمِئة)

وقال ابن أبى دؤاد (القلم سفير العقل ، ورسوله الأنبل ، ولسانه الأطول وترجمانه الأفصل)

وقال أيضاً (القلم الدنيا والآخرة)

وقال آخر (بنوءِ القلم تصوّب الحكمة)

وقال ابن ميثم (من جلالة شأن القلم أنه لم يُكتب لله تعالى كتاب قطّ الا به)

وقالوا (القلم قسيم الحكمة)

وقال يحى بن خالد البرمكى (الخطّ صورة رُوحها البيان ، ويدها السُّرعة

وقدمها التَّسوية ، وجوارحها معرفة الفصول)

ووصفَ أحمد بن اسماعيل خطاً حسناً فقال (لو كان نباتاً لكان زهراً . ولو كان معدناً لكان تِبراً ، أو مذاقاً لكان حُلواً ، أو شراباً لكان صفواً)

وقال أقليدس (الخط هندسة رُوحانية ، وان ظهرت بآلة جسمانية)

أخذه النظام فقال (الخط أصل فى الروح وان ظهر بالجسد)

وقال بعض الملوك اليونانية (أمرُ الدِّين والدُّنيا تحت شيئين قلم وسيف والسيف تحت القلم)

وقال أفلاطون (الخطّ عِقال العقل)

وقال ارسطاطيس القلم العلة الفاعلة ، والمداد العِلّة الهيولانية ، والخطّ العلة الصّورية ، والبلاغة العلة السامية)

(سُئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة فقال : اذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ، واستقامت سطوره ، وضاهى صعوده حدوره ، وتفتّحت عيونه ، ولم تُشبه راءه نُونه ، وأشرق قرطاسه ، وأظلمت أنفاسه ولم تخلف أجناسه ، وأسرع إلى العيون تصوّره ، وإلى العقول ثمره ، وقدرت فصوله ، وانمجت وصوله ، وتناسب رقيقه وجليله ، وخرج عن نمط الورّاقين وبُعد عن تصنّع المحدرين ، وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية

وقالوا (القلم أحد اللّسانين ، والعم أحد الأبوين ، والتّثبت أحد العفوين والمطل أحد المنعين ، وقِلة العيال أحد اليسارين ، والقناعة أحد الرزقين ، والوعيد أحد الضربين ، والاصلاح أحد الكسبين ، والرواية أحد الهاجيين ، والهجر أحد الفراقين ، واليأس أحد النجحين ، والمزاح أحد السبابين)

وقال آخر (مَساق أمر الدنيا بسين وقاف فيقال سق) يريد السيف والقلم

وقال آخر (القلم لسان اليد)

حدثني يحيى بن البحترى قال **حدثنا** أبي عن ابن الترجمان — وكان الواثق أنفذه الى ملك الروم بهدايا — قال : واقفتُ لهم عيدا ، فرأيتهم قد علقوا على باب بيعتهم كتباً بالعربية منشورة ، فسألت عنها فقيل هذه كتب المأمون بخط أحمد ابن أبي خالد الأحول استحسنوا صوره وتقديره فجعلوه هكذا ، فحدثت أنا بهذا الحديث أبا عبيد الله محمد بن داود بن الجراح فقال : هذا حق قد كتب سليمان بن وهب كتاباً الى ملك الروم فى أيام المعتمد فقال ما رأيت للعرب شيئاً أحسن من هذا الشكل ولست أحسِدُهم على شيء حسدى اياهم عليه ، والطاغية لا يقرأ العربى وانما راقه باعتداله وهندسته وحسن موقعه ومراتبه

وقال هشام بن عبد الملك لأعرابى : أنظركم على هذا الميل من عدد الأميال وكان الأعرابى لايحسن أن يقرأ فمصى ونظر ثم عاد فقال : رأيت كرأس المحجن متصلا بحلقة صغيرة ، تتبعه ثلاثة كاطباء الكلبة ، تفضى الى هنة كأنها رأس قطاة بلا منقار ، ففهم بصفته انها خمسة

حدثني يعقوب بن بيان الكاتب قال :قال بعض الكتاب (القلم الردىء كالولد العاق)

وقالوا (رداءة الخط احدى الزمانتين ، كما أن حسنه احدى البلاغتين)

حدثني طلحة بن عبد الله قال :

اعتذر رجل الى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه فرأى خطه قبيحاً فوقع فى رقعته : (أردنا قبول عذرك ، فاقتطعنا عنه مّا قابلنا من قبح خطك

ولو كنت صادقاً فى اعتذارك لساعدتك حركة يدك ، أوَما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة ، ويمكن له درك البغية)

وكان أبو هفان عبد الله ابن أحمد المهزمى من أفبح الناس خطاً وكان يبتدئ الخط من رأس الورقة ويعوج سطوره حتى يبقى آخر سطر فى الورقة كلمة واحدة فرثاه يحيى بن على فقال فى مرثيته :

مع خطّ كأنّه أرجل البطّ أو الخطّ فى ذوى الفتيان

قالوا رداءة الخطّ زمانة الأديب

نظر عبد الله بن طاهر الى خط بعض كُتّابه فلم يرضه فقال (نحّوا هذا عن مرتبة الديوان فانه عليل الخط ، ولا يؤمن أن يُعدِى غيره)

أنشدنى العنزى الحسن بن على فى قبح الخط :

جزعت من قبح خطى وفيه وضعى وحطّى

رجعت من بعد حذقى الى تعلّم حُطّى

حدّثنا أبو العباس الربعى قال **حدّثنا** الطلحى قال **حدّثنى** احمد ابن ابراهيم قال دخل على الرشيد أعرابى فأنشده أرجوزة — واسماعيل بن صبيح يكتب بين يديه كتاباً ، وكان أحسن الناس خطاً ، وأسرعهم يداً — فقال الرشيد للاعرابى (صف هذا) فقال له ما رأيت أطيش من قلمه ، ولا أثبت من حلمه ، ثم قال :

له قلمٌ بؤسى ونعمى كلاهما سحابته فى الحالتين درور

يناجيك عما فى ضميرك لحظه ويفتح باب النّجح وهو عسير

فقال الرشيد (قد وجب لك يا أعرابى عليه حق ، هو يقضيك اياه ؛ وحق علينا فيه نحن نقوم به ، ادفعوا اليه دِية الحر) فقال له (على عبدك دِية العبد)

جاء يوماً عبد الله بن المعتز فى المسجد الجامع إلى أبى العباس أحمد بن يحيى ليسلّم عليه فقام له وأجلسه مكانه ، فداس ابن المعتز قلماً فكسره فلما جلس قال لمن حوله :

لكفّى وتر عند رجلى لانها أثارت قتيلا ما لأعظمه جبرُ

فعجب الناس من سرعة بديهته

أهدى رجل الى ابراهيم بن المدبر قلماً وكتب اليه :

قد وجهت اليك أعزك الله بمفاتح العلوم، ونادٍ جمالها ، تام كمالها، فهى كما قال الشاعر:

ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كملا

كل جزء من محاسنها كائن من حسنه مثلا

قال احمد بن اسمعيل :

وادا تمنمنت بنانك خطّاً معرباً عن إصابة وسداد

عجب الناس من بياض معانٍ يجتنى من سواد ذاك المداد

حدّثنا احمد بن يزيد المهلبي قال **حدّثنى** أبو هفان ، قال سألت وراقا عن حاله فقال :

عيشى أضيق من محبرة ، وجسمى أدقّ من مسطرة ، وجاهى أرقّ من الزّجاج ووجهى عند الناس أشدّ سواداً من الحبر ، وحظى أحقر من شق القلم ، وبدنى أضعف من قصبة ، وطعامى أمرّ من العفص ، وسوء الحال ألزم لى من الصّبغ)

فقلت له عبرت عن بلاء ببلاء [1]

---

(١) ومثله قول قائلهم :

تبا لرزق نازل من شق هذه القصبه

تباً له تبا له ما أتعبه ما أتعبه

سئل ورّاق عن حاله فقال :

اذا كنت بالليل لا أكتب وطول النهار أنا ألعب
فطوراً يبطلني مأكل وطوراً يبطلني مشرب
فان دام هذا على ما أرى فبيتي أول ما يخرب

(وصف الكتاب)

الكتابُ نِعم الأنيس فى ساعة الوَحدة ، ونعم المعرفة فى دار الغُرْبة ونعم القَرين والدخيل ، ونعم الزّائر والنّزيل ، وعاء مُلئ علماً وظرفاً ، وإناءٌ ملى مزحاً وجدّاً ، وحبّذا بستانٌ يُحمل فى خُرْج وروضٌ يُقلّبُ فى حِجر ، هل سمعت بشجرة تُؤتى أُكلها كلّ حين بألوان مختلفة وطعوم متباينة ، هل سمعت بشجرة لا تذْوَى وزَهر لا يُتوَى ، وثمر لا يَفنى ، ومَن لك بجليس يفيد الشيء وخلافه والجنس وضده ينطق عن الموْتى ويُترجم عن الأحياء ، ان غضبت لم يغضب وان عَرْبدتْ لم يَصخَب (١) أكتمُ من الأرض وأنمُّ من الريح وأهوى من الهوى وأخدعُ من المُنَى وأمتع من الصّحى وأنطق من سَحبان وائل وأعيا من باقل (٢) هل سمعت بمعلّم تحلّى بخلال كثيرة وجمع أوصافاً عديدةً ـ عَرَبىّ فارسىّ يُونانى هندى سِندىّ رُومىّ ، إن وَعظ أسمع وان ألهَى أمتع وان أبْكى أدمعَ وإن ضرب أوجع يُفيدُك ولا يَستفيدُ منكْ ويَزيدُك ولا يَستزيد منك إن جَدّ فعِبْرة وإن مَزَح فنُزهة قبرُ الأسرار ومخزَن الوَدائع قَيدُ العُلوم وينبوع الحِكم ومَعدِنُ المكارم ومُؤنِس لا ينَام ـ يُفيدك علْم الأولين ويُخبرك عن كثير مِن أخبار المتأخّرين ـ هل سمعت فى الأوّلين أو بلغك أنّ أحداً من السّالفين جمَعَ هذه الأوصاف مع قِلّة مؤونته

(١) لم يصوت (٢) رجل من اياد به يضرب المثل فى العى ومن عيه أنه اشترى ظبياً فحمله على عنقه فسئل عن ثمنه فحل عنه يديه وفتح اصابعه واشار بها واخرج لسانه يريدانه بأحد عشر درهما ولم يلهم ان يخبر عن سعره بلسانه فصار عيه مثلا

وخفة محمله ،لا يرزؤك[1] شيئاً من دُنياك نعم المدّخرُ والعُدّة[1] والمشتغل والحرفة جليس لا يطريك[2] ورفيق لا يملّك، يُطيعك في الليل طاعته في النهار، ويُطيعك في السفر طاعته في الحضر، إنْ أطلت النظر اليه أطال امتاعك[4] وشحذ[5] طباعك ، وبسط لسانك ، وجوّد بيانك ، وفخّم ألفاظك ، إن ألّفته خلّد على الأيام ذكرك ، وإنْ درسته رفع في الخلق قدرك ، وإن نعته نوّه عندهم باسمك يُقعدُ العميدَ في مقاعد السادات ، ويُجلسُ السوّقة في مجالس المُلوك ، فأكرِم به من صاحب ، وأعزِز به منْ مُوافٍ

﴿ وصف عاصفة لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ﴾

أتى عارض في ليلة الجمعة التاسعة من جُمادى الآخرة ، كانت فيه ظُلُمات متكاثفة ، وبُرُوق خاطفة ، ورياح عاصفة ، فقويت أهْويتُها ، واشتدّ هبُوبُها فتدافعت لها أعِنةُ مطلقات ، وارتفعتْ لها صواعق مُصعِقات، فرجفتْ لها الجدران واصطفقت ، وتلاقت على بُعدها واعتنقت ، وثار بين السماء والارض عجاج ،فقيل لعلّ هذه على هذه أطفت،وتحسب أنّ جهنّم قد سالَ منها وادٍ وعدا منها عادٍ وزاد عطف الرِّياح الى أنْ انطفأت مصابيح النّجوم ، ومزّق أديم السّماء ، ومحا مافوْقه من الرّقوم ، لاعاصم من الخطف للأبصار ، ولا ملجأ من الخطب الاّ معاقلَ الاستغفار وفرّ النّاس نساءً ورجالاً ونفرُوا من دُورهم خِفافاً وثقالاً ، لا يستطيعون حِيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فاعتصمُوا بالمساجد الجامعة ، وأذْعنُوا للنّازلة بأعناق خاضعة ووجوه عانية ، ونفوسٍ عن الاهل والمال سالية ، ينظُرون من طرْف خفيّ

(١) لا ينقصك (٢) ما يعده الانسان لحوادث الدهر من سلاح وغيره (٣) لا يمدحك (٤) انتفاعك (٥) احدها وقواها

وَيتوَقَّعُون أىَّ خَطْب جلىّ ، قد انْقطعت من الحياة عُلقهم ، وعميت عن النَّجاة طُرُقهم ، ووَقعت الفِكرة فيما هُم عليه قادِمُون ، وقاموا إلى صلاتهم وَودوا أن لو كانوا من الذين هم عليها دَائمُون ، إلى أن أذِن الله فى الرّكود ، وأسعف الهاجدين بالهجُود وَأصبحَ كلٌّ يُسلم على رَفيقه ، ويُهنّئه بسلامة طريقه ، وَيَرَى أنَّهُ قد بُعثَ بعدَ النَّفخة ، وَأفاق بعد الصَّيحة وَالصَّرْخة ، وَأنَّ الله قد رَدَّ لهُ الكرَّة ، وأدَّبهُ بعد أن كاد يأخُذَهُ على غِرَّة ، ووَرَدَتْ الأخبار بأن كسرت المرَاكب فى البحار ، والأشجار فى القفار ، وَاُتلفَ خلْقٌ كثير من السُّفار ، وَمنهم مَن فرَّ فَلَمْ يَنفعه الفرَار

(وصف العلم لبديع الزَّمان الهمدانى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ)

ألعلم شىءٌ بَعيدُ المرَام لا يُصادُ بالسّهام وَلا يُقسم بالأزلام[1] وَلا يُرَى فى المنام وَلا يُضبَط باللّجام وَلا يُكتب لِلّثام وَلا يُورث عن الآباء وَالاعمام

وَزَرْعٌ لا يَزكو[2] إلاَّ متى صادَفَ من الحزم ثَرَى طيِّباً ، وَمنَ التَّوْفيق مطراً صيِّباً وَمن الطّبع جوّاً صافياً وَمن الجهد رَوْحاً[3] دائماً وَمن الصَّبر سقياً نافعاً

وَغَرَضٌ لا يُصاب إلاَّ بافتراش المدَر[4] وَاستناد الحجَر ، وَرَدّ الضَّجَر وَرُكوب الخطَر وَإدمان السَّهر ، وَاصطِحاب السفَر ، وكثرَة النّظر وَإعمال الفِكر

(١) الازلام جمع زلم بفتح الزاى او ضمها مع فتح اللام وهى سهام لا نصل لها ولا ريش كان العرب اذا ارادوا القمار احضروا جذورا فنحروها وقسموا لحمها الى ثمانية وعشرين قسما ثم اتوا بعشرة ازلام فرسموا على واحد منها خطا وعلى الثانى خطين وعلى الثالث ثلاثة وهكذا الى السابع فيكون عليه سبعة وهو المسمى بالقدح المعلى وتبقى ثلاثة غفلا لا يرسم عليها شئ ثم يضعون الجميع فى خريطة ويدخل رجل يده فيها فيخرج زلماً باسم واحد من المقامرين فان كان مرسوما عليه شئ أخذ من اقسام اللحم بقدره وان كان غفلا غرم ثمن الجزور . والمقصود من هذه العبارة ان العلم لا ينال بطريق الحظ والمصادفة كما ينال اللحم المقسوم (٢) يزكو وينمو ويطيب (٣) الروح بفتح فسكون نسيم الريح (٤) المدر قطع الطين اليابس وافترش المدر نام عليه

(وصف الامام العادل)

كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه لما ولى الخلافة إلى الحسن بن أبى الحسن البصرى أن يكتب اليه بوصف الامام العادل فكتب اليه الحسن

إعلم يا أمير المؤمنين أنّ الله جعل الإمام العادل قوام كلّ مائل ، وقصد كلّ جائر وصلاح كلّ فاسد وقوّة كلّ ضعيف و نصفة كلّ مظلوم ومفزع كلّ ملهوف والامام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المرعى ، ويذودها عن مراتع المهلكة ، ويحميها من السّباع ، ويكنفها من أذى الحرّ والقرّ ، والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صغاراً ويعلّمهم كباراً يكتسب لهم فى حياته ويدّخر لهم بعد مماته ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين ، كالام الشفيقة البرّة الرفيقة بولدها ، حملته كرهاً ووضعته كرهاً وربّته طفلاً ، تسهر بسهره وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة وتفطمه أخرى وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصىّ اليتامى وخازن المساكين ، يربّى صغيرهم ويمون كبيرهم ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم — فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملّكك الله كعبد ائتمنه سيّده ، واستحفظه ماله وعياله ، فبدّد المال وشرّد العيال فأفقر أهله وفرّق ماله ، واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش — فكيف إذا أتاها من يليها ، وأنّ الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتصّ منهم — واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده

وَقلّة أنصارك عنده وأنصارك عليه، فتزوّدْ له وَلَما بعدَهُ من الفَزع الأكبر واعلم يا أمير المؤمنين ، أنّ لك منزلاً غيرَ منزلك الذى أنت فيه يطول فيه ثواؤك ويُفارِقك أحبّاؤك ، يُسْلمونك فى قَعْره فريداً وَحيداً فَتزَوّدْ له ما يَصْحَبُك يَوْم يَفِرّ المرءُ مِنْ أخيهِ وَأُمّه وَأبيهِ وَصاحِبَتِهِ وَبنيهِ ـ وَاذكر يا أميرَ المؤمنين إذا بُعْثِرَ ما فى القُبور وَحُصِّلَ ما فى الصُّدُورِ فالأسرار ظاهرَة ـ وَالكتاب لا يُغادِرُ صغيرَةً وَلا كبيرَةً إلاّ أحْصاها ـ فالآن يا أميرَ المؤمنين وَأنْتَ فى مَهل قَبل حُلول الأجل وَانقطاع الأمل — لا تحكم يا أمير المؤمنين فى عِبادِ اللهِ بحكم الجاهلين وَلا تسلك بهم سبيل الظّالمين وَلا تسلّط المُستكبرين على المستضْعَفين فانهم لا يَرْقُبون فى مُؤمنٍ إلاّ وَلا ذِمة فتبوء بأوْزارك وَأوْزارٍ مع أوْزارك وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك وَلا تَغُرّنكَ الذين يَتنعّمونَ بما فيه بُؤسك وَيأكلون الطّيّبات فى دُنياهم بإذهابِ طيّباتك فى آخرتك ، وَلا تنظُر إلى قُدْرَتك اليومَ ولكن انظر إلى قدْرتك غداً وَأنتَ مأسورٌ فى حبائل الموْت وَموْقوفٌ بين يَدى الله فى مَجْمع من الملائكة وَالنّبيين وَالمُرْسلين ، وَقَدْ عَنَتِ الوُجوهُ للحَيِّ القَيُّوم ، إنّى يا أمير المؤمنين وان لم أبْلُغ بعظتى ما بَلغهُ أولوا النهى من قَبلى فلم آلك سفقةً وَنُصحاً فأنزل كتابى اليك كمُداوى حَبيبه يَسقيه الأدوية الكريهة لمَا يَرْجُو لهُ فى ذلك منَ العافية وَالصّحة

وَالسلام عليك يا أمير المؤمنين وَرحمة الله وَبركاته

(وصف عمرو بن العاص مصر لسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب)

مِصر تُرْبةٌ غبْراء وَشجرَة خضرَاء طولها شهر وعرْضها عشر[1] يَخُطّ وسطَها نهر ميمون الغدوَات مُبارك الرَّوْحات ، يَجرى بالزّيادة وَالنّقصان كجرْى الشّمس

(١) اى .عشر ليال لان عادة العرب السير فى الليل

وَالقمر ،له أوان تظهر به عُيونُ الأرْض وَينابيعها حتى إذا أُصلح عَجاجه وَتعظَّمت أمواجه لم يكن وُصول أهل القُرَى إلى بعض إلاَّ فى خِفافِ القوارب (١) وصغار المراكب، فإذا تكاملتْ زِيادته نكص (٢) على عَقبَيه كَاوَّل ما بدَأ فى شِدَّته وَطما (٣) فى حدَّته فعند ذلك يخرُج القوْم ليحرثوا بطون أوْديته وَرَوَابيه فيبذُرون الحبّ وَيرْجوْن الثمار من الرَّبّ ، حتى إذَا أشرَق وأشرَف سقاه من فوْقه النَّدَى وَغذَّاه من تحته الثَّرَى ، فعند ذلك يدُور حلابُه ، ويُغنِّى ذبابُه — فبينما هى يا أمير المؤمنين دُرَّة بيضاء ، إذ هى عبرَةٌ سوْداء ، فإذا هى زَبرجدَةٌ خضراء ، فتبارَك الله الفعال لما يشاء

(وصف حرب لأبى منصور الثَّعالبى النَّيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ)

عند ما دارَت رَحا الحرْب صمتت الأسنة ونَطَقت الأسِنَّة وخطَت السُّيوف على منابر الرِّقاب وَأفدَمت الرِّماح على الخطَطِ الصِّعاب وَتلاصقت القنا والقنابل (٤) وَعانقت الصَّوارمُ (٥) والمناصل ، وَبلغَت القلوب الحناجر ، وَأدْركت السُّيوفُ المناحر ،وَضاق المجال ، وتحكَّمت الآجال فلا تَرَى إلاَّ رُؤوساً تُنْدر (٦) وَدِماءً تَهدُر وأعضاءً تتطايَر وَتتناثر ، وأجساماً تتزَايل وَتتمايَل حتى مُلئت الرِّماح من الدِّماء فتعثَّرَتْ فى النُّحور وَتكسَّرَت فى الصُّدُور فرَجموا الأعداء من جَوانبهم وَتمكَّنوا من فضّ مواكبهم

(وصف المطر شعراً لأبى الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ)

مع مقدمة لعمر بن على المطوعى فى وصف ذلك المطر نثراً

حكى عُمَرُ بْنُ عَلىّ المطوِّعىّ قال :رَأى الاميرُ السيدُ أبو الفضل عبدُ الرَّحمن

(١) السفن الصغيرة (٢) رجع (٣) ارتفع ٤) القنا الرماح والقنابل جمع قنبل ما بين الخمسين فصاعدا من الخيل (٥) السيوف القاطعة وكذا المناصل (٦) تسقط

ابْنُ أحمد أدام الله عِزَّه أيَّام مُقامِه بجُوَيْن [١] أن يطالع قرية من قُرى ضِياعِه [٢] تُدعى نجاب على سبيل التَّنزُّهِ والتَّفرُّج فكنت فى جملة من استصحبه إليها من أصحابه واتّفقَ أنْ وَصلنا والسماءُ مُصْحِيَة [٣] والجوّ صاف لم يُطرِّزْ ثوبَهُ بعلَم الغمام [٤] والأُفقُ فيروزَجٌ لم يعْبَق به كافور السّحاب [٥] فوَقعَ الاختيار على ظلّ سجرَة باسِقة الفروع [٦] متّسعة الأوْراق والغصون ، قد سترَت ما حواليها من الأرْض [٧] طولاً وعرْضاً فنزلنا تحتَها مُستظلّين بسَماوَة أفْنانها مستترين من وَهَج الشّمس بستارَة أغصانها [٨] وأخذنا نتجادب أديال المذاكرَة [٩] ونتسالب أهدابَ المُناشدة والمُحاوَرَة [١٠] فما شعرنا بالسّماء إلا وقد أرْعدَتْ وأبرقَتْ [١١] وأظلمت بعد ما أشرقَتْ ، ثمّ حادَت بمطر كأفواهِ المَزَب ، فأجادَتْ [١٢] وحكت أناملَ الأجْواد . بل أوْفت عليها وزادت [١٣] حتى كاد غيْثها يَعودُ غَيثاً [١٤] وهمّ وَبْلها أن يستحيلَ ويْلاً [١٥] فصبرْنا على أذاها وقلنا: سحابةَ صيْف عنْ قَليلٍ تَقشَعُ [١٦] » فإذا نحْنُ قد أمْطرَتْنا بَرَداً الثغور لكنّها من ثغُور العذاب [١٧]

---

(١) كورة بخراسان وبلده بيرجس (بلاد فارس) (٢) يطالع قرية يطلع عليها والضياع جمع ضيعة وهى العقار والارض المغلة (٣) لا غيم فيها (٤) عبارة عن خلو الجو من السحاب (٥) اي لونه مثل لون الفيروزج وهو الزرقة ولم يعق به لم يلصق به والكافور طيب يستخرج من شجر كبير ولون هذا الطيب يصير ابيض بعد عملية تعمل فيه والمعنى انه لا يرى شئ من السحاب فى الافق (٦) طويلتها (٧) الافنان الغصون وسماوتها يعنى اوراقها العريضه المتلاحمة تلاحماً يجعلها تشبه السقوف (٨) وهج الشمس شدة حرها وتوقدها (٩) عبارة عن تذاكرهم (١٠) عبارة عن تناشدهم الاشعار وتحاور بعضهم مع بعض تحاوراً ادبياً (١١) يقال رعدت وبرقت اى جاءت بالرعد والبرق وأرعدت وأبرقت يعنى تهددت بالرعد وتوعدت بالبرق (١٢) جادت تكرمت وأحادت احسنت (١٣) حكت شابهت وأنامل الاجواد المقصود أيدى الكرام ومحاكاتها لايدى الكريم يعنى مشابهتها لايديهم فى السخاء وأوفت وزادت بمعنى واحد (١٤) الغيث المطر — والعيث الافساد (١٥) الوبل المطر الشديد العظيم القطرات والويل الشر (١٦) اى لا تمكث الا قليلا وتذهب (١٧) البرد قطرات المطر المتجمدة التى تنزل على الارض كالحب — والثغور جمع ثغر وهو ما يرى من الاسنان من فتحة الشفتين — وثغور العذاب فتحاته

لا منَ الثُّغُور العِذاب (١) فأيْقنَّا بالبلاء وَسلّمنا لأسبابِ الفضاء (٢) فما مَرَّتْ ساعةٌ من النَّهار حتى سمعنا خرير الأنهار (٣) وَرأينَا السَّيْلَ قد بَلغ الزُّبى (٤) والماءَ قد غمَرَ القِيعان وَانزُنا (٥) فبادرْنا الى حِصْن القرْيةِ لائذين من السَّيل بأفْنيتِها (٦) وَعائذين منَ القَطْر بأبْنيتِها (٧) وَأثوَابُنا قدْ صَنْدَلَ كافُورَها ماءُ الوَبْل (٨) وَغلفَ طِرَازَهَا طِينُ الوَحْل (٩) ونحنُ نحمد الله تعالى على سلامة الأبدَان وإن فَقدْنا بَياضَ الأكْمَامِ وَالأرْدَان (١٠) وَنشكره على سلامة الأنفُس وَالأرْوَاح شُكْرَ التاجر على بَقاء رأس المال ، إذا فُجعَ بالأرْباح (١١) فبِتْنا تلك اللَّيلَة تحتَ سماء تكِفُ وَلا تكُفّ (١٢) وَتبكي علينا إلى الصَّباح بأدمع هوَامِ (١٣) وَأرْبَعٍ سحَام (١٤) فلمَّا سلَّ سيفُ الصُّبْح من غمد الظَّلام (١٥) وصُرِفَ بوَالى الصَّحو عَاملُ الغمام (١٦) رَأينا صوابَ الرَّأي أنْ نوسعَ الإقامة بها رَفصاً (١٧) وَنتَّخذَ الارْتحال عنها فرْضاً ، فما زِلنا نَطوى الصَّحارَى أرْضاً فأرْضاً ، إلى أن وَافينا المُستقَر

---

(١) لا من الاسنان العذبة الريق (٢) وحصعا لاحكام المقادير (٣) يعنى جرى الماء بشدة حتى صار يسمع له صوت كصوت مياه الأنهار (٤) السيل الماء العظيم الذى يتجمع من المطر ويسيل بشدة — والزبى جمع زبية وهى الارض المرتفعة ارتفاعا عظيما بحيث لا يعلوها الماء عاده — او حفرة تحفر فيها لتصاد فيها الاسد (٥) الربا جمع ربوة وهى الارض المرتفعة — والقيعان جمع قاع وهو الارض السهلة المطمئنة التى انفرجت عنها الجبال والآكام (٦) فبادرنا اسرعنا: والحصن الموضع الحصين الذى لا يوصل الى جوفه . لائذين متحصنين — والافنية جمع فناء وهو المتسع امام الدار (٧) عائذين ملتجئين — والقطر مانزل من ماء المطر — والابنية المبانى (٨) صندل استعمله متعديا بمعنى جعل لون الصندل احمر صاربا الى السواد — والكافور والوبل تقدم معناهما (٩) غلف الشئ جعل له غلافا أى حجابا وستراً والطراز رسم الثوب والمعنى ان رسم الثوب ستره الطين المتناثر من الوحل (١٠) الاردان أصول الاكمام (١١) أى أوجع بعدم الارباح وفقد المكاسب (١٢) يكف يقطر ولا يكف ولا ينقطع (١٣) هوام جمع هام من همى يهمى بمعنى سال (١٤) لعله يريد أربع نواح يقطر منها الماء كثيراً (١٥) أى الصبح الشبيه بالسيف والظلام الشبيه بالغمد (١٦) أزال الصحو الغمام (١٧) أي ان رفض الاقامة بها رفضا باتا

ركضا (١) فلمَّا نفضنا غُبارَ ذلك المسير (٢) الذى جعلَنا فى ربْقة الأسير (٣) وَأفْضَينا إلى ساحة التَّيسير (٤) بعد ما أُصِبنا بالأمر العَسير ، وَتذاكرنا ما لَقينَا منَ التّعب والمَشقَّة فى قطع ذلك الطَّريق ، وَطىّ تلك الشُّقَّة (٥) أخذ الأمير السيد أطال الله بقاءَه القلم فعلّق هذه الأبيات ارتجالاً

دَهَتْنا السَّماءُ غَدَاة السَّحاب ... بغيْثٍ عَلى أُفْقِهِ مُسبلِ (٦)
فَجاءَ برَعْدٍ لهُ رَنَّة (٧) ... كرنةِ ثَكلَى وَلَم تُثكل (٨)
وَنَنّى بوبْلٍ عَدَا طَوْرَهُ (٩) ... فعَادَ وَبالاً عَلى المُمْحَلِ (١٠)
وَأشْرَفَ أصْحابُنا مِنْ أذَاهُ ... على خَطَرٍ هائل مُعْضلِ (١١)
فَمِنْ لائذٍ بِفَناءِ الجِدَارِ (١٢) ... وَآوٍ إلى نفَق مُهْمِلِ (١٣)
ومن مُستَجيرٍ يُنادِى الغَرِيقَ ... هُنالِكَ وَمن صارخٍ مُعْوِلِ (١٤)
وجادَتْ علينَا سماءُ السقُوفِ ... بِدَمعٍ من الوُجْدِ لَمْ يُهْمِلِ (١٥)
كأنَّ حرَاماً لها أن يَرَى ... بَبيساً مِنَ الأرْضِ لَمْ يبْلِلِ (١٦)

---

(١) وافينا أتينا والمستقر السكن وركضا يعنى عدوا وجريا على الاقدام (٢) يعنى لما أرلنا وسح هذا السير بمعنى استرحنا (٣) الربقة عروة تجعل فى حبل مع عرى أخرى ويربط فى هذا الحبل (ويسمى الربق) اولاد الضأن والمعز والبقر (٤) أفضينا وصلنا والساحة رحبة بين الدور والتيسير اليسر والتسهيل (٥) وطى تلك الشقة أى قطع تلك المسافة (٦) الغداة أول النهار يعنى دهمتنا السماء فى أول النهار الذى كان فيه غيم — والغيث المطر — والمسبل الهاطل يعنى دهمتنا السماء بمطر هاطل على الافق الذى كان السحاب مخيما عليه (٧) له رنة أى دوى وصوت هائل (٨) الثكلى التى فقدت ولدها ولم تثكل يعنى لم يفقدها الله ولدها والمعنى كصوت الغائب عنها ولدها مع أن الله لم يهلكه فهى تصوت على غيابه ولم ينقطع أملها من وجوده (٩) الوبل تقدم تفسيره (المطر الشديد) وعدا طوره تجاوز حده (١٠) فصار ثقيلا وخيما على المكان المحل الجدب المنقطع عنه المطر (١١) اشرف على كذا قرب منه والمعضل الذى لادواء له (١٢) فمن متحصن بالاراضى المجاورة للجدران (١٣) ومن لاحىء الى سرب فى الارض لم يتعهده أحد (١٤) ينادى الغريق أى يدعو الناس ويقول الغريق لينقذوه والمعول الرافع صوته بالبكاء (١٥) لم يهمل أى لم يترك شيأ من الوجد أى الجدة والكثرة (١٦) كان حراما لها أى كأن السماء محرم عليها أن ترى أرضا يابسة لم تبل بالماء

وأقبلَ سَيلٌ لهُ رَوْعةٌ (١) فأدبَرَ كُلٌّ عنِ المُقبِلِ (٢)
يُقَلِّعُ ما شاء منْ دَوْحةٍ (٣) ومَا يَلِقَ منْ صَخْرةٍ يَحْمِلِ (٤)
فمِنْ عامِرٍ رَدَّهُ غامِراً (٥) ومَنْ مُعلَمٍ عادَ كالمجْهَلِ (٦)
كفانا بَليَّتَهُ رَبُّنا فَفَدْ وَجبَ الشكْرُ للمُفضِلِ (٧)
فقُلْ للسَّماءِ ارْعُدِي وابْرُقي (٨) فإنا رَجعْنا إلى المَنْزِلِ

(وصف حديقة لابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ)

لمَّا صدَأَتْ مِرْآةُ الجَنانِ (٩) قصدتُ جَلائَها بَعضُ الجِنانِ (١٠) فدخلْتُ إليها ومَا كدْتُ أنْ أقْدِمَ عليها فإذا هي جَنَّةٌ عاليهٌ (١١) قُطوفُها دانيَةٌ (١٢) وَطَلْحُها مَنْضُودٌ (١٣) وَظِلُّها مَمْدُودٌ (١٤) وأعْلامُ أشْجارِها مرْفُوعةٌ (١٥) وفاكِهتُها كثيرَةٌ لا مقْطوعةٌ وَلا مَمْنوعةٌ (١٦) تَجُوسُ المِياهُ خِلالَ دِيارِها (١٧) وتُشْرِقُ بآفاقِها أنوارُ نوَّارِها (١٨) نُزْهةُ النَّواظِرِ (١٩) وشَرَكُ الخواطِرِ (٢٠) بها أشجارٌ لا تُحصى (٢١) وثِمارٌ لا تُعدُّ ولا تُستقْصى (٢٢)

---

(١) الروعة الفزعة (٢) فصار كل واحد يولى ويهرب ممن يقابله (٣) يقتلع كل ما يريد من الشجر العظام (٤) ويحمل كل مايلقاه من الصخور الصخام (٥) رده غامرا صيره خرابا (٦) من معلوم صار كالمجهول (٧) كفانا الله شره فوجب الشكر له لافضاله علينا (٨) ابقى بالرعد والبرق (٩) الجنان القلب وصدئت مرآته علاها الوسخ والمعنى لما كل القلب ومل العمل (١٠) لجلائها أى ازالة الوسخ الذى علاها والجنان جمع جنة وهى الحديقة ذات النخل والشجر (١١) أى مرتفعة فاخره (١٢) عناقيدها متدلية قريبة من الجانى (١٣) الطلح الاشجار العظام ومنضود يعنى متراكم بعضه فوق بعض (١٤) أى ممتد (١٥) أى اغصانها مرتفعة (١٦) لاتقطع عن الطالب ولا تمنع منه (١٧) أى تتردد بين بيوتها (١٨) النوار الزهر (١٩) تتنزه فيها العيون (٢٠) تصطاد الخواطر وتسبى العقول (٢١) لايمكن الاتيان على عددها (٢٢) لايتأتى

(وصف البيان لامير المؤمنين ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ)

ألبيان تُرجمانُ الفلوب ، وصيقل العقول [١] ومجلى الشّبهة [٢] وموجب الحجه والحاكم عند اختصام الظّنون ؛ والمفرّق بين الشكّ واليقين ، وحسير البيان ما كان مصرّحا عن المعنى ليسرع إلى الفهم تلقّيه، أو موجزاً ليحفّ على اللفظ تعاطيه

(ووصف أيضاً المكارم)

لن تكسبَ أعزّك الله المحامد وتستوجب الشرف إلا بالحَمْل على النفس والحال والنُّهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت المكارم تنال بغير مؤونة لاشترك فيها السَّفَل [٣] والأحرار وتساهمها الوَضعاء [٤] من ذوى الأخطار ولكنّ الله تعالى خصّ الكرماء الذين حملهم أهلها ، فخفّف عليهم حملها . وسوّغهم فضلها ، وحظّرها [٥] على السفلة لصغر أقدارهم عنها ، وبُعد طِباعهم منها ، ونفورها عنهم ، واقشعرارها منهم

(ووصف أيضاً القرآن الكريم)

فضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ، وظاهر غير خفىّ يشهد بذلك عجز المعاطين ووهن [٦] المتكلّمين ، وهو المُلْغ الذى لا يملّ . والحديد الذى لا يَخْلق [٧] والحقّ الصّادع ، والنّور السّاطع ، والماحى لظُلم الضّلال ، ولسان الصدق المأوى للكذب ، ومفتاح الخير ، ودليل الجنّة — إن أوْجز كان كافياً ، وإن أكثر كان مُذكّرا ، وان أمر فناصحا ، وان حكم فعادلا ، وان أخبر فصادقاً

سراج تستضىء به القلوب ، وبحر العلوم ، وديوان الحِكَم ، وجوهر الكلِم

---

(١) جلاؤها (٢) كاشفها (٣) السفل جمع سفلة وهم طغام الناس وغوغاؤهم (٤) جمع وضيع وهو الساقط (٥) منعها (٦) ضعف (٧) لا يبلى

(وصف البلاغة لفحول البلغاء)

(١) قال الجوهرى : أحسن الكلام نظاماً ما نَقَسْهُ يد الفكرة ، و نَظمته الفِطنة ووصل جوهر معانيه فى سُمُوط [١] ألفاظه فاحتملته محور الرُّواة :

(٢) وقال العطار : أطيب الكلام ما عُجن عنبر ألفاظه بمسك معانيه ، ففاح نسيم نشَفِه [٢] وسطعت رائحة عَبقه وتعلّقت به الرُّواة وتعطَّرت به السَّراة

(٣) وقال الصائغ : خير الكلام ما أحميه بكير الفكر وسبكته مشاعل النظر وخلّصه من خَبث الإطناب فبرز بروز الابريز فى معى وجيز [٣]

(٤) وقال الصيرفى : خير الكلام ما نقدته عين البصيرة وجلَته يد الرّوية وورَنْته بمعيار الفصاحة فلا نظر يُزيّفه [٤] ولا سماع يُبهرجه

(٥) وقال الحداد : أحسن الكلام ما نصبتَ عليه مِنفخَة القريحة وأشعلت عليه نار البصيرة ثم أخرجته من فحم الاحكام ورقّقته بمطّيس الأوهام [٥]

(٦) وقال النَّجار : خير الكلام ما أحكمت نجر معناه بقَدُوم التَّدبر ، ونشرته بمِنشار التَّدبير ، فصار باباً لبيت البيان ، وعارضه [٦] لسقف اللّسان

(٧) وقال الحائك : أحسن الكلام ما اتّصلت لُحمة ألفاظه بسَدَى معانيه فخرج مُفوَّفاً مُنيَّراً مُوَشَّى محبّرا

---

(١) السمط — الخيط الذى ينظم فيه (٢) النشق — الاستنشاق ، العبق — لصوق الطيب بالشىء وتغلف الرجل بالطيب ادهن به . والسراة — الأشراف (٣) الكير — زق يتفخ فيه الحداد . والمشاعل جمع مشعل وهو القنديل وموضع شعل النار أى الهابها (٤) زيف الدراهم — نرتأى أنها زائفة أي مغشوشة . وبهرجها — أبطلها (٥) الغطيس كسكين — المطرقة العظيمة (٦) العارضة — الخشبة العليا التى يدور فيها الباب وعوارض البيت خشب سقفه (٧) المفوف — الرقيق من الثياب أوالذى فيه خطوط ببيض والمنير — المنسوج على بريس أى المضاعف النسج والموشى — المنقوش والمحبر — المحسن

(٨) وقال الجمّال : البليغ من أخذ بخطام كلامه فأناخه فى مبرك المعنى ثم جعل الاختصار له عِقالا والأجادة له مجالا ، فلم [١] يندَّ عن الآذان ، ولَم يشذَّ عن الأذهان

﴿ وصف عمر بن الخطاب ﴾

قال معاوية بن أبى سُفيان لِصَعْصَعة بن صُوحان : صِف لى عُمر بن الخطاب فقال كان عالما برعيته ، عادلا فى قضيّته ، عاريا من الكِبْر ، قَوُلا لِلعُذْر ، سهل الحجاب ، مصون البابِ ، متحرّيا للصّواب ، رفيقاً بالضّعيف غيرُ محابٍ للقريب ولا حافٍ للغريب

(وصف على بن أبى طالب)

قال معاويه لِضرَار الصّدَائى ، ياضرار : صِف لى علياً قال: أعفنى ياأمير المؤمنين قال : لَتصِفنّه قال : إمّا إذ لا بدَّ منْ وَصفه فكان والله بعيد المدى [٢] شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجّر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وَوحشته ، وكان والله غزير العبْرة ، طويل الفكرة ، يقلّب كفّه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللّباس ماقصر ، ومن الطّعام ما خشن وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلّمه لهيبته ولا نبتدئه لعظمته ، يعظّم أهل الدين ، ويحبّ المساكين لا يطمع القوىّ فى باطله وَلا ييأس الضّعيف من عدله

---

(٢) الخطام — كل ماوضع فى أنف البعير ليقتاد به — جمعه خطم — وتد — هرب (٣) المدي — الغاية

(وصف كلام العرب لعتبة بن أبي سفيان)

قال عُتْبة بن أبي سفيان . ان للعرب كلاما هو أرق من الهوَاء ، وأعذب من الماء ، مَرَق من أفوَاههم مُرُوق السّهام من قِسيِّها بكلمات مُؤتلفات ؛ ان فسرت بغيرها عطلت [١] وان بدّلت بسواها من الكلام استصعبت ، فسهولة ألفاظهم توهمك أنها ممكنة اذا سمعت ، وصعوبتها تعلّمك انها مفقودة إذا طلبت [٢]

(وصف الكتاب للجاحظ)

قال الجاحظ : الكتاب وِعاء مُلئ علماً وَظرْف حُشي ظُرْفاً وبسنان يُحمل في رُدْن [٣] وروضة تقلّب في حِجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الأحياء ، ولا أعلم جارا أبرّ ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقا أطوع ، ولا معلّما أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية وأقلّ جناية ولا أقلّ املالا وابراما ، ولا أقلّ خلافا واجراما ولا أقلّ غيبة ولا أبعد من عَصبية [٤] ولا أكبر أعجوبة وتصرّفا ، ولا أقلّ صَلَفا [٥] وتكلّفا ، ولا أبعد من مِراء ، ولا أترك لِشَغَب ، ولا أزهد في جدال ، ولا أكفّ عن قتال « من كتاب » ولا أعلم قرينا أحسن مُوَاتاة [٦] ولا أعجل مكافأة ولا أحضر معونة ولا أقل مؤونة ، ولا شجرة أطول عمرا ، ولا أجمع أمرا ، ولا أطيب ثمرة ، ولا أقرب مُجتنًى ، ولا أسرع ادراكا في كل أوان ، ولا أوجد في غير إبّان « من كتاب » ولا أعلم نِتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده ، ورخص ثمنه وامكان وجوده ، يجمع من التّدابير الحسنة والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصّحيحة

---

(١) التعطيل — ترك الشيء ضياعا (٢) هذا النوع من الكلام يسمى السهل الممتنع (٣) الردن — الكم جمعه أردان (٤) العصبية — البهتان والنميمة (٥) الصلف — تمدح المرأ بما ليس عنده (٦) المواتاة — حسن المطاوعه والموافقه وأصله بالهمزة وفي الحديث : خير النساء المواتية لزوجها

ومحمود الأخبار اللّطيفة ، ومن الحِكم الرّقيقه ومن المذاهب القديمة ، والتّجارب الحكيمة ، والأخبار عن القرُون الماضية ، والبلاد المتراخية ، والأمثال السائرة والأمم البائرة [١] « ما يجمع الكتاب »

وقيل لبعض العلماء . ما بلغ من سرورك بكتبك ؟

فقال . هى إن خَلوت لذّتى ، وان اهتممت سَلْوتى ، وان قلت انّ زَهْر البُستان ، ونوْر الجنان ، يجلوان الأبصار ، ويُمتِعان بحسنهما الألحاظ ، فان بستان الكتب يجلو العقل وَينْحد الذهن ، ويحيى القلب ، ويقوى القريحة ، ويعين الطّبيعة ويبعث نتائج العقول ، ويستثير دفائن القلوب ، ويمتع فى الخلوة ، ويؤنس فى الوحشة ويصحك بنوادره ، ويسرّ بغرائبه ، ويفيد ولا يستفيد ، ويعطى ولا يأخذ ، وتصل لذته إلى القلب من غير سآمة تدركك ولا مَشقة تَعرِض لك

وصف التاريخ لأبن الأثير

قال ابن الأثير يصف التاريخ :

التاريخ مَعَاد معنوى يُعيد الأعصار وقد سَلفت ، وينشُر أهلها وقد ذهبت آثارهم وعَفت [٢] وبه يستفيد عقول التّجارب من كان غِرّا ، ويلقى من قبله من الأمم وهَلُمَّ جرًّا ؛ فهم لديه أحياء ، وقد تَضَمّنهم بطون القبور ، وعنه غُيّب وقد جعلتهم الأخبار فى عِدَاد الحضور ، ولولا التّاريخ لُجهلت الأنساب ، ونُسيت الأحساب ، ولم يعلم الأنسان أن أصله من تراب ، وكذلك لولاه لماتت الدُّول بموت زُعمائها ، وَعمِىَ [٣] على الأواخر حال قدمائها ، ولم يُحَط علما بما تداولته الأرض من حوادث سمائها ، ولمكان العناية به لم يخل منه كتاب من كتب الله

(١) البائرة — البائدة (٢) عفا الشيء — هلك (٣) عمى عليه الامر — التبس وكذلك عمى عليه

المنزَّلة ، فمنها ما أتى بأخباره المجمله ، ومنها ما أتى بأخباره المُفصّلة ، وقد ورد فى التَّوراة مُفرداً فى سِفر من أسفارها ، وتضمّن تفصيل أحوال الأمم السّالفة ومُدَد أعمارها

وقد كانت العرب على جهلها بالقلم وخطّه ، والكتاب وضبطه ، تصرف الى التواويخ جُمل دواعيها وتجعل لهُ أوّل حظّ من مساعيها ، فتستغنى بحفظ قلوبها عن حفظ مكسوبها ، وتعتاض برقم صدورها ، عن رقم سطورها ، كل ذلك عناية منها بأخبار أوائلها ، وأيام فضائلها ، وهل الانسان إلا ما أسَّسَه ذكره وبناه ، وهل البقاء لصورة لحمه ودمه لولا بَقاء معناه

(وصف الرَّجل الكامل)

كتبَ الحسن [١] بن سهل الى محمد [٢] بن سماعة القاضى

أما بعد فانى احتجت لبعض أمورى الى رجل جامع لخصال الخير ، ذى عِفَّة ونَزاهة ، طُعْمة [٣] قد هذَّبته الآداب وأحكمته التّجارب ليس بظنّين [٤] فى رأيه ولا بمطعون فى حسبه ، ان أؤتمن على الأسرار قام بها ، وان قلد مهمّا من الأمور أجزأ [٥] فيه ، له سِن مع أدَب ولسان ، تقعده الرَّزانة ويسكّنه الحلم ، قد فُرّ [٦] عن ذكاء [٧] وفِطنة ، وعضّ على قارِحة [٨] من الكمال ، تكفيه اللحظة وترشده السكتة ، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها ، وقامَ فى أمُورهم فحمد فيها ، له أناة

---

(١) هو وزير المأمون وختنه أبو زوجه بوران توفى سنة ٢٣٦هـ (٢) من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة توفى سنة ٢٢٣ وقد بلغ مائة سنة وهو صحيح الحواس (٣) الطعمة بالضم طريق الكسب وبالكسر هيئة الاكل والسيرة فيه . (٤) الظنين — المتهم (٥) أجزأ — أغنى (٦) فر الدابة — كشف عن أسنانها ليعرف مبلغ عمرها (٧) الذكاء — تمام السن واكتماله أو حدة الذهن (٨) الفرس القارح — الذى استكمل القوة باكتمال العمر ونظيره فى الابل البازل والسن التى نبتت له عند قروحه تسمى قارحا وقارحة . والجملة كلها كناية عن استيفاء صفات الكمال

الوزَراء ، وصَولة الأمَراء ، وتواضع العلماء ، وفَهم الفقُهاء ، وجَواب الحكماء لا يبيع نصيب يوْمه بحِرْمان غَده، يكادُ يستَرِق[1] قلوب الرِّجال بحلاوة لسانه وحسن بَيانه ، دلائل الفضل عليه لائحة ، وأمارات العلم شاهدة ، مُصطلعاً[2] بما استنهض ، مُستقلاً[3] بما حمّل ، وقد آثرتك بطابه ، وحبَوْتك بارْتياده[4] ثقة بفضل اختيارك ومعرفة بحُسن تأتّيك[5]

(وصف القطار الحديدى لمحمد حافظ بك ابراهيم)

صفحةَ البرق أوْمضت فى الغمام ... أم شِهاب يَشُق جَوْف الظلام
أم سَليلُ البُخار طار الى القصـ ... ـد فأعيا سوابق الأوهام[6]
مَرّ كاللمح لم تكد تقف العيـ ... ـن على ظلّ جِرْمه المُتَرامى[7]
أو كسَرْخ الشّباب لم يدرِ كاسيـ ... ـه تولّى فى يقظة أو منام[8]
لا يبالى السَّرَى اذا اعْسكر الليـ ... ـل وخانت مواقع الأقدام[9]
يقطع البيدَ والفيافى وَحيداً ... لم تصعصعه وحشة الأظلام[10]
ليس يَثْنيه ما يُديبُ دَماغ الضـ ... ـبّ يوم الهَجير بين الموامى[11]
لا ولا يعتريه ما يُخرِس النـ ... ـعْ فى الزَّمهرير بين الخيام

---

(١) يستعبد (٢) يقال هو مضطلع لهذا الامر وبه اذا كان قديرا عليه (٣) استقل بالحمل ـ نهض (٤) الارتياد ـ الطلب (٥) تأتى للامر ـ ترفق وأتاه من وجهه
(٦) السليل ـ الولد (٧) المترامى ـ المتتابع (٨) شرخ الشباب أوله (٩) السرى ـ سيرعامة الليل واعتكر الليل ـ اشتد سواده (١٠) البيد جمع بيداء وهى الصحراء والفيافى جمع فيفاء وهى المفازة لاماء فيها (١١) الموامى جمع موماة هى الفلاة والصب حيوان من أخس صفاته احتمال الحر الشديد

هائما كالظليم أزعجه الصيـــــدُ وراعته طائشات السهام
فهو يشتدّ فى النحاء ويهوى حيث ترمى بجانبيه المرامى
ياحديداً ينساب فوق حديد كانسياب الرقطاء فوق الرغام
قد مسحتَ البلاد شرقا وغربا بذراعَىْ مُشمِّر مِقدام

(وصف قناة السويس)

« لأحمد بك شوقى » مخاطبا ابنه يوم أن عبرَ قناة السويس مُيمِّما الأندلس حينما نفثه الأحكام العرفيّة ، إبّانَ الحرب العالميّة — انى : الفناة تقومكما فيها حياة ذِكْرَى اسماعيل وريّاه[١] وعليها مفاخر دُنياه . دولة الشرق المُرَحَّاة ، وسلطانه الواسع الجاه . طريق التجارة ، والوسيله والمنارة ، ومَشْرَع[٢] الحضارة . تعبُرانها اليوم على مُزْحاة[٣] كأنّها فُلْكُ النجاة . خرجت بنا بين طوفان الحوادث ، وطغيان الكوارث ، تفارق بَرًّا مُغْتَصِبه مُضَرِىٌّ[٤] الغصبة ، قد أخذ الأهْبه ، واستحمع كالأسد للوثبه ، وتلافى بحرا حُنَّت جواريه ، ونَزَت[٥] بالشرّ نواريه ، وتمثلت بكل سبيل عواديه . مملوء ببغَتَات الماء ، مترع بمُحاءات السماء : من نون[٦] ينسف الدوارع ، أو طير[٧] يقدف البيض مَصارِعَ . فقلت : سيرى ، عَوِّرتك بوديعة[٨] التابوت ، وبصاحب[٩] الحوت ، وبالحىّ الذى لايموت . واسْرِى يا ابنة البمّ ،

---

(١) الريا = الرائحة الطيبة (٢) المشرع = المورد (٣) زحاه وأزحاه = ساقه وسيره
(٤) مضر = حدم صحم من أحدام العرب المستعربة . وهذا البيت مأخوذ من قول بشار:
اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما
(٥) النزو = الوثب ، والنارية = حدة الرجل الوثاب الى الشر وجمعها نوار (٦) النون = الحوت والمراد المسافة (٧) يريد بالطير الطيارات وبالبيض مايلقى منها من مهلكات المدائف
(٨) هو موسى كليم الله (٩) هو نبى الله يونس

زمامك الرُّوح ، (١) ورُبّانك (٢) نوح ، فكم عليك من منكوب ومجروح

إنَّ للنفي لرَوْعةً ، وإن للنأى للوَعْة ، وقد جرت أحكام القضاء ، بأن نعبُر هذا الماء ، حين الشرُّ مصطرِم ، واليأس متدِم ، والعدوّ منتقم ، والخصم مُتكِم ، وحين الشامتُ حدلان مبتسم ، يهزأ بالدمع و إن لم ينسحِم (٣) . . . . .

ماذا تَهمِسان ؟ كأنى أسمعكما تقولان : أىّ شىء بدا له ، على هذه الصَّاحية (٤) ؟ وماذا شحاخيا له من هذه الناحية ؟ وأىّ حسن أو طيب ، لملح يَتصَبَّب فى كَتيب ؟ ماء عَكِر ، فى رمل كَدِر . قناة حَمِئة (٥) ، كأنها قناة صَدِئة ، بل كأنها وَعِرْيها (٦) رمال ، بعضها مناسك وبعضها منهال . وكأنَّ راكب البحر مُصحِر (٧) وكأن صاحب البرّ مُبحِر .

رُوَيْدَ كما ، ليس الكتاب بزينة جلده ، وليس السّيف بحلية غِمده . تلك التنائف ، (٨) من تاريخكم صحائف ، وهذه القفار ، كتب منه وأسفار . وهذا الحجاز هو حقيقة السيادة ، ووثيقة الشفاء أو السعادة . خيط الرقبة ، من اغتصبه ، اختص بالغلَبه ، ووقف للأعمال عَقَبه . ولو سكتُّ لنطقت العِبر ، وأين العِيان وأين الخبر !

انظُرا تريا على العِبر من عِبرة الأيام ، حصون وخيام ، وجنود قعود وقيام . جيش غيرنا فُرسانه وقُوّاده ، ونحن بُعْرانه (٩) وعلينا أزواده (١٠) . ديك على غير جداره خلا له الجو فصاح ، وكلب فى غير داره ، انفرد وراء الدار بالنُّباح .

القناة وما أدراكما ما القناة ؟ حظّ البلاد الأغبر ، من الدِّقاء الأبيض والأحمر

---

(١) جبريل (٢) الربان رئيس الملاحين وجمعه ربابين (٣) المسحم الدمع = سال (٤) الصاحية = البادية وكل أرض ظاهرة للشمس (٥) الحمئة = التى فيها الحمأة أى الطين الاسود المنتن (٥) عبر النهر = شاطئه (٦) أصحر = سار فى الصحراء (٧) التنائف جمع تنوفه وهى المفازة (٩) البعران جمع بعير كالأبعرة (١٠) الازواد جمع زاد وهو الطعام.

بَيْدَ أنها أحلام الأُوَل ، وأمانِيّ الممالك والدول : الفراعنة حاولوها ، والبطالسة زاولوها (١) ، والفياصرة تناولوها ، والعرب لأمر مّا تجاهلوها (٢) ، إلى أن جرى القدَر لغايته ، وأتى إسماعيل بآيته ، فانفتَح البرزخ بعنايته ، والتقى البحران تحت رايته في جمع من النّيحان لم يشهده إكليله . (٣) قد كان يتوّج لو شهدته جيوشه وأساطيله وما إسماعيل إلا قبصر ، لو أنه وُفّقَ ، والإسكندر ، لو لم يُخْفق. ترك لكم عزّ الغد وكنز الأبد ، والمَنْحِم الأحد ، والوقف الذى إن فات الوالد فلن يفوت الولد .

ماذا على الرمال ، من لمحات جلال وجمال ؟ ارجعا القَهْقَرَى بالخيال ، إلى العَصْر الخالى ، واعرِضا فى حداثتها الأحبال ، تربا على هذا المكان وجوها تتململ ، وركاباً تنتقل ، وتريا النُبُوّة تتهلّل ، والآيات تتنزّل ، وتريا المَلَك يترجّل ، حتى كأنّكما بالزمان الأوّل . فهاهنا وضع للنبوّة المهد ، وابتدأ بها العهد ، فقبل صاحب (٤) المقام وحطّم الأصنام ، وبنّاء البيت الحرام ، خليل ذى الجلال والإكرام .

هاجر إلى مصر أكرم من هاجرَ ، ثم انقلب منها بأمّ العرب هاجرَ (٥) . ومن هذه الثنيّات طلع يوسف بن يعقوب فى التيه ، وهو للسيارة صيد ، يسير من كيد إلى كيد . قلب حرّحته الإحرة ، وجنب قرّحته النّسوة . فيالك « بوسف » من أسوة (٦) ! عز بعد هون ، ودهله بعد المنزل الدّون ، وشئون أقدار وسحون ، وسهول حياة وحزون ، وسحوف القصور بعد السّحون ، الى سجود الشمس لك والقمر ، والكواكب الأخرَ .

---

(١) زاول الشيء = حاوله (٢) يروى أن هارون الرشيد فكر فى أن يصل البحرين بقناة وانه استشار يحيى بن خالد البرمكي فى ذلك فقال له : يا أمير المؤمنين « ان حرق السويس حرق في الاسلام » فعدل عن رأيه . (٣) الاكليل = التاج (٤) هو خليل الله ابراهيم (٥) هي جاريه مصريه أهداها فرعون الي السيدة ساره زوج سيدنا ابراهيم فوهبها له فسولدها اسماعيل جد العرب المستعربه (٦) الاسوة = القدوة وما يتأسى به الحزين أى يتعزى .

والى هذا الفضاء خرج موسى حين زال زَوِيلُهُ (١) وطلبه قتيله ، وزيّن له الفِرار خليله (٢) فخوته هـذه الرمال ، فاذا الأمن سبيله ، واليُمْن دليله ، والسلامة زامِلَته (٣) والسلم زميله . ولو أطلعه الله على غيبه للمس النُّبوة بين يده وحيبه إلى أن رفع له المنار ، واكتحل بالنور واقتبس من النـار وقيـل له : كن من الأحرار الأحبار ، وارجع فسلّط الحق على فرعون الجبار . فكان عليه السلام أوّل من اقتحم على الفرد جَبَرُوته ، وهتك على المستبد طاغوته (٤) ، وخَطَم (٥) المتأَلِّه (٦) وحَطّم عظموته . ماء الحق على لطفه ، ظَفِر بنار الباطل على عُنْفه . ظهر العدل على الحَيْف وكسرت العصا السيف .

وعلى هذه الأرض مشت السماء (٧) الطاهرة ، والنَيّرة الزاهرة ، والآية المتظاهرة أم الـكَلِمة (٨) ، وطريدة الظّلَمة . سرحوا فى عِرضها ، فأحرجوها من أرضها فضربت فى طول الارض وعَرضها ، يوسف حاديها ، وجبريل هاديها ، والقُـدْس ناديها ، والطهارة أرجاء واديها ، وعلى ذراعيها مصـباح الحـكمة ، وجناح الرحمـة والإصباح من الظلمة ، حتى هبطت به أكرم الاديم (٩) ، فنشأ بين الحـكيم والعليم

---

(١) زال زويله = فرع وحدر (٢) يشير الى ماكان من أمر موسى حين وجد قبطياً واسرائيلياً يقتتلان فاستنصره الاسرائيلى على القبطى فوكزه وكزة كانت القاضية فلما أصبح وجد الاسرائيلى نفسه يقاتل قبطياً آخر فاستغاثه فقال له موسى انك لغوي مبين. ثم هم بنصرته على القبطي فظن أنه يريده بالاذى فصاح الاسرائيلى يا موسي أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالامس . فذاع أمره ولم يلبث أن جاءه رجل وقال له : يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين . فخرج الى بلاد مدين . (٣) الزاملة = ماتحمل عليه من الابل وغيرها (٤) الطاغوت = الشيطان وكل رأس ضلال (٥) خطمه = قهره أو ضرب أنفه (٦) أراد بالمتأله المتكبر غير أن معناها اللغوي المتنسك المتعبد (٧) يريد السيدة مريم (٨) الكلمة سيدنا عيسى (٩) الاديم = وجه الارض

وترعرع حيث ترعرع بالأمس الكليم . فيالك من دار ، لعبت على عَرَصاتها الاقدار ناويت (١) موسى القريب ، وآويت عيسى الغريب . نبوت (٢) بالنبيّ ، وحبوت الأمن عيسى وهو صبيّ . عذركِ لاتنضى (٣) اليه المطيّ ، فانما غضبت لابنك القبطيّ .

ثم انظرا تَرَيا إبلا صعابا ، وخيلا عِرَابا (٤) وتريا الرُّعاة (٥) انقضّوا على الوادى ذِئابا ، فأخافوا القُرَى الآمِنَة ، وأخرجوا من مصر الفراعنة ، واستبدوا بالملك فيها آوِنه ، وتَرَيا الوحوش الضّارية والجوارح الكاسرة ، يقودها شرّ الأكاسرة (٦) ، ملأت هذه الفِجاج (٧) ، وكأنها حَرَجات (٨) السّاج ، أو حركات الأمواج ، ثم تدفّقت تكتسح الديار ، باغية السيف طاغية النار ، تدك الهياكل والمعاقل ، وتهتك العقائد والعقائل . وتَرَيا الإسكندر الكريم ، قد لمع كالصّارم من هذا الصّريم (٩) ويحمل الحَمَلات النّجائب ، ويفتح بالكُتُب والكتائب .

وتَرَيا ابن العاص والصّحابة مرّوا من هذه الأرجاء مَرَّ السّحابة ، يفتحون للحق ويفتكون بالرّق ، حتّى أخلَوا القصور من القياصرة ، وأراحوا مصر الصابرة ، من صَلَف الجَبابرة وتَرَيا صلاح الدين يخفى كالبدر ويبدو ، ويروح كالغَيث ويَغدو بُعوث بلا عَدَد ، ومدد إثر مدد ، وذخائر وعُدَد ، وبُشْرى كل يوم بفتوح جدد

---

(١) ناوأه وناواه عاداه (٢) نبا به المكان لم يوافقه (٣) أنضى المطية = هزلها (٤) العراب من الخيل والابل = العربية (٥) هم العمالقة الذين ملكوا مصر مدة من الدهر (٦) قبز (٧) اللجاج = الطرق الواسعة (٨) الحرجة = الشجر الملتف والساج شجر يعظم جدا ويذهب طولا وعرضاً وله ورق عريض جداً (٩) الصريم = الرمل

وتَرَيا نابليون قد ركب طيشه ، وأركب الغَرَر جيشه . وتَرَيا ابراهيم بن علىّ مشهور الجُرَاز ، موفور الجهاز ، ملك سُورِيَةَ وضبط الحجاز . وتَرَيا اسماعيل بعث الحاشرين ، وحشد الحافرين ، وقرّب المسافة للمسافرين . غَيّرَ وجه السّفر ، فقيل : بلغ غاية الظفر ، وقيل : وقع الحافِر فيما حفر .

ثم انظرا اليوم ، تريا القنَاة فى يد القوم ، إن أمِنوا ركزوها ، وان خافوا هزّوها .

(وصف فرس)

قال محمد بن الحسين يصف فرساً :

هو حسن القميص ، جيّد الفُصُوص ، وَثِيق القَصَب ، نقىّ العصب ، يُبْصر بأذْنيه ، ويَتبَوّع بيديه ، ويداخل برجليه ، كأنه موجٌ فى لُجّة أو سيل فى حَدُور . يُنَاهب المشى قبل أن يبعث ، ويلحق الأرانب فى الصَّعُوداء ، ويجاوز جوارى الظّباء فى الاستواء ، ويسبق فى الحدُور جرى الماء . ان عُطِفَ جار ، وان أرسل طار ، وان كُلِّف السّير أمعن وسار ، وإن حُبس صَفَن ، وان استوقف قَطَن ، وان رُعِى أتَن ، فهو كما قال تأبط شرا :

ويسبق وفد الريح من حيث تَنْتَحى بِمُنْخَرَقٍ من شَدّة المُتدارِك

(وصف العصا)

لقى الحجّاج أعرابياً فقال : من أين أقبلت؟ قال من البادية . قال : ما بيدك ؟ قال عصا أركُزها لصلاتى وأُعِدُّها لعُداتى ، وأسوق بها دابّتى وأقْوَى بها على سَفَرى وأعتمد عليها فى مَشْيى ليتّسع بها خَطْوى وأعْبُر بها النهر فتؤْمِننى وأُلقِى عليها كسَائى فيستُرنى من الحرّ ، ويقينى من القُرّ وتُدْنِى ما بَعُدَ منّى . وهى محْمَل سفْرتى وعَلاقَة إداوتى ، ومِشْجب ثيابى ، أعتمد بها عند الضِّراب ، وأقرع بها الابواب ، وأتّقِى بها

عَقُور الكلاب . تنوب عن الرُّمح فى الطّعان ، وعن الحَرْبة عند منازلة الأقران ورثتها عن أبى ، وأورثها بعدى ابنى ، وأهشّ بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى كثيرة لاتحصى .

(وصف كرة القدم) قاتل الله الكُرة ما أعجبَ أمرَها . وما أدقّ سِرّها قد جمعت الأضداد واسترقّت النّجباء والأوغاد . فهى كبيرة الحجم مُفوّقة الجسم لكنّها خفيفةُ الوزن سريعةُ الوثب . وهى ناعمة اللّمس . مليحة الرّقص . لكنّها تأبى الوَخْز . ولا تطيق اللّكز . وهى تفرّ من المُداعمة والمُلاعبة . ولكنّها لاتملّ من ضرب ولا تكِلّ من دَحرجة . وهى محبوبة مألوفة ، تنتقل على الأيدى والأحضان لكنّها تُطرد بالأرجل والعِصِىّ فهى عزيزة ذليلة ، حَقيرة جليلة ، تُشبه القنابل فى صُورها . . والدُّفوف فى أصواتها . والطير فى امتطاء الهواء . واختراق الفضاء

وصف جيوش لابن الرومى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ

وصار فلان فى جيوش ، عليهم أردية السّيوف وأقمصة الحديد ، وكأنّ رماحهم قرون الوعول (١) وكأنّ أدراعهم ربد السيول على خيل تأكل الأرض بحوافرها وتمدّ بالنّقع سُرادِقها ، قد نشرت فى وجوهها غُرر (٢) كأنها صحائف الرُّف (٣) وأمسكها تحجيل (٤) كأنها أسورة اللُّجين وقُرِطتْ عُدُراً (٥) كأنها السّنوف تناقف الأعداء أوائلها ولم تنهض أواخرها قد صُبّ عليهم وفارُ الصّبر وهبّت معهم ريح النّصر

وصف الحسد للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ

الحسد أبقاك الله داءٌ ينهك الجَسد ، عِلاجُه عَسير وصاحبُه ضَجِر ، وهو بابٌ

---

(١) جمع وعل وهو تيس الجبل (تيس الشاة الجبلية) وقرونه طويلة (٢) جمع غرة وهى بياض في جبهة الفرس (٣) الرف جلد رقيق أبيض يكتب فيه (٤) التحجيل بياض فى قوائم الفرس (٥) أى ألبست عدراً جمع عدار وهو ماعلى خد الفرس من اللجام

غامض(١) وما ظهر منه فلا يُداوَى، وما بطن منه فمُداويه فى عَناء ولذلك قال النبىّ صلى الله عليه وسلم (دبّ (٢) اليكم دَاء الأُمم مِنْ قَبلكم الحَسدُ والبغضاء)

ألحسد عقيد (٣) الكفر وحَليف الباطل (٤) وضدّ الحق ، منه تتولّد العداوة وهو سبب كلّ قطيعة (٥) ومفرّق كلّ جماعة وقاطع كلّ رحم من الأقرباء (٦) ومُحدث التفرّق بين القُرناء (٧) ومُلقّح الشرّ بين الحلفاء (٨)

ووصف أيضاً أفضل الكلام — وقال

أفضل الكلام ما كان قليله يُغنيك عن كثيره ومعناه ظاهراً فى لفظه وكأنّ الله قد ألبسه من ثياب الجلالة وغشّاه (٩) من نور الحِكمة على حسَب نيّة صاحبه وتقوى قائله — فاذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه (١٠) منزّهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلّف صنع فى القلوب صنيع الغيث (١١) فى التربة الكريمة، وهى فصاحة الكلمة على هذه الشرائطه ونفدت من فائها على هذه الصفة كساها الله من التوفيق ومنحها من التأييد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة

وصف الشعراء المحدثين

قال ابن دُريد سألت أبا حاتم عن أبى نُواس ففال ان حَدَّ أحسن، وان هزل ظرف، وان وصف بالغ ، يُلقى الكلام على عواهنه لا يبالى من أين أخذه — قلت فبشّار ابن بُرد قال نظّار غواص مطيل مجيد يصف مالم يره كأنه رآه ، على أن فى شعره خللاً

(١) أى مسلك خفى يعسر الخروج منه (٢) سرى فيكم (٣) أى معاهده ومخالفه (٤) ملازمه (٥) انفصال (٦) كل قرابة واتصال (٧) المباعدين (٨) مولد الشر بين المتحالفين (٩) كساه (١٠) أى من احبار الفكر (١١) المطر

كثيراً — قلت فمروان بن أبي حفصة قال شاعر راضٍ عن نفسه يستحسن كلما جاء منه معجبٌ، لا يرى ان أحداً يتقدمه كثير الصواب كثير الخطأ ليس لشعره صنعة قلت فمسلم بن الوليد قال خليج صاف ينزع من بحر كدر كالزّنديورى تارة ويصلد أخرى. قلت فأبو العتاهية. قال غُثاء حَمَّ واقتدار سهل وشعر كخرز الزجاج ور بما أشبه الياقوت والزبرجد. قلت فعباس بن الأحنف قال يلقى دَلوه فى الدّلاء فيغترف الصفو أحياناً والحمأة أحياناً على أن كدره أكثر من صفوه. قلت فمسلم الخاسر. قال مقلّ مدّاح شعره ديباج وعهن يموّه الرديء حتى يشبه الجيّد. قلت فأبو الشّيص. قال جدّه كله فيه حلاوة وشاعه كالسدرة التى نفضت ففيها المستعذب والمستبشع. قلت فعلى بن جبلة قال بحّات عن الكلام الفَخْم والمعنى الرائع لا ينال مرتبة الفدماء ويجلُّ عن منزلة النطراء. قلت فأبو تمّام. قال سيل كثير الغثاء غزير الغمار جمّ النطاف فاذا صفا فهو السّلاف بالماء الزّلال. قلت فعبد الصّمد بن المعذّل. قال خرّاج ولاّج يعتسف تارة ويهتدى أخرى. قلت فعلىّ بن الجهم. قال كلام رصين ومسلك وعر عقله أغلب على شعره من طبعه. قلت فبكر بن النّطاح. قال تشبّه بالأعراب فأفرط وتجاوز حدّ المولّدين فأسهب فهو السّاقط بين القريتين

ووصف ابن الأثير المتوفى سنة ٧٥٩ هـ أبا تمّام والبُحتُرىّ والمُتنبّى

قال: لقدْ وقفت من الشعر فى كلّ ديوان ومجموع وأنفذت شطراً من العمر فى المحفوظ منه والمسموع، فألفيته بحراً لا يوقف على ساحله وكيف يحصى قوْل لم تُحص أسماء قائليه فعندَ ذلك اقتصرتُ منه على ما تكثر فوائده وتتشعّب مقاصده، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم فى اتّباع من قصر نظرَه على الشعر القديم إذ المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف فى اللفظ الجزْل اللطيف، فمتى وجدتُ ذلك فكل

مكان خيّمت فهو بابل، وقد اكتفيت من هذا بشعر أبي تمّام والبُحتُرى والمُتنبّي وهؤلاء الثلاثة هم (لاَتُ الشّعر وعُزّاه ومَناته) الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدَثين وفصاحة القدماء وجمعت بين الأمثال السّائرة وحكمة الحكماء — أما أبو تمام فإنه ربُّ معان وصيْقَل أذهان وقد شهد له بكلّ معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر فهو غير مدافع عن مقام الإغراب الذى برّز فيه على الأضراب ولقد مارست من الشعر كلّ أوّل وأخبر ولم أقل ما أقوله إلاّ بعد التنقير فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه وراض فكرَه برائضه أطاعته أعنّة الكلام وكان قوله فى البلاغة ماقالت حذام، وحد منى فى ذلك قول حكيم وتعلّم (ففوْق كل ذى علم عليم) وأما البُحتُرىّ فإنه أحسن فى سبك اللّفظ على المعنى ولقد حاز طرفى الرقّة والجزالة على الإطلاق، فبينما يكون فى شَظَف نجد إذ يتشبّث بريف العراق وسئل المتنبى عنه وعن أبى تمام وعن نفسه فقال أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البُحترى ولعمرى إنه أنصف فى حكمه وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه فإن البحترى أتى فى شعره بالمعنى المقدُود من الصخرة الصّماء فى اللفظ المصوغ من سلامة الماء فأدرك بذلك بُعد المرام مع قُرْبه إلى الأفهام وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بالنّوادر الغالية ورقى فى ديباجة لفظه إلى الدرَجة العالية وأما المُتنبى فانه أراد أن يسلك مسلك أبى تمام فقصُرت عنه خُطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ولكنه حُظى فى شعره بالحِكَم والأمثال واختصّ بالإبداع فى وصف مواقف القتال ـ وأنا أقول قولا لست فيه متّهماً ولا منه متلثّماً وذاك أنه اذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نِصالها وأشجع من أبطالها وقامت أقواله للسّامع مقام أفعالها حتى يظنّ أن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا، فطريقهُ فى ذلك تضلّ بسالكه وتقوم بعد ر تاركه، ولا شك أنه كان يشهد

الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أدّاه اليه عيانه ، ومع هذا فانى رأيت الناس عادلين عن سنن التوسّط فإما مفرّط فى وصفه و إما مفرط على أنه كان إذا انفرد بطريق صار أبا عذره ـ ولقد صدق فى قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة

لاتطلبنّ كريماً بعد رؤيته إن الكرام بأسخاهم يداً ختموا

ولا تبال بشعر بعد شاعره قد أفسد الفول حتى أحمد الصّمم

(ووصف المفضل الضبّى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ مروره ببعض أحياء العرب)

روى المفضّل الضبّى قال نزل علينا بنو ثعلبة فى بعض السنين وكنت مشغوفاً بسماع أخبار العرب و جمعها فأخذت أحول بين خبائهم وأتحسّس من أحوالهم و إذا أنا بامرأة واقفة فى فناء خبائها آخذة بيد غلام قلّما رأيت مثله فى حسنه و جماله وهى تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب يسترق السمع و يترسّفه القلب فكان أكثر ما أسمعه منها (بُنى وأى بُنى) وهو يتبسّم فى وجهها وقد غلب عليه الحياء والخجل كأنه من ربّات الحجال فلا يحير جواباً ولا يبدى خطاباً فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت فسلّمت فردّ على السّلام ووقفت أنظر الى المرأة والغلام فقالت لى ياحضرى ماحاجتك قلت الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى وابتسمت وقالت ياهذا إن شئت سُقت اليك ماهوَ أحسن مما رأيت فقلت هاتى حفظك الله قالت ولد هذا الغلام فكان ثالث أبويه فربّى بيننا كأنه شِبل وكنت أقيه برد الشتاء وحرّ الهجير حتى إذا ماتمّت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب فحفّظه القرآن فتلاه وعلّمه الشعر فرَوَاه ورَغب فى مفاخر قومه وطلب مآثر آبائه وأجداده فلما أن اشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عتاق الخيل فتفرّس وتمرّس وابس السلاح ومشى الخيلاء بين بيوتات الحىّ وأصغى إلى أصوات ذوى الحاجات فأخذ فى قِرى الصيف واطعام

الطعام وأنا عليه وَجلة أحرسه منَ العيون أن تصيبه ومن الألسن أن تعيبه الى أن نزلنا فى بعض الايام منهلاً من المناهل بين أحياء العرب فخرج فتيان الحيّ فى طلب ثأر لهم وشاء الله تعالى أن أصابت الغلام وَعكة شغلته عن الخروج حتى اذا أمعن القوم ولم يبق فى الحيّ غيره ونحن آمنون وادعون فورّبك ماهو إلا أن أدبر الليل وأقبل الصبح حتى طلعت علينا طلائع العدوّ وغرر الجياد ثواراً لازوّاراً فما كان إلاّ هنيهة حتى أحرزوا الأموال وهو يسألنى ما الخبر وأنا أستره عنه اشفاقاً عليه وضناً به حتى اذا عات الاصوات وبرزت المخدّرات رَمى دِثاره وثار كما يثور الصرغام اذا اغضب فأمر بإسراج فرسه ولبس دِرع حربه وأخذ رمحه بيده وركب حتى لحق حماة القوم وأنا أنظر اليه فطعن أدناهم منه فرمى به ولحق أبعدهم فقتله فانصرفت اليه وحوه الفرسان فرآه غلاماً صغيراً لامدد وراءه فحملوا عليه فأسرع يؤمّ البيوت حتى اذا خلّفهم وراءه وامندوا فى أثره عطف عليهم ففرّق شملهم وشتّت جمعهم وقلّل كثرتهم ومزّقهم كل مُمزّق ومرق كما يمرق السّهم من الرمية وناداهم خلّوا عن المال فوالله لارجعت إلاّ به أو لأهلكنّ دونه فتداعت اليه الأفران وتمايلت نحوه الفرسان وتميزت له الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا اليه الأسنّة ومالوا عليه بالأعنّة فوثب عليهم وهو يزأر كالأسد وجعل لا يحمل على ناحية إلا حطّمها ولا كتيبة إلا هزمها حتى لم يَبق من القوم إلا من نجا بِهِ فرسُه ففاز بالأموال وأقبلَ بها فكبّر القوم عند رؤيته وفرحوا فرَحاً عظيماً بسلامته فوالله ما رأينا قط يوماً كان أصبح صباحاً وأحسن رواحاً من ذلك اليوم ولقد سمعته ينشد فى وُجوه فتيات الحيّ هذه الأبيات

تأمّلنَ فِعلى هل رأيتنّ منله اذا حشرجت نفس الكميّ عن الكرب
وضاقتْ عليه الأرض حتى كأنه من الخوف مَسلوب العزيمة والقلبِ

ألم أعطِ كلاً حقّه ونَصيبه ... من السّمهرى اللّدن والصارم العضب
أنا ابن أبى هند بن قيس بن حالد ... سليل المعالى والمكارم والسّيب
أبى لىَ أن أعطى الظّلامةَ مُرْهفٌ ... وطرفٌ قوىّ الظّهر والجوف والجنب
وعزمٌ صَحيح لو ضربت بحدّه ... شماريخ رضْوى لانحطّطن الى التّرب
وعِرضٌ نَقِيٌّ أتّقى أن أعيبه ... وبَيت شريف فى ذُرى نعلب العُلب
فان لم أقاتلْ دُونكن وأحتمى ... لكُنَّ وأحميكُنّ بالطّعن والضّرْب
وأبذل نفساً دُونكنّ عزيزةً ... علىّ لأطراف القَنا وظُبى العضب
فلم تصدق اللّاتى مَشين الى أبى ... يُهنِّئْنَه بالفارس البطل النّدب

(وصف نهج البلاغة للامام المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ)

أوفى لى حكم القدر بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) صدفة بلا تعمّل أصبته على تغيّر حال وتبلبل بال وتزاحم أشغال وعطلة من أعمال فحسبته تسلية وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته وتأملت جملا من عباراته من مواضع مختلفات ومواضيع متفرقات. وكان يخيّل لى فى كل مقام أن حروبا نشبت. وغارات شُنّت. وأن للبلاغة دولة. وللفصاحة صولة. وأن للأوهام عرامة (١) وللرّيب دعارة (٢). وان جحافل الخطابة. وكتائب الذرابة. فى عفود النظام وصفوف الانتظام. تنافح بالصفيح الأبلج (٣) والقويم الأملج (٤) وتمتلج (٥) المهج. بروائع الحجج. وتفُلّ دَعارة الوساوس. وتصيب مقاتل الخوانس (٦) فما أنا إلا والحق منتصر. والباطل منكسر. ومَرَج الشك فى خمود. وهرج الريب فى ركود. وان

(١) العرامة الشراسة (٢) الدعارة سوء الخلق (٣) الصفيح السيف والابلج اللامع البياض (٤) الرمل الاملج الاسمر (٥) تمتلج تمتص (٦) الخوانس خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء

مدبر تلك الدّولة . وباسل تلك الصّولة . هو عامل لوائها الغالب . أمير المؤمنين على ابن أبي طالب . بل كنت كلّما انتقلت من موضع الى موضع أحسّ بتغيّر المشاهد وتحوّل المعاهد . فتارة كنت أحدثني في عالم بعمره من المعاني أرواح عالية . في حُلل من العبارات الزّاهية . تطوف على النّفوس الزاكية . وتدنو من القلوب الصّافية . توحي اليها رشادها وتقوّم منها مناآدها . وتنفر بها عن مداحض المزّال . الى جواد الفضل والكمال . وطوراً كانت تتكشّف لي الجمل عن وجوه باسرة . وأنياب كاشرة . وأرواح في أشباح النّمور . ومخالب الذّسور . وقد تحفّزت للوثاب ثم انقضت للاختلاب فجلبت القلوب عن هواها . وأحدت الخواطر دون مرماها . واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء . وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً . لا شبه جثماناً جسدانياً فصل عن الموكب الآلهي . واتصل بالروح الأنساني . فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما بهِ إلى الملكوت الأعلى ونمابهِ إلى مشهد النّور الأجلى . وسكن بهِ إلى عمار جانب التّقديس . بعد استخلاصه من سوائب التّلبيس . وآناً كأني أسمع خطيب الحكمة . ينادي بأعلياء الكلمة . وأولياء أمر الأمة . يعرّفهم مواقع الصّواب ويبصرهم مواضع الارتياب . ويحذّرهم مزالق الاضطراب . ويرشدهم الى دقائق السياسة . ويهديهم طريق الكياسة . ويرتفع بهم الى منصّات الرياسة . ويصعدهم شرف التدبير . ويُشرف بهم على حسن المصير

(وصف حفلة لمحمد بك المويلحي)

لو كان للّيالي لسانٌ يَنطق بالفَخار وجَنانٌ يجري بنظم الأشعار . لأنشدت لَيلة الحفلة (الخديويّة) قصيدة تُسجّل لها في ديوان العُصور والدّهور . مالم تَبْلُغه ليلة قبلها في تكامُل الفَرح والسّرور . ولو كان الدّهر يفصحُ لنا يوماً عن انشراحه

وابتهاجه لأنه نبأنا بأنه ادّخرها غرّةً لجبينه ودرّةً لتاجه
لازالت أيام الجناب العالي ولياليه مُشرقةً بالسّعد والهناء متألّقة تألق البدر في أفق السّماء

ووصف أيضاً متحفاً من مقامة له

قال عيسى بن هشام زايلْنا الأهرام وخلّيْناها تَنْدُبُ من شادها وتَنْعى مَنْ بَناها ومِلْنا إلى دار الأَحفِ ومُستودَع الآثار لمشاهدة ماحفظتْهُ لنا من صنوف الطّرَف وعيونِ الأخبار وما أخرجَتْهُ الأيام من عالم الخَفاء إلى عالَم الظُّهور بعد أن كان سرًّا مكتوماً في خواطر العصور والدّهور وما صانتْهُ بطون القبور من الفناء والدّثور وحمتْه أحشاء الرّموس من العفاء والدّروس وما أخبتْهُ أرحام المعابد والهياكل من بقايا الماضين وحمايا الأوائل وما انكشفتْ عنه سُجوف الأحقاب وديعةَ الأسلاف للأعقاب من مكنون الدّفائن ومكنور الخزائن وعجائب الفن الدّقيق وبدائع البَدْع الأنيق وغرائب الصّنْع العتيق بَلِيَتْ في اصطحابها بطونُ الأيام والليالي وانحنت في احتضانها ظهورُ العصور الخوالي وانملبت المحار وِهاداً واصبحت الوِهاد أطوادا وغدَتِ الأغوارُ أنجاداً وأضحى العِمارُ خرابا والخرابُ عَماراً والغِمارُ سَرَابا والسّراب عِماراً وتمدّيَنَتْ بواد ونَبَدَّت مدائن وبادتْ مواطن وقامت مَواطِن ومضَتْ دُوَلٌ بعد دُوَل وذهبت أوَلٌ أثرَ أوَل وبدتْ أحوالٌ وحالت وظهرَت أعمالٌ ورالت وهي هي كما تَرَكها أهلُها مَصونٌ وَضْعُها محفوظٌ شكلُها — خبرٌ صادق ولسانٌ ناطق تُخبر بالعِبر وتحدّثُ عمّنْ غبر

مضتْ غبراتُ العيش وهي غوابر على الدّهر مكتوبٌ عليها حبائسُ

(وصف الفونغراف «الحاكي» للمرحوم مصطفى بك نجيب المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ)

مِتالُ القوّة النّاطقة من غير إرادة سابقة يَقتطفُ الالفاظ اقتطافا ويختطف

الصوّت اختطافا مطبعة الأصوات ومرآة الكلمات ينقُل الكلام من ناحية إلى ناحية نَقْلَ كلام عمر رضى الله عنه إلى سارية (١) أشدّ من الصَّدَى فى فعله فى إعادة الصوّت على أصله كأنه الحرُوف عن يد الطّابع والوتر عن يدالضّارب والقصبَ عن فم القاصب، يحفظ الكلام ولا يُبيده ومتى استَعدتَه منه يُعيدُه من غير أن يُبقى لفظاً فى صدره أو يكتم شيئاً من أمره كأنما حِفظُ الوَديعة فى نفسه طبيعة ، فلو تقدّم لهُ الوجود فى مرتبة الزمن لما احتَجنا فى الآخبار إلى عَنعنة (٢) ولا فى الدّعاوى إلى بيِّنَة بل كان يُسْمِعُنا كلامَ السيد المسيح فى المهد وصوت عاذرَ (٣) من اللّحد وكانت استَوْدَعتْه الفلاسفة حِكمتهم وأنشدُوه كتبهم فرأينا به غرائب اليونان و بدائع الرُّومان — ورُبما سَمعنا خُطَب سَحْبان وشعر سيدنا حسّان بذلك اللّسان وأصح وجود الإنسان غير محدُود بزَمن من الزّمان . لله دَرُّه من تلميذ يستوعب ماعند المُعلّم ويستخلصه فى لحظة معيداً لقوله ناقلا لصوته ولفظه

لقد وجدتُ مكان القول ذا سعَةٍ فإن وجدتَ لسانًا قائلاً فقلِ

نديم ليس فيه هفوةُ النّدِيم وسمير لا يُنْسَبُ اليه تقْصير تُسكتُه وتستعيده وتَذُمّه وتستَجيدُه وتَنقُصهُ وتَستزيده وهو فى كل هذه الأحوال راض بما يقال لا يَكلّ من تحديث ولا يَملُّ من حديث نمّام كما ينمّ عليك وينقُلُ لغيرك كما يَنقل اليك فهوَ المصوّرُ لكلِّ فنّ المتكلمُ بكلّ لغة المحدّث عن كلّ إنسان المؤرّخ لكلّ زمان الشّاعر النّاثر المغنى العازف لاتُعْجِزه العبارة ولا يُجْهده الأداء ولا يَضُرُّهُ إختلافُ شكل ولا تباينُ أصل بل تعدّت شدّة حفظه البشرية من اللّغات إلى حفظ أصوات العجماوات إلى حركة اصطِكاكِ الجمادات

(١) ابن زنيم الذي ناداه عمر رضى الله عنه على المنبر (٢) مرادة الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم التى يروي عن فلان عن فلان (٣) هو الذي أحياه عيسى عليه السلام

﴿ ووصف أيضاً نظارة ويشكر من أهداها ﴾

ورد الكتابُ المطرِّزُ بحلى الكرَم ، المحلّى بجميل النّعم واستلمت الهديّة فسلِمَتْ يدٌ أهدتها وحُفِظَتْ السّجايا التى لمحاسن الأعمال هدتها ودامت رِحبٌ لمثل هذه الحسنات فيها مَجال، ولله حُسنات بهاء وجمال وللآمال مَحطّ رحال وللمقاصد كعبة إقبال وطابت نفسٌ تعالى الله أن تماثلها نَفسُ عِصام فانها نسخت آية الكرّ والإقدام بآيه الجُود والإكرام وفعلَتْ فى القلوب بالعطاء والنّوال ما قَصُرت عنه الرّماح الطّوال وتاملتها فارتنى مالا عينٌ رأت وأظهرت من محاسنِ المناظر ما أعمرت وقرّت كل منظور بعيد وتلت (فكشفْنا عنك غطاءك فبصرُك اليومَ حَديد) وصفَا وقتى بصفائها فلم أشتَهِ شيئاً الا جمعت بينه و بينى وصح علينا قولُ القائل (رَأيتُ بعينها و رأتْ بعينى) ثمَّ سرَّحت نظرى فى الأطلال والرّسوم حتى نظرْتُ نظرة فى النّجوم فلم تخْفِ عنّى شخراً ولا مدراً ولا نجمًا ولا قمراً

يَزيدك وجهها حسناً اذا ما رِدته نظرا

ببهاء يُخيّل لى أنها صِيغت من ضياء فلا عيبَ فيها غير أنّى نظرت بها فى سماء فضلك الباهرِ وأُفُق شرفك الطّاهر فلم يَنكشف لى بها لجودك آخر : لا زال كرمُك بعيداً حدُّه على كل ناظر و باصر، وفضل مناهلك غاية تقصدُها الأوائل والأواخرُ

(وصف سان استفانو باسكندرية لبعض الأدباء)

كتابى والقلمُ فى البنان، يُسطّرُ ما يُمليه الجنان عن محاسن ذلك المكان المشهور (بسان استفان) هناك ترى البحر كالمرآة تمثّلتْ فيها السّماء فكأنما الماء سماء

والسّماء ماء ، وتخالُ الشّاطئ مرتعاً للظّبيات الآنسات ، أو سُوقَ جمال تُباع فيه القلوب على الغانيات

هناك الشّبيبة واللّعب والزّهُوّ والطّرَب وقد اعتل الصّبا وصَحّ الصّبا . حورٌ وولدان يَمرَحون بنشاط الشّباب ويَتهادَوْن بنشوة الدّلال والإعجاب فمن «غادات» رَوائحُ غاديات ، قُدودهُن الرّماح الطّاعنات ، ولحاظهُنّ القاتلات المُحيّيات ومن « ولدان » يلعبون بالكُرَة والصّوْلجان فالكُرة قلبُ المحبّ المُتيّم والصّوْلجان الذى يَدْفعُها شوَق العاشق المغْرَم هناك نغمات الأوْتار تدعو الى اغتنام الأوطار تُهدى الارْتياحَ الى الأرواح وتُبدِل الأفراح من الأتراح

هناك الكؤوسُ على قُطْب الخلاعة تدُور فهى برشفاتها الثُّغور وبنورها البدُور تَشْرقُ من الحنان وتَغرُبُ فى أفواه النّدْمان فيعلو الوُجوه الشّفق فتبارك المُبْدِعُ فيما خَلَق

هناك فريقٌ من أهل الهوَى حلفاء الأسى والجوَى يَختلِسون النّظرات وتحتها سِهام صائبات تَقصدُ قلوبهم ولا راحم لهم يُبادون مَن يحبُّون فلا يُحابون ويَتدلّلون لعزّ الجمال على أنهم لا يُحابون يتمنّون الرّضا بعد الهَجْر وحلْو اللّقا بعد الصبر ، وفريقٌ آخر قد واتاهم السّعد فنالوا الأمانى تَعلو وجوههم نَضرَةُ النّعيم بما نالوه من إشارة أو تسليم يتبادلون التّحيّات بالحواجب ويَشفقون على القلوب فيَصعدون الأيدى فوق التّرائب حتى اذا الليلُ سَجَا وسترهم رداه من الدّجى يَتلاقون الى جانب البِرّ ويَتهامسون والفَمُ قريب من الفَم ، تراهم على الأرائك حنساً بجنب وعُنقاً على كتف مبتعدين عن العيون هُنا وهنا وقد بلغوا الآراب والمُنى ، بجتَنون الثّمَر من السّمر ويَلثمون الرّاحَ بالرّاح ولا يزالون فى مسرّة وهناء

وأس وصفاء حتى ينادى منادى الموائد بحىّ على شهىّ الطعام وهلموا الى رائق المدام فيجلسون مشى وتلاب ورباع ، محفوفين ببائع الأزهار مستصيئين بأزهى الأنوار ، والغلمان عن يمنهم وشمالهم قائمون بحمائلهم وهم فى لباسهم كأقمار وفى حقتهم كليح الأبصار فيأكلون ويشربون ويضحكون ويلعبون بين نغمه بالحديث الرخيم وشذرة المدام القديم حتى اذا أحدث كأس منهم حظها وتلحلحت الألسنه فلا تنهم لغو بها هنالك تراهم كسيب الظباء رائح وغاد هدهمائله وهدا متهاد الى أن يتمشى النوم فى الجفون فتذبل العيون فينصرفون الى المنام ويحلمون بلذيذ الأحلام بعد أن يتعاهدوا على الأوبة ويحسنوا الختام بالتوبة

وصف الشمس

الشمس كوكب مضىء بذاته . وهى أعظم الكواكب المرئية لنا منظراً وأسطعها ضوءاً ، وأعزرها حرارة ، وأجزلها نفعاً للأرض التى نسكنها ولكثير من أخواتها سيارات الشمس وبناتها

والشمس كرة مشتعلة ناراً ، حرارتها أشد من حرارة أى ساعور (١) أرضى . ويبلغ ثقلها ثلثمائة ورن من ثقل الارض ، وهى أكبر منها جرماً بثلثمائة ألف وألف ألف مرة

وتدور الشمس على محورها من الغرب إلى الشرق مرة واحدة فى نحو خمسه وعشرين يوماً . وتبعد عنا بنحو اثنين وتسعين ألف ألف ميل وخمسمائة ألف ميل . وهى مع كل هذا العظم الهائل لا تعد فى النجوم الكبرى ، بل إن

(١) الساعور النار نفسها أو موقدها

أكثرَ مانُشاهدُ من النجوم الثابتة شموسٌ أكبرُ من الشمس بألوف الألوف والشمس بسيَّارتها تابعٌ من توابع أحَدِها

وسَطْحُ الشمس مَهَبُّ عواصفَ وزوابعَ نِيرانيةٍ شديدةٍ تُثيرُ فى حوّها أشوظةً (١) هائلةً ، تندلِعُ (٢) ألسنتها المتأجّجة عن مُحيط كرِنها أميالاً . وقد وصفَ بعضُ العلماءِ لهَبًا ٱرتفع من سطحها لأوَّلِ وَهْلةٍ نحوَ أربعين ألفِ ميل فى الفَضاءِ ، ثم ٱزدادَ بَريقاً وتألّقاً (٣) ، ثم ٱرتفعَ بعدَ نصف ساعة إلى خمسين وثلثمائةِ ألف ميل ، ثم جعلَ يضؤُل ويضعُفُ ، فلم يمضِ ساعتان حتى ٱضمحلَّ ٱضمحلالاً . غيرَ أن ماوصَفَه هذا العالم ليس إلاَّ من قبيل النّوادر، ولكنَّ ٱرتفاعَ أللَّهبِ نحوَ مائةِ ألف ميل ليس بغير العادىِّ . وكثيراً ماتبلُغُ سُرعةُ اللّهب مائةَ ميل فى الثانية . وأكثرُ مادّةِ الشمس من عُنصرِ الُمحْذِى (الايدرُجين)المُتقّد

وبرصْدِ الشمس مرارًا بالمِرْقَب المُغَشّى بالسّوادِ شُوهدَ فى صفْحة قُرْصِها نُكَتٌ سودٌ وكلفٌ يُشوِّهُ مُحيّاها ، كأنما هى كُرةٌ سوداءُ الباطن غُلّفتْ بسطحٍ ساطعٍ من الصَّعّادات يتخللُه نقبٌ يظهرُ تحتَها السوادُ . ولا تزالُ حقيقةُ هذه البُقَع موضوعَ البحث والتعليل عند الفلكيين . ومن تنقّلِ هذه النكت عُرفت دورتها على محورها

وللشمس سياراتٌ أو أبناءٌ انفصلتْ منها منذُ أزمانٍ سحيقة ، عُلِمَ منها الى الآن نحوَ ثمانية ، هى على ترتيب الأقرب منها فالأقرب : عُطارِدُ فالزُّهْرَة فالأرضُ فالمرّيخُ فالمُشتَرِى فزُحَلُ فأُرانوس فنِبْتُونُ . ولم تُعلَمْ كلُّ شؤُون هذه السّياراتِ حقَّ العلم وإنما ألمَّ العلماءُ بمعرفةِ موادّها وكثافتها وأبعادها ، ولكنّ أمْرَ الحياة فيها لم يزَلْ مُبْهَماً مُسْتَغلِقاً اللّهُمَّ ٱلا فى الأرض وقمرِها

(١) الشواظ اللهب (٢) اندلع اللسان خرج من الفم (٣) تلألؤاً

أما مقدارُ النِّعم التى سخّرها اللهُ لنا بوُجود الشمس فمِمَّا لا يحصيه العد فهى مبعثُ حياتنا وحياة الحيوان الذى يعيشُ معنا ، ومصدرُ نُورنا ونارنا وحرِّنا وبَرْدنا . وهى التى تُحيلُ مياهَ البحار بُخاراً ، ، وتُقلّها فى الجوّ غيوماً ، وتُنزلُها على الأرض أمطاراً ، حيثُ تجرى جداولَ وأنهاراً ، فتروى زرْعنا ، وتُنمى غِراسَنا وتُثيرُ الرياح ، وتُطلِعُ الأنواء ، وتُرْجى (١) السُّفُنَ والبواخرَ فى عُباب الماء وتدفَعُ القُطُراتِ الحديديةَ ، وتُديرُ الآلاتِ البخارية وتنير المصابيحَ الدُّخانية والزّيتية ، إذ ليس الفحمُ الحَجرى والزيتُ الأرْضىُّ إلاّ حرارة نارها المُدَّخرَة منذُ قديم الدهور لينتفعَ بها أحياءُ هذه العُصور ، وما النهارُ المُبْصِرُ ، والليلَ المُظلِم الا آيتانِ من آيات اللهِ المُسَخَّرة لنا بتسخير هـذا المخلوق العجيب : ففى النهارِ نَسعَى فى مَناكب الأرض لابتغاء رزْقنا ، وتدبير معاشنا ، وتنظيم شُؤون حياتنا ونُسبّحُ بحمد ربنا ، ونعتَبرُ بآثار من سبقَنا ، وفى الليل نسكُن لإراحة أبداننا واستحمامِ (٢) قُوانا ، واستيفاءِ حظنا من النومِ الذى به تستديمُ صِحّتنا ، ونستعيضُ ما فقدناه بأعمالنا ، وننظرُ فى مَلكوتِ السّمواتِ وما خلق اللهُ من شىءٍ فى حركات الكواكب وانتقالها ، وبديع صُورِها وألوانِها ، فتعْنُو وجُوهُنا ، وتتضاءلُ كِبرياؤُنا ، أمامَ قُدْرة خالِقنا العظيمِ ، فسبحانه من إلَه حكيمٍ

وما الألوان التى نراها فى نَوْر الأزهار وريش الأطيار ونفائس المصنوعات إلاّ أثرُ وقوعِ أضوائها على هذه المرئيات وانعكاسها (٣) على أبصارنا ، فإن نُور الشمس الأبيض مُؤلّفٌ من سبعة ألوانٍ أصلية (٤) تنشأ منها كلُّ الألوان

---

(١) تسير (٢) استجماع (٣) انعكس مطاوع عكس كما فى الاساس (٣) يمكن ارجاع هذه الالوان فى الصناعة الى ثلاثة

الفرعيه وهى الأحمرُ . والبرتقالىُّ ، والأصفرُ . والأزرقُ ، والأخضرُ . والنيلجى والبنفسجىُّ . فمن الأجسام مالا يمتصُّ شيئا من هذه الألوان ، بل يعكسها كلها على العين . فيبدو أبيضَ ناصعاً كزهرةِ الياسمين ، ومنها مايمتصُّ بعضها و يعكسُ باقيها ، فيتلوّن بلونِ ما عكس منها ، فاذا أبصرتَ ورقةَ السحر حضراءَ عرفت أنها اختزنت من ضوءِ الشمس ستة ألوان ، ورَدَّت الى عينيك سابعها ، وهو الأخضر لأن فيما ادَّخرَتْهُ نفعاً لها وليس بها الى ما لفَظَتْهُ افتقارٌ . ومنها مايردُّ لونين أو أكثرَ ، فيبدو لونٌ مزيجاً من هذه الألوان السبعة . وهذه الألوان من عجائب صنع الله فى الأرض لتميز بعضها من بعضٍ فقد يتماثلُ السيئان شكلا ، وحجما وصلابةً ، ولِيناً ، وشمائم لا يتباينان إلا من حيثُ اللونُ فيكون اللونُ آيةَ تباينهما ، وأكثرُ ما يكون ذلك فى الأزهار

وتنوُّعُ الألوانِ هو السرُّ فى جمالِ المَرْئيّاتِ من مشاهدِ الطبيعة و بدائعِ الصناعة . و إن أعظمَ المُصوّرينَ وأمهرَ النقاشين لم يبرزوا على عصرهم ، و بذلوا على ذكائهم ونبوغهم إلاّ ببراعتهم فى محاكاةِ ألوان الطبيعة المؤتلفةِ وأشكالها المتجانسة . و إنما يتمُّ لهم ذلك اذا عرفوا كيفَ يمزجونَ من ادصباغِ ما يستخدمون به ألوان النُّورِ خيرَ استخدام ، و ينتفعون بهِ أحسنَ انتفاع . وقد سخَّرَ علماء الطبِّ تباينَ الألوانِ فى كشفِ النِّقابِ عن حقائق الجراثيم ، فإنَّ منها مالا يتّضحُ للعين فى المِجْهرِ إلا اذا أُلقِىَ عليه صِبْغٌ خاصٌّ يؤثّرُ فيه لونه فيُصبغ به

ولأمواجِ الشمس الضوئيه سرعةٌ معلومةٌ تسيرُ بها ، فاذا انخفضتْ هذه السرعةُ عما هى عليه لم تُعدِ العينُ قادرةً على رؤيتها ، لأنها تستحيلُ الى مظهرٍ آخرَ غيرِ مَظْهرِ الضوءِ والحرارة ، وليس يُنكَرُ ما للضوءِ والحرارةِ معاً من الأثر

الحسر فى تنقية المساكن مما يقطنها من الجراثيم القتالة والعفن المضنى . ولذلك قيل : إن الدار التى تدخلها أشعة الشمس لا يدخلها الطبيب

وصف القمر

القمر أجمل الكواكب صورة وأبينها منظراً وأسهلها رصداً . وأكبرها فى رأى العين بعد الشمس حرماً

وهو سيار كرى أصغر من الأرض بنحو تسع وأربعين مرة . انفصل منها ومن الكون ، وصار تابعاً لها ، طائفاً حولها مستمداً نوره من الشمس مثلها دائراً حول الشمس معها ، غير أن دوران القمر حول الأرض يتم حولها بتم فى سنة شمسية ، ودوران القمر حول الأرض يتم فى شهر قمرى أى مدة تسع وعشرين يوماً ونصف يوم تقريباً . ومع أنه خاضع لنظام الأرض لا يفلت بعده عنها عن واحد وعشرين ألفاً ومائتى ألف ميل

والذى يسترعى أنظارنا كما استرعى أنظار من قبلنا اختلاف أشكاله وتعدد مطالعه . مما جعله مبعث تخيل القدماء ومثار تفكر الحكماء ومقصداً لعبادة الجهلاء ! فتراه يلوح ليلة أول الشهر إثر غروب الشمس ضئيلا مقوساً لا يلبث أن يغرب ويغيب فى شفق الشمس ، ثم يهل فى الليلة التالية أبين صورة وأبقى زمناً لارتياد تأخره فى الغروب عن الشمس ، ولا يزال نوره فى تزايد ومطالعه فى تقدم نحو المشرق ، حتى يطلع من المشرق فى الليلة الرابعة عشرة عند غروب الشمس بدراً كاملاً بهى الطلعة باهر الأنوار ، فتبارك الله أحسن الخالقين

ولكن الكمال لله وحده ، فإن منتهى الزيادة مبتدأ النقص ، فهى الليلة

الخامسةَ عشر يتأخر طلوعُهُ من المشرق ، وينقصُ من حافةِ نوره التى كانت موضعَ هِلاله الأوّل زِيقٌ لا يُشعَرُ به إلاّ فى الليالى التالية ، ولا تزالُ مطالعُه فى تقهقُر ونورُه فى تناقص حتى قُربِ آخرِ الشهر ، فيُشرِقُ قُبَيْلَ الفجرِ هِلالاً ضئيلاً يكاد يكونُ مقلوبَ الهلال الأول . وفى الليلةِ الأخيرةِ يكونُ عندَ الصباحِ فى الأُفق الشرقىّ مظلماً لا يرى منه شىء . وهى ليلةُ المُحاقِ أو السّرارِ . ويظلُّ بعضَ النهار كذلك ، ثم يتولّدُ هلالُه الجديدُ ولكنّه لا يظهرُ إلاّ بعدَ أن يغيبَ قُرصُ الشمسِ ، فيلوح هلالُه ثم يختفى كما قدمنا

وعِلّةُ ذلك أن نورَ القمر كنُور الأرض مستفادٌ من الشمس . وهو لا يُقابلُ الأرض إلاّ بوجهٍ واحد لا يتغيّر . وهذا الوجه بالنسبة إلى حركتِه مع الأرض حولَ الشمس لا يقابل الشمسَ مقابلة تامة إلاّ فى وضع واحد ومرة واحدة هى الليلةُ الرابعةَ عشرةَ ، فيغشاه نورُها ، ويصير بدراً . أما بقيةُ الليالى التى قبلها والتى بعدَها فينحرفُ قليلاً أو كثيراً عنها ، حتى يصيرَ كلُّه ظلاماً ليلةَ المُحاق ، فيُطوَى خبره ويكون الوجه الآخر الذى لا يُرى لنا بدراً كاملا . ثم يتولّدُ هلالُه خلقاً جديداً

وكذلك شأنُ الأرض فى استمدادِ نورها أوْ ما نسمّيه نهاراً ، فلو كان فى القمر سُكان لكانت فى رأى أعيُنهم أكبرَ كوكبٍ فى السماءِ ، ولشاهدوها أكبرَ من الحِرْمِ الذى نشاهِدُ القمرَ عليه أضعافاً مُضاعفةً ، ولكانتْ عندَهم أروعَ جمالاً وأبدعَ من قمرهم فى نظرنا تشكُّلاً فبدورانها على نفسها يرَوْنها كأنّها جزءا فجزءا ، وتظهرُ قارّاتها ومُحيطاتها واضحةً عليها فى وقت الصّحْو ومُظلّلاً بعضُها بالغمام فى وقت الدّجْن ، وتبدُو أهلّتُها وبدورُها ضخمةً باهرةً ولكن لا يراها

إلاّ سُكانُ النصفِ المُقابِلِ لنا أو الذين يُريدون التفرُّجَ برؤيتها من أهل النصف الثانى

ولقُرب القمر منا وخلوّ حوّه من الهواء سَهُلَ رصْدُه علينا ، فنرى فى صفحته عند الشُّروق ليلةَ التمام كثيراً من المَحوِ (١) يجعلُ صورتَه أشبه بوجهِ إنسان ذى أنفٍ وفمٍ وحاجبين وعينين إحداهما مفْصِبةٌ . ولا يزالُ كذلك ، حتى يتعدّى خطّ زوالِ مكانِ النّاظرِ . فإذا مال الى المَغرب انحرفتْ هذه الصورة حتى يصير عاليها سافلها . وليس هذا المَحوُ إلا ظلامَ بطونِ الأوديه والسُّهول البعيدةِ الغوْر وظِلالَ الجبالِ والهضاب الشّاهقةِ الطّول شهوقاً يكاد يمنع استدارته ، أما قِمَمُ الجبالِ وسُطوحها المقابلةُ للشمس فتُرَى لامعةً ساطعةً فتبينُ سلاسلُ الجبال طرائقَ مضيئةً وقِممُها نُقطاً لامعه وفوّهاتُ جبال ناره الشديدةُ السّعَة البعيدةُ الغوْر التى تُعَدُّ بعشرات الأُلوف كأنها حلقاتٌ وسطها نُقطٌ سود

وقد طى القدماء فى علّة المَحوِ طُنوباً بعضُها صادفَ الحقيقةَ وبعضها جانبها حتى ظهرَ غاليليُو ، واخترع سنه ١٦٠٦ م مِرْقَباً يقرّب الأشباح ثلاثين مَسافةً فأثبت وُجودَ الجبالِ والأوديه فيهِ . وزادَ عليه غيرُه فى تحسين المراقبِ المكبّرة حتى أصبح القمر يُرَى كأنهُ على بُعدِ أربعينَ مِيلاً منا . على أن هذا القُرب لا يجعلُنا نرى الأشباحَ الصغيرة التى من نوعِ الحيوان لِنتحقّق أللقمر سُكانٌ كما للأرض أو لا ، ولكن قد أصبح من المرجّح إن لم يكن من المحقق أنهُ خالٍ من الماء ومن السّحاب والضّباب الناشئين منه ومن النباتِ ، إذ لو كان به شىءٌ منها لتغيّر شكلهُ من حالٍ إلى حال . ويُشكُّ أن له هواءً ، وإن كان له هواءٌ فلعلّه

(١) المحو : السواد فى القمر

لا يريد على قمم جباله . ولا شك أن الماء والهواء هما ينبوعا الحياة وتجرّده منهما ، وخمود جباله ناره ويبس حرمه يجعل برده شديداً حدّاً فى الليل وحرّه عظيما حدّاً فى النهار ، على فرط طولها البالغ فيه خمسة عشر يوما . ممّا يجعل الحياة فيه متعسّرة بل مستحيلة ، اللهم إلاّ أن تكون حياة غير حياتنا

ويرجّحون أنّ القمر كان فى ارمان سحيقة على طبيعة تقرب من طبيعة أمّه الأرض ، فكان آهلا بالحيوان والنبات . إلاّ أن صغر حسمه جعله سبق الأرض فى اليبس والبرودة . فتقبّض وبرد وانتهت دنياه ، وأصبح كأسفنجة مشعثة دان شعب وخاريب (١) تكوينها من جنس تكوين الأرض

ولقد خلق الله القمر مسخراً لأهل الأرض خاصّة . فهو بعكسه نور الشمس عليهم هدايه لهم فى ظلمات البرّ والبحر . ولقد قضى الإنسان عصوراً ودهوراً وليس له مصباح فى جنح الظلام غيره . ولا يزال كذلك لأهل البدو وقبائل الهمج . وهو باختلاف أشكاله تقويم فطرىّ لهم ، فبإهلاله يعرف أول الشهر وبالتربيع الأوّل يعرف ربعه ، وببدره (٢) يعرف نصفه ، وبالتربيع الأخير يعرف ثلاثة أرباعه ، وبمحاقه يعرف نهايته

وإذا مرّن الإنسان على النظر فى تقدير صوئه وأوقات مطالعه عرف الشهر يوماً يوماً والليل ساعة ساعة . قال تعالى « يسألونك عن الأهلّة قل هى مواقيت للناس والحجّ »

---

(١) جمع خروب وهى الثقب التى تكون فى جسم بعض الزنابير والنحل (٢) مصدر بدر البدور يبدر بدراً . وبالمصدر سمى هذا الكوكب عند تمام نوره كأنه يبادر الشمس بالشروق فى ليلة التمام عند غروبها

وباتحاد جذبه مع جذب الشمس للأرض ينشأ المدّ والجزر ، وفائدتهما فى تسهيل الملاحة لا تنكر ، فكم من موانئ ومرافئ لولاهما لسدّت بروابب الانهار والسيول

ولضوء القمر فى إنضاج الثمار والبقول أثر أيّما أثر ، حتى إنّ بعضها لا ينمو ويزهو لونه إلاّ فى لياليه البيض

(الفن الخامس فى المقامات)

المقامة عبارة عن كتابة حسنة التأليف أنيقة التصنيف تتضمّن نكتة أدبيّة ومدارها على رواية لطيفة مختلقة تسند الى بعض الرواة ووقائع شتّى تعزى الى أحد الأدباء — والمقصود منها غالباً جمع دُرَر الألفاظ وغُرَر المعانى وشوارد اللغة ونوادر الكلام من منظوم ومنثور فصلاً عن ذكر الفرائد البديعة والفوائد الأدبية كالرسائل المبتكرة والخطب الحيّرة والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية (١) ولنذكر لك منتخبات من مقامات مختلفة فنقول

(قال الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ هـ المقامة التاسعة الاسكندرانية (٢))

أخبرالحارث بن همّام قال دعانى (٣) مرح (٤) الشباب وهوى الاكتساب (٥)

---

(١) اعلم ان المقامات تعرف بالمكان الذي تجرى فيه فمقال المقامة الحلبية أو الموصلية بناء على ان محل وقوعها حلب أو الموصل وربما نسبت الى المروى عنه وتسمى راوى المقامة اى يمثل رحلا ظريف النفس كثير الاسفار حسن الرويه مغرما بفنون الادب حدا وطالما عرفه كاداً ذهنه فى تحصيل درره كالحارث بن همام فى المقامات الحريرية وعيسى بن هشام فى المقامات البديعية ومخترع هذه الفن هو بديع الزمان الهمداني وبعده الحريري واشهر بعدهما كثيرون ممن نسجوا المقامات على منوالهما وان لم يبلغوا شأوهما (٢) تقدم تاريخه (٣) دعا بى (٤) هو النشاط وشدة الفرح (٥) أي محبة اكتساب المال

الى أن جُبْتُ (١) ما بين فَرغانة (٢) وغانه (٣) أخوضُ الغِمار (٤) لأجنِيَ الثمار وأقتحِم الأخطار (٥) لكى أدرِكَ الأوْطار (٦) وكنت لَقِفتُ من أفواه العلماء وثَقِفت (٧) من وصايا الحكماء أنه يلزمُ الأديبَ الأريب (٨) اذا دخل البلد الغريب أن يَستميل قاضيَه (٩) ويَستحلص مَراضيَه (١٠) ليشدّ ظهره عند الخصام ويأمنَ فى الغرْبه جَوْر الحُكّام فتحدتُ هذا الأدب (١١) إماما (١٢) وجعلتُه لمصالحى رِماما فما دخلتُ مدينه ولا وَلجتُ (١٣) عرينَة (١٤) إلا وامتزَجتُ بحاكمها امتزاج الماء بالرّاح ونفوّيتُ بعنايته تقوّى الاجسادِ بالارْواح فبينما أنا عند حاكم الاسكندريّة فى عَشيّة عَرِيّة (١٥) وقد أحصَر مال الصّدقات ليُفضّه (١٦) على ذوى الفاقات (١٧) إذ دخل شيخ عِفْرِيَة (١٨) تَعِـلُه (١٩) امرأة مُصبيَة (٢٠) فقالت أيّدَ (٢١) اللهُ القاضى وأدام به التّرَاضى (٢٢) إنى امرأة من أكرم جُرْثومة (٢٣) وأطهرِ أرومة (٢٤) وأشرف خُؤولة وعُمومة مِيسمِى (٢٥) الصَّوْن (٢٦) وشيمتى (٢٧) الهون (٢٨) وخُلقى نِعمَ العوْن (٢٩) وبينى وبين حارتى بَوْن (٣٠) وكان أبى اذا خطبنى بُناةُ (٣١)

---

(١) وطعت (٢) بلد بأقصى بلاد المشرق (٣) بلد بأقصى المغرب (٤) بالكسر جمع غمرة الكثير من الماء والمراد هنا الامور الصعبة (٥) أى ادخل في الفحمة بالضم وهي الشدة والاخطار الامور العظيمه (٦) الحاجات (٧) أدركت (٨) العاقل

(٩) يرعيه ويرضاه ويطلب ميله اليه (١٠) يطلب خالص رضاه (١١) أي هذا الامر الطريف المستحسن (١٢) قدوة أى اعمل بمقتضاه (١٣) دخلت (١٤) مأوى الاسد (١٥) أي شديدة البرد أو دات ريح باردة (١٦) يفرقه (١٧) أى الفقراء المحتاجين (١٨) أى خبيث شديد الدهاء (١٩) تحمله بعنف وجفاء (٢٠) أي ذات صبيان (٢١) قوى ونصر (٢٢) أراد التراضي بين الخصوم بحيث يرضى بحكمه العالم والمعلوم (٢٣) أى أصل (٢٤) الارومة بالفتح أصل الشجرة ثم استعير لاصل الحسب (٢٥) علامتى وأصل الميسم الآلة التى يكوى بها ويعلم (٢٦) الحفظ والعفاف (٢٧) خلقي وعادتي (٢٨) الرفق (٢٩) أي الرفيق الطيب (٣٠) أى فرق وتفاوت

المجدوأرْبابُ الجَدّ سكّتهم (١) و بَكّتهم (٢) وعاف وَصْلتهم (٣) و صِلَتهم (٤) واحتجّ بأنه عاهد الله تعالى بحِلْفة أن لا يُصاهر (٥) غيرَ ذى حِرفة (٦) فقيّض القَدَر (٧) لَنَصبى ووَصبى (٨) أن حضر هذا الخُدْعه (٩) نادِىَ أبى (١٠) فأقسم بين رَهطه (١١) إنّه وَفقُ شرْطه وادّعى أنه طالما نظم دُرّة فباعها ببدَرَة (١٢) فاغترّ أبى بزخرفة محاله وزَوّجنيه قبل اختبار حاله فلمّا استخرجَنى من كِناسِى (١٣) ورَحّلنى عن أُناسى ونقلنى الى كَسْره (١٤) وحصّلنى تحت أسْره وَجدته قُعدَة جُشَمة (١٥) وألفَيْته ضُجَعة نَوَمة (١٦) وكنت صحبتُه برياش (١٧) وزِىّ (١٨) وأثاث (١٩) وري (٢٠) فما بَرح يبيعه فى سُوق الهصم (٢١) و يتلفُ ثمنَه فى الخَضم (٢٢) والقَصم (٢٣) الى أن مزّق مالى بأسره (٢٤) وأنفق مالى فى عُسره فلمّا أنسانى طعم الرّاحة وغادَر (٢٥) بيتى أنقى من الرّاحة (١٦) قلت له ياهذا انهُ لاَ مخْبأ بعد بُوس (٢٧) ولا عِطرَ بعد عَروس (٢٨) فانهَضْ للاكتساب بِصناعتك واجْتنِي (٢٩) ثمرة براعتك (٣٠) فزعم (٣١) أن

---

(١) أى قال لهم كلاما لايجدون له جوابا (٢) ألزمهم الحجة (٣) أى كره قربهم (٤) أى عطاءهم (٥) أى لايزوج ابنه (٦) صناعة (٧) يعنى قدر الله تعالى (٨) التعبي ومرضى (٩) الكثير الخداع (١٠) مجلس أبي (١١) قومه وعشيرته (١٢) البدرة عشرة آلاف درهم (١٣) أى منزلى واصله بيت الظبي أو بقر الوحش (١٤) بفتح الكاف وكسرها أى حانت بيته (١٥) كثير القعود كثير الحشوم أى يلازم الموضع الذى يقعد فيه (١٦) الصجعة أصله العاجز الذى لا يتصرف والنومة كثير النوم والمعنى انه عاطل عن العمل كسول (١٧) مال ولباس فاخر (١٨) هيئة حسنة (١٩) هو متاع البيت (٢٠) حسن حال وكثرة نعمة وهو بكسر الراء في الاصل اسم من روى من الماء يروى ريا (٢١) المراد يبلعه بأقل من القيمة (٢٢) الاكل بجميع الفم (٢٣) الاكل بأطراف الاسنان وقيل الخضم الاكل بأطراف الاسنان والقضم بمقدمها وقيل الخضم أكل الرطب والقصم أكل اليابس يريد أنه يصرف ثمنه في أنواع الاكل واللذات (٢٤) أي فرق الذي لي (٢٥) ترك (٢٦) بطن الكف لنقائه من الشعر (٢٧) أى فقر (٢٨) مثل قالته امرأة من بني عذرة مات عنها زوجها واسمه عروس فتزوجها رجل أبخر وأمرها ان تتعطر فقالته (٢٩) أي مكنى من الجنى وهو جمع الثمرة (٣٠) أى فضلك وفوقك على اقرانك (٣١) ادعى

صناعتهُ قد رُميتْ بالكساد (١) لما ظَهرَ فى الأرض من الفساد ولى منهُ سُلالة (٢) كأنه حِلالة (٣) وكلانا ما ينال معه شِبْعة (٤) ولا تَرْقا (٥) له من الطّوى (٦) دمعه ، وقد قُدْته (٧) اليك وأحضرته لديك لِتَحْكُمَ (٨) عودَ دَعواه وتحكِمَ بيننا بما أراك الله — فأقبل القاضى عليه وقال له قد وَعيت (٩) قصصَ عِرْضك فبرْهن الآن عن نفسك و إلا كسفتُ عن لَبسك (١٠) وأمرَ بحبسه فطرَق إطراق الأفعوان (١١) ثم شمّرَ للحرب العوان (١٢) وقال

إسمَعْ حديثى فإنه عَجَبٌ ... يصحك من سَرْحه ويُنتحَبُ (١٣)
أنا امرؤٌ ليس فى خصائصه (١٤) عَيْبٌ ولا فى فَخاره رِيبُ
سَروجُ دارى التى وُلدْتُ بها ... والأصل غسّان (١٥) حيث أنتسبُ
وشُغْلِىَ الدَّرْسُ والتبحّرُ فى العلـ ... ـم جِلابى وحِدّا المِطْلَبُ
ورأسُ مالى سِحرُ الكلام (١٦) الذى ... منهُ يُصاعُ القريضُ (١٧) والخُطَبُ
أغوصُ فى لُجّة البيان فأختـ ... ـارُ اللآلئَ منها (١٨) وأنتحبُ
وأجتنى (١٩) اليانع (٢٠) الجنىَّ من الـ ... ـقول وغيرى للعود يحتلِبُ
وآخذُ اللفظَ فِضّة فإذا ... ماصغته (٢١) قيل انه ذهبُ

---

(١) هو جمود السوق وقلة البيع ضد المعلق بالفتح (٢) يعنى ولدا (٣) ما يحلل به (٤) قدر ما يشبع به مرة (٥) أى لا يسكن (٦) الجوع (٧) أتيت به (٨) لتقضى وتحكم (٩) فهمت وحفظت ما قصته روجك (١٠) اظهرت اشكالك وعميه أمرك (١١) ذكر الافعى أو العظيم منها (١٢) الحرب التى قبلها حرب وهى تكون أشد من الاولى (١٣) الانتحاب مع الصوت بالبكاء (١٤) حد اله وطباعه (١٥) اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه منهم بنو جفنة ورهط الملوك وهل غسان قبيلة (١٦) هو ما الطف مأخذه ورق (١٧) الشعر (١٨) أى انعق فى بلاغ المعانى واعنى منه الملح (١٩) اقتطف (٢٠) الراعى (٢١) الطرى من الثمر الذى حمى حديثا . (٢٢) سبكه

وكنتُ من قبلُ أمترى نَشَباً (١) بالأدب المقْتنى وأحتلِبُ
ويَمتطى (٢) أخمصى (٣) لحرْمته مراتباً ليس فوقها رُتبُ
وطالما زُفّتْ الصلات إلى رَبعى (٤) فالأرض كل من يهب (٥)
فاليومْ من علقَ الزمانُ به أكسدُ شيء فى سُوقه الأدب (٦)
لا عرضُ أبنائه عصاب ولا يُرْقب (٧) فيهمُ إلٌّ ولانسبُ (٨)
كأنهم فى عراصهم (٩) حيفٌ يُبعدُ من نَتْنها ويُحتَنبُ
فحار لُبّى (١٠) لما منِيتُ به (١١) من الليالى وصَرْفها (١٢) عجبُ
وضاق درعى (١٣) لصيق ذات يدى وساورتنى (١٤) الهمومُ والكربُ
وفادنى دَهرى المليمُ (١٥) الى سُلولٍ مايَستْنينهُ (١٦) الحسبُ (١٧)
فمعتُ حتى لم يَسو لى لبدٌ (١٨) ولا بتاتٌ (١٩) اليه أنقلبُ
وادّنت (٢٠) حتى أنفلتُ سالقتى (٢١) بحَمل دَين من دونه العطبُ
ثم طويتُ الحشا على سَعَب (٢٢) خمساً (٢٣) فاما أمصّنى (٢٤) السّغب

---

(١) أى اكتسب مالا (٢) أى يركب (٣) ما ارتفع من باطن القدم عن الارض (٤) أى حملت الجوائز والهدايا الى منزلى (٥) أى ما ارض ان اكون نحب ما به كل أحد بل لم أقبل الا من العظماء (٦) أى ان من يتعلق به الامل ويرجى منه المنوال لايستعمل الادب والمعارف حتى صار ذلك كالسلعه الكاسدة عنده

(٧) تحفظ (٨) بكسر الهمزة وتشديد اللام العهد والقرابه والحوار (٩) جمع عرصه وهى فناء الدار أى كانهم فى معاصيهم (١٠) تحير عقلى (١١) يلمت به (١٢) نقلبها (١٣) انقبض على (١٤) واشتدى وعلى (١٥) الذى يأتى بما يلام عليه (١٦) تستشفه (١٧) مايعد من مفاخر الاباء او الدين وقيل الكرم (١٨) يقال ماله سبد ولا لبد اى شعر ولا صوف والمراد دواب الشعر والصوف من المواشى واراد الحريرى انه لم يبق له كثير ولا قليل كنايه عن شدة الفقر والحاجة (١٩) الزاد ومتاع البيت (٢٠) تدانيت (٢١) صفحة العنق وقيل مقدمه (٢٢) جوع (٢٣) جمس الليل (٢٤) أجاعنى

لم أرَ إلاَّ جهازَها عرضاً(١) أجول فى بيعه وأضطرب
فجُلْتُ فيهِ والنفس كارهةٌ والعينُ عبرى (٢) والقلب مكتئِب(٣)
وما تجاوزت(٤) اذ عبثْتُ (٥) به حدّ التراضى (٦) فيحدتُ الغصب
فان يكن عاظها توهّمُها أن بنانى بالنظْم تكتسب
أو أننّى إذ عزمتُ خطبتها زخرفت قولى لينجح الأرب (٧)
فوالذى سارت الرّفاقُ (٨) الى كعْبَته نستحثُّها (٩) النُّجُب (١٠)
ما المكرُ بالمحصنات (١١) من خُلقي ولا تِعارى (١٢) التمويه (١٣) والكذب
ولا يدى مُذ نشأتُ نِيط بها (١٤) إلاَ مواضى اليَرَاع (١٥) والكُتُب
بل فكرتى تنظِم القلائد (١٦) لا كفّى وشِعرى المنظوم لا السُّخُب (١٧)
فهذه الحِرْفة المشارُ الى ما كنتُ أحوى بها واحتلب
فأذَنْ لشرحى كما أذِنْتَ لها ولا تُراقبَ (١٨) واحكم بما يجب

قال : فلما أحكَم ما شاده (١٩) وأكمل إنشاده عطَفَ القاضى إلى الفتاة بعد أن شُغِفَ (٢٠) بالأبيات وقال أما أنه قد ثبتَ عند جميع الحكّام وولاة الأحكام

---

(١) حطام الدنيا وهو المال قل او كثر (٢) دامعه باكية (٣) حزين (٤) تعديت (٥) فعلت به مايليق فعله (٦) اي حد الرضا (٧) الحاجة
(٨) جمع رفقة وهو جمع رفيق (٩) تستعجلها (١٠) جمع نجيبه وهي الكريمة من الابل (١١) جمع محصنه العفائف (١٢) تحلق (١٣) تزين الكلام واصله ان يطلي المعدن غير الذهب والفضة بأحدهما أو الفضة بالذهب (١٤) علق بها (١٥) جمع يراعه وهى القصبة الجوفاء والمراد الاقلام (١٦) جمع قلادة اصله ماتقلد به المرأة من الذهب والمراد ماينتظم من القصائد والاشعار (١٧) جمع سحاب وهو القلادة من القرنفل والمسك ليس فيها من الجواهر شيء تجعل فى اعناق الاطفال (١٨) اي لاتنظر الى واحد مما والمراد لاتعدل عن الحق (١٩) اى اتقن ماقاله وانشده من شاد البناء اذا طلاه بالشيد وهو الجص (٢٠) ويروى بالعين المهملة من شعف الحب فؤاده اى علاه وشمله — وبالعين المعجمة أى فتن وبلغ حبها شغافه وهو غلاف القلب

انقراض (١) جيل الكرام (٢) وميل الأيام الى اللئام، و إنى لإخال (٣) بعلك (٤) صدوقا فى الكلام بريئا من الملام — وها هو قد اعترف لك بالقرض وصرح عن المحض (٥) و بين مصداق النظم وتبين أنه معروق العظم (٦) و إعنات المعدم ملأمه (٧) وحبس المعسر (٨) مألمه (٩) وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعى الى خدرك (١٠) واعذرى أبا عذرك (١١) وانهنهى من غربك (١٢) وسلمى بقضاء ربك — ثم انه فرض لها فى الصدقات حصة، وناولها من دراهمها قبصة (١٣) وقال لها تعللا (١٤) بهذه العلالة (١٥) وتندّيا بهذه البلاله (١٦) وصبراً على كيد الزمان وكده، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فتهنا وللشيح فرحة المطلق من الإسار (١٧) وهزة الموسر بعد الأعسار — قال الراوى وكنت عرفت أنه أبو زيد ساعة بزغت شمسه و نزعت (١٨) عرسه، وكدت أفصح عن افتنانه (١٩) وأثمار أفنانه (٢٠) ثم أشفقت (٢١) من عثور (٢٢) القاضى على بهتانه (٢٣) وتزويق (٢٤) لسانه فلا يرى عند عرفانه (٢٥)

---

(١) انقطاع وفناء (٢) أي جماعة الكرم والجيل اهل زمان واحد (٣) بكسر الهمزة أي لاظن (٤) روحك (٥) الخالص (٦) كناية عن الهزال يقال عظم معروق اذا اخذ ماعليه من اللحم (٧) الاعنات الحمل على المشقة الشديدة والمعذر البالغ في العذر او هو الذي يأتي بما يعذر به ويطلق على المحقق العذر وعلى الذى بان عذره والملامة اللؤم (٨) الحاجز عن قضاء الدين (٩) ايلام (١٠) بيتك وسترك (١١) ابو عذر المرأة اول روج لها (١٢) اي كفى وازجرى نفسك عن الحدة (١٣) هي ما يتناوله الانسان بأطراف اصابعه (١٤) تشاغلا وتلاهيا (١٥) ما يتعلل به واصلها بقية اللبن (١٦) قدر ما يبل به الشيء واسم للعية أيضاً (١٧) القيد الذى تشد به الاسير (١٨) خبثت والنزع الذكر بالقبيح والافساد بين الناس ومعناه خاصمته عرسه (١٩) يقال افتن الرجل فى حديثه اذا جاء بالاعاجيب وهي الاساليب والمراد هنا تصرفه فى الفنون والمعارف (٢٠) جمع فنن بالتحريك وهو طرف الغصن (٢١) خفت (٢٢) اطلاع (٢٣) كذبه (٢٤) التزويق التحسين والتزيين مأخوذ من الزاووق وهو الزئبق (٢٥) معرفته

أن يُرشّحه (١) لإحسانه فأحجمتُ (٢) عن القول إحجامَ المرْتاب (٣) وطويت ذكره كطيّ السِّجلّ للكتاب (٤) إلا أنى قلتُ بعد ما فصَل (٥) ووصل إلى ماوَصل، لو أنّ لنا من ينطلق فى أثره لأتانا بفَصٍّ خبره (٦) وما يُنشرُ من حِبَره (٧) فأتبعَه (٨) القاضى أحدَ أُمنائه وأمرَه بالتجسُّس (٩) عن أنبائه (١٠) فما لَبثَ أن رجع مُتدَهدِهاً (١١) وفهقَر مُقهقِهاً (١٢) فقال له القاضى مَهْيَم (١٣) يا أبا مريم (١٤) فقال له لقد عاينْتُ عَجباً وسمعتُ ما أنشأ لى طَرَباً فقالَ لهُ ماذا رأيت وما الذى وَعيت قال لم يزل الشيخ مد خرج يُصفّق بيديه ويُخالفُ بين رجليه (١٥) ويُغرِّد بملء شِدْقيه — ويقول

كِدْتُ اصْلى (١٦) ببليّه من وَقاح (١٧) شمَرِيّه (١٨)
وأزورُ السِّجنَ لولا حاكم الإسكَندَريّه

فضَحِك القاضى حتى هوت (١٩) دُنيَّتُهُ (٢٠) وذَوت (٢١) سَكينتُه (٢٢) فلما فاء (٢٣) الى الوَقار وعَقَّبَ الاستغرابَ بالاستغفار قال اللّهمَّ بِحُرْمَة عِبادِك

---

(١) الترشيح التربيه والتأهيل من ترشيح الطبيه ولدها لانها اذا بلغ ولدها السعي سعت به حتى يرشح عرقا فيقوى — ويأتى بمعنى العقوبة أيضاً (٢) تأخرت (٣) الشاك (٤) السجل الصحيفة فيها الكتابة أي كما تطوى الصحيفة الكتابه (٥) دهب (٦) بحقيقه حاله (٧) الخبر أردية يمانية موشاة جمع حبرة والمراد ما يذكره من الكلام المسجع الشبيه بالحبر في الحسن (٨) أي أرسل وراءه من يتبعه (٩) أي بالبحث سراً بحيث لايشعر (١٠) أخباره (١١) التدهده الاسراع من دهدهت الحجر اذا دحرجته وتبدل الهاء الاخير ياء فيقال تدهدي تدهدياً (١٢) القهقرة المشي الى الوراء والقهقهة الضحك بصوت (١٣) أي ما الخبر وهي كلمة لاهل اليمن معناها ما خبرك وما شأنك (١٤) يقال لعون القاضي أبو مريم (١٥) أي يرقص (١٦) احترق (١٧) الوقاح قليلة الحياء بينه القحة والوقاحة وحافر وقاح صلب (١٨) الشمري الماضى في الامور الجاد فيما يحاول (١٩) وقعت (٢٠) بتشديد النون والياء جميعاً قلنسوة طويلة يلبسها القضاة كانها منسوبة الي الدن (٢١) ذبلت وفترت (٢٢) وقارته (٢٣) رجع

المقرّبين حرّم حَبسى على المتأدِّبين ثم قال لذلك الأمين علىّ (١) به فانطلق مجدًّا فى مطلبه ثم عاد بعد لأيه (٢) مخبراً بنأيه (٣) فقال له القاضى أما إنه لو حضر لكُفِىَ الحَذَر (٤) ثم لأَوْليتُه ما هو بهِ أوْلى ولأرَيتُه أنّ الآخرَة خيرٌ له من الأولى — قال الحارث ابن همّام فلمّا رأيت صغو (٥) القاضى اليهِ وفوت ثمرة التّنبيه عليه (٦) غَشيتنى نَدامةُ الفَرَزْدَق (٧) حين أبانَ النّوار (٨) والكُسَعِىّ (٩) لما استبان النّهار

(المقامة البِشْرية لبديع الزمان الهمذانى المتوفّى سنة ٣٩٨ هـ)

حدّثنا عيسى بنُ هشامٍ، قال: كان بِشر بن عَوانة العَبْدىّ صعلوكاً، فأغار على رَكب فيهم امرأةٌ جميلة فتزوّج بها وقال مارأيتُ كاليوم — فقالت

أعْجبَ بِشْراً حَوَرٌ فى عَينى ... وساعِدٌ أبيضُ كاللُّجَين

ودونَه مَسْرَح طرف العين ... خُمْصانَةٌ ترْفُل فى حِجْلَين

---

(١) أي أئت به وأحضره (٢) اللأي كالسعي الابطاء والاحتباس (٣) أي بعده (٤) ما يحذر منه ويخاف (٥) ميله (٦) أتيتى وحضرتي (٧) هو همام بن غالب التميمي الشاعر (٨) النوار على وزن سحاب اسم زوجة الفرزدق وكان قد طلقها ثم ندم على ذلك ومن شعره في ذلك قوله :

ندمت ندامة الكسعى لما ... غدت مني مطلقة نوار
وكانك حنتى فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار
ولو انى ملكت يدي وأمري ... لكان علي للقدر الخيار

(٩) الكسعى هو عامر بن الحارث نسبة الى كسع بضم الكاف وفتح السين حي من بني تعلبية كان راعياً وعمل قوساً بعد طول تعب ثم رمي عنها ليلا فنفذت في الرمية ووقع السهم في حجر فقدح منه الشرر فظن أن السهم أخطأ الرمية فرمى ثانياً وثالثاً الى آخر الاسهم وكانت خمساً وهو يظن خطأها فعمد الى قوسه فكسرها ثم بات فلما أصبح تبين أن أسهمه كلها أصابت فندم ندماً شديداً فضربت العرب المثل به في الندامة

أحسنُ من يمشى على رجلين لو ضَمّ بِشرٌ بينها و بينى
أدامَ هجرى وأطال بينى ولو يَقيس زَيْنَها بزَينى
لأسْفَر الصُّبح لذى عَينين

قال بِشرٌ وَيْحَكِ من عَنَيْتِ فقالت بنت عمّك فاطمة فقال أهىَ من الحسْن بحيثُ وصَفْتِ قالتْ وأزيَدُ وأكثر — فأنشأ يقول

ويْحَكِ يا ذاتَ الثَّنايا البيضِ ما خِلْتُنى منك بمُسْتَعيض
فالآن إذ لَوّحتِ بالتّعريض خَلَوْتِ جوًّا فاصفِرى و بيضى
لأضمّ جَفْنَاى على تغميض مالم أشِلْ عِرْضى من الحَضيض
فقالت كم خاطِبٍ فى أمرها ألحّا وهى إليك إبنة عمّ لَحَا

ثم أرسل الى عمه يَخطُب ابنته ومَنعه العمّ أُمنِيّته ، فآلى ألا يُرْعى على أحد منهم إن لم يُزَوّجه ابنته — ثم كثُرَت مَضرّاتُه فيهم واتّصلتْ معَرّاتُه اليهم فاجتمع رِجال الحىّ الى عمّه وقالوا كُفّ عنّا مجنونَك فقال لا تُلبِسونى عاراً وأمهلونى حتى أهلكَهُ ببعض الحيَل — فقالوا أنت وذاك، ثم قال له عَمُّه إنى آليتُ أن لا أزَوّجَ بنتى هذه إلا ممّن يسوق اليها الفَ ناقة مَهراً ولا أرضاها إلا من نوق خُزَاعة

وكان غرَضُ العمّ أن يَسلُك بِشْر الطّريقَ بينه وبين خُزاعة فيفترسُهُ الأسد لان العرب قد كانت تحامتْ عن ذلك الطّريق، وكان فيه أسدٌ يُسمّى « داذاً » وحيّة تُدْعى « شُجاعاً » يقول فيهما قائلهم

أفتَكُ من دَاذٍ ومن شُجاع إن يَكُ داذٌ سيّدَ السّبّاع
فانها سيّدةُ الأفاعى

ثم ان بِشراً سَلَكَ ذلك الطريق فما نَصَفَهُ حتى لَقِىَ الأسد وقَمَصَ مُهْرُه

فنزل وعقره ثم اخترط سيفه الى الأسد واعترضه وقطعه، ثم كتب بدم الأسد على قميصه الى ابنة عمه

أفاطمُ لو شهدتِ ببطنِ خبتٍ ... وقد لاقى الهزبرُ أخاكِ بشرا
إذاً لرأيتِ ليثاً زارَ ليثاً ... هزبراً أغلباً لاقى هزبرا
تبهنسَ حين أحجمَ عنهُ مُهرى ... محادرةً فقلتُ عقرتَ مهراً
أنلْ قدمىّ ظهرَ الأرض إنى ... رأيتُ الأرضَ أثبتَ منك ظهرا
وقلتُ له وقد أبدى نصالاً ... محدّدة ووجهاً مكفهرا
يكفكفُ غيلةً إحدى يديه ... ويبسطُ للوثوب علىّ أخرى
يدلُّ بمخلب وبحدّ ناب ... وباللحظاتِ تحسبهنَّ جمرا
وفى يمناىَ ماضى الحدّ أبغى ... بمضربهِ قراع الموت اثرا
ألم يبلغك ما فعلتْ ظباة ... بكاظمةِ غداةَ لقيتُ عمرا
وقلبى مثلُ قلبك ليس يخشى ... مصاولةَ فكيفَ يخاف ذعرا
وأنتَ ترُوم للأشبال قوتاً ... وأطلبُ لابنهِ الأعمام مهرا
ففيمَ تسومُ مثلى أن يولِّى ... ويجعلَ فى يديك النفس قسرا
نصحتُك فالتمسْ يا ليثُ غيرى ... طعاماً إن لحمى كان مرّا
فلمّا ظنَّ أن الغشَّ نُصحى ... وخالفنى كأنّى قلتُ هجرا
مَشى ومشيتُ من أسدين راما ... مراماً كان إذ طلباهُ وعرا
هززتُ له الحسامَ فخلتُ أنى ... سللتُ به لدى الظلماء فجرا
وجدتُ له بجائشةٍ أرتهُ ... بأنَّ كذبتهُ ما منّنهُ غدرا
وأطلقتُ المهنّدَ من يمينى ... فقدَّ له من الأضلاع عشرا

فَخَرَّ مُجَـدَّلاً بدَمٍ كأنّى هدَمتُ به بنـاءً مُشْمَخِرّا
وقلتُ له يَعـزُّ علىّ أنى قتلتُ مُناسِبى جلَدًا ونخراً
ولـكنْ رُمتَ شيئاً لم يرُمهُ سواكَ فلم أُطِقْ يا ليثُ صـبرَا
تُحاوِلُ أن تُعَلّمَنى فِرَارًا لَعَمْرُ أبيك قد حاوَلتَ نُـكْرَا
فلا تجزَعْ فقـد لاقيتَ حُرًّا يُحاذِر أن يُعابَ فمُتَّ حُرًّا

فلمّا بلَغتِ الأبياتُ عمّه ندم على ما منعه تزْويجها وخشى أن تغتَالَهُ الحيّـة فقام فى أثَره وبَلَغهُ وقد مَلـكتْه سَوْرةُ الحيّة فلمّا رأى عمّهُ أخذَته حمِيّةُ الجاهليّـه فجعل يده فى فَمِ الحيّة وحكم سيفَه فيها وقال

بِشْرٌ الى المجد بعيدٌ همّه لمـا رآه بالعَرَاء عَمّـهْ
قد ثَكِلتْهُ نفسُـهُ وأُمّهْ حشتْ به جائشـةٌ تَهُمّهْ
قام إلى ابن الفَلَا يَؤُمّـهْ فغاب فيـه يَدُهُ وكُمّـهْ
ونفسهُ نفسى وسَمّى سمّهْ

فلمّا قتلَ الحيّة قال عمّه إنّى عَرَّضْتُك طَمَعاً فى أمرٍ قد ثنى الله عنانى عنهُ فارْجعْ لأُزَوّجك آبنتى — فلمّا رجعَ حمل بِشر يملأ فمه فخراً حتّي طلع أمرد كشقّ القمر على فرَسِه مُدَجّجاً فى سِلاحه — فقال بشرٌ باعمّ إنى أسمع حِسّ صيدٍ ، وخرج فاذا بغلامٍ على قَيدٍ فقال ثكلتْك امّك يا بشر أن قتلتَ دُودة وبَهيمةً تملا ماضغَيْك فخراً ، أنت فى أمان ان سَلّمتَ عمّك ، فقال بِشرٌ من أنت لا أُمّ لك قال: اليومُ الأسود والموْتُ الأحمر. فقال بشر ثَكِمَتْكَ من سَلَحتْك فقال يا بشر ومن سلَحتك وكرّ كلٌّ واحـدٍ منهما على صاحبه ، فلم يتمكّنْ بِشرٌ منه . وأمكن الغلامَ عشْرُون طعنة فى كُلْيةِ بشر . كلّما مسّه شبا السِّنانِ حمـاه عن بدَنهِ إبقاء

عليه — ثم قال يابشر كيف ترى — أليس لو أردتُ لأطعمتُك أنياب الرمح ثم ألقى رُمحه واستلّ سيفه فضرب بشراً عشرين ضربةً بعرْض السيف ولم يتمكن بشر من واحدة ، ثم قال يا بشر سلِم عمّك وآذهبْ فى أمانٍ قال نعم ولكن على شريطة أن تقول لى من أنت فقال لى أنا ابن المرأة التى دلّتك على ابنة عمّك — فقال بشر

تلك العصا من هده العُصَيّه هل تَلِدُ الحيّـةُ الا الحيّة

وحلفَ لا ركب حِصاناً ولا تزوّج حُصاناً ثم زوّج ابنةَ عمّه لابنه

الفن السادس فى الروايات

الرّواية عبارة عن ذكر قولٍ أو فعل حدثَا أو أمكنَ حدوثهما — وخواصُّها أربعه الإيضاح والإيجار والإمكان والتلطُّف « فالإيضاح » يكون بتقديم فرش للحديث وتوطئةٍ للخبر يُهرِّبُ مآخذ الرّوايه — وبمراعاة الترتيب الطبيعى فى إيراد ظُروف الخبر مالم يكن للرّاوى غرَضٌ لتحاوُر هذا النّظام — وبالعدول عن كثرة الاستطرادات فى إنشاء الحديث لأن ذلك يصرفُ العقل عن سياق الرّواية ويَذْهبُ بروْنقها « والايجار » حذفُ فُصول وحشوِ الكلام مع انتقاءِ أخصّ الظرُوف وأنسبها للغايه — ولا بأس بالاطناب إذا مادعا اليه مقتضى الحال «والامكان» ترشيح الرّوايه للقبول فى ذهن السّامع « والتلطف » فى الرّواية أن يَبلغ الكاتبُ كُنه القلوب ويأخذ بمجامع اللُّبّ بأن ينتقل فيها من حال الى حال لأن النّفس قد جُبلَتْ على محبّة التّحوُّل وطبعت على إيثار التّنقّل — وللرّواية ثلاثة أجزاء صدرُها وعقدتُها وختامها « فالصّدْر » التّوْطئة للواقع بحيث يَقِفُ السّامع على أسماء الأشخاص وطباعِهم وعلى مكان الواقع وسوابق العمل « والعقدة » هى الجزء الذى

على محوره تدور الرّواية — وهو المجال الأوسع الذى تتقابل فيه الأشخاص وتشتبك الأحوال وتضطرم فى النّفس لواعج الشوق للوقوف على عاقبة الأمر فتنتقل من الرّجاء الى الخوف ومن الفرح الى الحزن

« والختام » الجزء الأخير من الرّواية الذى به تفكّ الإربة وتحلّ رباق الحديث فتنالُ النّفوس بذلك مرامها وتفوزُ بوطرها — وسمته أن يكون فجائياً مرتبطا مع ماقبله ارتباطاً محكماً وافياً بالمراد بحيث ترضى به النفوس ، وترتاح اليه القلوب وشواهد الرّواية كثيرة لا نطيل بذكرها — أفردها الأدباء بالتآليف العديدة ولنذكر هنا بعض ملح لايستغنى عنها المقام

ليلى الأخيلية مع الحجّاج

قال بعضهم — بينما كان الحجّاجُ فى مجلس ومعه عنبسة بن سعد العاصى إذ دخل الحاجبُ فقال امرأةٌ بالباب فقال له الحجّاج : أدخلها فدخلتْ فلمّا رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننتُ أن ذقنه قد أصاب الأرضَ فجاءت حتى قعدتْ بين يديه فنظرتُ فاذا امرأةٌ قد أسنت، حسنة الخلق ومعها جاريتان لها و إذا هى ليلى الأخيلية فسألها الحجّاج عن نسبها فانتسبت له فقال لها يا ليلى ما أتى بك: فقالت أخلافُ النُّحوم وقلّة الغيوم وكلب البرد وشدّة الجهد — وكنتَ لنا بعدَ الله الرّفد، فقال لها صِفى لنا الفِجاج : فقالت الفِجاجُ : مُغبرّة . والأرض مقشعرّة والمبْرَك معتلّ وذو العيال مختلّ والهالك للقُلّ والناس مُسْنِتُون، رحمةَ الله يرجُون وأصابتنا سنون مُجحفة مبلطة لم تدع لنا هُبَعاً ولا رُبَعاً ولا عافطة ولا نافطة أذهبت الأموالَ ومزّقت الرّجال وأهلكت العيال ثم قالت إنى قلت فى الأمير قولا : قال هاتى — فأنشأت تقول

أحجّاجُ لا يُفلل سلاحُك انّما الـــمنايا بكفّ الله حيث يراها

أحجّاج لاتُعط العُصاة مُناهمُ ولا اللهُ يُعطى للعُصاة مُناها
إذا هبط الحجّاج أرضاً مريضةً تَتَبَّع أقصَى دَائِها فشفاها
شفاها من الدّاء العُضال الذى بها غلامٌ إذا هزّ القَناة سقاها
سقاها فروّاها بشرْب سِحاله دماء رجال حيث مال حشَاها
إذا سمع الحجّاج رِزّ كَتِيبةٍ أعدّ لها قبل النُّزول قِرَاها
أعدّ لها مصقولةً فارسيّةً بأيدى رجال يحلبُون صراها
فما وَلَد الأبكارُ والعُونُ مِثلَه ببحرٍ ولا أرضٍ يجفّ ثرَاها

قال : فلما قالت هذا البيتَ قال الحجاج قاتلها الله ما أصاب صِمَتى شاعر مند دخلت العِرَاق غيرها — ثم التفت الى عَنبسةَ بن سعيد فقال والله أنى لأعدّ للأمر عسى أن لايكون أبداً ثم التفت اليها فقال حَسبُك قالت إنّى قد قلت أكثر من هذا قال حسبك ويْحَك حسبك ثم قال يا غلام إذهب إلى فلان فقل له إقطع لسانها فذهب بها فقال له يقول لك الأمير إقطع لسانها قال فأمر بإحضار الحجّام فالتفتت اليه فقالت نَكأتْكَ أُمك أما سمعتَ ما قال إنما أمرك أن تقطع لسانى بالصِّلةِ فمت اليه بسَنْبَتِه فاستشاط الحجّاج غضباً وهمّ بقطع لسانه وقال اردُدها فلما دخلت عليه قالت : كاد « وأمانة الله » يقطع مقولى — ثم أنشأت تقول

حجّاج أنت الذى ما فوقه أحدٌ إلا الخليفةُ والمستغفرُ الصمّد
حجّاج أنتَ شهابُ الحربِ إن لقحتْ وأنتَ للناس نُورٌ فى الدُّجى يقدُ

ثُم أقبل الحجّاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه قالوا لا والله أيها الأمير إنّا لم نرقطّ أفصحَ لساناً ولا أحسن مُحاورة ولا أملح وجهاً ولا أرصن شعراً منها فقال هذه لَيلى الأخيلية التى مات تَوبة الخفَاجى من حُبّها ، ثم التفت اليها فقال

أنشدينا ياليلى بعض ماقال فيك تَوبة قالت نعم أيها الامير هو الذى يقول

وهل تبْـكِينَ ليلى اذا متّ قبلها وقام على قَبرى النساء النوّائح
كما لو أصاب الموتُ ليلى بَكيتُها وجاد لهـا دمعٌ من العين سافِح
وأُغْبَطُ من ليلى بمـا لا أناله بَلَى كلّ ماقرّت به العين طائح
ولو أن ليلى الأخيلية سلّمت علىّ ودونى جَنْدَل وصـفائح
لسلّمت تسليمَ البشَاشـة أوزقا اليها صدًى من جانب القبر صائح

ثم قال لها سَلى ياليلى تُعطى قالت أُعطَ فمثلكَ أعطَى فأحسنَ ، قال لكِ عشرون قالت زِد فمثلك زاد فأجمـل قال لك أربعون قالت زِد فمثلك راد فأكمل قال لك ثمانون قالت زِد فمثلك زاد فتمّم ، قال لكِ مائة ، واعلمى انها غَنَم قالت معاذ الله أيها الأمير أنت أجْودُ جوداً وأمجدُ مجداً وأورى زنداً من أن تجعلها غَنَماً قال فما هى ويحك ياليلى قالت مائةٌ من الإبل برُعاتها فأمرَ لهـا بها ثم قال ألك حاجة بعـدها قالت يدفع إلىّ النّابغة الجَعدى قال قد فعلت وقد كانت تهجوه ويهجوها فبلغ النّابغة ذلك فخرج هارباً عائداً بعبدالملك فاتبعته الى الشام فهرب الى قُتَيبة بن مُسلم بخُراسان فاتبعته على البريد بكتاب الحجّاج إلى قُتيبة بِقومَس ويقال بحُلوان

بنات الشّاعر المقتول

كان لشاعر عدوٌّ فبينما هو سائر ذاتَ يوم فى بعض الطّرق اذا هو بعَدوه ، فعلم الشاعر أن عدوّه قاتلُه لا محَالة — فقال له يا هذا أنا أعلم أن المنيّة قد حضرت ولـكن سألتك الله اذا أنتَ قتلتنى أن أمْضِ إلى دارى وقِفْ بالباب وقل « ألا أيها البِنتانِ أن أبا كما » فقال سمعاً وطاعة ثم إنّه قتله فلما فرغ من قتله أتى الى داره ووقف بالباب وقال « ألا أيها البنتان أن أبا كما » وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل « ألا

أيها البنتان أن أبا كما» أجابتاه بفمٍ واحد « قتيلٌ خذَا بالثار ممن أتا كما » ثم تعلّقتا بالرجل و رفعتاه الى الحاكم فاستقْرره فأقرّ بقتله فقتله

﴿ المُتكلّمة بالقرآن الكريم ﴾

قال عبد الله بن المُبارك خرجتُ حاجًّا الى بيت الله الحرام و زيارة قبر نبيّه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا فى بعض الطّريق اذ أنا بسوادٍ فتميّزت ذاك فاذا هى عجوزٌ عليها دِرْعٌ من صفوف و خِمار من صُوف فقلت السّلام عليك و رحمة الله و بركاته فقالت « سلامٌ قولاً من ربّ رحيم » قال فقلت لها يرحمُك الله ما تَصنعين فى هدا المكان — قالت « ومن يُضلل الله فلا هَادِى له » فعلمت أنّها ضالّة عن الطّريق فقلت لها أين تُريدين قالت « سُبحان الذى أسرَى بعبده ليلاً من المسجد الحرَام الى المسجد الأقصى » فعلمت أنها قد قَصت حَجّها وهى تُريد بيتَ المقدس فقلت لها أنت مُنذ كم فى هدا الموضع قالت « ثلاثَ ليال سَوياً » فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت « هو يُطعِمُني و يَسقين » فقلت فمآى شىء تتوضّئين قالت « فان لم تجدوا ماءً فتيمّموا صعيداً طيباً » فقلت لها أن معى طعاماً فهل لك فى الأكل قالت « ثم أتموا الصيّام الى الليل » فقلت ليس هدا شهر رمضان قالت « ومَن تطوّعَ خيراً فانّ الله شاكرٌ عليم » فقلت قد أُبيحَ لنا الأفطار فى السّفر قالت « وأن تصوموا خيرٌ لكم ان كنتم تعلمون » فقلت لِم لا تُكلّمينى مثل ما أُكلّمك قالت (ما يُلفظُ من قول إلاّ لديه رقيبٌ عَتيد) فقلت فمن أىّ الناس أنت قالت (ولا تَقفُ ما ليسَ لك بهِ علمٌ أنّ السّمع والبصرَ والفؤاد كلُّ أولئك كان عنهُ مسئولا) فقلت قد أخطأت فاجعلينى فى حِلٍّ قالت (لا تثريبَ عليكم اليومَ يغفر الله لكم) فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتى هده فتدركى القافلة قالت (وما تفعلوا من خير

يعلمه الله) قال فأنخت ناقتي قالت (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) فغضضت بصري عنها وقلت لها إركبي فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) فقلت لها اصبري حتى أعقلها قالت (ففهمناها سليمان) فعقلت الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت قالت (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون) قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح فقالت (واقصد في مشيك واغضض من صوتك) فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر فقالت (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) فقلت لها لقد أوتيت خيراً كثيراً قالت (وما يذكر إلا أولوا الألباب) فلما مشيت بها قليلاً قلت آلك زوج قالت (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) فعلمت أن لها أولاداً فقلت وما شأنهم في الحج قالت (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت (واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما — يا يحيى خذ الكتاب بقوة) فناديت يا ابراهيم ياموسى يايحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه) فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي وقالت (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

﴿ مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير ﴾

روى عقيل بن خالد عن ابن شهاب أنّ مروان بن الحكم وعبدَ الله بن الزبير اجتمعا ذات يوم فى حجرة عائشة « والحجابُ بينهما وبينها » يحدّثانها ويسألانها فجرى الحديث بين مروان وابن الزبير ساعة — وعائشة تسمعَ : فقال مروان

ممن بشا الرّحمن يخفضْ بقدرِه ... وليس لمن لم يرفع الله رافعُ

فقال ابن الزّبير :

ففوّض الى الله الأمورَ إذا اعترَت ... وبالله لا بالأقربينَ أُدافعُ

فقال مروان :

وداوِ ضمير القلب بالبرّ والتّقى ... فلا يستوى قلبان قاسٍ وخاشعُ

فقال ابن الزّبير :

ولا يستوى عبدان هذا مكذّب ... عتلٌّ لأرحام العشيرة قاطعُ

فقال مروان :

وعبدٌ يجافى جنبهُ عن فراشه ... يبيتُ يناجى ربّه وهو راكعُ

فقال ابن الزّبير :

وللخير أهلٌ يعرفون بهديهم ... اذا اجتمعت عند الخطوب المجامعُ

فقال مروان :

وللشّرّ أهلٌ يعرفون بشكلهم ... تشير اليهم بالفجور الأصابعُ

فسكتَ ابن الزّبير ولم يجب فقالت عائشة : ياعبد الله مالك لم تجبْ صاحبك فو الله ماسمعتُ تجاولا فى نحو ماتجاولتما فيه أعجبَ الىّ من تجاولكما . فقال ابن الزبير : إنى خفتُ عوار القول فكففتُ

﴿ عُبيد بن الأبرص وامرؤ القيس ﴾

قيل ان عُبيدَ بن الأبرص لقى امرأ القيس يوماً فقال له : كيف معرفتك بالأوابد قال . ما أحببت . فقال

ماحبّه مَيْتَةٌ قامَتْ بميتتِها ... دَرداء ما أنبتت ناباً وأضراساً

فقال امرؤُ القيس

تلك الشّعيرة تُسقي فى سَنابلها ... قدأخرجت بعدُ طول المُكث أكداسا

فقال عبيد :

ما السُّودُ والبيضُ والأسماء واحدةٌ ... لا تستطيعُ لهنَّ النّاسُ تمساسا

فقال امرُؤُ القيس

تِلك السّحاب إذا الرّحمنُ أنشأها ... رَوَّى بها حَولَ الأرض أيباسا

فقال عُبيد :

مامُرتجاتٌ على هول مَراكبُها ... يَقطعنَ بعد المدى سَيراً وأمراساً

فقال امرُؤُ القيس

تلك النّجومُ إذا حانَت مَطالعُها ... شبَّهتها فى سواد اللّيل أقياساً

فقال عُبيد :

ما القاطعاتُ لأرض لا أنيسَ بها ... تأتى سُراعاً وما يرجِعْنَ أنكاسا

فقال امرؤُ القيس :

تلك الرّياحُ إذا هَبّت عَواصِفُها ... كفَى باذيالها التّرب كِنّاسا

فقال عبيد

ما الفاجعاتُ جهاراً فى علانية ... أشدّ من فَيلَق ملحُومة باسا

فقال امرؤُ القيس :

تلك المنَايا فما يبقينَ من أحدٍ ... يأخذنَ حُقاً وما يبقينَ أكياسا

فقال عُبيد

ما السّابقات سِرَاعُ الطّير فى مَهل لايَشتكين ولو طَالَ المَدى باسَا

فقال امرؤُ القيس

تلك الجِيادُ عليها القومُ مُذْ نَتَجت كانوا لهنّ غداة الرّوع أحلاسا

فقال عبيد

ما القاطعاتُ لأرض الجوّ فى طلق قبل الصّباح وما يسوين قِرطاسا

فقال امرؤُ القيس

تلكَ الأمَانى يتركن الفَتَى ملكاً دون السّماء ولم ترفع له راسَا

فقال عبيد

ما الحاكمونَ بلا سمعٍ ولا بصرٍ ولا لسانٍ فصيحٍ يُعجبُ النّاسا

فقال امرؤُ القيس

تلك الموازين والرحمن أرسلَها ربّ البرية بين النّاس مِقياسَا

﴿ أبو تراب والشّريف العبّاسى ﴾

اجتمعَ يوماً أبو تُراب هِبةُ الله بن السّريجى والشّريف العبّاسى وكانَا شاعرين فقالَ أبو تُراب

أسلوتَ حبّ بدور أَمْ تتجلّدُ وسَهرت ليلَك أم جفونكَ ترقدُ

فأجاب الشريف بديهاً

لاَ بَل هُمُ ألفُوا القطيعةَ مثل مَا أَلفُوا نزولهمُ بها فتبعّدُوا

فقال أبو تراب

فإلاَمَ تصبِرُ والفُؤادُ مُتيَّم ولظَى اشتياقِك فى الحَشَى يتوقّدُ

فأجاب الشريف

مادامَ لى جَلَدٌ فلستُ بجازعٍ اذ كان صبرى فى العَواقب يُحمدُ

فقال أبو تراب

أحسنْتَ كِتمانُ الهوى مُستحسَنٌ لو كان ماء العين ممّا يَجمُدُ

فأجاب الشريف

ان كان جَفنى فاضِحى بدُمُوعه أظهرتُ للحُسّاء أنى أرمَدُ

فقال أبو تراب

فهَب الدّموعَ اذا حرت موّهتها فيُقال لِم أنفاسهُ تتصعّدُ

فأجاب الشريف

أمشى وأُسرع كى يَظنّوا أنّها من ذلك المَشى السَّريع تولّد

فقال أبو تراب

هذا يجوزُ ومثلُه مُستعملٌ لكنّ وجهَك بالمحبّة يشهدُ

فأجاب الشريف

ان كان وَجهى شاهداً بهوًى هما يدرى الى مَن بالمحبّة أقصدُ

فقال أبو تراب

إخضعْ وذلّ لمن تحبّ فليسَ فى حُكمِ الهوَى أنفٌ يشالُ ويعقدُ

فأجاب الشريف

ذا لا يكونُ مع الحبيبِ وانّما مع ساقط متحيِّل يتعمَّدُ